الحكم المصري في السودان

١٨٢٠ – ١٨٨٥

الدكتور محمد فؤاد شكري
B. A (Hons); M. A; Ph D. (Liverpool)
أستاذ التاريخ الحديث المساعد بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

دار الفكر العربي
١٩٤٧

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــــدير

فى الكتاب الذى أصدرناه منذ شهور عن «مصر والسيادة على السودان» أوضحنا ماتستند إليه مصر من حقوق شرعية فى أن يضم وادى النيل بشطريه سياج واحد فى ظل تاج واحد كما كانت الحال فى عهد محمد على الكبير وخلفائه من أفراد البيت العلوى العتيد . ولا ريب فى أن حصفاء القراء من ذوى الأفهام السليمة والفطر المستقيمة قد استبانوا من خلال السطور ومن تلقاء أنفسهم أننا حين ذكرنا لفظ السيادة إنما قصدنا معناه الفقهى وما ينصرف إليه من تعيين مقر السلطة العليا فى الدولة لا المعنى اللغوى وما ينطوى عليه من فكرة السيطرة والاستعلاء .

على أن هناك موضوعاً آخر له وزنه وخطره فيما يتصل بشؤن مصر والسودان ونعنى به النهج الذى سلكه المصريون فى إدارة السودان . وقد استطعنا – على ضوء ماتوافر لدينا من الوثائق وأقوال المعاصرين – أن نكشف عن الأسس التى استرشدت بها مصر فى حكم جنوب الوادى مدى ستين عاما فاتضح أن مايسمى اليوم سودنة الوظائف ليس بالأمر الجديد بل كان أسلوبا من الأساليب الإدارية المألوفة فى عهد محمد على وخلفائه ، وأن الحكام المصريين كانوا يعتبرون مصر والسودان قطراً واحداً يعملون على إسعاده دون تفرقة بين أهل الشمال وأهل الجنوب وليس أدل على ذلك من تلك الأموال الطائلة التى كانت ترسل فى كل عام من القاهرة إلى الخرطوم لسد ماهنالك من عجز فى مالية السودان .

وإذا كان هناك مايؤسف له فهو أن جميع هذه الحقائق الثابتة قد طمستها يد الزمن وأسدلت عليها ستاراً كثيفاً من النسيان ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قدر لتلك الحقائق أن تتعرض لضروب من المسخ والتشويه بات معها الحكم المصرى فى السودان موسوما بطابع القسوة والاستغلال . ولما كانت هذه الأكذوبة التاريخية الضخمة قد استقرت فى بعض الأذهان على أنها حقيقة ثابتة فلم يكن هناك معدى عن أن أضع كتاباً يكشف عن وجه الحق فى موضوع كبير الأثر جليل الخطر كهذا الموضوع . فالواقع أن الحكم المصرى فى السودان كان حكماً صالحاً مستنيراً يستهدف رفاهية السودانيين خاصة وخدمة الإنسانية عامة . شهد بذلك قناصل الدول فى الخرطوم الذين زاروا السودان والراية المصرية تخفق فوق ربوعه . أما تلك الثورة الجامحة التى أشعل المهدى نارها فليست دليلا على سوء الأدارة المصرية إذ كانت فى حقيقة أمرها فتنة هوجاء قام بها تجار الرقيق ضد طائفة من الموظفين الأوربيين فى السودان لم يصطنعوا الريث والأناة فى محاربة الرق والنخاسة بل ركبوا متن الشطط وأبوا إلا القضاء عليها « بالنار والسيف » فى أقصر وقت مستطاع متجاهلين سياسة التدرج ومخالفين طبيعة الأشياء .

على أنى قد أخذت نفسى عند وضع هذا الكتاب بالتزام الأمانة العلمية ولهذا لم أدع الحقائق تمر دون أن أسجل مصادرها فى هوامش البحث كما عنيت بنشر طائفة من الوثائق والمصورات والمراجع استكمالا للفائدة . وإذا كنت قد استطعت أن أفرغ من هذا البحث فى زمن وجيز فقد أعاننى على ذلك ماوجه إلى من دعوات كريمة لألقاء بعض المحاضرات العامة فى الموضوع الذى أعالجه وقد ألقيت أولاها فى نادى القنال ببورسعيد فى ١٤ مارس ١٩٤٧ عن « الحكم المصرى فى السودان » وثانيتها فى جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة فى ٢٧ مارس وموضوعها « بين مصر والسودان فى العصر الحديث » أما المحاضرة الثالثة

فألقيت فى اتحاد كلية الآداب بجامعة فاروق الأول بالاسكندرية فى ٢٠ أبريل عن « عهد المصرية فى السودان ».

وبعد فما يجمل بى أن أضع القلم دون أن أعترف بتلك المساعدات القيمة التى لقيتها من زملائى وإخوانى الأفاضل حضرات الأساتذة عبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل وفؤاد بطرس زكى وأحمد فريد على مصطفى ويوسف خليل جاد الله واحمد عبدالرحيم مصطفى ؛ كما أشكر لصديقى الأستاذ محمد أحمد الجابرى ما أفدته من واسع خبرته بشئون القطر الشقيق بعد أن قضى سنوات طويلة فى خدمة حكومة السودان . ولا يفوتنى كذلك أن أنوه بجهود الآنسة ليلى عبد اللطيف الصباغ لمـــا بذلته من معونة صادقة فى إعداد الوثائق .

جزاهم الله عنى جميعاً خير الجزاء ؟

القاهرة : يونيو ١٩٤٧ **المؤلف**

الحكم المصرى فى السودان

١٨٢٠ – ١٨٨٥

السودان قبيل الفتح المصرى

ظلت بلاد السودان مغلقة دون العالم الخارجى أجيالا طويلة قبل أن تدخلها جيوش الفاتح اسماعيل بن محمد على الكبير فى عام ١٨٢٠ ولهذا لم يستطع ارتياد ربوعها سوى نفر قليل من الرواد بدأوا منذ أواخر القرن السابع عشر يخاطرون بحياتهم فى سبيل إماطة اللثام عن شىء من أسرار القارة الأفريقية المجهولة فوصل الطبيب الفرنسى چاك فرنسوا پونسيه Poncet بين عامى ١٦٩٨ و ١٧٠٠ إلى سنار والحبشة، ومع أن الأحباش اضطروه إلى الخروج من بلادهم [١] فقد اقتفى أثره آخرون فذهب الكاشف البافارى كرمپ Krump إلى سنار فى عام ١٧٠١ — ١٧٠٢ وتبعه نائب القنصل الفرنسى بدمياط «لونوار دى رول» Le Noir du Roule ولكنه قتل فى عام ١٧٠٥ لنقمة سلطان سنار عليه [٢] وكان من أثر ذلك أن أغلق الطريق إلى سنار إغلاقا تاماً خلال السنوات السبعين التالية فلم يجد الرحالة لديهم الجرأة الكافية للذهاب إلى هذه الجهات حتى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن الذى يليه.

وكان الذين استطاعوا زيارة السودان قبل عهد المصريين أربعة هم چيمس بروس Bruce الأسكتلندى ووليم چيمس براون Browne الإنجليزى والشيخ محمد بن عمر التونسى وچون لويس بركار Burckhardt السويسرى وقد زار بروس الحبشة ثم سنار (١٧٧٠ — ١٧٧٣) وأقام براون فى دارفور ثلاث سنوات (١٧٩٥ — ١٧٩٧) واستطاع الشيخ محمد بن عمر أن يجول

---

(١) Poncet. 36, 56, 92

(٢) Budge. I. 11 ; Shukry. 40.

فى أنحاء دارفور مدة طويلة (١٨٠٣ — ١٨٢٠) أما بركار فزار بربر والدامر وشندى وتتبع مجرى نهر العطبرة حتى بلغ قوز رجب ثم زار التاكة وذهب منها إلى سواكن فى طريقه إلى الحجاز ثم سافر إلى القاهرة بعد رحلة استغرقت أكثر من عامين (١٨١٣ — ١٨١٥). وقد نشر ما كتبه هؤلاء الكاشفون عن أسفارهم وبذلك استطاع العالم الخارجى أن يقف على قدر غير يسير من أحوال الشعوب التى عاشت فى بعض أصقاع السودان إلا أن هذه المعلومات على جلال شأنها لم تكن كافية لإزاحة تلك الأستار الكثيفة التى حجبت هذا الجزء من القارة المجهولة عن أنظار العالم زمناً طويلا.

غير أنه حدث بعد عام واحد من نشر «أسفار» بركار أن قررت مصر بإرشاد عاهلها العظيم محمد على إرسال حملتها المشهورة على السودان فى ديسمبر ١٨٢٠ فأتيحت الفرصة للباحثين بفضل هذا ليزنوا الحقائق التى جمعها الكاشفون السابقون ويقفوا على معارف جديدة عن السودان، ذلك بأن الأجانب الذين رافقوا الحملة أو زاروا الأقطار السودانية بعد استقرار الحكم المصرى اهتموا بالتنقيب عن تاريخ الجهات التى أخضعتها جيوش محمد على وعادات أهلها وأساليب معيشتهم وموارد رزقهم وما إلى ذلك من الشئون. وهؤلاء الأجانب بترتيب ما ظهر من كتاباتهم هم إنجلش English الأمريكى وكايو Cailliaud الفرنسى وفيناتى Finati الإيطالى وهمبرى Hanbury وودنجتن Waddington الإنجليزيان، أدولف لينان دى بلفون Linant de Bellefonds البلجيكى، روبل Rüppel، رسيجير Russeger، بوكار مسكاو Puckler-Muskau، فردناند فرن Werne، الدكتور لبسيوس Lepsius الألمان، كادالفين Cadalvene وزميله بروفيرى Breuvery الفرنسيان وكومب Combes، تيبو Thibaut، وبران روليه Brun-Rollet الفرنسيون وهوسكنس Hoskins وهولرويد Holroyd وپالم Pallme الانجليز.

ويؤخذ مما كتبه هؤلاء جميعهم أن السودان فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كان خاضعا لسيطرة العرب الذين مدوا سلطانهم جنوبا حتى نهر السوباط وبحر الغزال ثم وقف تقدمهم إلى ما وراء الدرجة العاشرة من خطوط العرض الشمالية بسبب مقاومة الزنوج من الشلك والنوير والبارى والنيام نيام والدنكا (٣) وغيرهم وقد ترك العرب فى الجهات التى خضعت لهم آثاراً عميقة فى كيان البلاد الاجتماعى والسياسى والاقتصادى إذ نشروا الإسلام بين الأهلين الذين كانوا فى العصور السالفة يعتنقون المسيحية أو محتفظين بوثنيتهم الأولى(٤) كما أنشأوا علاقات تجارية مع البلدان المجاورة وجعلوا من الرقيق تجارة تدر أرباحا طائلة للجلابين والنخاسين الذين بدأوا منذ ذلك الوقت البعيد يصيدون الزنوج ويصدرونهم إلى الأسواق الخارجية. وفضلا عن ذلك فقد أسسوا ممالك ودويلات فى سنار ودارفور وبورنو ووادای وباقرمى. ولكن هذه الممالك وتلك الدويلات كان أهمها دولة الفونج الإسلامية التى قامت فى سنار فى أوائل القرن السادس عشر على يد ملكهم «عمارة دونقس» وقد ساعد عرب القواسمة عمارة فى تشييد مملكته التى بسطت سيطرتها على النيل الأزرق نحو ثلاثة قرون.

فقد مد الفونج حدودهم من ناحية الشمال إلى الجندل الثالث ووصل سلطانهم فى الجنوب إلى فازوغلى وخضعت لهم الأقاليم الشرقية حتى ساحل البحر الأحمر. أما من ناحية الغرب فقد كانت حدودهم متاخمة لحدود دارفور(٥) على أن الضعف ما لبث أن أخذ يدب فى كيان دولتهم رويداً رويداً حتى إذا كان عام ١٧٨٩ زال حكم ملوك الفونج واغتصب السلطة منهم وزراؤهم ومنذ

---

(٣) Chaine, 52; Seligman 39, 135, 206. 366; Bull. Soc. Kh. Geog. Ser 11. p. 611.

(٤) Lauture. (Mem. Etat Social) 34; Lauture. (Mem. Saudan) 40 — 44.

(٥) شقير ج ١ : ص ٦٦ . Cadalvene II. 262; Jackson. 17 — 19.

ذلك الحين بدأ حكم الهمج وهو الاسم الذى صار يطلق على هؤلاء المغتصبين الذين ظلوا متربعين فى دست الحكم ينشرون الفساد ويثيرون الحروب بسبب المنازعات الداخلية مع منافسيهم على السلطة حتى جاءت حملة الأمير إسماعيل ابن محمد على إلى السودان [٦].

وبين كانت دولة الفونج قائمة فى سنار كان العرب الذين وفدوا الى السودان الغربى من مراكش وتونس ومصر قد امتزجوا بالفور (أهل دارفور) واستطاعوا أن ينشئوا دولة جديدة فى دارفور ولكن هذه الدولة ما لبثت أن مزقتها الحروب الأهلية بعد فترة قصيرة من تأسيسها . غير أن سليمان صولون استطاع أن يعيد بناءها كما انتشر الإسلام هناك [٧] ثم حكم البلاد خلفاؤه من بعده وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر بلغت دارفور ذروة المجد والرفعة بيد أن سلاطينها بدأوا منذ استتب لهم الأمر يشنون الحروب على الدويلات المجاورة لهم فى دار رنقة والسولا والبنقة والبرقو والبرتة والدمرقى والبرقة ، والفلاتة والباقرمى وغيرها ويجلبون منها الرقيق [٨] ثم اشتبكوا كذلك فى حروب طويلة مع مملكة سنار المعروفة بالدولة الزرقاء . وكان السبب المباشر لهذه الحروب تلك المنافسة الشديدة التى قامت بين دارفور وسنار بشأن امتلاك إقليم الكردفان الواقع بينها وقد ألحقت هذه الحروب أكبر الأذى بذلك الإقليم كما انهكت قوى كل من الدولتين [٩] وكان مما أشاع الفوضى فى ربوع السودان أن سنار ودارفور كانت كل منهما مستودعا هاما لتجارة الرقيق [١٠]

---

(٦) Bndge II, 200 — 202 ; Robinson (Nimr) 100 et seq .

(٧) Ensor. 144 ; Lauture (Mem. Soudan), 79 .

(٨) Pallme 350 — 352 .

(٩) Browne, 234 ; Tremeaux II. 52 — 53 ; Burckhardt, 482 .

(١٠) Poncet 28,36,55,61,82 – 3 ; Burckhardt 207. 233, 235, 324; Cailliaud II 277, 294, 295 ; also ibid, III 62, 115 .

كما أن بعض المدن نال شهرة واسعة باعتبارها أسواقا لهذه التجارة الشائنة قبل الفتح المصرى بأجيال طويلة ومن هذه المدن كوبة والفاشر [١١] وبربر وشندى وسواكن ومدينة سنار [١٢] وباره والأبيض [١٣] وغيرها . فكانت قوافل الجلابين تنقل الرقيق الى جانب السلع الأخرى من هذه الأسواق الى بلاد الحبشة ومصر وإلى سائر الأقطار الأفريقية فى الشمال والغرب .

وكانت هذه القوافل عند خروجها من الأبيض وباره والفاشر وشندى وغيرها مضطرة إلى المرور بأرض العربان البدو الذين كانوا يضربون فى السهول ولا غاية لهم إلى جانب انتجاع المرعى سوى مهاجمة القوافل وسلب متاجرها مما ألحق بتجارة السودان أبلغ الأضرار ففى السودان الشرقى كانت قبائل العبابدة والحلانقة وبنى عامر تهاجم القوافل بين شاطىء البحر الأحمر والنيل وفى الغرب تعرضت قوافل الكردفان ودارفور لسطو قبائل البقارة والكبابيش والبديات وغيرها بينما كان الشائقية مصدر رعب وفزع للجلابين فى الشمال [١٤] وكان الشائقية مجموعة من القبائل العربية المستقلة استطاعوا فى بعض الأحيان أن يؤلفوا نوعا من الحكم وصفه أحد الرحالة الفرنسيين المعاصرين بأنه كان جمهوريا [١٥] ولو أنهم فشلوا فى إقامة حكومة ثابتة مستقرة فى أى زمن من الأزمان بل إنهم سرعان ما دانوا بالطاعة لملوك سنار عندما كان هؤلاء الملوك فى أوج سلطانهم . غير أن انتقال السلطة من أيدى ملوك الفونج إلى أيدى وزرائهم (الهمج) المغتصبين لم يلبث أن هيأ الفرصة للشائقية ليشقوا عصا الطاعة كما ساعدهم قيام الحروب الأهلية فى سنار نفسها على التخلص من

---

(١١) Lauture (Kardofan) 15; Cuny 26.

(١٢) Poncet 24 — 25.

(١٣) Pallme 13, 293; Poncet 2, 21.

(١٤) Cailliaud II. 119 — 120; Burckhardt 320 — 324; Browne 182.

(١٥) Cadalvene II. 261.

سيادة السناريين نهائيا ولو أن ملوك سنار ظلوا يدعون السيادة عليهم حتى وقت زوال سلطانهم على أيدى اسماعيل بن محمد على(١٦) أما فى الغرب فقد أكثر الشائقية من الإغارة على سلطنة دارفور منذ أخذ الضعف يدب فى كيان هذه الدولة فى أواخر القرن الثامن عشر (١٧) .

وفى أثناء حكم الفونج قامت فى أجزاء أخرى من السودان بعض الأسر من المشايخ والرؤساء كانوا شبه مستقلين فى أقاليمهم وتمتعوا بالسيطرة التامة ومن أشهرهم مشايخ العابدلاب (أو مشيخة العابدلاب) (١٨) وكانت أراضيهم تمتد من حجر العسل إلى (سوبة) وينتشر سلطانهم بين أربجى والجندل الثالث وكان من المشايخ شبه المستقلين ضمن الممالك والمشيخات التى خضعت رأسا لملوك الفونج مشيخة خشم البحر على شاطىء النيل الأزرق الشرقى بين رنقة والرصيرص ومملكة فازوغلى جنوب الأولى وكانت تمتد من الرصيرص إلى فداسى ومشيخة الحمدة على الدندر ومملكة بنى عامر فى الصحراء الشرقية بين البحر الأحمر شرقا وخور بركة غربا وبين عقيق على البحر الأحمر شمالا والحبشة جنوبا ومملكة الحلانقة ومركزهم جبل كسلا على القاش (١٩) أما الممالك والمشيخات التى خضعت للفونج على يد العابدلاب فكانت مشيخة الشنابلة على النيل الأزرق شمالى سنار ومملكة الجموعية وكانت تمتد غربى النيل الكبير والنيل الأبيض من عقبة قرى إلى الترعة الخضراء ومملكة الجعليين بين حجر العسل والدامر ومركزها شندى ومملكة الميرفاب فى شمال الجعليين بين المقرن ووادى السنقير ومركزها بربر ومملكة الرباطاب من وادى السنقير إلى الشاخية

---

(١٦) Tremeaux II. 195 — 196, 200 — 4; Budge II. 204 .

(١٧) Ensor 145; Burckhardt 70; Cailliaud II. 195 .

(١٨) شقير جـ ٢ : ص ٩٩ ; Budge II. 204 .

(١٩) شقير جـ ٢ : ص ١٢٠ ; Jackson. App. V. ; Budge II. 205

فيما وراء أبى حمد ومشيخة المناصير وكانت تمتد من الشامخية إلى الجندل الرابع هذا إلى مملكة الشائقية التى تقدم ذكرها [٢٠] ولم تستطع هذه الممالك والمشيخات إلا فى القليل النادر إقامة الحكومة الموطدة التى تكفل انتشار الأمن واستتباب السلام فضلا عن أنها جميعها كانت تعتمد على تجارة الرقيق كمورد من أهم موارد ثروتها وأسباب قوتها وزادت الحال سوءا عندما أصبحت سيادة سنار على هذه المشيخات والممالك سيادة اسمية فحسب فى السنوات التى سبقت مجىء المصريين إلى هذه البلاد إذ يصف مؤرخ السودان فى ذلك العصر صاحب (تاريخ ملوك الفونج بالسودان وأقاليمه إلى حكم محمد سعيد باشا) كثيرا من حوادث الحروب الداخلية من أجل التنافس على السلطة والحكم فى هـــذه الأصقاع التى استبد بالسلطة فيها أولئك المشايخ والملوك — أو المكوك — [٢١] وكان من عوامل هذه الفوضى اضمحلال سلطة سنار منذ جنح ملوكها الى الكسل والخمول وصاروا يقضون أوقاتهم مستلقين على أسرتهم المعروفة بالعنقريب حتى بلغوا من الهوان حدا جعل رعاياهم — على ما روى الرحالة جيمس بروس — يتحدثون عنهم فى زراية واحتقار بينما كانوا يتحدثون عن الوزراء الهمج أحاديث ملؤها التعظيم والتبجيل [٢٢] وقد نجم عن رغبة الملوك فى استرداد سلطتهم الشرعية من الوزراء الغاصبين أن اشتد النزاع بين اولئك وهؤلاء حتى وقعت البلاد فريسة لثورات لايخبو لها أوار [٢٣] وفى السنوات القليلة التى سبقت الفتح المصرى عظم الإضطراب وعمت الفوضى حتى لقد اختفى الملك نفسه من ميدان النزاع وانحصر النضال فى سبيل الإستحواذ على السلطة بين اثنين من الزعماء هما الوزير عدلان ومنافسه حسن

---

(٢٠) شقير ج ٢ : ص ١٠٣ — ١٠٦ ; Budge II 201 — 207

(٢١) تاريخ ملوك السودان وأقاليمه إلى حكم الخديوى إسماعيل .

(٢٢) Bruce VI. 356 — 357 ; Lejean (Voyage) 119 .

(٢٣) Russell (Nubia and Abyssinia) 78 .

رجب فظهر فى سنار عـدة أحزاب متنافرة سرعان ما أدى الخصام بينها إلى سفك الدماء وتفاقم الأمور [٢٤] وفى بداية القرن التاسع عشر كان الشائقية قد امتنعوا تماما منذ مدة طويلة عن دفع الجزية لسنار التى تحررت من سيطرتها بلدة الدامر كما استقلت عنها شندى وإن كان ملكها نمر قد ظل يدفع الجزية لها حتى عام ١٨٢٠ أى إلى أيام الفتح المصرى ولـكنه كان يدفعها فى الواقع ، كرما وعطفا منه ، إذ كان يستمتع بكل مظاهر الاستقلال الفعلى عن سنار [٢٥] أما قبائل الهدندوه والحلانقـة وبنى عامر التى كانت فيما مضى من الزمان تعترف بسيادة ملوك سنار فقد تحررت هى الأخرى من ربقة الدولة الزرقاء وأصبحت كذلك مستقلة عنها [٢٦] .

وعلى ذلك فعندما قرر محمد على إرسال حملات الفتح إلى السودان كان الوزراء الهمج فى سنار قد اغتصبوا كل سلطة من حكامها الشرعيين كما استقلت عنها المشيخات والدويلات التى كانت خاضعة لها ، وفضلا عن ذلك فقد استبد الشائقية بالحـكم فى الشمال وتحرر العربان البدو فى السودان الشرقى من كل رقابة . هـذا إلى ما لحق الـكردفان من ضروب الأذى بسبب ما نشب على امتلاكها من نزاع بين سنار ودارفور وقد وقع هذا الإقليم تحت نفوذ دارفور منذ عام ١٧٧٧ [٢٧] وعند ما افتتحه المصريون كان حاكمه المقدوم مسلم يدين بالطاعة والولاء لمحمد الفضل سلطان دارفور [٢٨]

---

(٢٤) Cailliaud II. 169, 232, 233.

(٢٥) Cailliaud III. 1o7 .

(٢٦) Déherain 62 ; Cadalvene II. 195 .

(٢٧) Pallme 12 ; Browne 307 .

(٢٨) شقير جـ ٢ : ص ٢٣٠ ؛ جـ ٣ : ص ١٢ .

الفتح المصرى

كان لهذه الفوضى التى ضربت بجرانها فى أنحاء السودان آثار عدة فقد شغل أصحاب الأمر فى سنار والمشيخات والدويلات الأخرى بالتطاحن والتناحر فيما بينهم وأشركوا الأهلين فى حروبهم إذ كانوا ينتزعون الرجال عنوة من القرى والدساكر والحقول لملء صفوف الجيوش وبذلك أهملت الزراعة وكثرت المجاعات التى أودت بحياة مئات الألوف فى سنار وكردفان خاصة (٢٩) وكان مما زاد فى بؤس السودانيين وشقوتهم أن تجارة الرقيق الشائنة بلغت أوجها فى هذا العهد المظلم فعظم نشاط الجلابين والنخاسين وازدهرت أسواق الرقيق على الرغم من الإضطراب السائد بالبلاد (٣٠) وذلك الركود الهائل الذى أصاب التجارة المشروعة فى سائر السلع سواء أكانت هذه السلع من محصولات البلاد ومنتجاتها أم كانت تأتى اليها من الحبشة والبلدان المجاورة حتى تصدر من السودان بطريق القوافل إلى الأسواق الخارجية فى دويلات افريقية الوسطى والغربية والشمالية والحجاز ومصر بنوع خاص (٣١)

وكان من أثر اختلال الأمن فى ربوع السودان وما كان يلاقيه التجار من مخاطر فى أثناء اجتيازهم طرق القوافل الذاهبة من النوبة وسنار وكردفان ودارفور أن صار الجلابون تجار القوافل يؤثرون الخروج بمتاجرهم صوب البحر الأحمر فراراً من أعمال النهب والسلب التى كان يقوم بها الشائقية

---

(٢٩) تاريخ مدينة سنار . صفحات ٧ ، ٢٨ ؛ ثم كتاب الطبقات صفحات ١٣ ، ٤٥ .

(٣٠) Shukry 48 — 51.

(٣١) أنظر عن طرق القوافل : — Browne 182 ; Cailliaud III 244-5 ; Burckhardt 320 — 324 ; Slatin 324 — 25 ; Pensa 234.

والعبابدة والحلانقة وبنو عامر والبقارة والكبابيش والبديات وغيرهم من القبائل المنتشرة فى أنحاء السودان وهكذا تحولت التجارة عن مصر فخرمت أرباحا طائلة وليس من شك فى أن المنازعات والحروب الداخلية فى سنار ذاتها كانت من أكبر الأسباب التى أدت إلى وقوع هذه الخسارة [٣٢].

لهذا عنى محمد على منذ بلوغه أريكة الولاية بإعادة العلاقات التجارية بين مصر والسودان إلى سابق عهدها والعمل على دعمها وتوثيق أواصرها إذ كان يسوءه أن يرى السودان نهباً موزعاً بين طغمة من مغتصبى السلطة فى سنار وطائفة من المكوك ومشايخ العربان لاهم لهم إلا ابتزاز أموال رعاياهم والاستمتاع بلذائذ الحياة والإغارة على قوافل الجلابين وسلب المتاجر ولما كان رجال القوافل القليلة التى استطاعت الوصول بسلام إلى أسوان والقاهرة فى السنوات التى سبقت الفتح مباشرة قد أطالوا الحديث عن خصب التربة فى بلاد سنار وغيرها ووفرة حاصلاتها وما يخفيه باطن الأرض من معادن الذهب والحديد فى فازوغلى وكردفان ودارفور وسنار [٣٣]. فقد عز على العاهل العظيم أن يظل استثمار هذه الموارد الطبيعية مهملا وألا يفيد السودانيون أنفسهم من تلك الثروة العظيمة والكنوز الدفينة ومن ثم اشتدت به الرغبة فى إحياء التجارة بين القطرين [٣٤] والإنتفاع بموارد البلاد عن طريق استغلال مناجم الذهب وكان ذلك من العوامل التى أقنعت الباشا بضرورة فتح السودان. [٣٥]

ومع أنه من المقطوع به أن الحصول على الرقيق كان كذلك من أهم

---

(٣٢) English. (Introd.) p. lx.

(٣٣) سرهنك : جـ ٢ : ص ٢٣٢. (ثم) Mouriez II 220 ; Goiun 339 ;

(٣٤) Driault (Formation) 89 ; Déhérain 34 ; English (Introd).

(٣٥) Cailliaud II 314.

أسباب الفتح إلا أن الباشا كان يريد فى واقع الأمر أن يدخل شيئاً من النظام على تجارة كان من المستحيل عليه أن يقتلع جذورها بعد أن تأصلت فى البلاد منـذ أزمان سحيقة كان الرق خلالها متغلغلا فى كيان السودان الاقتصادى والاجتماعى والسياسى وله فى مصر ذاتها مكان معترف به فى حياتها الاجتماعية وليس هناك ما يحرمه طالما كان الأرقاء يؤخذون من بين «الوثنيين» فى أثناء الحروب ويكفل لهم أسيادهم حياة هانئة مفيدة[٣٦] وقد حرص محمد على على أن يضمن للرقيق المجلوب من السودان حالة استقرار ونظام[٣٧] وذلك بإلحاقهم فى جيشه وتعليمهم الزراعة وبعض الصناعات والحرف وسوف يتضح فيما بعد مبلغ عناية الباشا بأمر هؤلاء البائسين الذين أنقذهم من شرور النخاسين وأطماع الجلابين .

على أنه كانت هناك دوافع أخرى وأعظم أهمية وأوثق اتصالا بمستقبل مصر والسودان ولعل أظهر هذه الدوافع الحرص على سلامة مصر وتأليف وحدتها السياسية وذلك بالاستيلاء على مجرى النهر العظيم الذى يروى أراضى القطرين الشقيقين ويربط بين شطرى الوادى من أقدم العصور[٣٨] وقد فطن محمد على إلى ضرورة ضم السودان من وقت مبكر ولولا انشغاله بإرسال ابنه ابراهيم باشا إلى بلاد العرب نزولا على إرادة السلطان لكان فتح السودان من الأمور التى عنى بهـا محمد على عقب الفراغ من رد غارة الحملة الانجليزية على مصر فى عام ١٨٠٧ ومع ذلك فانه على الرغم من انهماك الباشـا فى حرب الحجاز فقد أخذ يعد العدة لإرسال حملة الفتح إلى السودان عند أول سانحة وآية ذلك أنه أوفد إلى ملك سنار بادى السادس فى عام ١٨١٣ وفداً كانت

---

(٣٦) F. O. 78/381 (Turkey) Report of Bowring ff 289 — 90 ; Burckhardt, 326, 329 — 30.

(٣٧) Shukry 54—5.

(٣٨) Waddington 91 ; Chélu 161 ; Cameron 120.

مهمته الظاهرة أن يطلب معاونة السناريين على طرد فلول البكوات المماليك الذين فروا إلى السودان بعد مذبحتى القلعة وإسنا عام ١٨١١ بينما كانت مهمة الوفد الحقيقية الوقوف على أحوال البلاد ومعرفه مقدار قواتها الحربية وما يلزم من الجيوش لفتحها وقد قدم الوفد بعد عودته من سنار تقريراً ضافياً إلى الباشا وصف فيه اضطراب الأحوال فى تلك البلاد وما هى عليه من ضعف شديد يسلبها كل قدرة على المقاومة بصورة جدية(٣٩) وفضلا عن ذلك فإن افتتاح سنار لم يكن وحده ما سعى الباشا إلى تحقيقه فإن تأليف وحدة الوادى السياسية وبسط السيادة على مجرى النهر بأكمله كان يتقاضاه العمل للاستيلاء على أقاليم دنقلة وفازوغلى والحبشة ودارفور (٤٠) ووجد محمد على من أحوال تلك الجهات فرصة مواتية لتنفيذ مآربه فقد طلب ملك بربر فى عام ١٨١٣ أن يساعده المصريون على استعادة سلطته المفقودة على أن يعترف بالتبعية لمحمد على وكان ممن حضروا إلى مصر لهذه الغاية الملك نصر الدين آخر ملوك الميرفاب والزبير أحد أعضاء الأسرة المالكة فى أرفو والملك إدريس واد ناصر من سلالة العنج فى سنار وإدريس واد عدلان من فازوغلى ، وقد طلب كل هؤلاء مساعدة محمد على لقاء اعترافهم بسيادته وفى عام ١٨٢٠ زار القاهرة « أبو مدين » وهو من أقارب سلطان دارفور كى يستنجد بالباشا ضد محمد الفضل ويطلب معاونته على اعتلاء أريكة تلك السلطنة كما جاء إلى القاهرة فى الوقت نفسه «واد هاشم» وكان يريد الحكم فى كردفان ويلتمس من الباشا مساعدته لقاء خضوعه له والاعتراف بسلطانه (٤١) .

ولم يكن استنجاد هؤلاء الأمراء والمكوك كل ما دفع الباشا إلى التعجيل

---

(٣٩) شقير جـ ٣ : ص ٣٤٢ ٠ السودان المصرى والانكليزى ص ١٣٧ — ١٣٨

(٤٠) Gouin. 339 .

(٤١) Robinson (Conquest) 109 — 110 .

بإرسال حملة الفتح فقد بات السودان منذ استقر به المماليك مصدر خطر عظيم على مصر ذاتها ذلك بأن البكوات وأشياعهم الذين استطاعوا النجاة من مذبحة القلعة واسنا سرعان ماولوا وجوههم شطر السودان فلجئوا إلى بلاد دنقلة وتغلبوا على الشائقية وطردوهم من بعض مراكز قوتهم فى مراغة [٤٢] وأخذوا ينشئون الصلات الوثيقة مع الأهالى ويهتمون بالزراعة ولم يقنعوا بالعيش بدنقلة فى أمن وسلام بل طفقوا يدبرون المكائد من جديد ضد محمد على وشرعوا يتفاوضون على يد « حسن جوهر » أحد البكوات مع حاكم الوهابيين سعود الثانى بمكة المكرمة لعقد محالفة ضد محمد على [٤٣] وحاول الباشا أن يستميلهم حتى يجيئوا إلى مصر للعيش بها معززين مكرمين حتى يأمن شرهم ولكن محاولاته لم يحالفها التوفيق وعلى ذلك فقد اعتزم الباشا مطاردتهم وبات لزاماً عليه أن يستأصل شأفتهم لأنهم فروا بعد هزيمتهم إلى الصعيد « ورفعوا لواء الشقاوة به وضيقوا على الأهلين بالقرى. وظلموهم واعتدوا عليهم بقسوة بالغة حتى اضطروهم إلى الفرار إلى شواهق الجبال وترك قراهم خالية خاوية » [٤٤] وعلاوة على ذلك فإن البكوات المماليك لم يستطيعوا التغلب على الشائقية إلا بعد مواقع دامية ولم يكن النصر فى بعض هذه المعارك من نصيبهم فاضطر جماعة منهم إلى الهروب صوب الغرب بينما توجه آخرون برياسة محمود بك المنفوخ وعبد الرحمن بك ومعهم أربعون من الفرسان البيض صوب كردفان [٤٥] وكان أكبر الخوف أن يلقى هؤلاء

(٤٢) Waddington 54, 226 ; Tousson 194, 197 ; Burckhardt 13 .

(٤٣) Burchkardt 452 ; Tousson 97 .

(٤٤) عابدين — المعية • دفتر نمرة ١ تركى مكاتبة ١٠٧ (بدون تاريخ) الى الكتخدا بالباب العالى

(٤٥) عابدين محفظة ١٩ . رقم ١٤ فى ١٤ صفر ١٢٣٦ (١٨٢٠٠١١٠٢١) من اسماعيل الى محمد على ؛ المعية • دفتر ٧ تركى رقم ٢٠ فى ٢٥ محرم ١٢٣٦ ؛ ثم رقم ١٦٧ فى ٢٨ جمادى الثانية ١٢٣٦ من محمد على الى اسماعيل باشا .

المماليك مؤازرة من جانب سلاطين الدولة الزرقاء بسنار أو من جانب أمراء الحبشة . ولم يكن الباشا مطمئناً اليهم [٤٦] وهم الذين ظلوا يرددون منذ فرارهم من الجيزة « أنهم لا يقنعون بخبز الدخن ولا يرضون بالبقاء محكومين تحت السلطان العثمانى » ويبيتون النية على اتخاذ كل وسيلة « لدفع العثمانيين وطردهم من مصر أو يهلكون جميعاً » [٤٧] وكان هذا من الأسباب التى جعلت محمد على يرسل إلى سنار فى عام ١٨١٣ ذلك الوفد الذى سبقت الإشارة إليه كما أنه أرسل بعد عامين (١٨١٥) إلى ملك غندار من رؤساء الحبشة يطلب إليه الامتناع عن مساعدة أعدائه كما شدد فى منع رعاياه أنفسهم أو القبائل العربية النازلة بالصعيد من إنشاء أية صلات معهم . وكانت آمال البكوات ماتزال واسعة فيما يتعلق بعودتهم إلى القاهرة عودة الظافرين [٤٨] « فأكثروا من شراء العبيد وصنعوا البارود والمدافع » [٤٩] وصارت لهم قوة مقاتلة كبيرة [٥٠] ولذلك رأى محمد على أن ينقض عليهم قبل أن يشتد ساعدهم ويصلب عودهم .

وليس أدل على أن الرغبة فى مطاردة المماليك واستئصال شأفتهم كانت من أهم أغراض الحملة من أنه وقت إعداد حملة الدفتردار محمد بك صهر الباشا أخذت الأخبار ترد على مصر تباعا بأن البكوات قد غادروا مظاعنهم إلى كردفان فزود الباشا قائده بالتعليمات الصريحة من أجل القضاء عليهم ولما كان هؤلاء المماليك يعملون على استمالة محمد الفضل سلطان دارفور لمساعدة المقدوم مسلم فى كردفان فقد توقع المعاصرون أن تزحف جيوش الباشا على دارفور

---

(٤٦) عابدين — المعية . دفترا تركى رقم ٣٤ فى ٢٧ جمادى الثانية ١٢٢٥ صورة القائمة المحررة بأن الوالى (يهتم باعدام المماليك) .

(٤٧) عابدين — المعية . دفترا تركى رقم ٣١ فى ١٩ ربيع آخر ١٢٢٥ ؛ ثم راجع أيضا القائمة المحررة الى الباب العالى فى ٥ شعبان ١٢٢٥ .

(٤٨) Legh 168 .

(٤٩) الجبرتى ج ٤ : ص ٣٠٥ .

(٥٠) Driault (Formation) 15 .

ذاتها لإخضاعها حتى لا يبقى أحينئذ أمام المماليك[٥١] طريق للنجاة سوى الهرب من كردفان إلى شواطىء نهر النيجر وهكذا يجتازون فى أثناء فرارهم جهات ملأى بالمخاطر إذ أنهم بمـا جبلوا عليه من صلف وكبرياء خلقاء أن يثيروا على أنفسهم آمراء تلك الجهات وفى ذلك ما فيه من خطر عليهم .

تلك كانت الأسباب الجوهرية التى دفعت محمد على إلى إرسال حملة الفتح إلى السودان فلم يكن مقصده إذاً استعباد أهله واسترقاقهم ولم يدخل فى نطاق تفكيره استغلال موارد السودان لفائدة مصر بل إن المصلحة السياسية العليا وأكرم الدوافع الإنسانية هى التى أملت على الباشا ضرورة العمل على ضم شطرى الوادى فى نطاق واحد فى ظل حكومة رشيدة موحدة تعمل على رفاهيـة السودانيين والمصريين معاً . هـذا إلى أن أمراء السودان ومكوكه أنفسهم التمسوا من العاهل العظيم أن يخف لمعاونتهم على استرداد سلطانهم الضائع كما أظهروا استعدادهم لقبول السيادة المصرية عن طيب خاطر لقاء هذه المعاونة . بل إن هناك ما يدل بصورة قاطعة على أن الباشا منذ عقد العزم على افتتاح بلاد السودان كان يرنو إلى كشف ربوعه كشفاً علمياً صحيحاً حتى يصل رجاله إلى منابع ذلك النهر الذى يربط بين شطرى الوادى ليميطوا اللثام عن لغز استعصى حله على العلماء والجغرافيين دهوراً وأجيالا طويلة .

وفى ٢٠ يوليو عام ١٨٢٠ غادر القاهرة الأمير اسماعيل على رأس الحملة الأولى إلى السودان وانتصر على الشائقية فى واقعة كورتى (قرطة) فى نوفمبر ثم تقدم فى زحفه إلى شندى ومن ثم إلى مدينة سنار فسلم ملكها الشرعى بادى السادس بن طبل للأمير اسماعيل فى وادمدنى واعترف بسيادة الدولة العثمانية طائعا مختارا[٥٢] وفى ١٣ يونيو عام ١٨٢٢ دخل اسماعيل مدينة سنار

(٥١) Waddington 231, 312 .

(٥٢) Cailliaud II. 235 .

وفى ذلك اليوم تنازل بادى رسميا عن مملكة سنار لسلطان تركيا وأقسم بين يدى الأمير المصرى يمين الطاعة والإخلاص للسلطان العثمانى (٥٣) وعلى أثر ذلك استأنف اسماعيل زحفه صوب الجنوب حتى بلدة سنجة عند الدرجة العاشرة من خطوط العرض الشمالية وفى ديسمبر عام ١٨٢١ سلم حسن ملك فازوغلى طوعا (٥٤) وبينما كان الأمير مشغولا فى إخضاع الجهات الواقعة على النيل الأزرق تفشى المرض بين جنده فبادر محمد على بأرسال النجدات إليه تحت قيادة ابراهيم باشا فوصل ابراهيم إلى سنار فى أكتوبر ١٨٢١ وكانت التعليمات التى أصــدرها إليه والده تقضى بضرورة الاهتمام بتنظيم الفتوح الجديدة قبل التفكير فى ضم ممتلكات أخرى ولو أن الباشا ترك لابنه ابراهيم حرية العمل فى النهاية (٥٥) وكان ابراهيم يريد كشف النيل الأبيض والوصول إلى منابعه ثم اختراق الأقاليم الغربية عن طريق نهر النيجر إلى الشاطىء الأفريقى أو الزحف بطريق الكردفان على دارفور وبرنو واختراق الصحراء الغربيه إلى طرابلس ثم العودة منها الى مصر (٥٦) ولكن ابراهيم لم يكد يصل إلى جبل القربين فى وسط الجزيرة حتى أصيب بعلة الباسور فعاد إلى مصر عن طريق سنار (٥٧) أما اسماعيل فقد أقام فى إقليم فازوغلى مدة استطاع خلالها بعض المكوك فى شندى والمتمة خاصة أن يحرضوا الأهالى على الثورة

---

(٥٣) Mengin (Hist. de l'Egypte) II. 213 .

(٥٤) Cailliaud II. 332 ; Robinson (Conquest) 171 .

(٥٥) عابدين — المعية . دفتر ٧ رقم ٢٩١ فى ١٥ ذى الحجة ١٢٣٦ . من محمد على الى ابراهيم ؛ ثم نفس الدفتر رقم ٢٩٢ فى ذى الحجة ١٢٣٦ من محمد على الى ابراهيم .

(٥٦) Cailliaud II. 235 .

(٥٧) عابدين — المعية . دفتر ١٠ (تركى) رقم ١٢٥ فى ١٠ جمادى الأول ١٢٣٧ (٤ — ٢ — ١٨٢٢) من المعية السنية إلى ابراهيم باشا فى سنار ؛ ثم أنظر Cailliaud II 333, 53 — 351 .

فاضطر الأمير إلى العودة سريعاً إلى سنار وهناك قضى على الثورة وعامل الأهلين معاملة كريمة فعفا عنهم ولكنه اقتص من « ود عجيلاوى » أحد كبار الزعماء المحرضين فأمر بأعدامه أما نمر ملك شندى فنجا من العقاب ولم يلبث أن دبر للأمير تلك المكيدة التى أودت بحياته فى يناير ١٨٢٣ وقد استثار هذا الغدر الدنىء غضب الدفتردار فانتقم لمصرع اسماعيل انتقاماً شديدا (٥٨).

وكان محمد على قد أرسل صهره الدفتردار محمد بك على رأس حملة أخرى لفتح كردفان خرجت من أسوان فى ابريل ١٨٢١ (٥٩) وفى ١٦ أغسطس أنزل بالمقدوم مسلم هزيمة نكراء عند بارا وكان المقدوم من بين القتلى فى هذه المعركة وفى ٩ سبتمبر انهزمت فلول العدو أمام الأبيض وخضعت الكردفان لسلطان المصريين (٦٠) وشرع الدفتردار من فوره يعمل على تنظيم الفتوح الجديدة واتخاذ الأهبة للبحث عن مناجم الذهب والحديد التى اشتهر بها ذلك الأقليم كما أخذ فى دراسة موارد البلاد الطبيعية وإرسال الرقيق إلى مصر لتدريبهم على أساليب النظام الجديد فى معسكر أسوان (٦١) وشغل الدفتردار بعد ذلك بالاقتصاص من قتلة الأمير اسماعيل وكان القضاء على الاضطرابات فى سنار مؤذنا بانتهاء عهد الفتح وبداية عهد الإنشاء والتعمير فى ربوع السودان

---

(٥٨) Vingtrinier 121 ; Shukry 65 – 66.

(٥٩) عابدين — المعية . دفتر ٦ (تركى) رقم ٣٨ فى ٢٨ رجب ١٢٣٦ من محمد على الى الدفتردار سر عسكر كردفان .

(٦٠) Driault, op. cit. 231 — 2 ; Lauture (Kordofan) 5 et seq.

(٦١) عابدين — المعية · دفتر ١٠ (تركى) رقم ٢٢ ، رقم ٢٤ فى ٣ صفر ١٢٣٦ (٣٠ — ١٠ — ١٨٢١) من محمد على الى الدفتردار بك بكردفان .

— ٣ —

محمد على والحكم المصلح المستنير

كان الأمير اسماعيل أول الحكمدارين المصريين فى السودان إذ أصدر محمد على أمراً بتعيينه حاكما على سنار فى يوليو ١٨٢٢ [٦٢] وبعد موته عين الدفتردار حكمداراً على السودان فى ٢٠ فبراير ١٨٢٣ وبقى هناك حتى شهر اكتوبر من السنة التالية ولم يغادر البلاد إلا بعد وصول عثمان بك جركس ولكن عثمان بك لم يلبث أن مرض وتوفى فى ابريل ١٨٢٦ فعين على خورشيد فى يونيو من السنة نفسها وفى آخر أغسطس صدر الأمر بتقليده حكمدارية السودان وقد ظل خورشيد باشا فى منصبه حتى نهاية عام ١٨٣٨ [٦٣].

وكانت مهمة الحكمدارين الأول — أيام الدفتردار وعثمان جركس — إتمام الفتح وقمع الفتن والاضطرابات حتى إذا تسلم على خورشيد زمام الأمور بدأ عهد الاستقرار والعمران فى السودان فعنى بتوطيد أركان الحكومة الجديدة وإزالة ما كان عالقا بالأذهان عن حوادث انتقام الدفتردار لمقتل الأمير اسماعيل كما تعاون مع حكومة القاهرة فى العمل على إنعاش الزراعة وإحياء بعض الصناعات واختار لعاصمة البلاد موقعاً صالحاً فأسس مدينة الخرطوم وتقدمت فى عهده وعمرت أسواقها حتى صار يقصدها التجار من جميع الجهات [٦٤] وكان من أثر قيام الحكومة المستقرة فى الخرطوم وانبساط رواق الأمن والطمأنينة فى ربوع السودان أن استطاع عدد من الرحالة

---

(٦٢) Driault (Formation) 274.

(٦٣) Buage II. 213 ; Robinson(Rulers) 40.

(٦٤) Combes II. 124 — 127.

الأجانب القدوم إليه والتجوال فى أنحائه فى سلام وأمان وكان من بين هؤلاء القادمين «هاى» Hay و«هوشت» Hoscht فقد زارا السودان فى عام ١٨٢٤ وبلغا موضعا قريباً من موقع مدينة الخرطوم الحالية (٦٥) وفى عام ١٨٢٧ قام البلجيكى «أدولف لينان دى بلفون» برحلته المشهورة إلى النيل «أو البحر» الأبيض على نفقة الجمعية الإفريقية البريطانية فكان أول أوربى استطاع اعتلاء هذا النهر منذ العصور القديمة حين تمكن الكاشف الأغريقى داليون Dalion من السير فى النيل إلى ما بعد موقع الخرطوم (٦٦) وقد بلغ لينان إقليم الشلك ووصل إلى جزيرة آبا ونقطة الليس (٦٧) وفيما بين عامى ١٨٢٨ و ١٨٣١ استطاع الكاشف ابراهيم أن يجتاز بلاد الشلك على جانبى النيل الأبيض ثم بلاد الدنكا فى جنوبها حتى بلغ خط عرض ١٠° شمالا بل لقد تقدم مسافة أخرى قصيرة بعد ذلك (٦٨) وما إن مضت ثلاث سنوات حتى وصل اللورد برودهو Prudhoe إلى موقع الخرطوم قبل أن ينشىء خورشيد باشا عاصمة السودان ووصف هذه الجهة فى عام ١٨٢٩ بأنها كانت تشبه خلايا النحل فى منظرها إذ كانت تتألف من مجموعة من البيوت المبنية من اللبن والأكواخ المصنوعة من القش (٦٩) وحوالى هذا التاريخ أيضا قام العالم الطبيعى الألمانى إدوارد روپل Rüppell برحلة علمية إلى السودان وكان روپل رغم عدائه الشديد لمحمد على يشيد بفضل العاهل العظيم الذى سهل على العلماء والكاشفين ارتياد تلك الربوع نظرا لاستقرار أحوالها واستتباب الأمن فى أنحائها مما ساعده على أن يعبر الصحراء من دبة الى الأبيض وكان بذلك أول أوربى

---

(٦٥) Déhérain 230.

(٦٦) Jonhston 19 – 20, 24 ; Bonola sommaire 22.

(٦٧) Bellefonds. 171 – 190.

(٦٨) Martin Lake 26 et seq. See Déhérain 230 – 231.

(٦٩) Journal of the Royal Geog. Soc. London 1835. vol .1.

زار كردفان (١٨٢٥) [٧٠] وهكذا استمر الكاشفون ورجال الأعمال من الأجانب يزورون السودان وكان من بينهم كادالڤين Cadalvene الفرنسى وصديقه بروڤيرى Breuvery وقد نشر الإثنان كتاب رحلتيهما الى السودان وتحدثا عما شاهداه فى أسهاب وذكرا شيئاً عن تاريخ البلاد القديم وحوادث الفتح المصرى [٧١] .

وخلال عامى ١٨٣٣ ، ١٨٣٤ قام فرنسى آخر هو أدمون كومب Combes برحلة إلى بلاد النوبة ودارفور ودنقلة الجديدة والخرطوم وسنار وبربر والمتمة واجتاز صحراء البشارية « التى لم يكن فى مكنة أجنبى — على حد قوله — أو غريب عن هذه البلاد أن يجتازها دون موافقة رؤساء البشارية قبل أن يستولى محمد على على كل من بربر وسواكن » [٧٢] .

وقد عنى كومب ببيان ذلك المركز الهام الذى تبوأته الخرطوم تحت إدارة خورشيد باشا حتى انتقلت من قرية حقيرة فى عام ١٨٢٧ إلى بلد زاد سكانه حتى بلغ عددهم فى عام ١٨٣٤ حوالى خمسة عشر ألف نسمة وظلت مساحته فى اتساع مطرد حتى صارت الخرطوم أعظم المراكز الكبرى فى السودان ويقيم بها تجار من القاهرة والقسطنطينية [٧٣] وفضلا عن ذلك فقد تحدث كومب عن مبلغ ما بذله محمد على من عناية حتى يطمئن التجار والرحالة وهم يرتادون ربوع السودان « حتى صار فى استطاعة هؤلاء الرحالة الوصول فى تجوالهم إلى سفوح جبال دارفور وأصبح تعرض القوافل التى تحمل التجارة من الكردفان لحوادث السلب والنهب أقل كثيرا عما كان عليه الحال قبل الغزو المصرى » [٧٤] .

---

(٧٠) Rüppell. (Reisen) ; Johnston 111 ; Déhérain 148, 215 .

(٧١) Cadalvene II. 181 — 191 , 197 — 274 ; 446 — 50 ; Carré I. 28 — 9 .

(٧٢) Combes II. 153, 173 .

(٧٣) Combes II. 110 — 111, 124, 127, 336 — 9 .

(٧٤) Combes II. 50 .

وهكذا كان من الواضح بعد مضى نحو عشرة اعوام فحسب من انتهاء الفتح أن الحكومة التى أقامها محمد على فى السودان كانت تؤدى رسالتها على خير وجه كما نجحت فى نشر ألوية الأمن والسلام فى أنحاء الجهات التى خضعت لسلطانها وهو أمر استرعى أنظار جميع من زاروا السودان من الأجانب فأخذوا يوازنون بين تأمين التجارة فى العهد المصرى وتعرض القوافل للنهب والسلب فى العهود السالفة وبين روح التسامح التى مكنت هؤلاء الأجانب من التجوال فى غير خوف أو وجل فى جميع الأقاليم التى دانت لحكم مصر وشدة التعصب التى أغلقت دونهم أبواب دارفور وهى السلطنة التى ظلت محتفظة باستقلالها فى ذلك الحين (٧٥)

على أن أكثر هؤلاء الأجانب الذين وفدوا إلى السودان عقب الفتح أو ظلوا يفدون إليه حتى نهاية عصر محمد على إنما كان مجيئهم فى عهد حكمدارية خورشيد باشا التى استمرت نحو اثنى عشر عاما (١٨٢٦ — ١٨٣٨) وهى مدة طويلة كانت كافية لأن تستقر فى أثنائها قواعد الحكومة الجديدة وفى هذه الفترة كذلك وضعت أسس الإصلاح الزراعى ونظمت حياة البلاد الاقتصادية بصورة كفلت الربح للأهلين وللحكومة معاً مما زاد فى عمران البلاد إلى حد استرعى انتباه الرحالة الذين زاروا السودان بين عامى ١٨٣٣ و ١٨٣٨ بنوع خاص فانطلقوا يتحدثون عن مظاهر ذلك العمران وآثاره وقد أطال الحديث عن منشآت الباشا العمرانيـــة فى الأقطار السودانية هوسكنس Hoskins وهولرويد Holroyd وپالم Pallme من الانجليز وپوكلر مسكاو Puckler-Muskau من الألمان .

أما هوسكنس الذى وصل إلى شندى والمتمة فى عام ١٨٣٣ فيقول « إن سلطان محمد على فى السودان إنما يقوم على أساس من المتعذر هدمه إذ ترتكز

---

(٧٥) Combes II. 31 ; 129 — 130.

دعائمه على سياسة ملؤها الحياة والنشاط ويشد من أزرها جيش منظم وسلاح حديث »[٧٦].

وقد وصف هوسكنس ماشاهده فى بربر فتحدث عن مصنع النيلة الذى أنشأه الباشا هناك وكيف أدخل محمد على زراعة العظلم فى تلك الأصقاع منذ خمس سنوات وكيف ازدهرت زراعته حتى صار من المستطاع الحصول على أربعة عشر ألف أقة من النيلة سنويا ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل توسعت الحكومة فى زراعة القطن والقمح والشوفان عدا الذرة والشعير مما زاد فى مساحة الأراضى المزروعة بأقليم بربر حتى بلغت ستمائة فدان ترويها خمسمائة ساقية ولو أن عدد هذه السواقى كما قال كان ينقص حوالى ثلاثمائة عما كان عليه قبل زيارته لأن أكثر الأراضى الزراعية تروى بمياه الفيضان ولا يستخدم المزارعون الآلات على الإطلاق فى رى بعض الأراضى بل يعتمدون فى ذلك على جهـــودهم الخاصة لسهولة وصول المياه إلى الأرض ، ولم يفت هوسكنس أن يتحدث عن عنـاية الباشا بزراعة قصب السكر [٧٧] فى تلك الجهات كما وصف ازدهار زراعة العظلم فى اقليم دنقله ومصانع النيلة التى أقامها محمد على فى مروى وحنك والحفير ودنقلة العجوز ودنقلة الجديدة وأما عدد السواقى التى أقامها الباشا فى هذا الأقليم فقد بلغت خمسة آلاف تروى من الأراضى ما ينتج حوالى عشرة آلاف أقة من النيلة سنويا وقد أدخلت فى بلاد دنقلة زراعة قصب السكر وقد كانت هذه الزراعة مزدهرة فى الجزر أيما ازدهار[٧٨]

أما « هولرويد » فزار السودان فى عام ١٨٣٦ وأقام فيه نحو ثمانية شهور استطاع خلالها أن يجول فى إقليمى دنقلة وكردفان دون أن يصيبه مكروه

---

(٧٦) Hoskins 57 — 58.

(٧٧) Hoskins 51 — 54.

(٧٨) Hoskins 162 — 3, 177 — 8.

على الرغم من أنه ظل محتفظاً بزيه الأوربى وهو امر عده الكولونيل كامبل القنصل الإنجليزى فى مصر إذ ذاك « برهانا ساطعا على أن محمد على قد غرس بذور المدنية والحضرة فى السودان »[٧٩] وفى عام ١٨٣٧ قصد پالم إلى الكردفان حيث قابل « كوتشى » Kotschy العالم الطبيعى كما قابل فى الأبيض أوربياً آخر هو الدكتور « إيكين » Iken[٨٠] وفى عام ١٨٤٤ نشر پالم « أسفاره » فى هذه البلاد فتحدث عن الحكم المصرى فى كردفان وأظهر مقدار ما كان يبديه الباشا من عناية بالغة بشئون الحكم فى هذه المديرية رغم وجوده بعيداً فى القاهرة وذلك حرصا منه على حسن سير الأمور وصونا للعدالة ورغبة فى الضرب على أيدى أولئك النفر من الحكام الذين ظنوا أنفسهم بعيدين عن رقابة الباشا فسولت لهم نفوسهم أن يستبدوا بالأهلين كيفما شاءوا وشاءت لهم أهواءهم فذكر كيف استدعى الباشا جماعة من الموظفين الذين عظمت الشكاية منهم للتحقيق معهم على يد لجنة شكلت لهذا الغرض وانتهز الباشا فرصة وجوده بالخرطوم خلال رحلته المشهورة فى ديسمبر ١٨٣٨ فأمر باحضار مشايخ الكردفان حتى يستمع لشكايتهم بنفسه ثم عزل حاكم الكردفان فى ذلك الحين وهيئة أركان حربه وعدداً آخر من الضباط ومن الكتبة الذين كانوا يعملون « سكرتيرين » للحكام فى الأقاليم وقد قدموا جميعا للمحاكمة وصودرت أملاك من ثبتت إدانتهم لحساب الحكومة[٨١].

وفى عام ١٨٣٧ قصد پوكار مسكاو إلى السودان للسياحة ووصل فى رحلته إلى الخرطوم وقد أعجب أيما إعجاب بما شاهده من مظاهر العمران فى

---

(٧٩) F. O. 78/381. (Turkey). Report on Egypt and Candia by John Bowring. March 1839.

(٨٠) Pallme. 249, 275 — 276 ; Déhérain 215.

(٨١) Pallme 30 — 42.

إقليم دنقلة بنوع خاص وكان مما قاله إن وجود عدد عظيم من القرى المشيدة باللبن والمنتشرة على مدى فرسخ فى دنقلة تحف بها حقول خصبة ينتظر أن تأتى بمحصول آخر فى ظرف شهرين أو ثلاثة لينهض دليلا على أن هناك قدراً معقولا من الثروة إلى جانب ما هنالك من اطمئنان الأهالى على حقوق الملكية اطمئناناً تاماً ومرد ذلك إلى تلك الحكومة الرشيدة التى أوجدها محمد على منذ دانت ربوع السودان لسلطانه (٨٢) ثم طفق السائح الألمانى يتحدث عن عمران السودان فوصف مصنع النيلة الذى أقامه محمد على فى دنقلة دون أن يستخدم لإدارته أوربياً واحداً وكما استرعى النشاط الزراعى فى دنقلة نظر هوسكنس من قبل فإن پوكلر مسكاو لم يفته هو الآخر أن يذكر عدد السواقى بهذا الإقليم فقدرها وقت زيارته بحوالى أربعة آلاف أو خمسة كان منها فى جهة مروى وحدها مائتا ساقية وألف مما جعلها تنعم برخاء ظاهرة آثاره للعيان فكثرت الحقول ذات المحصولات الوفيرة والقرى ذات الأبنية المناسبة (٨٣) وقد عنى مسكاو إلى جانب ذلك بإظهار حقيقة العلاقات بين أهل السودان والحكام سواء من وجد منهم فى الخرطوم أم فى المديريات كما تحدث عن تلك الجهود الجبارة التى بذلها محمدعلى فى اختيار أصلح الرجال للحكم والإدارة فى القطر السودانى (٨٤).

تلك أقوال طائفة من المعاصرين الأجانب الذين زاروا السودان خلال السنوات القليلة التى تلت الفتح مباشرة تشهد بأن العاهل الكبير كان ينظر إلى السودان نظرته إلى مصر نفسها ولم يكن يعنيه غير أمر واحد هو إقامة الحكومة المستقرة التى تستطيع نشر ألوية الحضارة والعمران فى ربوع السودان

---

(٨٢) Puckler-Muskau. II. 147.

(٨٣) Puckler-Muskau II. 164, 172, 181.

(٨٤) Puckler-Muskau II. 166 — 167.

ولا شك فى أن مظاهر العمران التى وصفها أولئك الرحالة كانت نتيجة لسياسة ثابتة واضحة المعالم رسم محمد على دقائقها وأخذ رجاله بضرورة تنفيذها فى غير هوادة أو إبطاء . وقد ذكر الباشا نفسه أنه ذهب إلى السودان « مربيا » أخذ على عاتقه إدخال أساليب الحضارة والعمران إلى تلك البلاد التى كان يعيش أهلها عيشة بدائية يجهلون العلوم والفنون إذ قال بعد سنوات قلائل من الفتح « ولعمرى إن الناس القاطنين فى أراضى السودان الواسعة المعروفة عند من رآها خالون من العلم وعارون عن معرفة النفع والضرر فضارعوا الوحوش حالة ومع هذا فإنه لم يتفق لهم فى كل الزمان الذى عاشوا فيه حتى الآن أن يحظوا بمرب ما ولا أدركوا أسباب المعيشة اللازمة والصنايع والحرف ... فمن ثم لاح فى ضمير (محمد على) أن يريهم طريق حكمة يكون سبباً لنيرتهم »[٨٥] وقال بعد سنوات فى أثناء زيارته التاريخية لفازوغلى مخاطباً المشايخ والعلماء الذين حضروا لمقابلته « لاجدال فى أن كل شعب من الشعوب يمر فى دور الطفولة الذى تمرون به الآن ولكن عناية المولى جل شأنه تبعث إلى كل امة مصلحاً يسير بها قدما فى طريق الرقى والحضارة ولقد كان من حظى أن يقع علىّ الاختيار لأداء هذا الواجب النبيل نحوكم ... »[٨٦].

وقد ظل الباشا طوال سنى حكمه يعنى بأمر هـــذه الشعوب التى اختاره الله لأرشادها وتسديد خطاها على الجادة فأقيمت الحكومة الموطدة واستتب الأمن واشتركت العناصر الوطنية فى شئون الحكم والإدارة وانتعشت الزراعة وأدخلت الصناعة فى بلد لم يعرف معنى الزراعة ولم يسبق لأهله الاشتغال بالصناعة وارتفع ذكر بعض المدن القديمة وأنشئت أخرى جديدة وانتظمت المواصلات وأنشئت ترسانة لصنع السفن ونشطت التجارة واستثمرت الموارد

---

(٨٥) الوقائع المصرية — عدد ١٢ فى ٦ رمضان ١٢٤٤ (١٢ مارس ١٨٢٩).
(٨٦) شكرى — صفحةمن تاريخ السودان الحديث . صفحات ٢٨ ، ٢٩ .

الطبيعية وجرى التنقيب عن المعادن فى سنار وكردفان وغيرها من الجهات وقضى على بعض العادات الهمجية إذ اعتاد أهل فازوغلى التخلص من الطاعنين فى السن والعجزة والمرضى والضعاف بدفنهم أحياء [٨٧] .

ورسمت للتعليم خطة واضحة وأعيد ماتهدم من المساجد وهى إذ ذاك دور التعليم وموئل الثقافة الاسلامية بل لقد شيدت أخرى جديدة كما وزعت الأرزاق على أهل العلم وعلى الفقهاء ومن إليهم ونظم القضاء وزاد الاهتمام بالدين الحنيف وفضلا عن هذا كله فقد بذلت الحكومة الجديدة خير جهودها لتأمين الحدود ورد غارات المغيرين عليها وبخاصة من ناحية الحبشة وقد ألقى المصريون دروسا قاسية على قبائل العربان الجامحة وجعلوهم يألفون الخضوع للقانون ويسلسون القياد لأولياء الأمور وفتحت البلاد السودانية للرواد والسائحين الأجانب يجوسون خلالها ويرتادون أنحاءها وساهم المصريون بنصيب وافر فى خدمة العلم والمعرفة ومحاولة الكشف عن منابع النيل فقد خرجت من الخرطوم تجريدات سليم قبودان الثلاث (١٨٣٩ — ١٨٤١) ووصلت إلى غندكورو وفتحت الطريق أمام الرواد والمغامرين الأجانب أمثال « بران روليه » Brun-Rollet وأعضاء البعثة التبشيرية الكاثوليكية بوسط افريقية [٨٨] وهذه جميعها أعمال جليلة يجد القارىء بيانا مفصلا عنها فى مؤلفينا السابقين عن « الخديوى اسماعيل والرق فى السودان » [٨٩] و« مصر والسيادة على السودان » [٩٠] .

وجدير بالذكر فى هذا المقام أن الباشا استطاع أن ينجز جميع هـــذه

---

(٨٧) Lepsius. 202.

(٨٨) Shukry 88 — 92.

(٨٩) Shukry, M. F. The Khedive Ismail and Slavery in the Sudan. Cairo 1938.

(٩٠) محمد فؤاد شكرى . مصر والسيادة على السودان — الوضع التاريخى للمسألة القاهرة ١٩٤٧ .

الاصلاحات إلى جانب السهر على سلامة الحدود وإقرار الأمن ولم يكن لمصر فى السودان سوى قوة نظامية صغيرة إلى جانب الشائقية والمغاربة غير النظاميين وكان عدد هذه القوات يقل أو يزيد على حسب الحاجة فقد كانت تتراوح فى الأحوال العادية بين خمسة آلاف وسبعة آلاف(٩١) على ما يقول القناصل أمثال « أنطوان بيزونى » Pezzoni « وهودر » Huder و « ميمو » Mimuat و « لسبس » Lesaeps و « دوهاميل » Duhamel و « وكوشيليه » Cochelet و « دى بورڤيل » Bourville وإذا كان لهذه الحقيقة ماتدل عليه فإنما تدل على أن العاهل العظيم كان يعتمد على ولاء السودانيين الذين أشرك رؤساءهم وزعماءهم فى الحكم واستمال مشايخهم وفقهاءهم إلى تأييد الحكم المصرى فى السودان (٩٢).

على أن هذه السياسة المستنيرة التى رسم محمد على خطوطها الأساسية لم يكن ثم مناص من أن يتبعها رجاله فى القطر السودانى الشقيق فقد جرى على سنتها واستفاء بهديها خورشيد باشا وكان من أثر ذلك أنه استطاع أن يظفر بمحبة أهل البلاد وشيوخهم (٩٣).

وقد تقلد منصب الحكمدارية من بعده أحمد باشا چركس المشهور باسم « أبو ودان » وظل يحكم السودان حتى أكتوبر ١٨٤٣ وقد أجمع المعاصرون أمثال الألمانى ڤرن Werne والفرنسى « دارنو » D'Arnaud على أنه كان يتمتع بنشاط خارق للعادة مما ساعده على الإحاطة بكل صغيرة وكبيرة من شئون الحكم والإدارة ومن الثابت أنه أحسن معاملة الأمراء السودانيين

---

(٩١) Douin (Alger) No. 81. Note de Huder. Alex 13. 8. 1830. ; Aff. Etr. Egypte (3) No. 121. Alex 23. 3. 1833 ; ibid (5) No. 4. Alex 30. 9. 1836 ; ibid (6) No. 20 Alex 26.2. 1838 ; Cattaui II. No. 124 bis Tableau Statistique de l'Egypte pp. 3984-00; ibid I No. 80. Alex 31. 7. 1827. p. 81.

(٩٢) شكرى — (مصر والسيادة على السودان) صفحات ٩ — ١٢.

(٩٣) تاريخ ملوك الفونج بالسودان . ص ٣٢١

جريا على سياسة التعاون مع العناصر الوطنية تلك السياسة التى وضع محمد على أساسها وقد ساعده ذلك فى إدارة شئون البلاد وإصلاح أحوالها وتنظيم مدينة الخرطوم . كما قسم مقاطعات السودان إلى أخطاط وجعل للأخطاط أقساما قسمها مديريات وعين لكل مديرية حدودا وضم إليها العرب الرحل الضاربين فى وديانها وبذلك انتظمت إدارتها ونقل إليها من مصر كثيرا من صنوف الحيوان الأليفة والبذور النادرة مما أدى إلى تحسين الزراعة هذا إلى أنه نشر فيها أصول الصناعة فتقدمت التجارة وقد استخدم عتقاءه فى دار الصناعة وجعل منهم ملاحين فى السفن الأميرية التى أخذ عددها يزداد يوما بعد يوم حتى نسبت إليه تجارة الخرطوم وقصد هذه المدينة فى أيامه بعض الأوربيين لتعاطى التجارة (٩٤) .

وإلى جانب هذا كله اهتم أحمد باشا أبو ودان بتوطيد السلطة فى أرجاء السودان والقضاء على فوضى الإضطرابات التى نشبت فى كردفان وعند حدود الحبشة فضلا عن أنه افتتح إقليم التاكة وأسس مدينة كسلا فى السودان الشرقى (٩٥) وبعد وفاة أحمد باشا فى الخرطوم فى شهر سبتمبر ١٨٤٣ خلفه منكلى أحمد باشا وعلى الرغم من أن عهده لم يطل فقد قام بكثير من المشروعات الزراعية فتوسع فى زراعة قصب السكر (٩٦) وعنى بتنظيم مالية السودان واهتم بضبط شئون الحكم والإدارة (٩٧) وثبت دعائم الحكم الجديد فى إقليم التاكة (٩٨)

---

(٩٤) سرهنك جـ ٢ : ص ٢٣٣ — ٢٣٤ .

(٩٥) عابدين — المعية . محفظة ١٩ رقم ٤١ فى ١٨ رمضان ١٢٥٩ ؛ ثم انظر :
Werne (Feldzug von Sennar) 28, 239—248; Junker (1875 — 78) pp. 99 101;— Staat — Archiv. Rapp. de Const. Vol. 64, No. 595. Const. 13.4. 1843. Enclos. Kairo 1. 3. 1834.; ibid. Cons. Rap. Alex. 1838—1847. No. 490. Alex 15. 4. 43. . Laurin z Metternich

(٩٦) ابراهيم فوزى جـ ١ : ص ٦٥ .

(٩٧) عابدين . المعية . محفظة ١٩ رقم ٥٠ الارادة نمرة ٣٥٥ فى ١٨ شعبان ١٢٦٠

(٩٨) عابدين . المعية . محفظة ١٩ رقم ٣٤ فى ٥ ربيع أول ١٢٦٠ (٢٥—٣—١٨٤٤ من أحمد المنكلى إلى محمد على .

وكان فى أثناء حكمدارية أحمد المنكلى أن زار السودان « رتشارد لبسيوس » Lepsius أحد علماء الألمان المتخصصين فى دراسة علم الآثار المصرية قدم إلى الأسكندرية فى سبتمبر ١٨٤٢ ثم رحل إلى السودان لزيارة الأهرام والآثار القديمة فى مروى وشندى وغيرهما فبلغ الخرطوم فى فبراير ١٨٤٤ وزارسوبه وسنار وسار بعد ذلك فى النيل إلى دنقلة ومنها إلى وادى حلفا واسوان وقد أسهب لبسيوس فى رسائله من السودان فى وصف تلك الحكومة الناجحة التى أوجدها محمد على فى القطر السودانى (٩٩) كما استرعى نظره ذلك العمران العظيم الذى شهد آثاره فى كل مكان زاره على امتداد نهر النيل أو على ضفاف النيل الأزرق وكان مما أثار إعجابه ذلك النشاط الظاهر فى بلدة « الكاملين » المنشأة حديثا فقال فى احدى رسائله (١٠٠) « يقع المكان القديم الذى يحمل هذا الاسم على مسافة نصف ساعة من النهر ويتألف من أكواخ قليلة أما المساكن التى نزلنا إلى الأرض بالقرب منها فتتبع عددا من المصانع التى بناها منذ مدة تزيد على خمسة أعوام نور الدين أفندى أحد المصريين من الأقباط الكاثوليك وقد اعتنق الإسلام بعد ذلك واشترك معه فى بنائها أحمد باشا الحكمدار السابق وفضلا عن ذلك فقد أسس رجل ألمانى يدعى باور Bauer مصنعا للصابون والكونياك وكان يدير أحد أبناء العرب مصنعا للسكر والنيلة ومات باور بعد عام (١٠١) وكان قد استطاع استخراج الكونياك من قصب السكر والبلح والظاهر أن هذه الأعمال كانت ادارتها على أحسن ما يكون من النظام أما النظافة وهى أمر غير مألوف فى هذا البلد فيمكن مشاهدتها فى حجرات المصنع وأوانيه وأدواته وإنها لدليل على أن إدارة هذه المصانع تقوم على أسس متينة »

وفى ديسمبر ١٨٤٥ عين خالد خسرو باشا حكمداراً على السودان فوصل

---

(٩٩) Lepsius. 24 .

(١٠٠) Lepsius. 165 .

(١٠١) Lepsius 163—164 .

إلى الخرطوم فى يناير من العام التالى واستمر يشغل هذا المنصب إلى بداية عهد عباس الأول. ولعل أهم مايجدر ذكره أن تلك السياسة التى وضعت أصولها منذ أيام الفتح الأولى قد أصبحت الآن خطة حكومية ثابتة تقوم على تكريم شيوخ السودان ورؤسائه بتقليدهم الأوسمة وإلباسهم كساوى التشريف وتقريبهم من مجالس الحاكم العام والاستماع إلى آرائهم وطلب النصح منهم فقد كتب خالد خسرو بعد وصوله إلى الخرطوم يقول (١٠٢) « إننى بوصولى الخرطوم ١١ محرم ١٢٦٢ — (٩ يناير ١٨٤٦) — دعوت من تلزم دعوتهم حسب الأصول وقرأت عليهم الفرمان العالى الذى أتيت به بتوليتى على الخرطوم وأخذت منهم مواثيق الانقياد والطاعة وأرسلت البيانات اللازمة لمن يلزم إرسالها لهم ممن هم فى الأماكن البعيدة لتكون معلومة لهم وقد أجريت ما اعتاد المشايخ والعمد إجراءه عندما يحضرون للخرطوم لحضور حفلة تنصيب الحكمدار الجديد وكان من بينهم الشيخ إدريس عدلان المدعو ملك جبل الفونج وقيل لى عنه إن له موقعا ممتازا ومنزلة رفيعة بين الأقران والعربان وحيث أنه قام من محل إقامته وجاء لديوان الحكمدارية والتقى بى فقد خصصت له غرفة فى الديوان وأمرت بأجراء ما يلزم له من واجبات الضيافة والإكرام حسب ما يليق بكرم افندينا الخديوى وبذلت الوسع فى تطييب خاطره وإدخال السرور عليه فحصل له الأنس وقويت بيننا روابط الألفة . . . .

« وإنه بالنظر لما تبين من أطوار الشيخ إدريس وحركاته الدالة على صدق نواياه فى خدمة الحكومة وحصول المنافع لها رأيت أن من الحكمة أن يكون له الموقع الممتاز عندنا رغبة فى تزييد نشاطه وتوفير اهتمامه فكتبت لصاحب الدولة سليم باشا مدير فازوغلى كتاب توصية به طبقاً للأصول

(١٠٢) عابدين . المعية . محفظة ١٩ رقم ٨٢ فى ٢٩ ربيع الثانى ١٢٦٢ من خالد خسرو إلى الجناب العالى .

المرعية وأعطيته للشيخ إدريس ليعطيه لسليم باشا يداً بيد وتوجه من طرفنا مشيعاً بالاحترام والاكرام وأنه لا بد أن يزداد علاقة بالحكومة وإخلاصاً لها نظراً لما رآه من الاحترام الذى عاملناه به ورآه محسوساً جلياً بظل الحضرة الخديوية» وكان من المشايخ والرؤساء الذين سألهم خالد خسرو الرأى وانتفع بإرشاداتهم بشأن الأماكن التى يوجد بها الذهب والحديد فى سنار وكردفان وتأمين الحدود الشرقيـــة المتاخمة للحبشة والغربية المتاخمة لدارفور الشيخ عبد القادر ود الزين والأرباب محمد دفع الله والشيخ أحمد أبو سن كبير الشكرية وقد أسدى كل هؤلاء خدمات جليلة للحكمدار السابق أحمد المنكلى وعاونوه معاونة صادقة فى تأمين الحدود والقضاء على الفتن فى التاكة خاصة وهى الإقليم الذى ضمته حكومة الخرطوم حديثا(١٠٣) وقد اصطحب معه أحمد المنكلى حين عودته إلى مصر كلا من الأرباب دفع الله والشيخ عبد القادر ود الزين فأكرمهما محمد على إكراماً عظيما وعندما حضر خالد خسرو إلى الخرطوم حضرا معه (١٠٤) وكان الشيخ عبد القادر صاحب حظوة كبيرة عند محو بك وخورشيد باشا أما الشيخ إدريس عدلان الذى ذكره خالد خسرو فى رسالته فقد ظل عضد الحكومة فى إقليم فازوغلى مدة طويلة (١٠٥).

---

(١٠٣) عابدين . المعية . محفظة ١٩ رقم ٦٠ معروض من ميرميران أحمـد المنكلى الى الجناب العالى محررة من جبل دول فى ٧ محرم ١٢٦١ (٦ — ١ — ١٨٤٥) ثم انظر وثائق رقم ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٥٤ فى نفس المحفظة .

(١٠٤) شقير جـ٣ — ٢٧ .

(١٠٥) تاريخ مدينة سنار ص ٣٣.

عهد عباس الأول ومحمد سعيد

تلك كانت آثار السياسة الرشيدة التى رسم محمد على خطوطها الأساسية والتى كان مدارها المحافظة على وحدة وادى النيل وإشراك العناصر الوطنية فى شئون الحكم والإدارة تحت إشراف حكومة أبوية بارة بأبنائها فى مصر والسودان معاً وقد حرص محمد على طوال حياته على أن يحتفظ بهذه الوحده قوية الدعائم سليمة البنيان واستطاع بفضل ما أوتيه من حكمة وأصالة رأى أن يجتاز بسلام الأزمة السياسية الكبرى فى عامى ١٨٤٠ و ١٨٤١ فصدر له فرمان السودان فى فبراير من العام الأخير بإعطائه السودان طول حياته . غير أن وحدة الوادى سرعان ما تعرضت لخطر التصدع والانحلال عقب وفاة محمد على إذ خيل إلى الباب العالى أن فى وسعه الانتقاص من تلك التسوية فرأى أن يعود بمصر إلى ما كانت عليه فى العهود التى سبقت إصدار فرمانات الوراثة بحيث تصبح ولاية لا امتيازلها على سائر ولايات الامبراطورية العثمانية[١٠٦].

ومنذ اعتلى عباس الأول أريكة الولاية فى عام ١٨٤٩ أخذت تركيا تسلك لتحقيق غايتها طريقين أولها بذل كل ما فى وسعها من حيلة لإضعاف حكومة الباشا الداخلية وامتهانها فى نظر الدول الأوربية[١٠٧] وثانيهما محاولة الاعتداء على تلك الحقوق والامتيازات التى حصل عليها محمد على[١٠٨] وكانت مصر مرغمة بمقتضى الفرمانات الصادرة فى عام ١٨٤١ على قبول جميع المعاهدات

---

(١٠٦) Mouriez, P. Des Intérêts Européens en Orient. Paris 1852.

(١٠٧) Anon. 118—119.

(١٠٨) D. S. Mc Cauley Abdin—American. vol. I. No. 38. Alex. 13.8 1851. to Dep. of State. pp. 118—119.

والاتفاقات التى تعقدها تركيا مع الدول الأجنبية وتنفيذ القوانين والتنظيمات المعمول بها فى تركيا وممتلكاتها (١٠٩) فقد وجد الباب العالى فى ذلك منفذاً لتحقيق مآربه كما أن سريان المعاهدات والاتفاقات المبرمة بينه وبين الدول ومن بينها الامتيازات الأجنبية فى مصر والسودان كان له فى السنوات التالية أسوأ الأثر لا فى مصر وحدها بل وفى شطر الوادى الجنوبى على وجه الخصوص لذلك طلب الباب العالى إلى عباس الأول أن يطبق فى مصر «التنظيمات الخيرية العثمانية» التى صدر بها خط شريف جلخانة فى ٣ نوفمبر ١٨٣٩ (١١٠) والتنظيمات (١١١) عبارة عن تلك القوانين والأنظمة التى تكفل أمن رعايا الدولة العثمانية على أموالهم وأعراضهم وأرواحهم وتفرض رقابة دقيقة تحت إشراف حكومة الآستانة على كل شئون الحكم والادارة فى أنحاء الإمبراطورية وحصر مظاهر السلطة فى يد الحكومة المركزية وعلى رأسها السلطان العثمانى (١١٢).

وكان معنى قبول التنظيمات على علاتها إلغاء ذلك الوضع الممتاز الذى كفلته فرمانات الوراثة لمصر مما يعرض مسند الولاية للخطر ويؤدى إلى ضياع السودان وزاد من متاعب عباس فى هذه الظروف الدقيقة أن الباب العالى وجد من بين أقارب عباس نفسه جماعة يناصبونه العداء الشديد ويبذلون غاية وسعهم فى الآستانة لعزله وإقصائه عن دست الحكم (١١٣) وفضلا عن ذلك فقد انبرى لتأييد العثمانيين فى موقفهم فريق من الدول من بينها فرنسا إذ كان

---

(١٠٩) La Politique d'Ismail Pacha . . . pp. 20—25 .

(١١٠) Jonquière. 585 et seq .

(١١١) Nahoum. 219—224 .

(١١٢) Engelhardt. I. Caps XIX ,XX .

(١١٣) F. O. 78/875 Turkey (Egypt) No. 2 Cairo 17. 2. 1851. Murray to Palmerston.
Enclos. Cairo 14. 2. 51. Marray to Canning (copy); also. F. O. 78/856. Turkey. No. 190. Therapia. 4. 6. 1851 Canning to Palmerston.

يسوءها امتناع عباس عن تأييد نفوذها فى مصر (١١٤) والروسيا والنمسا المالئتين لتركيا لأن هذه الدول الثلاث كانت على حد قول القنصل الأمريكى تحسد انجلترة على ما نالته من حظوة ومكانة لدى عباس باشا (١١٥) وعلى ذلك وجد عباس محافظة منه على مسند الولاية من ناحية وعلى بقاء حقوق البلاد كاملة غير منتقصة من ناحية أخرى أن يبذل قصاراه فى استمالة انجلترة إلى تأييده فى منع تطبيق التنظيمات العثمانية على النحو الذى تريده تركيا وكان يعقد آمالا واسعة على انحياز انجلترة إلى جانبه لما كان يستمتع به سفيرها السير ستراففورد كاننج من نفوذ عظيم فى الاستانة (١١٦) ونظراً لما كان ينتظره من معاونة هذه الدولة له فى بسط قضية مصر لدى الدول الأخرى وقدرتها على إقناع هذه الدول بضرورة تأييد عباس فى موقفه إزاء تركيا فقد أبدى عباس استعداده لتنفيذ ما كانت تريده انجلترة من إنشاء سكة حديدية بين القاهرة والسويس لتسهيل مواصلاتها مع امبراطوريتها فى الهند وأخذت انجلترة على عاتقها لقاء ذلك أن تؤيد « عباس » فى الاستانة (١١٧) ولهذا جد السفراء والممثلون الانجليز لدى حكومات الروسيا والنمسا للكف عن مقاومة الباشا فى القسطنطينية (١١٨).

أما فرنسا فظلت وحدها تنعى على عباس تجاهله ما سماه قنصلها فى مصر

---

(١١٤) F. O. 78/804. Turkey (Egypt) No. 28 (Confid) Cairo 7, 5. 1849. Murray to Palmerston.

(١١٥) Abdin — American. vol.I. No. 30. Alex. 13. 8. 1851. Mc Cauley to Dep. of State. p. 117.

(١١٦) F. O. 78/875 Turkey (Egypt) No. 2. Cairo 17. 2. 1851. Murray to Palmerston.

(١١٧) F. O. 78/875. Draft No. 2 (Mr Murray) F. O. March 7, 1851. (from. Palmerston).

(١١٨) F. O. 65/922. (Russia) No. 76. St. Petersburg. 15. 4. 1857. Bloomfield to Palmerston ; also F. O. 224/112 (Germany) Draft No. 133. Berlin 1. 5. 1851. Westmoorland to Palmerston.

« حقوق صاحب السيادة على تابعه »(١١٩) وقد أثمرت مساعى انجلترة فزال كل خطر عن مسند الولاية المصرية وساعد على انفراج الأزمة بين مصر وتركيا أن لويس نابليون منذ وصوله إلى الحكم فى فرنسا صار يظهر الود والصداقة لانجلترة لذلك وافق السلطان على إنشاء السكة الحديدية (١٢٠) وفى ابريل ١٨٥٢ تم الإتفاق على تطبيق التنظيمات العثمانية فى مصر مع تعديلها بما يكفل للوالى الاحتفاظ بسيادته الداخلية الكاملة (١٢١) ويمكنه من دعم قوته تدريجياً فى قابل الأيام حتى أصبح وليس هناك ما يربطه بالباب العالى سوى سيادة اسمية (١٢٢)

وتتضح أهمية هذا الانتصار السياسى الخطير إذا ذكرنا أن بترارکی Petrarki قنصل أسبانيا العام فى مصر كتب فى مارس ١٨٥٢ إلى حكومته يقول « لم يعد خافياً على ما يظهر أن الوزير العثمانى رشيد باشا والوزير المصرى أرتين بك (وكان من المناوئين لعباس واللاجئين إلى الآستانة) يريدان إثارة الاضطرابات الشديدة فى مصر حتى يصبح من المستطاع لا عزل عباس فحسب بل وحرمان أسرة محمد على الحكم حرمانا تاماً حتى تتاح الفرصة لاسناد منصب الولاية إلى أحد صنائع الوزير العثمانى وإيجاد وسيلة لاستثمار مورد

---

(١١٩) Aff, Etr. Fgypte (23) No. 154. Alex. 18. 7. 1851. Le Moyne à M le Ministre. Copie d'un dépéche adressé par M. le Moyne à M le ministre de France à Constple. Alex 14. 7. 1851.

(١٢٠) F. O. 78/859 (Turkey) No. 324 Therapia 4. 11. 1851. Canning to Palmerston. Enclos. I. Copie de Firman Suprême emané pour la Construction du Chemin de Fer; also Nahoum. 255.

(١٢١) Staat — Archiv. Turkei fasz XII. 44. Instruction de ministère (1) et Rapp. des Aff. Etr. à Mr. V. Kelzl ; (2) Mr. le Consul Général Huber au Caire. Wien. 4 mai 1852 ; also Aff. Etr. Egypte (24). No. 224. Alex. 8. 9, 1852.

(١٢٢) Abdin — American. vol II. No. 8. Alex 2. 3. 1854. Edwin de Leon to Dep. of State. p 30, also. Aff. Etr. Egypte (24). No. 19. Caire 31. 3. 1853 de Mr. Sabatier.

جديد يعين على إجراء الإصلاحات اللازمة لانتشال الأمبراطورية العثمانية من الارتباك المالى ، (١٢٣) وهكذا تأيد بفضل هذا الانتصار ذلك الوضع الذى كفلته الفرمانات لمصر والسودان معاً

ومع أن كثيرين إبان اشتداد الأزمة العثمانية المصرية كانوا يرون أن من المتعذر على عباس أن يولى شئون السودان عنايته الكاملة (١٢٤) فالثابت أن هذه الأزمة على الرغم من خطرها لم تشغله عن الاهتمام بشطر الوادى الجنوبى فقد ظل عباس منذ تبوأ أريكة الولاية يسير فى سياسته السودانية وفق تلك المبادىء التى وضع أصولها جده العظيم محمد على وقوامها استمالة السودانيين إلى تأييد الحكومة فى الخرطوم وإشراك زعمائهم ورؤسائهم فى تدبير شئون الحكم والإدارة والعمل على تحقيق رفاهية أهل السودان بكل ما يستطاع من وسائل وذلك بأن يمضى الحكمدارون فى استثمار موارد البلاد الطبيعية والعمل على تنشيط التجارة المشروعة والمحافظة على ثقافة البلاد الإسلامية وإتاحة الفرصة لتعليم أبناء السودان ولما كانت أزمة التنظيمات تنذر بضياع شطرى الوادى شماله وجنوبه فقد بات دعم الحكومة فى السودان وتأمين حدوده ضد غارات المغيرين من أهم المسائل التى عنى بها عباس أبلغ عناية

لهذا كان المشايخ والزعماء الوطنيون يلقون كل حظوة لدى الحكمدارين فاستأثر الشيخ عبدالقادر ود الزين بمكانة ظاهرة ملحوظة إذ قلد وظيفة معاون الحكمدارية ومشيخة مشايخ عموم الجزيرة وقلد الشيخ عدلان محمد مشيخة

---

(١٢٣) Staat—Archiv. Turkei 1852. Fasz. XII 44. Vienne 19.3. 1852 à Kelzl. Adj. von Herren Petrarki, Handelsman und Spanischen Consul in Egypten...

(١٢٤) Staat—Archiv. Gen-Cons. Zu Alexandrien 1848—1860. No 436. Cairo 16.4. 1851. Huber to Minister.

أنظر أيضا : عابدين — المعية (عربى) دفتر ١٤٤ رقم ٢٠٦ فى ١٨ شعبان ١٢٧٠ (١٦ مايو ١٨٥٤) من مجلس الأحكام إلى المعية السنية .

جبال الفونج وعهد إلى حسين خليفه بمشيخة العتمور (أوسكة عتمور أبى حمد) وعومل شيخ الشكرية أحمد أبو سن خير معاملة[١٢٥] وكان من مظاهر اشراك العناصر الوطنية فى شئون الحكم والادارة أن عين عباس الشيخ على جلابى والشيخ محمد نور ضيف الله بمجلس الدعاوى وهو بمثابة محكمة عليا كما عين الشيخ ابراهيم عبد الدافع مفتياً للمحكمة وبلغ من اهتمام عباس باختيار الأكفاء لملء مناصب الحكم فى السودان أن أصدر أمراً غداة توليته بأن يعين حكام السودان « ممن لا يقلون عن رتبة أميرالاى » إذ أنه « مستغن عن التفصيل والبيان — كما جاء فى هذه الارادة — أن الملحقات السودانية قد صرف عليها إلى الآن أموال وافرة ومساع جمة وكان أفندينا ساكن الجنان محمد على باشا يعنى بمهاويهتم بأحوالها ولذلك كان يعين حكامها من رتبة ميراللواء »[١٢٦] وفضلا عن ذلك فقد طلب الباشا فى سبتمبر ١٨٤٩ بياناً بأسماء « المديرين والحكمدارين الموجودين (بالسودان وقتذاك) وجهات مأموريتهم بالتوضيح » واختار فى نوفبر من العام نفسه حكمدارا للسودان هو چركس لطيف باشا شهد الأجانب ممن زاروا الخرطوم فى هذه الفترة بانه كان كفئاً قديرا[١٢٧] واكتسب عبد اللطيف شهرة واسعة كرجل حزم وإدارة بين معاصريه[١٢٨] قال صاحب (تاريخ مملكة الفونج والعهد العثمانى حتى عام ١٨٧١)[١٢٩] « وما زال عبد اللطيف باشا مقيما بالخرطوم شاغل فكره بسماع الدعاوى والعرضحالات التى لا حصر لها ولم أشتغل بسواها إلا إن كان

---

(١٢٥) شقير ج ٣ : ص ٢٨ .

(١٢٦) أمين سامى : المجلد الأول من الجزء الثالث ص ٢٤ . إرادة للكتخدا فى ٢٤ شوال ١٢٦٥ (٢—٩—١٨٤٩) .

(١٢٧) Melly. 155.

(١٢٨) سرهنك : ج ٢ : ص ٢٦١ .

(١٢٩) British Museum. Ms. Or. No. 2345. (Arabic).

ما كان من تجديد بناء الحكمدارية وتزويقه ، وكان من مظاهر نشاطه تجميل مدينة الخرطوم وإنشاء ديوان جديد للحكمدارية [١٣٠] بيد أن عبد اللطيف مالبث حتى أغضب عباسا إذ أصر على إغلاق النيل الأبيض فى وجه الملاحة الحرة ومنع التجار الأوربيين من ارتيادجهات النهر العليا كما احتكر التجارة لحسابه الخاص لهذا كثرت الشكاوى ضده واضطر عباس إلى استدعائه وعين بدلا منه چركس رستم باشا فى فبراير ١٨٥٢ وكان الحكمدار الجديدمزوداً بالتعليمات اللازمة لحسن « إدارة الأمور والمصالح ورؤيتها وإجرائها فى محورها اللائق طبقا للعدل والحق ووفقاً للقوانين واللوائح (وذلك كله من أجل) استحصال أسباب الراحة ووسائل العمران والرفاهية ، وأمر بإرسال نشرة عامة إلى مديريات الأقاليم السودانية ، لمدير دنقلة خورشيد بك ولمدير بربر قائمقام على حسيب بك ولمدير الخرطوم الميرالاى أحمد بك ولمدير سنار وفيزأوغلى الميرالاى ابراهيم بك ولمدير التاكة خسرو بك ولرئيس مجلس الخرطوم الميرالاى عبد القادر بك ولسر سوارى محمد أغا ولسر سوارى ابراهيم أغا ، يحضهم فيها على أن يكونوا « جسما واحداً وقلباً واحداً فى خدمة وسعادة الرعايا الموجودين تحت (إدارتهم) وفصل دعاويهم وتسوية أمورهم كما يوجبه العدل والقانون وكما يرضى الضمير » [١٣١] ثم أوفد الباشا لجنة للنظر فى أحوال السودان عهد برياستها إلى ميرى بك [١٣٢] ومع أن رستم باشا لم يلبث أن توفى فى الخرطوم بعد قليل فقد أرسلت القنصلية النمساوية فى العاصمة السودانية تقريراً ضافياً إلى هوبر Huber قنصل النمسا فى مصر جاء فيه أن رستم باشا كسب محبة الأهالى وأدار شئون الحكم على نحو استحق من أجله

---

(١٣٠) سرهنك جـ ٢ : ص ٢٦١ ؛ شقير جـ ٣ : ص ٢٨ .

(١٣١) أمين سامى : المجلد الأول من الجزء الثالث : ص ٤٥ – ٤٦ . إرادة فى ١١ ربيع الأول ١٢٦٨ (٤ يناير ١٨٥٢) .

(١٣٢) شقير : جـ ٣ : ص ٣٠ .

كل ثناء وتقدير وكان يخرج لزيارة الرؤساء والزعماء الوطنيين فى سنار والرصيرص وغيرها من الجهات (١٣٣) ومع أن عباس باشا عين بعد ذلك اثنين من الحكمدارين هما اسماعيل حق باشا (أبو جبل) وجزائرلى سليم باشا فقد كان السبب فى استدعاء حق باشا بعد أقل من عام أن الباشا أراد أن يعهد اليه بقيادة اللواء الأول من الألوية الثلاثة المرسلة لنجدة الدولة العثمانية فى حرب القرم والتى أبحرت فى يولية ١٨٥٣ (١٣٤) أما سليم باشا فقلد حكمدارية السودان فى أواخر إبريل من العام نفسه ولكن صحته اعتلت حتى صار مهدماً (١٣٥) ويذكر صاحب تاريخ مملكة الفونج أنه ظل مريضاً « إلى أن صار رفته فى آخر جماد الأول سنة ١٢٧٠ » الموافق آخر فبراير ١٨٥٤ (١٣٦) ويؤيد ذلك كله ماجاء فى رسالة القنصل النمساوى فى الخرطوم الدكتور هوجلين Heuglin الذى كتب فى يناير من العام نفسه أن سليم باشا كان مريضاً وأنه بسبب مرضه طلب إلى الحكومة المصرية أن تعفيه من منصب الحكمدارية وأضاف هوجلين إلى ذلك أن سليم باشا كان رجلا أميناً (١٣٧) وقد خلفه فى منصب الحكمدارية على باشا سرى.

فاذا كانت هذه هى الأسباب التى أدت إلى كثرة تغيير الحكمدارين فى السنوات القليلة التى قضاها عباس فى الحكم وكان هذا التغيير الكثير من الأمور التى أخذت عليه فأن الوقوف على تلك الظروف التى أحاطت بتعيين الحكمدارين وعزلهم على النحو الذى سبق بيانه لايدع سبيلا إلى الشك فى

---

(١٣٣) Staat—Archiv. Gen. Cons. zu Alex. 1848—1860. No. 904. Alex 17. 8. 1852. Huber à von Buol—Schauenstein. Enclos. Report of Khartoum 25.5.1852.

(١٣٤) طوسون · صفحات ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٢ . أيضا Robinson. (Rulers). 43.

(١٣٥) Robinson (Rulers). 43.

(١٣٦) British—Museum. Ms. Or. No. 2345. p. 49.

(١٣٧) Staat — Archiv. Gen — Cons. Egypt 1854. No. 124. Cairo 12. 2. 1854. Enclos. Report of Dr. Heuglin No. 2. Chartoum, 5. 1. 1854.

أن عباسا ما كان يعمد إلى تغييرهم دون مسوغ كما أنه ما كان يختار لملء هذا المنصب سوى الأكفاء الذين اشتهروا بالأمانة وواسع الدراية بأحوال البلاد التى عهدت إليهم إدارتها هذا إلى أن هؤلاء الحكمدارين استطاعوا على الرغم من قصر المدة التى قضاها كل منهم فى منصبه أن يدفعوا غارات قبائل الدنكا على الحدود وعلى أطراف سنار الجنوبية [١٣٨] ويخضعوا السود فى جبال تقلى بالكردفان وقبائل البشاريين فى السودان الشرقى ويردوا اعتداء الأحباش على الحدود الشرقية ويدعموا سلطان الحكومة وينشروا الأمن فى ربوع السودان [١٣٩].

وتتبع عباس خطوات جده العظيم فأقبل على تشجيع معاهد التعليم الدينى بالسودان فتعهد المساجد بالأصلاح والتعمير وهى إذ ذاك دور العلم والدرس وبيوت العبادة وأداء الفريضة الدينية وأجرى على القائمين بشئونها الرواتب [١٤٠] وأكرم فقهاء السودانيين وعلماءهم وشجع منهم من أراد منهم الدراسة بالأزهر الشريف ثم أوصى بهم الحكمدارين عند عودتهم إلى بلادهم ومن هؤلاء الشيخ محمد السنوسى والشيخ أبو بكر محمد [١٤١] ولم يقف الأمر عند هذا الحد

---

(١٣٨) Brun — Rollet. 91—92.

(١٣٩) Staat—Archiv — Gen. Cons. Zu Alex. 1848—1860. No. 430. Cairo 16. 4. 1851. Enclos. Report No. 7. El Mucheref in Berber. 10. 3. 1851. Reitz to Huber, ibid Gen — Cons. Egypt 1854. No. 142. Cairo 12. 2. 1854. Enclos. Report of Dr. Heuglin. No. 2 Charteum. 5. 1. 1854; also Budge II. 218 ثم انظر: سرهنك: جـ ٢: ص ٢٦١.

(١٤٠) عابدين. المعية (تركى) محفظة ١ رقم ١١٩ فى ١٠ صفر ١٢٧٠ (١٢/١١/١٨٥٣) من عبد القادر وكيل الحكمدارية ومدير الكردفان إلى الباشمعاون.

(١٤١) عابدين. المعية (عربى) دفتر ٨٤ صادر رقم ٥٠ فى ٦ ذى القعدة ١٢٦٨ (٢٢/٨/١٨٥٢). من سعادة كتخدا باشا إلى حكمدار السودان؛ أيضا دفتر ١٠١ صادر معية. رقم ١١٠٧ عرض فى ٢٧ شوال ١٢٦٩ (٣/٨/١٨٥٣) من سعادة الكتخدا إلى حكمدار السودان.

فقد أنشأ عباس فى الخرطوم أول مدرسة نظامية فى السودان « يكون نظامها موافقا لأصول المدارس المصرية . . . (لإخراج أبناء السودان) من ظلمات الجهل وتنويرهم بأنوار المعارف، على أن تتسع المدرسة لنحو خمسين ومائتين من التلاميذ من أبناء « المشايخ والأهلين القاطنين بمديريات دنقلة والخرطوم وسنار والتاكة وملحقاتها وكذلك من (أبناء المصريين) الذين توطنوا بتلك الديار وأحفادهم » [١٤٢] واختار عباس لهذه المدرسة نخبة من الأساتذة الأكفاء أمثال محمد بيومى وأحمد طائل وخليفة محمود وعلى رأسهم ناظرهم رفاعة رافع الطهطاوى وكان هؤلاء من أعضاء البعوث العلمية فى عهد محمد على أو درسوا بالمدارس المصرية وقد ساهموا جميعا فى ترجمة عدد لا يستهان به من كتب العلوم والفنون [١٤٣] وقد ضم إليهم عباس بعض علماء الأزهر الشريف [١٤٤] وافتتحت هذه المدرسة فى يولية ١٨٥٣ [١٤٥] .

بيد أن تأسيس مدرسة الخرطوم مايزال يعزوه الكثيرون إلى رغبة عباس باشا فى إقصاء بعض من فقدوا عطفه ورضاه لذلك حق علينا أن نقرر الآن أن إنشاء مدرسة حكومية واحدة فى عاصمة السودان كان جزءا من البرنامج التعليمى الذى اتبعه فى مصر ذاتها والذى انبرى بعض كبار الباحثين من علماء الأفرنج لتوضيح أغراضه بصورة لاتدع مجالا للشك فى أن الباشا لم يكن

---

(١٤٢) عابدين . المعية (تركى) دفتر ١٩٥٨ (قرارات المجلس الخصوصى) رقم ٤ فى ١٧ رجب ١٢٦٦ (١٨٥٠/٥/٢٨) من المعية السنية إلى حكمدار السودان وإلى رفاعه بك .

(١٤٣) Heyworth – Dunne. 171, 269, 297 .

(١٤٤) عابدين . المعية . دفتر ١٥٢ (مدارس عربى) رقم ١٨٦٥ فى ٢٠ رجب ١٢٦٦ (١٨٥٠/٥/٣١) من ديوان المدارس إلى شيخ الجامع الأزهر؛ ثم رقم ١٩٦٢ فى ٢٨ رجب ١٢٦٦ (١٨٥٠/٦/٨) من الديوان إلى مدرسة الخرطوم .

(١٤٥) عابدين . المعية . دفتر ١١٧ وارد معية (عربى) رقم ٣٥ فى ٧ شوال ١٢٦٩ (١٨٥٣/٧/١٤) من حكمدار السودان إلى المعية .

ذلك الرجل الذى يعمد إلى إلغاء معاهد العلم بجرة قلم دون تقدير للعواقب (١٤٦) ومهما يكن من الأمر فأنه منذ صدر القرار بتأسيس المدرسة سافر رفاعه وصحبه إلى الخرطوم فى غضون شهر يونية ١٨٥٠ وظل عباس يصدر الأوامر بضرورة بدء العمل . ومن ذلك ما جاء فى كتاب ديوان المدارس إلى رفاعة فى ابريل ١٨٥١ للاستفسار عن سبب تعطيل الدراسة مع أن رفاعة إنما عين « على نظارة هذه المدرسة كى بذلك يصير الحصول على ماهو مأمول (فى حضرته) وتلامذة هذه المدرسة تكسب العلوم والمعارف» (١٤٧) وقد حدث هذا مرة ثانية فى يوليو ١٨٥٢ ومرة ثالثة فى ديسمبر من العام نفسه (١٤٨) إلى أن افتتحت المدرسة أخير أيام حكمدارية سليم باشا .

ولا شك فى أن رفاعة كان المسئول الأول عن ذيوع الاعتقاد بأن عباس باشا إنما اتخذ انشاء المدرسة ذريعة لإبعاد رفاعة وزملائه المغضوب عليهم إلى « المنفى » فى السودان (١٤٩) فقد ظل رفاعة يشكو مر الشكوى من وجوده هناك « بوسيلة نظارة مدرسة الخرطوم » ونقل شكواه هذه وشكوى زملائه وفى طليعتهم بيومى افندى اثنان من الأجانب الذين قابلوا رفاعة فى عاصمة السودان أحدهما بيار تيلور Bayard Taylor والآخر چورج مللى Melly ومع ذلك فقد وجد « مللى » مسوغا قويا لأبعاد رفاعة وزملائه ومن نحا منحاهم إذ يقول « ويبدو أن هؤلاء قد أسخطوا الباشا عليهم لأنهم كانوا يحاولون إملاء إرادتهم عليه كما كانوا يتبرعون بأسداء النصح من تلقاء أنفسهم

---

(١٤٦) Heyworth—Dunne. 292 et seq.

(١٤٧) عابدين . المعيه . دفتر ٢٠٩ (مدارس عربى) رقم ١٦٩٥ فى غاية جمادى الثانية ١٢٦٥ (١٨٥١/٤/٥) من ديوان المدارس إلى ناظر مدرسة الخرطوم .

(١٤٨) عابدين . المعية . دفتر ٢١٥ (مدارس عربى) رقم ٣٣٥٦ فى ٥ شوال ١٢٦٨ (٢٣/ ١٨٥٢/٧) من ديوان المدارس إلى ناظر الخرطوم؛ ثم دفتر ٢٤٩ (مدارس عربى) رقم ٦٠٠ فى ٩ ربيع أول ١٢٦٩ إلى ناظر الخرطوم .

(١٤٩) رفاعة : ٢٦٥ .

ولأن الباب العالى كان يدفع لهم مالا لقاء تعهدهم بخدمته إذ كانوا يميلون إلى تأييد مصالحه وهذا هو الرأى الراجح — وسواء أفعلوا ذلك حقيقة أم كان الأمر لايخرج عن حد الحـــدس والتخمين فأن اعتداء السلطان على حقوق مصر أمر معروف مشهور على أن ترحيب السلطان بأولئك الموظفين، من رجال حكومة القاهرة لايدع مجالا للشك فى سوء نواياهم «نحو عباس باشا وقال «ملى» أيضا عن حكومة عباس إنها «أعظم ميلا إلى تأييد حرية التجارة وأشد رغبة فى العمل لصالح هذه البلاد من أية (حكومة) سابقة، أضف إلى ذلك، أنه نجم عن (إرســال أمثال هؤلاء الرجال) إلى المنفى أن صارت مديريات السودان تستمتع بحكومة حسنة ذلك بأن مقاليد الأمور فى الخرطوم وبربر ودنقلة وفازوغلى وغيرها قد تسلمها الآن رجال ذوو فطنة وذكاء تعددت أسفارهم وأفادوا من ملاحظاتهم الدقيقة »[١٥٠] .

ولم تقف جهود عباس عند هذا الحد فقد ألغى منذ عام ١٨٤٩ احتكار تجارة الصمغ فى مصر والسودان كما ألغى نظام العهد[١٥١] وفى يناير من العام التالى كتب شارلس مرى Murray القنصل الانجليزى فى مصر إلى حكومته بأنه نجم عن الغاء احتكار الصمغ والسنامكى ومنتجات سنار الأخرى أن استطاع كثير من الأوربيين أن يشتغلوا بالتجارة وقد نصح مرى حكومته بأن تعين لخدمة مصالحها قنصلا فى الخرطوم أسوة بما فعلته الحكومة النمساوية[١٥٢] إذ عينت البارون ملر M uller أول قنصل لها فى الخرطوم فى بداية عام ١٨٥٠[١٥٣] وعينت الحكومة الإنجليزية چون بتريك Petherick نائب القنصل فى الخرطوم[١٥٤]

---

(١٥٠) Melly. II. 101—102.

(١٥١) أمين سامى : المجلد الأول من الجزء الثالث ص ٣٣ : ثم أنظر : Arminjon. 37.

(١٥٢) F. O. 78/840. Turkey (Egypt) No. 2. Cairo 3. 1. 1850. Murray to Palmerston.

(١٥٣) Abdin—Amer. vol.I. No. 10 Alex. 8.1.1850 Mc. Cauley to Dep. of State.

(١٥٤) Petherick. II. 156.

وكان لافتتاح النيل الأبيض للملاحة منذ رحلات سليم بمباشى أثر عظيم فى التجارة ومع أن عبد اللطيف باشا حكمدار السودان أراد المساهمة فى هذه التجارة إلى حد احتكار الملاحة فى النيل الأبيض لحسابه فأن عباسا لم تكد تبلغه شكاوى التجار والقناصل من لطيف باشا حتى أرسل يستوضحه الأمر (١٥٥) ثم أظهر استياء شديدا من مسلكه . جاء فى رسالة له إلى استفان بك وكيل الشئون الخارجية « إنه إذا كان الحكمدار المومى إليه فى الحقيقة يتعمد وضع تجارة صنف الصمغ تحت يد واحدة (أى احتكارها) ويتدخل فى معاملات الأجانب التجارية ويقصد إيذاءهم فلاشك أنه قد ارتكب خطأ وأن مثل هذه الحركات لا توافق رضانا من كل الوجوه ولا تحوز قبولنا . . . . ولا يمكن إغماض العين والسكوت على حركات الباشا المومى إليه غير المرضية حيث أنها مغايرة لإرادتنا ورغبتنا ، بناء عليه قد رأيت من الواجب أن أبدى النصح اليه وأرجعه إلى دائرة التربية والأدب » (١٥٦) وعلى ذلك كتب عباس إلى عبد اللطيف يحذره مغبة المضى فى خطته قال « إن جرأتكم وميلكم إلى ارتكاب هذه الأفعال غير المرضية خلاف المأمول أوجبت استغرابى وأثارت غضبي فيا عبد اللطيف هل نسيت بسرعة نعمة الالتفات والتوجه المبذولين فى حقك أثناء تعيينك حكمداراً للسودان وسفرك من هذا الطرف : هل هذه هى الخدمة الحسنة والشكر الواجب على رغم علمك يقينا بأن إرادتى موجهة لحرية التجارة وعدم الظلم والتعدى على أى أحد كان بدون حق . . . » وهدده عباس بحرمانه « من الرتبة والنياشين والمرتب

---

(١٥٥) عابدين . المعية . محفظة ١٩ رقم ١٠٢ فى ٨ صفر ١٢٦٧ (١٨٥٠/١٢/١٣) من المير وكيل الأمور الخارجية اصطفاف إلى (الكاتب الخصوصى) .

(١٥٦) عابدين . المعية . (تركى). دفتر ٤٧٥ رقم ٣٠٤ فى ١٧ صفر ١٢٦٧ من الجناب العالى إلى استفان بك وكيل الأمور الخارجية .

السنوى ، إذا مضى فى سياسته [١٥٧] وقد انتهى الأمر بإعلان حرية الملاحة فى النيل الأبيض واستدعائه من السودان فى بداية عام ١٨٥٢ [١٥٨]

وقد كان لإعلان حرية الملاحة فى النيل الأبيض خلال العامين التاليين ١٨٥٣ ، ١٨٥٤ نتائج لها خطرها إذ سرعان ما أصبحت أقاليم النيل العليا حول غندكورو بنوع خاص ميداناً لنشاط تجارة الرقيق هذا إلى أن نظام الضرائب الذى وضع منذ أيام الفتح الأولى صار فى حاجة ظاهرة إلى التعديل من حيث توزيعها وتحديد فئاتها والغاء بعضها وتخفيف البعض الآخر وإعادة النظر فى طرق جبايتها وعند وفاة عباس فى يوليه ١٨٥٤ كان المجال ما يزال متسعاً لإدخال ضروب الإصلاح المختلفة فى السودان ووقع عبء هذه المهمة الجديدة على كاهل خليفته سعيد .

وقد احتل السودان مكاناً ظاهراً من تفكير سعيد وكان له حظ كبير من عنايته فعمل على تنمية موارد البلاد واستثمار ثروتها الطبيعية لفائدة السودانيين وعنى بتنشيط التجارة المشروعة وتوثيق العلاقة التجارية القائمة بين مصر والسودان وتوطيد نفوذ الحكومة فى الخرطوم وفى الأقاليم الخاضعة لسلطانها وتأمين الحدود من ناحية الحبشة فى الشرق ودارفور فى الغرب والنيل الأبيض فى الجنوب ومكافحة الرق والنخاسة والتوسع فى إشراك العناصر الوطنية السودانية فى الحكم والإدارة توسعاً كبيراً

وانتظر أهل السودان الخير كل الخير على يد الوالى الجديد لما عرف عن حبه للإصلاح [١٥٩] ولذلك كان لاعتلائه أريكة الولاية رنة فرح فى

---

(١٥٧) عابدين . المعية . (تركى) دفتر ٤٧٥ رقم ٤٣٩ فى ١٧ صفر ١٢٦٧ من الجناب العالى إلى حكمدار السودان .

(١٥٨) Staat — Archiv. Gen. Cons. 1848 — 1860. No. 1479. Cairo 6. 1. 1852. C. W. Huber to von Schwarzenberg.

(١٥٩) Abdin — Amer. vol. II. No. 8 Alex. 2.3. 1854. Edwin de Leon to Marcy.

السودان فأقيمت الحفول الكبيرة وعمت مظاهر السرور . كتب هوجلين القنصل النمساوى بالخرطوم يقول « ويعقد كبار الشيوخ (من السودانيين) واسع الآمال ويتوسمون الخير العميم على يد سعيد باشا وهم على ثقة من أن رغباتهم سوف تلقى على الدوام آذانا واعية فى القاهرة »(١٦٠) وقد حقق سعيد آمال السودانين فاتاح لهم فرصة الاتجار مع مصر فى حرية وأمان إذ ألغى الضرائب الجمركية على التجارة الداخلية بين أقاليم الوادى وخفض ما يحصل من رسوم على المتاجر المرسلة من السودان لتصديرها إلى الخارج(١٦١) قال هوبر Huber القنصل النمساوى فى مصر « إن البضائع الواردة من النوبة ودنقلة والخرطوم وسنار وكردفان وفازوغلى أصبحت تعتبر بضائع مصرية فلا تدفع رسوما قط ولا يفرض عليها أى شىء طالما كانت تستهلك فى داخل البلاد »(١٦٢) .

وفضلا عن ذلك فقد أمر سعيد بجباية «رسوم إمرارية» طفيفة على البضائع الواردة من دارفور والبحر الأبيض — وهى البلاد التى ظلت خارجة عن سلطان الحكومة «على ذمة التصدير إلى جهات خارج الحكومة»(١٦٣) وكان من أثر ذلك «أن توثقت العلائق بين السودان ومصر إلى حد كبير» كما قال هوبر .

ويظهر مدى اهتمام سعيد بالسودان من الطريقة التى حاول بها معالجة الرق والنخاسة فى شطر الوادى الجنوبى وتعيين أخيه الأمير عبد الحليم باشا حكمداراً على السودان هذا إلى قيامه بزيارة القطر الشقيق ومما هو جدير

---

(١٦٠) Staat, Archiv. Gen. Cons. 1848—1860. No. 1664. Constple. 28.10.1854. Enclos. No. 282. Chartoum, 23 August 1854 Heuglin to Huber.

(١٦١) أمين سامى : المجلد الأول من الجزء الثالث . صفحات ٩٠ ، ١٠٧ .

(١٦٢) Staat—Archiv. Gen. Cons. Zu Alex. 1848—1860. No. 1473. Alex. 16. 10. 1855. Huber to Minister.

(١٦٣) أمين سامى : نفس المرجع . صفحة ١٥٠ .

بالذكر أن كتابا كثيرين ظلوا يعتقدون أن الغرض من تعيين الأمير حليم فى منصب الحكمدار إنما هو رغبة سعيد فى إقصائه وإرساله إلى « المنفى » حتى يطمئن فى القاهرة لأنه كان لحليم حقوق فى وراثة الولاية (١٦٤) ولكن هذا القول لا نصيب له من الصحة لأن ثقة سعيد فى أخيه كانت عظيمة كما أن اختيار الأمير لهذا المنصب كان بناء على رغبته هو (١٦٥) وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك دوافع ملحة لهذا التعيين منها ما كان متصلا بمشروعات سعيد السياسية وأهمها توسيع تلك الحقوق والامتيازات التى كفلتها الفرمانات لمصر والرغبة فى تعديل الوراثة حتى تصبح وراثة صلبيـة فى أسرة محمد على لتأييد مسند الولاية ومنع أى تدخل من جانب الأتراك فى شئون البلاد وتعطيل الإصلاحات اللازمة للنهوض بها (١٦٦) ، ثم الاستقلال بمصر إذا سنحت الفرصة (١٦٧) على أن سعيداً كان يريد أن يوفد إلى السودان حاكما يثق به كل الثقة يعمل على توفير أسباب الراحة للسودانيين ويصغى إلى كل ما قد يكون موضع شكواهم ويوطد سلطان الحكومة ويتخذ الأهبة لاستقبال سعيد نفسه إذا دعته الظروف إلى الانتقال إلى السودان واتخاذ الخرطوم مقراً لحكومته . قال ساباتييه Sabatier القنصل الفرنسى فى مصر عام ١٨٥٥ (١٦٨) « لقد عين حليم باشا حكمداراً على السودان وفى استطاعته إذا أحسن تصريف الأمور أن يبرر تلك الثقة التى حباه بها الجناب العالى وأن يدخل تحسينا

(١٦٤) Robinson. (Rulers). 44 .

(١٦٥) Halim Pacha. 742 .

(١٦٦) Mariette. 45 .

(١٦٧) Shukry. 18—21 .

(١٦٨) Aff. Etr. Egypte (26). No. 122. Caire 30. 11. 1855. Sabatier à M. le Comte Colouna Walewski.

كبيراً على أحوال السودانيين . . . هذا إلى أن حليما (الذى قلد منصب الحكمدارية فى ٢٤ نوفبر)[١٦٩] سوف يصطحب جماعة من الأوربيين الذين يريد الانتفاع بهم فى دراسة مختلف المسائل الجغرافية الخاصة بمجرى النيل الأعلى الذى تعذر حلها إلى الآن ، وبعد شهور قلائل من سفر الأمير كتب « إدوين دى ليون » Edwin de Leon الأمريكى إلى حكومته فى مايو ١٨٥٦[١٧٠] ، إنه لا مجال للشك فى أن سعيد باشا سيكون متأهباً عند سنوح الفرصة ليقوم بنفس الدور الذى قام به محمد على من قبل إذ نصب سعيد أخاه عبد الحليم باشا حكمداراً على الأقاليم السودانية تلك الأقاليم التى تعتبر المدخل إلى قلب إفريقية الوسطى والطريق الموصل إلى بلاد العرب على أن سعيدا يقف موقف الملاحظ الدقيق الذى يرقب فى حذر وانتباه نتائج ما ألم بتركيا من ضعف يتزايد على الأيام كما يرقب آثار تلك المنافسة الظاهرة بين الدول الأوربية » أما ما كان ينتظر من إصلاح على يد الحكمدار فقد تحدث عنه الأمير نفسه بعد حوالى ثلاثين عاما فقال « إن ما أوصانى به أخى (من ضروب الأصلاح ووسائله) التى يجب على اتخاذها . . . أنه كان يهدف إلى ضرورة دعم أركان الأمن وإدخال الطمأنينة على نفوس الأهلين ولما كان أساس المساوىء التى يشكو منها السودانيون راجعاً إلى طغيان تجار الرقيق فى أقاليم النيل العليا وتعطيل التجارة المشروعة فى النيل الأبيض فقد بات القضاء على تلك المساوىء يتطلب إنشاء المحطات أو المراكز العسكرية على طول النيل الأبيض وفرض رقابة فعالة على الملاحة فى هذا الجزء من النهر[١٧١] .

---

(١٦٩) أمين سامى : نفس المرجع . ص ١٦١ — ١٦٢ ؛ Robinson (Rulers) 44 .

(١٧٠) Abdin. Amer. vol II. Alex. 1. 5. 1856. Edwin de Leon to Marcy .

(١٧١) Halim. 742 .

لهذا لم يكد الأمير يصل إلى الخرطوم حتى « فحص الشئون والأحوال ونظر فى كافة الأعمال لإصلاح المعوج منها بقدر الإمكان [١٧٢] » كما أنه أدخل بعض التغييرات الإدارية لتسهيل مهمة الحكومة وتأمين الحدود ونشر ألوية الأمن فى أقاليم البحر الأبيض [١٧٣] وقد استحق الأمير الحكمدار ثناء سعيد باشا فكتب إليه يقول « حصل لنا غاية السرور من ذلك واقتضى إصدار هذا لحضرتكم كى بحسن تدابيراتكم يصير الحصول على المقصود من إدخال كمال الأمن والأمان على ما كان بالديار المذكورة وإعلان البشر ولين الجانب وما تطمئن به قلوبهم »[١٧٤] غير أن عبد الحليم لم يعمر طويلا فى تلك البلاد فقد انتشر فيها الوباء الأصفر وأشار عليه الأطباء بالرحيل عن الخرطوم فعاد إلى مصر وبعد زوال هذا الوباء زار سعيد السودان[١٧٥] .

وكان الغرض من هذه الزيارة أن يقف الباشا بنفسه على حقيقة الأحوال فى الأقاليم السودانية وإجراء الأصلاحات التى ظهرت ضرورتها بعد انقضاء نيف وثلاثين عاما على وضع الترتيبات المالية والأدارية التى ظلت سارية فى السودان منذ أيام الفتح الأولى فقد أمر محمد على حكمدار السودان على خورشيد « بتنظيم أمور سنار عند وصوله إليها » فبادر خورشيد « بالاجتماع مع مأمورى المصالح وعقد معهم مجلسا وتداولوا فى المصالح أو الشئون المجدية وغير المجدية لذات المصلحة » ليحيوا الترتيبات المالية التى وضعها المعلم حنا الطويل أيام الأمير اسماعيل ثم أعد على خورشيد تقريرا مطولا عن نتيجة ما وصل اليه الرأى فى ترتيب « الميرى » وجباية الضرائب وتوزيع الفردة

(١٧٢) سرهنك — جـ ٢ : ص ٢٦٨ .
(١٧٣) Bolognesi. 386; D'Aumont. 195—196.
(١٧٤) أمين سامى : نفس المرجع ص ١٥٥ .
(١٧٥) شقير : جـ ٣ : ص ٣١ : تاريخ ملوك السودان وأقاليمه . ص ١٤٠ .

وما إلى ذلك وعند وصول هذا التقرير إلى القاهرة انعقد مجلس المشورة فى أغسطس ١٨٢٦ بحضور البك الدفتر دار والمعلم حنا الطويل وبعض كبار رؤساء المصالح « للبحث فى التقرير الذى قدمه حكمدار السودان »[١٧٦] وأسفر البحث عن وضع القواعد المالية التى أخذت بها حكومة السوادن من ذلك الحين إلى وقت زيارة سعيد باشادون أن يعتورها أى تغيير غير أن النهضة العمرانية العظيمة التى بذر بذورها محمد على ثم تعهدها برعايته حتى نمت فى عهده وفى عهد خلفائه سرعان ما أحدثت آثارا عميقة فى حياة البلاد الاقتصادية فظهرت مدن جديدة واختفت أخرى أو فقدت أهميتها وانتعشت الزراعة فى بعض الجهات وانصرف الناس فى جهات أخرى إلى الاشتغال فى مصانع النيلة وغيرها كما ازدحمت بالسكان بلدان وكادت تقفر أخرى من ساكنيها وفضلا عن ذلك فقـــد اختلفت قوة النقود الشرائية تبعا لازدياد النشاط التجارى كما حدث بسبب ازدهار تجارة العاج وانتشار تجارة الرقيق أن غادر كثيرون الحقول وذهبوا إلى أقاليم النيل العليا يبغون الربح السريع وقد استلزم ذلك كله إعادة النظر فى تقدير الضرائب وتوزيعها وطرق جبايتها وتخفيف العبء عن كاهل الأهالى الذين ظلوا يفلحون الأرض ويزرعونها على جانبى النيل وفى أرض سنار الخصيبة وفى جهات الكردفان وقد تحدث عن هذه المسائل جميعها فى كثير من التفصيل والإسهاب قنصل النمسا العام فى الخرطوم الدكتور هوجلين إذ أرسل إلى حكومته فى عام ١٨٥٢[١٧٧] عدة تقارير فى

---

(١٧٦) عابدين . المعية . محفظة ١٩ بحر برا . رقم ٢٢ . صورة محضر مجلس المشورة الذى انعقد فى يوم السبت الثامن من محرم ١٢٤٢ (١٢/٨/١٨٢٦) .

(١٧٧) Staat—Archiv. Consul. Rep. No. 1055. Alex 30. 6. 1854, Enclo. Kartoum 25. 4, 1854. Report of Dr. Heuglin; ibid. Gen—Cons. Egypt 1854. No. 142. Cairo 12. 2. 1854. Enclos. Chartoum 5. 11. 1854. (Rep. of Dr. Heuglin); ibid. Gen. Cons. 1848—1860. No. 1664. Constple. 28. 10. 1854. Enclos. Chart. 23. 8. 1854. Heuglin to Huber.

هذا الشأن وحذا حذوه وكيل القنصل الانجليزى هناك جون بتريك(١٧٨) وكثيرون غيرهما وهكذا أصبحت هذه الترتيبات المالية القديمة مثار الشكوى لدى الأهلين ولم يكن فى استطاعة الحكمدارين أن يفعلوا شيئا دون أن يدخل تغيير جوهرى شامل على التنظيم المالى والإدارى فى هذه البلاد ورأى سعيد أن يذهب بنفسه إلى السودان حتى يدرس الأحوال عن كثب ومما قاله سعيد للقنصل الفرنسى ساباتييه(١٧٩) إن غرضه الوحيد من السفر إلى سنار أن يتمكن من زيارة الأقاليم السودانية التى فتحها والده حتى ينظر فى عناية بالغة فى اتخاذ كل ما يقتضيه الحال من إصلاح لتحسين شئون السودان وأهله وبعث هوبر القنصل النمساوى فى مصر إلى حكومته فى أول نوفمبر ١٨٥٦ رسالة يبين فيها سبب هذه الرحلة فيقول إن سعيدا ذكر له فى أحد أحاديثه معه أنه يرجو من وراء تفتيشه هذه الأقاليم السودانية الداخلة تحت إدارته أن يصيب نجاحا فى ميدانى الادارة والسياسة بالعمل على إزالة كل أسباب الشكوى واستمالة رؤساء القبائل وتأمين الحدود بالوسائل السلمية من ناحيتى الحبشة ودارفور(١٨٠) وفى اليوم السابق لسفره جمع سعيد القناصل لمقابلته وتحدث اليهم عن الغرض من رحلته إلى السودان فقال إنه يريد أن « يفحص إدارة السودان فحصا دقيقا لأن البلاد مضى عليها حوالى ثمانية وثلاثين عاما دون إعادة النظر فى شئونها المالية وتوفير الأسباب التى تمكن من تنمية مواردها » ومما يجدر ذكره أن سعيدا قال فى أثناء هذه المقابلة إنه يعتزم إرجاع

---

(١٧٨) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٤٧٥ رقم ٤٣٩ فى ١٧ صفر ١٢٦٧ من الجناب العالى إلى حكمدار السودان مرفق حرف (ج) ترجمة الكتاب المؤرخ ٢١ حيزران (يونيه ١٨٥٠) الوارد من جون بتريك المقيم فى كردفان إلى جناب المسيو جلبرت وكيل قنصل الانجليز العام . ثم انظر : Petherick. 105, 128. 130 et seq .

(١٧٩) Aff. Etr. Egypte (27). No. Alex. 30. 11. 1856. Sabatier à Walewski .

(١٨٠) Staat–Archiv. Gen — Cons. Zu Alex. 1856. No. 31/2007. Alex. 1. 11. 1856 Huber to Buol—Schauenstein .

هذه البلاد الى المشايخ والملوك من زعمائها الوطنيين إذا اتضح أنه بات من المتعذر إجراء الأصلاح المطلوب على أن هوبر عندما نقل خبر هذه المقابلة وهذا الحديث إلى حكومته(١٨١) وجد من واجبه أن يسجل ملاحظة هامة على قول سعيد باشا الأخير فكتب يقول « إن ما ذكره سعيد باشا عن إرجاع البلاد إلى المشايخ والملوك لا يتفق مع ما يعرفه الجميع عن آرائه التى صرح بها مرارا طوال المدة السابقة تلك الآراء التى يتضح منها أنه ينظر إلى امتلاك السودان باعتباره مسألة على جانب كبير من الخطر والأهمية » ولا جدال فى أن موضوع إخلاء السودان وانسحاب الحكومة المصرية منه على النحو الذى يصوره بعض المؤرخين من الموضوعات التى يجب ألا تترك دون تمحيصها والفحص عن حقيقتها لأن التفكير فى اخلاء السودان ما كان يدور بخلد سعيد وربما كان خاطرا عابرا فإن الباشا ما كان يتخيل قط أنه عاجز عن إصلاح السودان أو أن السودانيين قد يفيدون شيئا من انسحاب الحكومة المصرية من بلادهم أو أنهم يستطيعون ملء الوظائف الادارية والعسكرية الكبيرة فى وقت كان يتطلب المحافظة على حدود البلاد وإنعاش حياتها الاقتصادية رجالا كسبوا مرانا وخبرة فى شئون الحكم والادارة وفنون الحرب والقتال .

وكان السبب فى ذيوع أسطورة إخلاء السودان تلك الرواية التى اختلقها فردنند دلسبس Lesseps «صديق» سعيد فقد أثبت فى «ذكريات رحلته إلى السودان» تفاصيل حديث دار بينه وبين الباشا جاء فيه أن الوالى المصرى شكا إليه من حرج الموقف الذى وجد نفسه فيه واستحالة إصلاح شىء وإزالة ما كان يشكو منه السودانيون ثم قال إنه لا يجد سبيلا للخروج من هذا المأزق سوى ترك السودان (١٨٢) وقد نقل الكتاب عن دلسبس هذه الأقصوصة واعتقد

---

(١٨١) Staat— Archiv. Gen— Cons. Zu Alex. 1856, No. 32. Cairo 28.11.1856 Huber to Buol-Schauenstein.

(١٨٢) Lesseps. Souvenirs d'un Voyage au Soudan. Paris 1848.

صحتها كثيرون ومع هذا فالأدلة موفورة على أن هـذه الرواية لا نصيب لها من الصحة على الإطلاق إذ أن دلسبس لم يشر إلى هذا الحادث لأول مرة إلا بعد ثمانية عشر عاما (١٨٣) أما تفاصيله فلم ينشرها إلا بعد سبع وعشرين سنة من وقوعه ولعله مما يشكك فى صحة الرواية قوله إن سعيدا أبدى هذه الرغبة وهما يتناولان الطعام على مائدة واحـــدة « منفردين » ولم يحضر هذا الحديث غيرهما (١٨٤) وقد حرص دلسبس على إعادة ذكر هذا الحادث فى مناسبات تالية (١٨٥) وهذا الاحتراس الذى أبداه دلسبس حين ذكر أن أحدا غيره لم يستمع إلى حديث سعيد باشا فيـــه ما يكفى للتشكيك فى صحة هذه الرواية وبخاصة إذا عرفنا أن سعيدا كان يصحبه فى رحلته إلى السودان عدد من الأجانب غير دلسبس منهم موچيل بك Mougel الذى رافقه حتى كورسكو (١٨٦) وپوپولانى Popolani قنصل البرتغال العام وباولينو بك Paolino اليونانى الأصل الذى سبق له أن صحب محمد على إلى فازوغلى (١٨٧) هذا عدا هوجلين القنصل النمساوى والدكتور إجناز كنوبلخر Knoblecher رئيس البعثة الكاثوليكيـة (التبشيرية) فى الخرطوم وقد لازم كلاهما سعيدا خلال وجوده فى السودان وأطلعاه على كثير من الحقائق ووثق بهما الباشا وكان لآرائهما أثر ظاهر فى مختلف ضروب الإصلاح التى صدرت بهـا مرسومات الخرطوم الأربعة فى يناير ١٨٥٧ (١٨٨) وإنه لما يدعو إلى

---

(١٨٣) Lesseps. op. cit. 495.

(١٨٤) Lesseps. op. cit. 496.

(١٨٥) Lesseps. (Souvenirs de quarante ans) vol II. 47—48.

(١٨٦) Staat—Archiv. Gen. Cons (1856). No. 32. Cairo 28. 11. 4856; also Abbate. 5.

(١٨٧) Abbate. 52.

(١٨٨) Staat—Archiv. Gen — Cons. Zer Alex und Cairo. 1857. No 5 Cairo 1. 3. 1857; ibid No. 6/323 Cairo 11. 4. 1857.

الحيرة والريبة ألا يطلع الباشا أحدا من هؤلاء على نيته وثقته بهم عظيمة ويختص دلسبس فيفضى اليه بمكنون سره مع أن أقل ما يمكن أن يقال عن دلسبس فى ذلك الحين أنه لم يكن مقربا من سعيد ولم يكن الباشا راضياً عن سفره إلى السودان (١٨٩) لأن دلسبس على ما رواه المعاصرون ما كان يعنيه شيء خلال هذه الرحلة سوى الإلحاح على سعيد حتى يظفر منه بالموافقة على كل ما كان لديه من مسائل خاصة بامتياز قناة السويس وقد نشر طبيب سعيد الدكتور أباته Abbate أخبار هذه الرحلة عقب عودته منها ولم يشر بتاتا إلى رغبة سعيد فى إخلاء السودان (١٩٠) هذا إلى أن هوجلين ظل يبعث إلى حكومته بأنباء تلك الرحلة تباعا وبالتفصيل منذ بدئها حتى نهايتها ومع ذلك فانه لم يشر إلى مسألة الإخلاء على الإطلاق ولما كان إرجاع السودان إلى المشايخ والمكوك الوطنيين من المسائل التى لا شك فى أنها تثير اهتمام السودانيين ولما كان اتخاذ مثل هذه الخطوة لا يمكن أن يظل الحديث عنه سرا مكتوما فقد كان من المعقول — لو كان الأمر صحيحا — أن يذكر السودانيون عنه شيئا فى تواريخهم ولكن صاحب (تاريخ ملوك السودان وأقاليمه) لم يتناول هذه المسألة على خطرها (١٩١) كما أن ناسخ هذا المخطوط الذى وصل بحوادثه فيما بعد إلى عام ١٨٧١ اكتفى باثبات رواية (تاريخ ملوك السودان) دون تغيير (١٩٢).

والواقع أنه لم يكن ثم ما يدعو سعيدا إلى التفكير فى إخلاء السودان إذ أن الإصلاح لم يكن بالأمر الذى يصعب عليه إجراؤه بل ان سعيد باشا منذ وطئت قدماه أرض السودان لم يتوان فى تنفيذ الإصلاحات التى

---

(١٨٩) أمين سامى: نفس المرجع هامش ١ صفحة ٢١٠.

(١٩٠) Abbate. 26—29; 47—54.

(١٩١) تاريخ ملوك السودان. ص ٤١.

(١٩٢) British Museum. Ms. Or. 2345; Macmichael. II. 40. (CCCXIV).

ارتآها ضرورية لتنظيم شئون الحكم والإدارة وازالة أسباب الشكوى فأعلن عند وصوله بربر فى أوائل يناير ١٨٥٧ ابطال تجارة الرقيق (١٩٣) ثم جمع المشايخ وكل أولئك الذين جاءوا لاستقباله، على اختلاف مراتبهم (وسألهم) أن يؤمروا عليهم أميراً يختارونه من بينهم ممن يستبشرون بإمارته ويتوسمون فيه الخير للبلاد وتحصل على يده السكينة والخلود إلى الطاعة وأن يقدروا مبلغ الخراج الذى يسهل عليهم القيام به بلا كلفة ولا مشقة، ففرح الحاضرون بذلك ، وطلبوا أن يربط على كل ساقية خراجا قدره مائتان وخمسون قرشا فى كل سنة ، فلم يرتح سعيد إلى ذلك ، لكثرته مع حاجة البلاد إلى التخفيف (وأمر) بألا يزيد خراج كل ساقية عن مائة وخمسين قرشا وخراج كل فدان من أرض الجزائر خمسة وعشرون قرشا وأما أراضى العلو فعشرون قرشا لاغير فكان لهذا العمل أحسن وقع فى قلوب سائر الرعية وفرحوا فرحا لا يوصف وأخلدوا إلى السكون والطاعة وهنأ بعضهم بعضا وأرسلوا يستقدمون من هاجر منهم وترك الأوطان ، (١٢٤).

ولم يكد يصل إلى شندى حتى أعلن فى حضور الرؤساء والمشايخ الذين هرعوا لمقابلته ، إنه سوف يعيد إلى مصر كل الموظفين الترك ويترك إلى الأهلين وسكان البلاد أمر العناية بشئونهم بأنفسهم وأنه يريد أن ينشىء بينهم المجالس (المحلية) التى هى فى الحقيقة العامل الرئيسى الذى لاغنى عنه فى وجود كل الجماعات المنظمة ، ثم يقول « لسبس » إن الباشا كافه البقاء فى شندى بضعة أيام حتى يتعاون مع رجاله فى تأليف هذه المجالس على أن يكون تكوينها من بين رؤساء الأسر بطريق الانتخاب (١٩٥) وعند وصوله الخرطوم

---

(١٩٣) شقير : ج ٣ : ص ٣١ — ٣٢ .

(١٩٤) Abbate. 4 .

(١٩٥) Lesseps, (Souvenirs d'un Voyage) 496 .

أمر سعيد بطرد الموظفين الذين ثبت إهمالهم وكان بين المعزولين على جركس باشا الحكمدار ثم رئيس مجلس الخرطوم وهو المجلس الذى ينظر فى قضايا السودان وعين فى مختلف الوظائف عدداً كبيراً من أهل البلاد (١٩٦) وأخذ بعد ذلك ينظر فى الترتيبات « الموجبة لاستراحة الأهالى ورفاهيتهم فى مديريات التاكة وكردفان وفازوغلى وسنار بعد أن سبق له النظر فى الترتيبات اللازمة لمديريتى بربروجاعلين » (١٩٧) وفى ٢٦ ينايرعام ١٨٥٧ أصدر المرسومات الاربعة التى تضمنت القواعد الادارية والمالية الجديدة (١٩٨) أهمها تقرير الضرائب بالاتفاق مع أعيان البلاد على هيئة جمعية وجعل الفصل فى المنازعات والقضايا المحلية من اختصاص المشايخ والمكوك وتشكيل مجلس لبحث القضايا التى يتعذر على هؤلاء الفصل فيها وتخفيض ضرائب الأطيان والسواقى وإناطة جمعها بمشايخ البلاد إلى غير ذلك من الإصلاحات التى كانت تهدف الى الترفيه عن السودانيين وإشراكهم فى حكومة بلادهم إشراكا فعليا وقد أجمل هوبر هذه الإصلاحات المتعددة فى تقرير مطول بعث به إلى حكومته فى ١١ مارس ١٨٥٧ أوجز فيه طائفة من البيانات التى بعث بها إليه هوجلين من الخرطوم فقال (١٩٩) « إنه قد أزيلت الآن جميع المساوىء بفضل القواعد والأنظمة التى وضعها سعيد باشا فقد ألغيت الحكمدارية العامة وأنقص عدد المديريات من ست الى خمس وتسلم الادارة فى هذه المديريات مديرون مسئولون عن عملهم مباشرة أمام حكومة القاهرة وفضلا عن ذلك فقد ملئت الوظائف برجال جدد أكثرهم من المشايخ الوطنيين والمكوك ثم استبدل بنظام الضرائب القديم

---

(١٩٦) Staat — Archiv. Gen — Cons. Zu Alex. und Cairo 1857. No. 6/323 . Cairo 11. 3.1857

(١٩٧) أمين سامى : نفس المرجع ص ٢٠٨ .

(١٩٨) Merruau. 318—334 ; Abbate. 29—46 ; Lesseps, op. cit. 512—515 .

(١٩٩) Staat — Archiv. Gen. Cons. Zu Alex. und Cairo 1857. No 6/323 . Cairo. 11. 3. 1857

نظام جديد أقل منه صرامة هـــذا إلى إلغاء ماكان متأخرا من الضرائب المستحقة التى ظلت عشرات السنين مدونة فى سجلات المديرين كما ألغيت جميع الضرائب التى كانت تحصل على الحرف والصناعات وكذا جميع ضروب الاحتكار ... وقد خفض ما كان يطالب الفلاحون بدفعه إلى أقل حد مستطاع » ويقول لسبس « فى وسع أى إنسان أن يذكر دون أن يتهم بالمغالاة أنه منذ صدرت هذه الأوامر والمرسومات بدأت البلاد تخطو خطواتها الأولى فى طريق الحضارة والعمران »[٢٠٠] وقال « پول مربو Merruau » لقد سن محمد سعيد خلال الايام القليلة التى أقامها بالسودان طائفة من القوانين تؤدى إلى استئصال المساوىء من جذورها ... وليس هناك مايعيب تلك القوانين سوى أنها تتسم بطابع الحرية الواسعة التى لاتدرك قيمتها شعوب قبلية تكاد تعيش على الفطرة وما تزال راسفة فى قيود الجهالة »[٢٠١]

وقد وطد سعيد باشا عزمه على أن ينهض بتلك « الشعوب القبلية » إلى مصاف الأمم المدينة وأدرك أن تحقيق ذلك متعذر إلا إذا سهل الاتصال بين السودان والعالم الخارجى لذلك عنى بأنشاء الطرق وتعبيدها فى دنقلة والخرطوم وبناء سكة حديدية بين بربر وسواكن حتى تجد المنتوجات والمصنوعات الهندية والاوروبية طريقها الى السودان فتزدهر تجارته ويسهل تصدير محصولاته إلى أسواق اليمن والحجاز وغيرها من الأسواق ولم يحل دون إنشاء السكة الحديدية بعد إعداد المشروع سوى مايتكلفه بناؤها من فادح النفقات[٢٠٢]

ولعل أهم ما أسفرت عنه رحلة سعيد باشا إلى السودان توسعه فى إشراك السودانيين فى شئون الحكم والادارة على نحو لم يسبق له مثيل فقد شكل المجلس والنادى واشترك المشايخ والمكوك فى تقدير الضرائب وعهد إليهم بتحصيلها

---

(٢٠٠) Lesseps. (Memoire) .15 .

(٢٠١) Merruau. 184 .

(٢٠٢) Bonola 40 ; Abbate 54 .

فى المديريات وأقبل الكبابيش وغيرهم على معاونة الحكومة فى شئون الضبط والربط وتنصيب الشيخ رجب إدريس عدلان شيخاً على جبال الفونج (٢٠٣) وعين سعيد باشا على مديرية الخرطوم أراكيل بك الأرمنى وهو شقيق نوبار وقريب بوغوص يوسف وزير محمد على وقد اختاره سعيد لاعتقاده أنه الرجل الذى يدرك أهمية ما يريده الباشا من إصلاحات ومن ثم يعمل على تنفيذها فى إخلاص وأمانة (٢٠٤) قال هوجلين « إن أراكيل على مايبدو هو فى الحقيقة الرجل الذى خلق لملء هذا المنصب بسبب تربيته الأداريه وما يتحلى به من واسع المعرفة فضلا عما كسبه من خبرة بفضل ما كان يشغله من المناصب » قبل مجيئه إلى السودان (٢٠٥) وقد نفذ أراكيل فعلا الأصلاح المنشود فألغى السخرة والعقوبات البدنية القاسية (٢٠٦) وعمل على استجلاب محبة الوطنيين وقرب منه الشيخ الزبير بن الشيخ عبد القادر الزين وظل الشيخ الزبير مدة « معه متولى أمور المشايخ ومتوسط بينه وبينهم » (٢٠٧) ومع أنه حدث فى بادىء الأمر شىء من التذمر من جانب المشايخ والرؤساء السودانيين لتنصيب مسيحى عليهم فقد استطاع أراكيل بلين عريكته وحسن كياسته أن يجتذب قلوبهم إليه . قال عنه صاحب تاريخ ملوك السودان « كانت له مفهومية ودراية بالأحكام السياسية وكان لين العريكة للرعية » (٢٠٨) ومن أعماله أنه أنشأ مجلس تجار بالمديرية وطلب قانونا « من قوانين مجلس التجار الجارى بالمحروسة لفك الدعاوى بموجبه » (٢٠٩) وقام خير قيام بتنفيذ تلك

---

(٢٠٣) أمين سامى . ص ٢١٠ — ٢١١ ؛ شقير ج ٣ : ص ٣١ — ٣٢ .

(٢٠٤) أمين سامى . ص ٢١١ ؛ ثم Abbate 48 .

(٢٠٥) Staat—Archiv. Gen. Consl Zu. Alex. und Cairo 1857.
No/323 Cairo11-3-1854

(٢٠٦) Lejean. (Voyage) 46 .

(٢٠٧) British Museum. Ms. Or. 2345. p. 50 ; Macmichael II. 402 .

(٢٠٨) تاريخ ملوك السودان . ص ٤١ .

(٢٠٩) أمين سامى . ص ٢٣٠ .

المرسومات التى أصدرها سعيد وسماها أحد المعاصرين « دستور السودان الجديد »(٢١٠) وتوفى أراكيل بالخرطوم وعين سعيد مكانه حسن بك سلامة أو « سلامى » الشركسى ، وكان عفيفا ولم يمد يده إلى تناول شىء من الرعية كما هى عادته وسجيته ، (٢١١) ثم خلفه محمد راسخ بك وقد أعيدت الحكمدارية بعد انقضاء مدته وعين موسى حمدى حكمدارا على عموم السودان فى مايو ١٨٦٢ (٢١٢) فغادر القاهرة فى آخر مايو ووصل الخرطوم فى بداية أغسطس من العام نفسه ولم تكد تمضى بعد ذلك ستة شهور أو نحوها حتى ذاع نبأ وفاة محمد سعيد باشا فى ١٨ يناير ١٨٦٣ . وباعتلاء اسماعيل أريكة الولاية بدأت صفحة جديدة فى تاريخ السودان .

---

(٢١٠) Lejean (Voyage) 36 .

(٢١١) تاريخ ملوك السودان ، ص ٤١ .

(٢١٢) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٢٧ أمر كريم رقم ١ فى ٨ ذى القعدة ١٢٧٨ من إسماعيل باشا القائمقام الخديوى إلى موسى حمدى ؛ ثم رقم ٣ فى نفس التاريخ من دولة الباشا القائمقام إلى مديرية كردفان .

— ٥ —

الخديو إسماعيل والعصر الذهبي فى السودان

كانت السنوات الأربع عشرة التى سبقت اعتلاء إسماعيل أريكة الولاية بمثابة فترة انتقال فى حياة السودان تأيدت فى أثنائها وحدة الوادى بعد أن استهدفت الأقاليم السودانية للضياع بسبب أزمة التنظيمات الخيرية العثمانية ووضحت الحاجة إلى الإصلاح الإدارى والاقتصادى بعد مضى حوالى نيف وثلاثين عاما على ذلك الترتيب الذى وضعه محمدعلى لحكومة البلاد وإنعاش حياتها الاقتصادية وأصدر سعيد مرسومات الخرطوم الأربعة (١٨٥٧) لسد هذه الحاجة ثم هدد كيان البلاد الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ظهور مشكلة الرق والنخاسة فى أواخر عهد سعيد بصورة بلغت من الخطورة حداً اقتضى علاجا سريعا حاسما ولذلك فقد بات واضحا أنه لا معدى عن اتباع سياسة حازمة على أيدى حكومة رشيدة مصلحة إذا أريد النهوض بهذه البلاد وقد شاءت عناية المولى جل شأنه أن يقع الاختيار على محمد على لأداء هذا الواجب النبيل ، نحو السودان وأهله عند ما كان السودانيون ما يزالون فى دور الطفولة [٢١٣] ثم شاءت عنايته جل شأنه أن يكون من نصيب حفيده إسماعيل معالجة كل تلك المشكلات التى تمخضت عنها فترة الأنتقال السابقة ويأتى من شتى ضروب الإصلاح ما جعل هذه الأقاليم السودانية تستمع بنهضة اجتماعية اقتصادية عظيمة .

وقد استرشد العاهل الكبير فى خطته العمرانية المستنيرة بتلك القواعد التى استنها محمد على من قبل وسار عليها عباس الأول ومحمد سعيد وأساسها

---

(٢١٣) شكرى — (صفحة من تاريخ السودان الحديث) ٢٨ — ٢٩ .

إنشاء حكومة أبوية ذات برنامج إصلاحى واضح يكفل السير بالأقاليم السودانية فى طريق الحضارة والرقى فلم يكن ثم معدى عن توطيد السلام فى ربوع السودان وقطع دابر المفسدين وتأمين الأهلين على أرواحهم وأموالهم وتمهيد السبيل لمعاونتهم على الاستقرار والعيش المنتظم الهادىء حتى يقبلوا على الزراعة والصناعة والتجارة فتنتعش الحياة الاقتصادية ويعم الرخاء ويكثر العمران ولا تذهب سدى تلك الجهود التى بذلها العاهل العظيم لنشر التعليم وتعزيز الثقافة الإسلامية بالبلاد. ولم تختلف وسائل اسماعيل فى تحقيق ذلك كله عن وسائل جده محمد على ووسائل أسلافه فتخير أكفاء الرجال لملء مناصب الحكم فى الخرطوم وفى سائر الأقاليم وزودهم بتعليمات وإرشادات يستبين منها مدى ما كان يؤمله من إصلاح على أيديهم وأشرك العناصر الوطنية فى شئون الحكم والإدارة إلى حد لم يسبق له مثيل فقطعت سودنة الوظائف فى عهده شوطا بعيدا على أن العمل بهذا المبدأ سرعان ما شمل مناطق الزنوج أنفسهم فى مناطق النيل العليا.

وكان موسى حمدى عند وصول العاهل العظيم إلى الولاية حكمدارا على السودان منذ عهد سعيد باشا إذ أن «سعيداً» عينه فى هذا المنصب فى عام ١٨٦٢ حتى يمضى فى إجراء الاصلاحات التى تضمنتها المرسومات الأربعة بكل همة وحتى يؤيد سلطان الحكومة المركزية فى الخرطوم ويقضى على الرق والنخاسة (٢١٤) وقد حرص موسى حمدى على تنفيذ أوامر حكومة القاهرة (٢١٥) فيقول صاحب تاريخ ملوك السودان أنه «أرسل إلى كل مدير من المديريات أن يحضر بنفسه وصحبته مشايخ مديريته وأعيانها، فحضروا جميعا ثم عقد منهم مجلسا يبحث فى وسائل الإصلاح المنشود واستطاع

---

(٢١٤) Abdin. Corresp. franç. 72/1. f. 3728. Observations sur le Commerce Européen en Soudan. 1865.

(٢١٥) F. O. 84/1247 (Slave Trade) No. 7. Alex. 10. 7. 1865.

الحكمدار أن يرتب الحكومة ترتيبا حسنا ووضع الأموال على حسب ما اقتضاه رأيه السديد بطريقة تدفع حصول الضرر على الرعية وجعل لكل فلاح سركيا بما جعل عليه وأمر أن كل ما أورده الفلاح من التقسيط يورد لدى صراف ناحيته المعين لقبض الاموال ويوضع القدر الذى أورده على السركى الذى بيده ويقيد فى يومية الصراف وجعل من الأهالى نظارا لأجل أن يتمرنوا ويدخلوا فى الانسانية »(٢١٦) . وقد نجحت حكومة موسى حمدى فى جذب قلوب السودانيين وامتدحه صاحب تاريخ ملوك السودان وكافأه سعيد باشا على غيرته ونشاطه فأنعم عليه برتبة المير ميران الرفيعة فى يوليو ١٨٦٢ (٢١٧) ولذلك لم يشأ اسماعيل أن يستبدل به غيره إذ توسم فيه القدرة على الذود عن البلاد التى عهدت إليه إدارتها ودعم سلطان الحكومة فى أرجائها والنهوض بها نهضة عظيمة فكتب اليه فى مارس ١٨٦٣ « وحيث أن هذا القطر الجسيم قد الحق بالمملكة المصرية من قديم الزمن واصبح حقاً مكتسباً لها فالواجب يقضى بعدم إضاعة شيء فى من حدوده المعينة وبما أن تعمير وإصلاح الاقليم المذكور وإدخاله فى عداد المديريات المصرية التى هى اكثر عمرانا وازدهارا وكذلك توسيع نطاق تجارته من أقصى آمالى وأفكارى فبناء عليه يلزم أن تعاملوا سكانه وقاطنيه بالعدل والحقانية وأن تبذلوا أقصى جهدكم فى سبيل زيادة العمارية وتوسيع نطاق تجارته وإيصاله إلى غاية الكمال من ناحية استتباب الأمن واستقرار السلام »(٢١٨) وقام موسى حمدى بتنفيذ هذه التعليمات الصادرة إليه خير قيام إلى حد أكسبه ثناء السودانيين ومديحهم فارتأى إسماعيل أن يكافئه برتبة روم

---

(٢١٦) تاريخ ملوك السودان وأقاليه . صفحات ٤١ — ١٤١ : شقير ج ٣ : ص ٣٣ .

(٢١٧) عابدين . المعية تركى . دفتر ٥٢٧ رقم ٧ فى ١٢ محرم ١٢٧٩ من دولة القائمقام الى موسى حمدى باشا حكمدار السودان .

(٢١٨) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٢٦ رقم ١٦ فى ٦ شوال ١٢٧٩ إرادة سنية الى موسى حمدى .

إيلى بكلربك والوسام المجيدى من الطبقة الثانية نتيجة ، لرضا الأهالى عنه وسرورهم به حسبما وصل إلى علم ، اسماعيل[٢١٩] وهكذا ظل موسى حمدى يشغل منصب الحكمدارية بنجاح حتى وفاته بالخرطوم فى مارس ١٨٦٥[٢٢٠]

وخلف موسى حمدى فى منصبه جعفر صادق باشا وقد طلب إليه اسماعيل أن يعنى ، بتنظيم أشغال تلك الأقاليم (السودانية) كما هو مأمول منه وينظر فى القضايا والدعاوى على الوجه الموافق ويديرها فى المحـــور اللائق ويحق حقوق عباد الله ويهتم بعمران الأقاليم السودانية وتمدينها لا سيما جهات البحر الأبيض ويعنى بالتسهيل فى شئون تجارتها مع النظر فى توسيعها وعليه أيضا (أن يقوم) بقمع الأحوال المخالفة وأن يتوسل بالأسباب الحسنة والوسائل الممكنة فى تقرير الأمن العام وتأسيس الرفاه واستمراره على الدوام ،[٢٢١] ومع أن الحكمدار الجديد لم يقض فى السودان سوى ستة شهور فقد استطاع أن يقضى على الفتن التى أثارها بعض الجنود فى مديرية التاكة وكانوا خليطا من الدنكا والفور والنوبة والمولدين وكانت الحكومة قد أرسلتهم لتحصيل الضرائب من قبائل العربان فى تلك الجهات فتذرعوا بما أشيع وقتذاك عن رغبة الحكومة فى إبعادهم عن السودان فانقضوا على كسلا ينهبونها ويقتلون الأهلين الوادعين[٢٢٢] وقد عاون الحكمدار فى إعادة الأمن إلى نصابه كل من آدم بك وهو أحد كبار الضباط السودانيين وجعفر مظهر باشا الذى أوفد خصيصا من مصر مع قوة كبيرة لهذه الغاية[٢٢٣] وكان سبب استدعاء جعفر

---

(٢١٩) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٣٠ رقم ٢٣ فى ٢ ذى القعدة ١٢٧٩ من المعية إلى الجهادية .

(٢٢٠) شقير — ٣ : ٣٩ .

(٢٢١) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٣٧ رقم ١ فى ٢٤ محرم ١٢٨٢ (١٩ يونيه ١٨٦٥).

(٢٢٢) Aff. Etr, Egypte (36) No. 33. Alex. 9, 9, 1865 Garnier à Outrey. Annexée. Mission du Soudan. Khart. 5. 5. 1865 ; ibid No. 32 Annexée. Khart. 24. 7. 1895. Thibaut a Outrey .

(٢٢٣) شقير — ٣ : ٤٥ — ٤٧ ؛ Robinson (Rulers) 46 .

صادق إلى مصر أنه مرض مرضا خطيرا جعل من المتعـــذر بقاءه فى السودان[٢٢٤] فتولى بدله جعفر مظهر باشا .

وكان الحكمدار الجديد رجل همة واقتدار وصاحب مشروعات إصلاحية متعددة اكتسب خبرة إدارية واسعة بسبب تقلبه فى مناصب الحكم والإدارة فى مصر ولا سيما عندما كان مديراً فى الصعيد[٢٥٢] . وقد طلب إليه اسماعيل عند تعيينه فى يناير ١٨٦٦ « أن يبادر بتحرى الأسباب والوسائل الممكنة واللازمة لتنظيم وإصلاح هذه البلاد كما هو مطلوب وملتزم لديه وأن يهتم بتكثير وتوسيع التجارة والزراعة التى هى الأساس الوحيد للعمران والترقى وأن يعنى بمزيد الاهتمام والدقة بخصوص صيانة ووقاية الأهالى الذين هم وديعة البارى تعالى فى عهدتنا من الغدر والأضرار ومعاملتهم بالعدل والإنصاف وتأمين رفاهيتهم وسعادتهم من كل جهة »[٢٢٦] فقام جعفر مظهر بمهام منصبه الجديد خير قيام حتى شهد بذلك معاصروه من الأجانب فى الخرطوم[٢٢٧] ولم يكن نجاح جعفر مظهر أمراً مستغرباً ذلك بأنه كان حاكما مستنيراً يحرص على إجراء الإصلاحات العمرانيـة المفيدة ويسعى إلى نفع السودانيين ويعمل على تنوير أذهانهم وليس أدل على ذلك من أنه طلب إلى حكومة القاهرة أن تعهد إلى رفاعة رافع الطهطاوى بإتمام ترجمة كتاب الجغرافية العمومية لملطبرون Molte-Brun وإرسال الترجمة الكاملة إلى السودان كى يفيد أهل البلاد من قراءته والإطلاع على ما يحويه

(٢٢٤) شقير — ٣ : ٤٨ .

(٢٢٥) Schweinfruth I. 37–38.

(٢٢٦) أمين سامى . المجلد الثانى من الجزء الثالث . ص ٦٣٣ — ٦٣٤ . إرادة لجعفر باشا (مظهر) فى ١٦ شعبان ١٢٨٢ (ترجمة صفحة ٣٤ دفتر ٥٥٨ قسم أول) :

(٢٢٧) Aff. Etr. Egypte (43). No. 16. Alex. 27. 7. 1868. Annexée Khart. 26. 6. 1868. ;

من معلومات نافعـــة وكان رفاعة قد ترجم أجزاء من هذا الكتاب أيام محمد على.

وفضلا عن ذلك فقد وصلت إلى يد جعفر مظهر باشا نسخة بالفرنسية من كتاب الرحالة سبيك Speke الإنجليزى [٢٢٨] «يحتوى على مباحث ومواضع جمة تعود بالنفع العميم على سكان وأهالى الأقاليم السودانية والمصرية من منبع النيل إلى مصبه» فبعث بها إلى القاهرة ليقوم رفاعة بترجمتها وطلب أن ترسل إليه خمسون نسخة (من الترجمة) ليوزعها على المدارس السودانيـة والضباط العسكريين والموظفين المدنيين، وقد أجابه إسماعيل إلى ما طلب [٢٢٩] وكان جعفر باشا شغوفا بالوقوف على جميع ما كتب عن القطر السودانى فطلب فى أواسط عام ١٨٦٧ أن ترسل إليـه حكومة القاهرة نسخة من رحلة محمد بن عمر التونسى إلى دارفور إذا وجد الأصل أو يقوم رفاعة بترجمة هذه الرحلة عن اللغة الفرنسية التى نقلها إليها الدكتور پرون [٢٣٠] كما طلب أن يعهد إلى رفاعة بترجمة رحلة أخرى للشيخ التونسى فى الحبشة وتقع هـذه الرحلة فى مجلدين، وهما مختصران ومكتوبان باللغة الفرنسية ومحليان بالصور، والتمس إرسال الترجمة إليه بعد الفراغ منها [٢٣١] وقد أجاب إسماعيل هذه الرغبة وكان من أثر الحكومة الأبوية الرشيدة التى أقامها مظهر باشا فى السودان أن انجذبت

---

(٢٢٨) Speke. Journal of the Discovery of the Source of the Nile (etc). London 1863; ibid. Les Sources du Nil. Tr. E. D. Forgues Paris 1864.

(٢٢٩) عابدين. المعية (تركى) دفتر ٥٥٧ رقم ٥ فى ١٩ ربيع أول ١٢٨٣ إرادة إلى ديوان المدارس.

(٢٣٠) محمد بن عمر بن سليمان التونسى — تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، طبعها مع ملاحظات باللغات الفرنسية الأستاذ پرون (باريس ١٨٥٠)؛ Tounsy. Vayage Au Darfour. tr.de l'Arabe par. M. le Dr. Perron. Paris 1845.

(٢٣١) عابدين. المعية (تركى) دفتر ٥٦٠ رقم ٤ فى ٢ صفر ١٢٨٤ من المعية إلى ديوان المدارس. هذا ولم يعثر على رحـلة الحبشة. وللشيخ التونسى رحلة معروفة إلى واد آى قام بترجمتها الدكتور پرون فى عام ١٨٥١ ولم يعثر الأصل العربى، أنظر المصادر.

إليه قلوب السودانيين فامتدحه كبير علمائهم الشيخ الأمين بقصيدة عامرة كما تحدث الكثيرون عن مناقبه وحزن الجميع لفراقه حزنا شديدا عند ما انتهت مدة حكمداريته (٢٣٢).

وعندما عين أحمد ممتاز باشا مديرا على عموم قبلى السودان تشرف بمقابلة إسماعيل لتلقى إرشاداته قبل سفره إلى الخرطوم (٢٣٣) وكان ممتاز قد عين محافظا لسواكن منذ شهر أغسطس من عام ١٨٦٥ وأبدى كفاية عظيمة ونشاطاً ملحوظا فقدم إلى الخديو تقارير ضافية تتناول وجوه الإصلاح المنشود وقد تمت على يديه أعمال عمرانية كثيرة (٢٣٤) وعند ما استدعاه اسماعيل إلى القاهرة فى ابريل ١٨٧٠ استطاع أحمد ممتاز أن يعد تقريرا تحدث فيه عن وسائل تنمية زراعة القطن بنوع خاص ونال إعجاب الخديو (٢٣٥) فصدر أمر كريم فى مايو ١٨٧٠ بتعيينه محافظا على سواحل البحر الأحمر (٢٣٦) وفى ٣٠ سبتمبر ١٨٧١ صدر الأمر بتعيينه مديرا على عموم جهات قبلى السودان (٢٣٧) ومع أن ممتاز باشا كان يسترشد فى إدارته بمبادىء سامية تهدف إلى تحقيق الخير للسودان وأهله فقد جانبه التوفيق على ما يبدو فى إجراءاته فلم يصادف اختياره «على أفندى أبو خمسمية» مديرا لفاشودة أى نجاح (٢٣٨) وزاد ما كان متأخرا من الضرائب على الأهلين فى الخرطوم وسنار وفضلا عن ذلك فقد

---

(٢٣٢) British Museum. Ms. Or. 2345; aloo see Macmichal II. 404.

(٢٣٣) عابدين . المعية (عربى) دفتر ١٥٤٨ صفحة ٣ فى ١٥ رجب ١٢٨٨ فى المعية السنية الى مدير عموم قبلى السودان .

(٢٣٤) Douin III. 1 re Partie. pp. 423-429.

(٢٣٥) Douin III. 2 e Partie pp. 436—437.

(٢٣٦) أمين سامى — المجلد الثانى من الجزء الثالث ص ٨٦٢ أمر كريم صادر لمحافظة سواحل البحر الأحمر الى أحمد ممتاز باشا فى ٢٣ صفر ١٢٨٧ .

(٢٣٧) عابدين . المعية . دفتر ١٩٤٢ (أوامر عربى) رقم ١ فى ١٥ رجب ١٢٨٨ أمر كريم الى مدير عموم جهات قبلى السودان .

(٢٣٨) Marno. (Reisen) 328—331.

أساء الجنود عند تحصيل الضرائب معاملة الأهلين وصاروا يسخرونهم فى مختلف الأعمال وارتكب بعض الجنود من الآلاى الأول السودانى المكلف بحراسة «خزينة» المديرية فى الخرطوم سرقات كثيرة قدموا بسببها إلى المحاكمة أمام المجلس العسكرى (٢٣٩) فشكا الأهلون من إدارته وعظمت كراهية السودانيين لحكومته (٢٤٠) واتهم ممتاز باشا بالرشوة فأوقف عن العمل ١٨٧٢ وبدأ التحقيق فى الشكايات التى قدمت ضده ولكن « ممتاز » توفى بعد ثلاثة أعوام ولم تكن هذه التحقيقات قد انتهت (٢٤١) ولذلك فان أحدا لا يعرف مدى صحة هذه الاتهامات على وجه الدقة ويغلب على الظن أنها كانت تحمل طابع المغالاة .

أما الخديو فقد عين فى منصب المدير المعزول اسماعيل أيوب باشا وكان المدير الجديد بشهادة كثير من الأوروبيين الذين زاروا السودان فى عهده رجلا نشيطا على جانب كبير من الذكاء يجيد الفرنسية ويعرف الألمانية ويتقن آداب المعاشرة ويتصف بالكياسة (٢٤٢) وقد وجه اليه الخديو (رتبة اللواء الرفيعة) فى ٨ أغسطس ١٨٧٢ وجاء فى قرار تعيينه مديرا عاما لأقاليم قبلى السودان . « وحيث أن تلك المديريات المحالة إليكم صالحة مستعدة للتمدن والعمران من كل الوجوه فبناء عليه يجب أن تبادروا بتعليم وتلقين أهاليها أصول الزراعة والفلاحة وتأهيلهم بالتدريج للتمدن والعمران . وحيث أن رؤية وتسوية أمور ومصالح العباد فى دائرة الحق والعدالة ورفاهيتهم وحضارتهم وراحتهم من مقتضى إدارتنا فبناء عليه يجب أن تبذلوا أقصى

---

(٢٣٩) Douin III. 2 o Partie. pp 56—567.

(٢٤٠) British Museum. Ms. Or. 2345 ; Macmichael II. 404—405.

(٢٤١) شقير — ٣ : ٥٩

(٢٤٢) Baker (Ismailia) II. 488; Junker (1875—78) I. 172; Cosson II 223. Marno (Reisen) 307.

الجهد فى هذه المهمة لتحققوا آمالنا المعهودة فيكم »(٢٤٣) وعند إعادة منصب الحكمدارية فى أوائل ديسمبر من العام التالى عين إسماعيل أيوب حكمدارا على السودان فطلب إليه الخديوى أن « يضاعف همته وغيرته المشهورة لغاية الآن ، وأن يبذل المساعى المؤدية لعمران هذه البلاد وإخراج الأمور النافعة والمستلزمة لرفاهية وراحة سكانها إلى حيز الفعل »(٢٤٤) وقد ظل إسماعيل أيوب يشغل منصب الحكمدارية بنجاح حوالى خمس سنوات حتى عين الخديو غردون باشا حكمدارا على السودان فى فبراير ١٨٧٧ .

ولما كان إشراك العناصر الوطنية من القواعد المقررة فى الحكم فقد خطت السودنة على أيدى هؤلاء الحكمدارين خطوات واسعة ذلك بأن الأخذ بهذا المبدأ الحكيم فى العهود الماضية أثبت أن الرؤساء والزعماء الوطنيين كانوا من أكبر مؤيدى الحكومة فأسدوا لها خدمات جليلة وعاونوها معاونة صادقة فى استتباب الأمن ونشر السلام فى طرق القوافل وتحصيل الأموال الأميرية أو الضرائب من القبائل والعشائر وتشجيع الأهلين على الاستقرار فى الحلال والمدن والأقبال على الزراعة والأخذ بأسباب المدنية الحديثة التى شاءت رغبة عاهل مصر العظيم أن ينعم بها السودان وأهله وعلى ذلك درج هؤلاء الحكمداريون على تعيين السودانيين فى الوظائف الهامة فكان منهم مديرون ونظار أقسام ومشايخ قبائل وأعضاء فى المجالس المحلية التى عممت فى أنحاء السودان كما كان منهم القضاة ورؤساء التجار ووصل جماعة منهم إلى أعلى الرتب العسكرية وحرص الحكام المصريون على التماس الرتب

---

(٢٤٣) أمين سامى — المجلد الثانى من الجزء الثالث ص ١٠١٠ ارادة لاسماعيل أيوب باشا فى ٣ جمادى الآخرة ١٢٨٩ .

(٢٤٤) عابدين • المعية (تركى) دفتر ٢ رقم ١ فى ١١ شوال ١٢٩٠ ارادة لاسماعيل أيوب باشا ؛ ثم انظر أمين سامى المجلد الثانى من الجزء الثالث ص ١١٠٦ أمر كريم للمالية فى نفس التاريخ .

والنياشين لهؤلاء جميعا تقديرا لخدماتهم ومكافأة لهم على جدهم ونشاطهم وأجرى الخديو عليهم الرواتب المستحقة تشجيعا لهم فكان عصر الخديو اسماعيل لهذا كله عصر ازدهار السودنة فقد عين موسى حمدى الشيخ « أحمد أبو سن » من كبار الشكرية مديرا للخرطوم وأثبت الشيخ كفاية ومقدرة فى « إدارة الجزيرة إدارة حسنة » فبادر اسماعيل بالإنعام عليه بالرتبة الثانية « نظرا لاجتهاده ونشاطه فى تمشية أمورها ومصالحها » (٢٤٥) وعندما قصد موسى حمدى إلى القاهرة فى يولية ١٨٦٣ لمقابلة اسماعيل اصطحب معه « احمد بك أبو سن » وعددا من كبار السودانيين فأكرم اسماعيل وفادتهم وأنعم عليهم بالرتب وأجاب موسى حمدى باشا إلى ماطلبه من الانعام على طائفة أخرى (٢٤٦) وكان نصيب أحمد بك أبو سن من هذه الانعامات سيفا ذهبيا وحمائل ذات قيمة إظهارا لرضاء اسماعيل عنه وذلك بناء على ماشهد به موسى حمدى نفسه عن مبلغ نشاطه . (٢٤٧) وفضلا عن ذلك فقد جعل الحكمدار « من الاهالى نظار أقسام ومعاونين » وعين الشيخ زبير عبد القادر شيخا للمشايخ أى رئيسا لهم (٢٤٨) والزبير عبد القادر هو ابن الشيخ عبد القادر ود الزين صديق خورشيد باشا « وأحمد باشا أبو ودان » وكان صاحب مقام رفيع وعضو فى مجلس الخرطوم نال تقدير جعفر مظهر باشا بعد ذلك فالتمس الانعام عليه بالرتبة الرابعة وأجابه إسماعيل إلى ذلك (٢٤٩) وكثر فى السنوات

---

(٢٤٥) عابدين المعية (تركى) دفتر ٥٢٦ قسم ثانى رقم ١٠ فى ٨ شعبان ١٢٧٩ من الجناب العالى الى حكمدار السودان .

(٢٤٦) تاريخ ملوك السودان وأقاليمه . صفحة ٤٢ .

(٢٤٧) عابدين المعية (تركى) دفتر ٥٣٧ رقم ٧ قسم ثانى فى ٢ رجب ١٢٨١ من الجناب العالى الى حكمدار السودان ؛ ثم دفتر ٥٠٣ رقم ٢٤ (بند الموكب العالى) فى ٢٩ جمادى الثانية ١٢٨١ من رياض باشا الى ناظر الخارجية .

(٢٤٨) شقير — ٣ : ٣٣ ؛ ثم .Douin III. 1 re Partie. p 134

(٢٤٩) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٨٣ رقم ٦ فى آخر شوال ١٢٨٦ من الجناب العالى الى حكمدار السودان .

الأخيرة عدد من ولى الأحكام من الوطنيين ونالوا الرتب الرفيعة فأنعم على آدم باشا من كبار الضباط السودانيين برتبة اللواء (٢٥٠) كما رقى حسين بك خليفة شيخ العبابدة ومدير بربر إلى الرتبة الثانية (٢٥١)

وكان الحكمدار جعفر مظهر من أكبر العاملين على نجاح سياسة السودنة واستمالة الرؤساء والزعماء الوطنيين إلى تأييد الحكومة فقد صحب عند زيارته مصر فى ابريل ١٨٦٧ عدداً من كبار السودانيين كان منهم الشيخ ابراهيم موسى شيخ قبائل الهدندوة فأنعم عليه اسماعيل بالنيشان المجيدى من الرتبة الرابعة وانتهز جعفر مظهر فرصة وجوده بالقاهرة فطلب لطائفة من مشايخ القبائل الرتب والنياشين المختلفة وأجابه اسماعيل إلى طلبه فنال حامد موسى شيخ قبائل بنى عامر التابعة لمديرية التاكة الرتبة الرابعة وكل من محمود ولد زايد شيخ قبائل الضبـــاينة التابعة لمديرية سنار وعوض عبد الكريم أبو سن شيخ الشكرية التابعة لمديرية الخرطوم والشيخ جمعة شيخ جهة القلابات النيشان المجيدى من الرتبة الثالثة (٢٥٢) وكان من بين الذين حصلوا على النيشان المجيدى من الرتبة الرابعة محمد الشناوى « سر تجار » سواكن تقديراً لما قدمه من خدمات جليلة للحكومة (٢٥٣) كما نال فى مصوع أحد مشائخها محمود أحمد راتباً شهرياً من الحكومة (٢٥٤) .

---

(٢٥٠) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٧٣ رقم ٣ ثم رقم ١٣ فى ١٢ جمادى الثانية ١٢٨٤ من الجناب العالى إلى السردار شاهين باشا ثم الى آدم باشا .

(٢٥١) عابدين . المعية . دفتر ١٩٣٤ (أوامر عربى) رقم ١١٣ فى ٧ جمادى الآخر ١٢٨٧ من الجناب العالى الى حسين بك خليفة مدير بربر .

(٢٥٢) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٧٣ رقم ٤ فى ١٧ ذى القعدة ١٢٨٤ من الجناب العالى ؛ محفظة ٤٣ رقم ١١٤ فى ٢٧ شوال ١٢٨٤ التماس من جعفر مظهر ؛ دفتر ٣٠١ رقم ٨٣٧ فى ٢٧ شوال ١٢٨٤ . من المهردار الى حاكم السويس .

(٢٥٣) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٧٣ رقم ٤٣ فى ٢١ صفر ١٢٨٤ أمر كريم الى عبد القادر باشا .

(٢٥٤) عابدين . المعية (تركى) . دفتر ٥٦٠ رقم ١٢ فى ٥ ربيع الثانى ١٢٨٤ من شريف باشا الى حكمدار السودان .

وفى عهد أحمد ممتاز باشا خطت السودنة خطوات واسعة عندما اعتزم مدير عموم قبلى السودان تنظيم المجالس المحلية وتعميمها إذ أراد أن يجعل من مكتب العرضحالات فى مديرية التاكة « مجلسا خصوصيا » يعهد برياسته إلى الشيخ حامد موسى ناظر قسم بنى عامر السابق كما أجرى تعديلا فى مجالس مصوع وسواكن وكسلا المحلية بحيث أصبح من اختصاصها بحث المنازعات التجارية إلى جانب النظر فى « العرضحالات » المقدمة إليها وعلى أن يكون أعضاؤها من أعيان البـــلاد وتجارها ينتخبهم الأهالى والأعيان والعمد واختار ممتاز باشا لرياسة مجلس كسلا كبير تجارها حليم أفندى هندى ولرياسة مجلس سواكن سر تجارها محمد أفندى الشناوى ولرياسة مجلس مصوع عبد الله أفندى خليل من كبار التجار(٢٥٥) وزيادة على ذلك عمل ممتاز باشا على تنظيم مجلس الخرطوم عند تحويله من « مجلس بلدى مختصر إلى مجلس استئناف لرؤية قضايا السودان » واقترح تعيين أحد « الذوات من أرباب الرتب » رئيسا له هو محمد مفتى بك كما عين لوكالة المجلس قاسم أفندى « من أهالى السودان » وقد ظل فى خدمة الحكومة بديوان الخرطوم مدة ثلاثين عاما والتمس ترقيته إلى الرتبة الرابعة(٢٥٦) وفى عهد ممتاز باشا كذلك تكونت أربعة بلوكات من العساكر السودانية لاستخدامها فى « مأمورية النيل الأبيض » ورقى ضباطها السودانيون الثلاثة عشر إلى مختلف الرتب العسكرية(٢٥٧) وقد ظل الرؤساء الوطنيون والعلماء موضع عطف ورعاية

---

(٢٥٥) عابدين . المعية دفتر ١٩٣٥ (أوامر عربى) رقم ٦ فى ٩ محرم سنة ١٢٨٨ ، رقم ١٤ فى ١١ ربيع ثانى ١٢٨٨ أمر كريم الى أحمد ممتاز باشا .

(٢٥٦) عابدين . المعية دفتر ١٨٦٤ (عربى) رقم ٣٦ فى ١١ جمادى الثانيه ١٢٨٩ من مدير عموم قبلى السودان الى المعية السنية .

(٢٥٧) عابدين . المعية . دفتر ١٩٤٢ (أوامر عربى) رقم ٥٦ فى ٥ ذى الحجة ١٢٨٨ أمر كريم صادر الى مدير عموم قبلى السودان .

فعهد إلى محمد أفندى أبو حجل ناظر قسم الرباطاب بمديرية بربر (وهو من مكوك السودان السابقين) بأدارة مأمورية دنقلة[٢٥٨] وعندما توفى الشيخ يوسف درويش من فقهاء بربر وافقت القاهرة على الاستمرار فى صرف ما كانت تجريه على الشيخ من أرزاق ورواتب إلى ولده الشيخ صالح وأسرته للإنفاق منها كذلك على من يترددون عليه من الطلاب[٢٥٩] .

وقد شهد عهد اسماعيل أيوب باشا (١٨٧٢ — ١٨٧٧) تطبيق مبدأ السودنة على نطاق واسع سواء أكان ذلك فى السودان الأوسط ودارفور أم فى محافظة سواحل البحر الأحمر (وكانت ذات إدارة منفصلة) أم فى هرر أم فى زيلع وبربرة . وبدأ اسماعيل أيوب عهده بأن التمس تعيين الشيخ محمد حسين سر تجار الخرطوم رئيسا لمجلس الخرطوم ، المعد للفصل فى القضايا التجارية والسياسية ، كما اقترح تعيين أحد كبار الوطنيين من التجار والعمد المعروفين بالكفاية والنزاهة وكيلا لهذا المجلس وقد وافق الخديو على ذلك[٢٦٠] وفى سبتمبر ١٨٧٢ اقترح اسماعيل أيوب تعيين الشيخ على ، ثانى أولاد المرحوم أحمد بك أبو سن ، شيخا لعربان الشكرية لما هو معروف عنه من الأمانة والاستقامة واقترح كذلك تعيين أخيه الشيخ عوض الكريم ، معاونا فى عموم المديرية ، بالخرطوم فأجيب إلى رغبته وأنعم على الشيخ ،على أبو سن، بالرتبة الرابعة تشريفا له[٢٦١] .

---

(٢٥٨) عابدين ، المعيـة ، دفتر ١٨٥٩ (عربى) رقم ٢ مرور فى ٨ شعبان ١٢٨٨ من مدير دنقله وبربر الى المعية السنية .

(٢٥٩) عابدين . المعية . دفتر ١٨٥٣ (عربى) رقم ٨ فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٨٨ المعية الى ممتاز باشا مدير عموم قبلى السودان .

(٢٦٠) عابدين ، المعية . دفتر ١٩٤٢ (أوامر عربى) رقم ١٤ فى ٢٧ جمادى الثانية ١٢٨٩ أمر كريم صادر الى مدير عموم قبلى السودان .

(٢٦١) عابدين ، المعية ، دفتر ١٩٤٢ (أوامر عربى) رقم ٣١٢ فى ٢٧ جمادى الثانية ١٢٨٩ فرمان صادر الى الشيخ على أبو سن الخ .

وكان من بين السودانيين الذين نالوا حظوة لدى أيوب باشا بسبب ما أظهروه من همة وكفاية محمد التهامى والشيخ حسن ابراهيم وكان محمد التهامى أفندى من موظفى ديوان الخرطوم مدة الحكمدارين السابقين عينه اسماعيل أيوب « معاوناً وكاتب مرور » وعهد إليه « بمراجعة جرانيل العسكرية وتحرير المكاتبات الجارى عرضها للمعية السنية بالتلغراف والبوسطة » وشهد الحكمدار بأنه ظل طوال هذه المدة « محافظاً على أسرار الحكومة » كما أبدى نشاطاً ملحوظاً « فى مأمورية فتح سد البحر الأبيض » وقد صحب التهامى افندى أيوب باشا فى حملته على دارفور « وأحسن الخدمة » فى أثنائها. ولهذا التمس الحكمدار الأنعام عليه بالرتبة الرابعة « لكونه شباب ومن أهل الوطن واكتسب هذه المعرفة فى ساحة ولى النعم بالسودان (ويعد الأنعام عليه بالرتبة) مكافأة له وتشريفا لأهل السودان أمثاله رعية ولى النعم » فأجيب الحكمدار إلى ملتمسه (٢٦٢) أما الشيخ حسن ابراهيم « من أهالى الخرطوم (فكان رجل) أمانة وفيه ثقة » إنتدب لايصال بعض الهدايا لأحد رؤساء الأحباش وهو حاكم غندار فى عام ١٨٧٢ فقام بمهمته على خير وجه وقربه اسماعيل أيوب منه (٢٦٣) وفضلا عن ذلك فقد التمس الحكمدار الانعام بالرتب على الشيخ صالح شيخ القلابات ومحمود ولد زايد شيخ الضباينة وجرى الحكام على تدريب السودانيين على الاضطلاع بشئون الحكم فى السودان الشرقى وحرصت الحكومة على استمالة العربان المنتشرين حول سواكن ومصوع وفى إقليم التاكة وغير ذلك من الجهات فشكل فى مصوع منذ عام ١٨٦٥ مجلس « للنظر

---

(٢٦٢) عابدين . المعية . دفتر ٥ معية سنية وارد الافادات رقم ٩ مرور فى ٢٦ ذى القعدة ١٢٩١ من حكمدارية السودان الى المعية . وصدر أمر عال فى ٧ صفر ١٢٩٢ نمرة ٢ وحفظ .

(٢٦٣) عابدين . المعية دفتر ١٨٦٤ (عربى) رقم ١٩ فى ٢٦ رمضان ١٢٨٩ من مدير عموم قبلى السودان .

فى القضايا والدعاوى التجارية ، كان رئيسه على نحو ما تقدم ذكره الشيخ عبد الله خليل وأعضاؤه من عمد البندر ،[٢٦٤] وعندما وجد أن عدد القضايا التى ينظرها هذا المجلس قليلة بحيث يكفى الشيخ عبد الله خليل والأعضاء للفصل فيما قد يحدث من منازعات تجارية رؤى الاكتفاء بهذا الترتيب عام ١٨٧٢[٢٦٥] وكان من رأى منزنجر الاكتفاء بتشكيل مجالس محلية فى كل من مصوع وسواكن وكسلا على أن يكون أعضاؤها من التجار الوطنيين ورؤساء القبائل ومع أن منزنجر عاد فألغى مجلس سواكن فى ابريل ١٨٧٢ فقد قرر المجلس الخصوصى فى القاهرة إنشاء هذا المجلس ثم صارت قضايا مجلس كسلا تستأنف أمام مجلس سواكن وقضايا سواكن أمام مجلس مصوع وقضايا مصوع أمام مجلس كسلا[٢٦٦] وفى طوكر كان المأمور يعهد بملاحظة عربانها إلى أحد الرؤساء الوطنيين وهو الشيخ عبد القادر على وقد قام بواجبه خير قيام فأنعم عليه الخديوى بالرتبة الرابعة[٢٦٧] وطلب مدير التاكة زيادة مرتبات الشيخ أحمد حجاج بقسم الحلانقة والشيخين محمد محمد الفيل والبخيت على الفيل من مشايخ قسم بنى عامر فأجيب إلى طلبه نظراً لحصول اجتهادهم فى ضبط وربط الأهالى شياختهم وخصوصا أن مشايخ قسم بنى عامر المحكى عنهم

---

(٢٦٤) عابدين . المعية . دفتر ١٨٥٩ وارد المعية (عربى) رقم ٥ فى ٦ رجب ١٢٨٢ من محافظة مصوع الى المعية السنية .

(٢٦٥) عابدين . المعية . دفتر ١٨٥٢ (معية عربى) رقم ٤ فى ١٨ رجب ١٢٨٨ من المعية السنية الى محافظة مصوع ؛ ثم دفتر ١٨٦٠ (معية عربى) رقم ٢ فى ١٨ رجب ١٢٨٩ من المعية الى المجلس الخصوصى .

(٢٦٦) عابدين . المعية . دفتر ٢٩ (المجلس الخصوصى) رقم ١ فى ٢١ ربيع أول ١٢٩٠ من منزنجر الى المجلس ؛ ثم دفتر ٨٢ (المجلس الخصوصى) فى ٩ رجب ١٢٩٠ قرار المجلس .

(٢٦٧) عابدين . المعية . دفتر ١٨٥٢ (المعية عربى) رقم ٥٣ فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٨٨ المعية السنية إلى ديوان المالية ، ثم دفتر ١٨٤٧ معية عربى رقم ٣ مرور فى ٥ جمادى الثانية ١٢٨٨ من محافظة سواحل البحر الأحمر الى المعية السنية .

مجتهدين فى إصلاح الأهالى ورفاهيتهم وتشويقهم فى زراعة الأقطان،(٢٦٨) وحرصت الحكومة على منح الهدايا والعطايا لمشايخ العربان تشجيعا لهم على المضى فى ولائهم لها وبذل الهمة فى خدمتها بأمانة وإخلاص فكان ذلك من عوامل استتباب الأمن فى تلك الجهات وعمارها(٢٦٩)

ومنذ صدر فرمان الباب العالى بأحالة مرسى زيلع إلى الخديوية المصرية فى يوليو ١٨٧٥ حرص الخديو اسماعيل على إشراك العناصر الوطنية فى الحكم على نحو أفضى إلى نتائج باهرة من حيث زيادة العمران فى هذا الثغر والنشاط التجارى به وأدى إلى إقبال الأهلين على تأييد سياسة الحكومة فى مكافحة تجارة الرقيق وفى إرسال حملات الفتح على إمارة هرر المستقلة تنفيذا لهذه السياسة ذاتها ذلك بأن اسماعيل لم يكد يتم له احتلال زيلع حتى حفظ لأميرها الشيخ «أبو بكر شحيم» مكانته بين قومه فعينه وكيلا لمحافظة زيلع الجديدة وأنعم عليه بالرتبة الثالثة وما لبث أن عينه محافظا لزيلع فى نوفمبر ١٨٧٥ (٢٧٠) هذا إلى مبادرة الخديو بأرسال كساوى التشريف الى عشرين شيخا من العلماء والتجار فى زيلع كما أنعم بالنيشان المجيدى من الرتبة الخامسة على السيد البار سر تجارها وقد ظل السيد البار ملحوظا بعين الرعاية والعناية وعند وفاته أمر الخديو بتقليد الشيخ محمد عمر من أهل زيلع منصب سر التجار بها(٢٧١) وأولى

---

(٢٦٨) عابدين . المعية . دفتر ١٩٤٢ (أوامر عربى) رقم ٢٢٩ فى ٢٢ صفر ١٢٨٩ أمر كريم الى مدير التاكة .

(٢٦٩) عابدين . المعية . سجل ٥٥٨ معية رقم ١ (قسم ثانى) فى ٧ جمادى الأولى ١٢٨٣ من الجناب العالى الى محافظ مصوع .

(٢٧٠) عابدين . المعية . دفتر ١٠ (أوامر عربى) رقم ٢٢ فى ١٦ رمضان ١٢٩٢ أمر كريم الى محافظ زيلع وملحقاتها محمد رؤوف باشا ؛ ثم رقم ٢٤ فى نفس التاريخ الى أبو بكر افندى شحيم وكيل محافظة زيلع وملحقاتها ؛ ثم رقم ٥٢ فى ١٢ شوال ١٢٩٢ أمر كريم الى أبو بكر افندى شحيم .

(٢٧١) عابدين . المعية . دفتر ١٠ (أوامر عربى) رقم ٢٢ فى ١٦ رمضان ١٢٩٢ ؛ ثم رقم ٢٤٥ فى ١٢ رجب ١٢٩٣ أمر كريم الى أبو بكر باشا محافظ زيلع .

الخديو محافظ زيلع ثقته فأشركه فى تنفيذ المشروعات العمرانية المتعددة(٢٧٢) وعند ما طلب أبو بكر شحيم تعيين وكيل للمحافظة « للاستحصال على تمدن الأهالى وعماريتهم ونجاز الأشغال والمساعدة فى كل ما يلزم » أجابه الخديو إلى ما طلب(٢٧٣) وكان من أثر هذه السياسة الحكيمة أن أقبل أبو بكر شحيم على تأييد الحكومة وبذل كل مساعدة لاستمالة الأهلين اليها فى جهات تاجورة وهرر فكتب الى الأمير محمد بن عبد الشكور أمير هرر يحضه على « الدخول تحت الطاعة » وأرسل ابنه برهان أفندى أبو بكر فى معية محمد رءوف باشا عند خروجه من زيلع فى حملة لافتتاح هرر فى سبتمبر ١٨٧٥ ثم كتب الى أهل تاجورة عند قيام منزنجر للتفتيش على هـــذه الجهات يحثهم على « قبول الطاعة » وعدم الإخلال بالأمن والنظام وأوفد ابنا آخر له هو موسى أبو بكر الى تاجورة للغرض نفسه . وعلاوة على ذلك أرسل أبو بكر شحيم ابنا ثالثا هو الشيخ ابراهيم الى جهات الحبشة المتاخمة لزيلع لاستجلاب مودة القبائل الضاربة قرب الحدود كما عهد إلى ابنه الرابع « محمد أبو بكر » بالإشراف على المنشآت العمرانية الهامة فى زيلع نفسها(٢٧٤) وقدر الخديو هذه الخدمات حق قدرها فأنعم على أبى بكر بك شحيم بالرتبة الثانية فى ابريل ١٨٧٦ ثم برتبة الميرميران فى يوليو من السنة نفسها وأعفى أبو بكر باشا من « رسوم التشريفات الخاصة بالرتبة » زيادة فى اكرامه(٢٧٥) .

---

(٢٧٢) عابدين . المعية . دفتر ١٠ (أوامر عربى) رقم ٧٩ فى ٢٥ ذى القعدة ١٢٩٢ أمر كريم الى محافظ زيلع أبو بكر شحيم .

(٢٧٣) عابدين . المعية . دفتر ١٧ معية عربى رقم ١٧٥ سايرة فى ٢٥ ذى القعدة ١٢٩٢ من محافظة زيلع إلى المعية السنية .

(٢٧٤) عابدين . المعية . دفتر ١٧ معية عربى الخ . رقم ٨٧ سايرة فى ٧ شوال ١٢٩٢ ثم رقم ١٦٢ سايرة فى ١٨ ذى القعدة ١٢٩٢ من محافظ زيلع إلى المعية السنية .

(٢٧٥) عابدين . المعية . دفتر ١١ (معية صادر) رقم ١١٧ فى ١٦ ربيع أول ١٢٩٣ من المعية إلى المالية ؛ ثم دفتر ٧ (بدون نمرة) تركى رقم ٢١ فى رجب ١٢٩٣ من المعية الى ديوان المالية ؛ ثم دفتر ٢ بدون نمرة معية رقم ٢٣ فى ٢٤ ذى القعدة ١٢٩٣ من الباب العالى إلى المالية .

وكان للمساعي التي بذلها أبو بكر شحيم فى هرر أثر ظاهر فى اقناع أميرها عبد الشكور بقبول التسليم طوعا لرءوف باشا فى اكتوبر ١٨٧٥ وفعل الخديو فى أول الأمر مع عبد الشكور ما فعله مع أبي بكر فعينه محافظا على هرر[٢٧٦] « اعتبارا له واظهارا لشأنه » . وجاء فى جواب الخديو إلى الأمير السابق « وبما أنه فى كل معلوم أن العمارية تعيش على الحقانية والحقانية ناجمة عن المعاملة بالعدالة وهذه نهاية أفكارنا وجل مقاصدنا فمأمول فيكم مراعاة ذلك ومعاملة الأهالى بالمدينة بالرفق والرعاية والعدالة المترتب عليهم زيادة عماريتهم وثروتهم وتقدم الوطن »[٢٧٧] وشرع رؤوف ينشىء مجلسا محليا على غرار مجالس مصوع وسواكن وكسلا للفصل فى قضايا الأهلين على أن يتولى عبد الشكور رياسة هذا المجلس[٢٧٨] ولكن عبد الشكور سرعان ما ركب رأسه فتآمر ضد رؤوف وأخذ يحرض القبائل للاعتداء على الجنود وانتهى الأمر بأن انتقم أحدهم لنفسه من عبد الشكور فقتله[٢٧٩] وعلى الرغم من ذلك فقد ظل أبناؤه موضع عطف الخديو ورعايته فأكرم أكبر أبنائه الحاج عبد الله وأغدق عليه العطايا والهبات[٢٨٠] ورغب الحاج عبدالله فى التشرف بمقابلة الخديو فأذن له فجاء فى صحبة أبي بكر باشا شحيم محافظ زيلع إلى القاهرة[٢٨١] وقوبل « بالرعاية والاحترام ... وبما أنه من الأشخاص

---

(٢٧٦) عابدين ـ المعية . دفتر عربى بدون نمرة صفحة ٣٠ فى ١٢ شوال ١٢٩٢ من المعية السنية إلى رؤوف باشا حكمدار هرر وملحقاتها .

(٢٧٧) عابدين . المعية ـ دفتر ١٠ (أوامر عوبى) رقم ٥٤ فى ١٢ شوال ١٢٩٢ أمر كريم إلى محمد بن عبد الشكور .

(٢٧٨) Abdin-Amer. vol XI. No 378 Cairo 26. II. 1875 Beardsley to Fish.

(٢٧٩) Shukry 256; Sabry 419.

(٢٨٠) عابدين . المعية ـ دفتر ١٧ معية عربى الخ رقم ٢٩٩ سايرة فى ٢ ربيع أول ١٢٩٣ من محافظة زيلع الى المعية السنية ـ

(٢٨١) عابدين ـ المعية . دفتر ١٧ معية عربى الخ رقم ٣٢٣ فى ١٩ ربيع أول ١٢٩٣ من محافظة زيلع الى المعية السنية ـ

الطائعين للحكومة الخديوية ولأوامرها وأصولها المرعية ، فقد أمر الخديو رؤوف باشا حكمدار هرر بعدم التعرض ، لما له من تعلقات وإرسالها له إذا أراد حضورها لطرفه ، واتخذ الحاج عبد الله زيلع مقراً له[٢٨٢] .

وكان من أثر هذه السياسة الحكيمة أن استطاع رءوف المضى فى إصلاحاته العمرانية المتعددة التى شملت موانى خليج عدن بعد أن ضمها الخديو إلى ممتلكاته وكان مما ساعد على ذلك أيضا حرص الخديو على اشراك شيوخ القبائل فى تحمل شيء من مسئوليات الحكم من بربرة وبلهار بصفة خاصة كما استمال الأهلين بارسال «الملبوسات الصوف» إلى « العقال والمشايخ » و «الكساوى والسيوف » لاهدائها الأهلين[٢٨٣] على نحو ما جرت به العادة فى سائر الأقاليم السودانية .

وقد اجتذبت سياسة السودنة وإشراك العناصر الوطنية فى الحكم والادارة قلوب زعماء السودانيين ورؤسائهم فاطمأنوا إلى حكومة المصريين وعمدوا إلى الانضواء تحت رايتها وآية ذلك أن الزبير رحمت الجيعانى على الرغم من ذلك الملك العتيد الذى شيده فى بحر الغزال[٢٨٤] مالبث حتى قدم فتوحه ، هدية لحكومة الخرطوم بمجرد أن تحرجت علاقاته مع عربان الرزيقات المنتشرين على حدود ، مملكته الشمالية ، كما تحرجت مع ابراهيم سلطان دارفور الذى انحاز إلى جانب العربان فى معاداة الزبير ولم تمنعه انتصاراته على أعدائه من محاولة استمالة حكمدار السودان اسماعيل أيوب باشا وكسب عطف الخديو فى القاهرة[٢٨٥] وقد وثق اسماعيل أيوب بالزبير وعرض على القاهرة

(٢٨٢) عابدين . المعية . دفتر ١٤٨ رقم ٦ فى ١٦ رجب ١٢٩٣ من المعية الى حكمدار هرر وملحقاتها .

(٢٨٣) عابدين . المعية . دفتر ٦ معية عربى رقم ٩٤ فى ١٠ محرم ١٢٩٢ نظارة المالية الى المعية السنية ، ثم دفتر ١١ معية صادر رقم ٢٣ فى ٢ صفر ١٢٩٣ المعية السنية الى الخاصة الخديوية .

(٢٨٤) Jackson 30—33; Vizetelly 10; Junker (1875—78) 372.

(٢٨٥) Shukry 225—227. (See Notes).

أن يعهد إليه بحكومة شكا وبحر الغزال بنـاء على رغبته [٢٨٦] فصدر الامر بتعيينه مديراً لبحر الغزال فى ٢٢ ديسمبر ١٨٧٣ [٢٨٧] ومهد انضواء الزبير تحت لواء الحـكومة المصرية لافتتاح دارفور وأسهم الرجل بنصيب وافر فى حملات الفتح وقد وجد بدارفور فى ذلك الحين كثيرون كانوا يؤثرون حكومة المصريين على حكومتها الوطنية الغاشمة إذ كانوا يؤملون أن يعمل المصريون على تعمير البلاد ومن هؤلاء الكثيرين الشيخ فضل المولى محمد سر تجار أم شنقة وأخوه الشيخ ابراهيم محمد وقد أرسلا إلى حكمدار السودان « شخصين من طرفهما سراً أخبراه بالأحوال » ثم قابلاه عند سير الحملة إلى دارفور خارج أم شنقة و « فاهماه بالحاصل وسارا معه إلى أن دخلوا البـلد وصارا يسعيان فى تأمين الأهالى والعربان والتجار فى أم شنقة وغيرها وأحضرا الابقار والغلال اللازمة للعساكر ولولاهما — على حد قول الحكمدار — لكان يجد البلاد خرابا ويتعسر تعييش العساكر لـكونهما أغنياء وأصحاب ثروة ونافذى الكلمة » [٢٨٨] وكان ممن ثبت ولاؤهم كذلك لحـكومة الخرطوم الخبير محمد إمام سر تجار دارفور وكان زوجاً لشقيقة السلطان ابراهيم وصفه الحكمدار بأنه كان « نافذ الـكلمة وله معرفة بكافة جهات دارفور » ومع ذلك فأنه كان « أول من قابل (اسماعيل أيوب) بالفاشر بالامتثال والطاعة واجتهد فى استحضار الغلال وغيرها للعساكر » كما أسدى خدمات جليلة لجيوش الخديو فى أثناء الفتح واحتذى مثاله أخواه الحاج حمزة إمام ومحمود إمام

---

(٢٨٦) طلعت — ١ : ٥٦ ، شقير — ٣ : ٧٤

(٢٨٧) عابدين . المعية دفتر ١٩٤٨ (أوامر عربى) رقم ٤ فى ١٧ ذى القعدة ١٢٩٠ أمر كريم إلى اسماعيل ايوب باشا ، ثم دفتر ١٨٧٥ رقم ٦٤ فى غرة رجب ١٢٩٠ من عموم قبلى السودان إلى المعية السنية .

(٢٨٨) عابدين . المعية . دفتر ٥ عربى وارد الافادات رقم ٢ مرور فى ١٥ شعبان ١٢٩١ من اسماعيل ايوب إلى المعية السنية .

« من وجوه تجار دارفور »[٢٨٩] ولم يكد الامر يستتب للمصريين فى دارفور حتى أنعم الخديو على الشيخ فضل المولى محمد وأخيه ابراهيم محمد بالنيشان المجيدى من الرتبة الرابعة للاول ومن الخامسة للثانى[٢٩٠] كما أنعم بالنيشان نفسه من الرتبة الرابعة على الحاج حمزة إمام « الذى هو أخى الخبير محمد بك إمام سر تجار دارفور ورئيس مجلسها » وكان الحاج حمزة إمام وأخوه محمود قد التمسا مقابلة الخديو بالقاهرة فأكرم الخديو وفادتهما وأوصى بهما خيراً عند عودتهما إلى دارفور[٢٩١] أما الزبير باشا رحمت فقد كافأه الخديو على ما بذله من جهود فى فتح دارفور بالانعام عليه بالنيشان المجيدى من الرتبة الثالثة[٢٩٢] وكان ممن كوفئوا كذلك من السودانيين على ماقدموا من مساعدات فى أثناء الفتح إلياس بك محمد سر تجار كردفان ورئيس مجلسها فقد نال النيشان المجيدى من الرتبة الثالثة[٢٩٣] والشيخ احمد محمد دفع الله « من معتبرين أهالى كردفان » وقد أنعم عليه بالرتبة الرابعة والنيشان المجيدى من الدرجة الخامسة ذلك بأنه « مع كونه ليس صاحب ثروة جسيمة فأنه لحبه فى الوطن قد جهز ٢٥٠ نفر من جماعته ... وأرسلهم فى هذه الدفعة لدارفور ولمساعدة

---

(٢٨٩) عابدين . المعية دفتر ٥ عربى وارد الافادات ، رقم ١٠ مرور فى ١٣ ذى الحجة ١٢٩١ من حكمدار السودان إلى المعية .

(٢٩٠) عابدين المعية ، دفتر ٦ معية عربى رقم ٢٧ فى ٢٠ شوال ١٢٩١ من نظارة المالية إلى المعية السنية .

(٢٩١) عابدين ، المعية ، دفتر ٧ بدون نمرة معية ٢ . ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤ صفحة ٧٢ فى ٨ ربيع الثانى ١٢٩٢ من المعية إلى ديوان المالية : ثم دفتر ٥ بدون نمرة بختم سعادة مهردار خديوى فى ٢٥ ربيع الثانى ١٢٩٢ ؛ ثم دفتر ١٤٧ معية عربى رقم ٢٢ فى ٢ رمضان ١٢٩٢ من المعية السنية إلى مديرية دنقله

(٢٩٢) عابدين . المعيـة . محفظة ٥٢ (تركى) رقم ١٢٦ فى ٢٥ ربيع الآخر ١٢٩٢ (وافادة صادرة لمالية رقم ٢٩ فى ٣ محرم ١٢٩٢) .

(٢٩٣) عابدين . المعية . دفتر ١٧ (عربى) رقم ٢ مرور فى ١٤ رمضان ١٢٩٢ من حكمدارية السودان إلى المعية السنيه .

العساكر »[٢٩٤] وقد استتبع ضم دارفور إلى ممتلكات الحكومة الانعام على كبار الاهلين الذين أظهروا الولاء للحكومة الجديدة تأميناً لهم على مراكزهم فنال الحاج على فضل الله النعيمة سرتجار كبكبية والحاج عمر إمام سرتجار مديرية داره الرتبة الرابعة [٢٩٥] واستقبلت أسرة السلطان ابراهيم بعد أن لقى حتفه فى معركة منواشى(٢٤ اكتوبر ١٨٧٤) بكل حفاوة وتكريم عندما أرسلت إلى مصر وفى طليعة أفرادها الامراء محمد خليفة وعبدالرحمن ومحمد جامع [٢٩٦].

تلك كانت معالم السياسة الوطنية الرشيدة التى اتبعها الخديو فى الأقاليم السودانية وهى سياسة كانت قائمة على احترام الشيوخ والزعماء والرؤساء الوطنيين وملء الوظائف بالسودانيين وإشراكهم فى الحكم والأدارة وكان لهذه السياسة أكبر الأثر فى تشييد صرح الحكومة الأبوية فى جزء الوادى الجنوبى وإتاحة الفرصة لهذه الحكومة حتى تعمل على بسط رواق الأمن والسلام فى ربوع السودان ونشر ألوية الثقافة والعرفان والقيام بالأصلاحات العمرانية الواسعة فى أرجاء البلادوكان تأسيس الحكومةالموطدةفى الخرطوم من أولى المسائل التى عنى بها حكمدارو السودان ومديروه عناية عظيمة لما يترتب على ذلك من تأمين الأهلين على أرواحهم وأموالهم ثم استمالتهم إلى الاستقرار فى قراهم ودساكرهم حتى يقبلوا على الزراعة ويزاولوا مختلف الحرف والصناعات ويرسلوا أبناءهم إلى معاهد التعليم فيتذوقوا بفضل ذلك

(٢٩٤) عابدين . المعية . دفتر ٥ (عربى) وارد الافادات رقم١٢ مرور فى ١٣ذى الحجة ١٢٩١ من حكمدارية السودان إلى المعية السنية .

(٢٩٥) عابدين . المعية . دفتر ١٧ (عربى) رقم ١٢ مرور فى أول رمضان ١٢٩٣ من حكمدارية السودان الى المعية السنية .

(٢٩٦) عابدين . المعية . دفتر ١٧ (عربى) رقم ٥ عموم فى ٢١ محرم ١٢٩٣ من حكمدارية السودان إلى المعية السنية ؛ ثم دفتر بدون نمرة عربى صفحة ٤٧ فى نمرة صفر ١٢٩٢ فى المعية السنية إلى محافظة مصر ، ثم فى ١٧ ربيع أول ١٢٩٣ من المعية إلى محافظة مصر .

كله طعم الحياة الهادئة المفيدة وعلى ذلك فقد اهتم موسى حمدى أول الحكمدارين فى العهد الجديد بشئون الأمن اهتماما كبيرا فأخذ على عاتقه تطهير البلاد من العابثين بالأمن وخاصة فى الجهات المتاخمة للحبشة حيث كان من السهل على العصاة والمفسدين أن يجدوا فى بلاد الأحباش معاقل يغيرون منها على الأهلين الوادعين فينهبون القرى ويسفكون الدماء ثم يلجئون إليها بعد ذلك فرارا من بطش الحكومة وكانت أكثر الأقاليم تعرضا لأذى هؤلاء الاشرار التاكة والقلابات والجهات الواقعة على طول الحدود فى الشرق والشمال الشرقى (٢٩٧) فاتخذ موسى حمدى عدة تدابير حكيمة ساعدت على قطع دابر هؤلاء الاشقياء (٢٩٨) فاستأمن كثيرون ممن فضلوا الالتجاء إلى حماية الرءوس الاحباش على البقاء فى أماكنهم عرضة لاغارات هؤلاء المعتدين وكان من بين العائدين الشيخ أحمد ميريه شيخ القلابات والشيخ أحمد أبو جن شيخ عربان رفاعة الشرق وعاد معهم جمع غفير من أتباعهم فكافأتهم الحكومة بتخصيص راتب شهرى للشيخ أحمد ميريه وتقليد « أحمد أبو جن » المشيخة على عربان رفاعة الشرق ثم تجاوزت عن « أموال أطيانهم » وأمر اسماعيل حكمدار السودان « ألا يضن عليهم بالمساعدة بأعطائهم التقاوى والحيوانات » تشجيعا لهم على الاستقرار والاشتغال بالزراعة واستصلاح الارض (٢٩٩).

وكان من الذين استأمنوا كذلك الملك ناصر من كردفان وذلك بعد أن ظل يناوىء سلطان الحكومة سنين طويلة واعتصم بجبل تقلى فتعذر عليها

---

(٢٩٧) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٣٠ رقم ٤ فى ٢٨ شعبان ١٢٧٩ من القائمقام إلى حكمدار السودان ، ثم دفتر ٥٢٦ (تركى) رقم ٨ (جزء ثانى) فى ٨ شعبان ١٢٧٩ إرادة إلى موسى باشا حمدى حكمدار السودان .

(٢٩٨) عابدين . المعية . (تركى) دفتر ٥٢٦ رقم ٢٠ فى ١٠ ذى القعدة ١٢٧٩ ارادة سنية إلى موسى حمدى ، ثم جزء ثانى رقم ٢٣ س ٨٣ فى ١٧ ذى القعدة ١٢٧٩ .

(٢٩٩) عابدين . المعية . دفتر ٥٢٦ (تركى) رقم ١٦ فى ٦ شوال ١٢٧٩ ثم رقم ٩٩ س ٧٠ قسم ثانى فى ٤ ذى القعدة ١٢٧٩ ارادة سنية إلى موسى حمدى .

إخضاعه ولكنه سلم الآن إلى موسى حمدى طوعا (٣٠٠) فأرسله الحكمدار إلى القاهرة وعفا الخديو عنه وأنزله بالمسافرخانة وعند عودته إلى السودان أعطى أرضا يعيش من ريعها وأوصى به اسماعيل حكمدار السودان خيرا (٣٠١) وأنزل جعفر صادق باشا العقاب الصارم بعربان البشارية الذين كثر اعتداؤهم على « التجار وسواهم من أبناء السبيل الذين يمرون فى جهاتهم » بين ساحل البحر الأحمر ونهر العطبرة (٣٠٢) وأصدر اسماعيل من القاهرة الأوامر المشددة لرعاية أهل القبائل السود بمديرية البحر الأبيض ومنع الأشقياء « الذين يسلبون أموال الرعايا والبرايا ويقلقون راحتهم » من الاعتداء عليهم وسلب مواشيهم ومحصولاتهم وكان أشد هؤلاء الأشقياء خطرا موسى ولد علوان البقارى وهو من قبيلة البقارة التى اشتهرت من قديم الزمن بتعكير صفو الامن وصيد الزنوج للاتجار بهم فى أسواق الرقيق (٣٠٣) وإلى جانب ذلك فقد ظل اسماعيل يعنى بتأمين طرق القوافل بين مصر والسودان وبخاصة طريق عتمور أبى حمد (إقليم الرباطاب) من اعتداء العربان الكبابيش وغيرهم عليها فشدد على الشيخ حسن خليفة مدير دنقلة ومتعهد طريق العتمور بضرورة السهر على سلامة الطرق كما أمر بأن يوضع تحت تصرف الشيخ قوة

---

(٣٠٠) Lejean (Voyage) 47—48; Petherick II. 7—8; Douin III. 1 re Partie 33—34. ثم عابدين المعية • محفظة ١٩ رقم ١٤ فى ١٨ رمضان ١٢٥٩ أحمد باشا أبو ودان إلى محمد على .

(٣٠١) عابدين • المعية • دفتر ٥٤٩ (تركى) رقم ٣١ فى ٢٩ جمادى الثانية ١٢٨١ من المعية السنية إلى محافظة مصر ثم دفتر ٥٢٩ (تركى) رقم ٥ فى ١٥ رجب ١٢٨١ من الجناب العالى إلى حكمدار السودان .

(٣٠٢) عابدين • المعية • دفتر ٥٥٢ (تركى) رقم ٣٩ فى ١٩ ذى الحجة ١٢٨١ من الباشا الباشمعاون الى حكمدار السودان •

(٣٠٣) عابدين • المعية • دفتر ٥٥٨ (تركى) رقم ١٣ فى ٢١ رجب ١٢٨٢ ارادة الى حكمدار السودان •

من الجنود تكفى لحراسة الطريق على أنه لم يكتف بذلك بل طلب إلى جميع المديرين أن يبذلو قصاراهم لتأمين الطرق والمحافظة على الارواح والاموال وإنزال العقوبة الرادعة بالمعتدين(٣٠٤).

وفى فبراير ١٨٧٣ زار القاهرة الشيخ فضل الله واد سالم شيخ الكبابيش والتمس من الخديو عند مقابلته أن يعيد إليه « تعهد » الطرق من دبة وكورتى إلى مديرية الخرطوم وبين أبو قس والأبيض فى كردفان فأجاب الخديو رغبته ضمانا لاستتباب الامن والسلام فى هذه الطرق (٣٠٥) وفضلا عن ذلك فقد عنى الخديو بشئون الامن فى جهات فازوغلى وأقاليم النيل الابيض فطلب من الحكمدارين أن يبذلوا النصح لشيوخ تلك الجهات وفى طليعتهم الشيخ رجب إدريس فى جبال الفونج ومحمد خير « شيخ عربان دنكا ووكيل مك القبيلة المسماة شلك »(٣٠٦).

وكان من أثر هذه التدابير جميعها أن توطدت دعائم الأمن مما ساعد الحكمدارين والمديرين على أن ينفذوا فى السودان إصلاحات كثيرة أهمها تحسين العاصمة وإنشاء المبانى الحديثة فى الخرطوم وغيرها من المدن واحتفار الآبار ومد أنابيب المياه العذبة إلى المدن وتنشيط الزراعة والتجارة وبناء السكك الحديدية وتعبيد الطرق لربط أقاليم السودان المختلفة بعضها بالبعض

---

(٣٠٤) عابدين ـ المعية . دفتر ٥٥٨ (تركى) رقم ٣٢ فى ٩ ربيع الثانى ١٢٨٣ إرادة الى حكمدار السودان ؛ ثم دفتر ٥٦٠ رقم ٧ قسم ثانى فى ٣ ذى الحجه ١٢٨٣ ؛ ثم محفظة ٣٩ رقم ١٤٨ فى ٩ ربيع الثانى ١٢٨٣ من الجناب العالى الى الشيخ حسين خليفة .

(٣٠٥) عابدين ـ المعية ـ محفظة ٤٩ رقم ٤٣٨ فى ٢٠ ذى الحجة ١٢٨٩ من جعفر مظهر باشا إلى مهردار خديوى ؛ ثم دفتر ١٩٤٦ (أوامر عربى) رقم ١١٢ فى ١٧ ربيع أول ١٢٩٠ أمر كريم إلى مدير كردفان ؛ ثم دفتر ١٩٤٥ رقم ١٣ فى ١٧ ربيع أول ١٢٩٠ إلى مدير عموم قبلى السودان .

(٣٠٦) عابدين . المعية . دفتر ٥٢٦ (تركى) رقم ٢١ (قسم ثانى) فى ١٠ ذى القعدة ١٢٧٩ ارادة إلى موسى باشا حمدى ، ثم رقم ٢٢ (قسم ثانى) فى نفس التاريخ .

الآخر وربط شطرى الوادى جنوبية وشمالية وكذلك تنظيم البريد وخدمة «التلغراف» وذلك كله إلى جانب العناية بصحة الأهلين والسهر على نشر الثقافة الإسلامية فى البلاد وإنشاء المدارس الحكومية لتعميم التعليم وفق الأساليب المتبعة فى مصر ذاتها هذا فضلا عن تشجيع الرواد والكاشفين الأجانب على ارتياد الأقاليم السودانية وقيام حكومة الخديو ذاتها بأعمال الكشف الجغرافى وقدرتها على مكافحة النخاسة وإبطال تجارة الرقيق .

ولما كانت الخرطوم قد غدت أكبر المدن السودانية على الإطلاق وأكثرها أهمية مع أنه لم ينقض على إنشائها سوى نيف وثلاثين عاماً فحسب فقد اكتظت أسواقها بالمتاجر وازدحمت أحياؤها بالمبانى وضاقت شوارعها عن أن تتسع لجموع التجار والصناع والزائرين ومن إليهم كما اكتظت دواوين الحكومة بالموظفين حتى باتت الحاجة ماسة إلى إقامة المنشآت والمبانى وقد بذل الحكمدارون قصاراهم لترغيب الأهلين والسكان فى بناء المنازل الجديدة بالآجر وفق أصول التنظيم فأقبل الناس على شراء الأرض الفضاء ليشيدوا عليها مبانيهم(٣٠٧) .

ونشط البناء فى الخرطوم وبخاصة فى عهد جعفر مظهر باشا وأحمد ممتاز باشا فرتب الأول « بلوكات عمارة من العساكر السودانية المتقدمين فى السن بالخرطوم والتاكة وكردفان ومصوع » وجلب من مصر البنائين والنجارين والحدادين حتى يقوموا بتعليم السودانيين العمارة ويشتركوا فى إنجاز الأعمال اللازمة(٣٠٨) وشمر جعفر مظهر عن ساعد الجد والنشاط عندما هطلت الأمطار بغزارة فى السودان فى صيف ١٨٦٦ وعظم فيضان النيل فطغت المياه على الخرطوم

---

(٣٠٧) عابدين . المعية . دفتر ١٧ (عربى قيد وارد الإفادات) رقم ٧ عموم فى ١٠ ربيع أول ١٢٩٣ حكمدارية السودان إلى المعية السنية .

(٣٠٨) عابدين . المعية (تركى) دفتر ١٨٣٦ رقم ٤ فى ٤ محرم ١٢٨٧ من حكمدارية السودان الى المعية السنية .

وأتلفت كثيرا من مبانيها وتكونت المستنقعات[٣٠٩] واستمر العمران أيام أحمد ممتاز باشا فأسس سراى الحكومة وشملت عنايته ترسانة الخرطوم فاستكمل ما كان ينقصها من حاجات[٣١٠] وقد استرعى هذا التعمير وذلك العدد العظيم من المبانى الجديدة انتباه الرحالة والعالم الألمانى — الروسى شوينفرت Schweinfurth عندما زار الخرطوم فى يولية ١٨٧١[٣١١] وفى عهد اسماعيل أيوب تم بناء سراى الحكومة ونظم بندر الخرطوم ووسعت شوارعه ثم اهتم الحكمدار بتقوية « صدر النيل » لمنع أخطار الفيضان واحتفار « القنايات لتصريف مياه الأمطار ووقاية البندر »[٣١٢] .

وقد سارت حركة التعمير فى سائر المدن الكبرى بالسودان على غرار ما حدث فى الخرطوم فشمل التنظيم بربر ودنقلة والأبيض وكسلا وسواكن ومصوع وغيرها وكانت الحاجة ماسة فى مصوع وسواكن على وجه الخصوص إلى إنشاء دور جديدة لدواوين الحكومة والمستشفيات والمدارس وتوصيل المياه العذبة إلى كليهما لما كان لهما من أهمية بوصفهما مراكز كبيرة لتجارة السودان الشرقى ومنافذ لتصريف متاجر السودان[٣١٣] . وعنى أحمد ممتاز وهو حاكم لسواكن ببحث مسألة إيصال المياه العذبة إليها وزراعة الأشجار

---

(٣٠٩) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٥٨ رقم ٩ (جزء ثانى) فى ٢٨ شوال ١٢٨٣ إرادة الى حكمدار السودان .

(٣١٠) عابدين المعية . دفتر ١٨٥٢ معية عربى رقم ٦٠ فى ٢٦ ذى الحجة ١٢٨٨ المعية السنية الى ديوان المالية ؛ شقير ج ١ ص ٩٠ .

(٣١١) Schweinfurthll. 399.

(٣١٢) عابدين . المعية . دفتر ١٠ (أوامر عربى) رقم ١٣ فى ٢ شعبان ١٢٩٣ أمر كريم الى حكمدار السودان .

(٣١٣) عابدين . (تركى) دفتر ٥٧٣ رقم ١٩ فى ٢٧ شعبان ١٢٨٤ من الجناب العالى الى ناظر الداخلية . ثم دفتر ٥٥٨ رقم ٣ (جزء ثانى) فى ٣ شوال ١٢٨٣ . الجناب العالى الى محافظ مصوع .

وإنشاء دار للمحافظة وأخرى للجمرك ثم مستشفى ومدرسة فى سواكن[٣١٤] وهكذا لم تنقض سنوات قلائل على بدء الحكم المصرى فى سواكن حتى بلغت درجة من العمران آثارت إعجــاب الأجانب الذين زاروا السودان ومروا بها[٣١٥] وسر الخديو بهذه النتيجة الطيبة فأثنى على جهود أحمد ممتاز وسجل هذا التقدم بقوله فى ٢٩ سبتمبر ١٨٦٩ « إنه على ما اتصل بسمعنا ممن شاهدوا سواكن وعادوا إلى هنا أن الهمة مبذولة لتوسيع العمران وإراحة الأهالى وتوطيد الأمن فى تلك الجهة الأمر الذى سرنا كثيرا » ثم وعد الخديو بأن يزور سواكن بمجرد أن يتم افتتاح قناة السويس للملاحة « فى هذه السنة وتتمكن الباخرة المخصصة (لركوب سموه) من الدخول إلى البحر الأحمر »[٣١٦] ولما كثر وفود أحباش الجهات المجاورة إلى سواكن وكان أكثرهم « على المذهب القبطى ومن المناسب إنشاء كنيسة للأقباط أسوة بالمسلمين الذين لهم جامع فى جزيرة سواكن » فقد أمر سموه بأنشاء كنيسة لهم[٣١٧] .

وفى مصوع أظهر حاكمها حسن رفعت بك نشاطا كبيرا فى الأكثار من زراعة الأشجار والخضروات وتشييد المبانى واقترح تشييد مدرسة يدرس بها علماء من مصر أو من اليمن والحجاز حتى يدرس بها الطلاب

---

(٣١٤) عابدين . المعية . محفظة ٤٠ رقم ٤١٠ فى شوال ١٢٨٣ ؛ ثم رقم ٤٠٧ ، ورقم ٤٥٥ فى ذى القعدة ١٢٨٣ ، ورقم ٥٠٨ فى محرم ١٢٨٤ من أحمد ممتاز بك الى المعية ؛ ثم دفتر ٥٦٠ (تركى) رقم ٤ فى ١٥ شعبان ١٢٨٢ من المعية الى محافظ سواكن ثم انظر Douin III. 1 re Paritie p. 312.

(٣١٥) Schweinfurth I. 15.

(٣١٦) عابدين . المعية (تركى) . دفتر ٥٨٣ رقم ١ فى ٢٢ جمادى الثانية ١٢٨٦ من الجناب العالى الى محافظ سواكن .

(٣١٧) عابدين . المعية (تركى) . دفتر ٥٨٣ رقم ٢٠ فى ٢٨ شوال ١٢٨٦ من الجناب العالى الى ناظر الداخلية .

المسلمون الأحباش بدلا من ذهابهم إلى الحجاز أو اليمن لتلقى العلم هناك[٣١٨]. واتسع نطاق التعمير فى مصوع عندما عين منزنجر محافظا لها فى إبريل ١٨٧١ وزوده الخديو بتعليمات مفصلة عن ضروب الأصلاح والتعمير لا فى مصوع وحدها بل وفى طوكر والترنكتات والعقيق وغيرها من البلدان المجاورة[٣١٩] وقد شمل التعمير زيلع وتاجورة (تجرة) وبيلول وبربرة وزلا (زولا) وهرر فكثرت المبانى وزرعت الأرض وأقيمت الجوامع وافتتحت المدارس وشيدت دور الحكومة وبنيت المستشفيات وكان من أثر اتساع حركة التعمير فى زيلع أن أقبل التجار الأوروبيون والسودانيون على سكناها وشراء الأرض من الحكومة لبناء محالهم التجارية عليها وشجعت الحكومة التجار والأهلين عموما على العمارة بأن صارت تعطيهم الارض بأثمان ، تتناسب مع حالة ، كل فرد منهم[٣٢٠] ومع أن زلة (زولا) كانت ذات سوق كبيرة ومد الانجليز بها سكة حديدية إبان حملتهم التأديبية على الحبشة (١٨٦٧ — ١٨٦٨) وأنشئوا بها عدة مبان وجلبوا ، المواسير والبرابخ ، لايصال المياه العذبة اليها فقد ظلت أعمال جلب المياه معطلة بسبب انسحابهم منها عند انتهاء حملة الحبشة ووقع على عاتق الحكومة الخديوية انجاز مشروع المياه العذبة . هذا إلى أن الحكومة بنت مستشفى بها وعهدت بالإشراف عليه إلى أحد الاطباء الأكفاء.[٣٢١] كما رغب الخديو فى تحسين مينائها واتخاذها عاصمة للمحافظة بدلا من زيلع وكلف عبد القادر باشا ببحث هذه المسألة ولم يثنه عن عزمه

---

(٣١٨) عابدين . المعية محفظة ٤٠ رقم ٢٢٤ فى ١٤ رمضان ١٢٨٣ حسن رفعت بك الى المعية .

(٣١٩) Douin III. 11 o Partie. pp 511—529.

(٣٢٠) عابدين . المعية . دفتر ١٠ (أوامر عربى) رقم ١٢٠ فى ١١ محرم ١٢٩٣ من المعية إلى محافظ زيلع .

(٣٢١) عابدين . المعية . (عربى) دفتر ٢٤ رقم ١٢٩ سايرة فى ١٦ جمادى الأولى ١٢٩٤ محافظ زيلع إلى المعية السنية .

سوى أن عبد القادر باشا جزم بأن زولا لا تصلح ، بحال من الأحوال لأن تكون مركزا للمحافظة ،[٣٢٢] وارتفع ذكر بربرة باعتبارها مركزا هاما لتجارة خليج عدن والبحر الأحمر عندما دخل هذا الثغر فى حوزة المصريين فأنشئت به المبانى الأميرية وبنى جامع للصلاة وجلبت المعدات اللازمة لإيصال المياه العذبة إليه واستتب النظام وتوطد الامن فأقبل التجار من كل كل حدب وصوب يبغون الإستقرار فى بربرة ورغب التجار الأوربيون والهنود فى إنشاء المحال التجارية بها[٣٢٣] واهتم الخديوى ، بتركيب اسكلة ، بالميناء وأرسل المهمات والادوات اللازمة لذلك[٣٢٤] وأظهر تجار وأهل بربره تقديرهم لهذا النشاط العمرانى العظيم فتوجهوا إلى الخديوه بالشكر والممنونية من الإحسانات العلية التى عملت فى هذا البلد واستقامة الأحكام الشرعية والسياسية ورفع المظالم عنها وانتشار الامان فيها ،[٣٢٥] أما هرر فقد أبدى حكمدارها محمد رؤوف باشا همة عظيمة فى انشاء الدور والمبانى اللازمة لدواوين الحكومة وثكنات الجنود وإصلاح مسجدها الكبير[٣٢٦] وفضلا عن ذلك فقد أنشىء طريق معبد بين زيلع وهرر وأقيم مركز للشرطة فى جلديسة

---

(٣٢٢) عابدين . المعية . (تركى) دفتر ٥٧٣ رقم ٤٢ فى ٢٥ محرم ١٢٨٥ من الجناب العالى إلى عبد القادر باشا : ثم رقم ٥٦ فى ٨ ربيع الثانى ١٢٨٥ من الجناب العالى إلى ناظر الداخلية .

(٣٢٣) عابدين . المعية . دفتر ١٤٨ (معية) رقم ١٩٧ فى غرة جمادى الأولى ١٢٩٣ المعية السنية إلى سعادة رضوان باشا .

(٣٢٤) عابدين . المعية . دفتر ١٧ (عربى) قيد وارد الإفادات رقم ١٠ فى ١٧ شعبان ١٢٩٢ من وكيل عموم الفنارات والليمانات إلى المعية السنيه ؛ ثم رقم ٢ سايرة فى شعبان ١٢٩٢

(٣٢٥) عابدين . المعية . دفتر ٢٧١٥ (عربى صادر بربره) رقم ٤٥ فى ١٤ شوال ١٢٩٣ من محافظة بربرة إلى المعية السنية .

(٣٢٦) عابدين . المعية . دفتر ١٧ (عربى) رقم ١٥ مكاتبة سايرة فى ١٨ رمضان ١٢٩٢ من سعادة رؤوف باشا إلى المعية السنية .

عند تقاطع طرق القوافل بين هرر وشوى فكان ذلك بدء عمار جلديسة وارتفاع شأنها (٣٢٧)

واستتبع اتساع حركة العمران وازدحام المدن الكبرى بسكانها زيادة العناية بشئون الصحة العامة لمنع الأوبئة من الانتشار وكانت الخرطوم على وجه الخصوص — قبل تنظيمها الجديد — أكثر المدن تعرضا لفتك الأوبئة بسبب موقعها عند ملتقى النيلين الأبيض والأزرق وكذلك بسبب رطوبة جوها وفكر جعفر مظهر فى نقلها إلى الجزيرة تفاديا من تلك الأمراض المهلكة ووافق اسماعيل على ذلك إذا كان ذلك ممكنا وكانت الجزيرة ذات جو صحى ملائم (٣٢٨) . بيد أنه لما كان نقل العاصمة متعذرا فقد عظمت عناية الحكمدار باجراء الاصلاحات والتنظيمات الصحية اللازمة فى غير إبطاء وعلى نطاق واسع . هذا إلى أن جعفر أعد مشروعا لتعليم عشرين من السودانيين الطب والصيدلة فى مدرسة الخرطوم الابتدائية تحت إشراف طبيب مستشفى الخرطوم الصاغ محمد سكرى افندى الذى درس الطب فى فرنسا غير أن قيام أستاذ واحد بتعليم هذا العدد الكبير تعليما نافعا مثمرا كان أمرا متعذرا لصعوبة علوم الطب والصيدلة ولعدم وجود الوسائل اللازمة لتدريسها على خير وجه فى العاصمة فرأى اسماعيل أن يبعث إلى السودان بالعدد الكافى من الأطباء المهرة والصيادلة المدربين (٣٢٩) وكانت مهمة هؤلاء تطعيم الأهلين ضد الجدرى والأمراض الوبائية والاشراف على المستشفيات التى أنشئت فى دنقلة والتاكة

---

(٣٢٧) Paulitschke p. 57.

(٣٢٨) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٥٨ رقم ٤ (قسم ثانى) فى ٢٣ جمادى الأولى ١٢٨٣ من الجناب العالى إلى حكمدار السودان .

(٣٢٩) عابدين . المعية . دفتر ٥٨٤ (تركى) رقم ٢ فى ٢٣ شوال ١٢٨٧ من المعية السنية إلى حكمدار السودان . ثم محفظة ٤٧ رقم ٦٥٨ فى ١٩ شعبان ١٢٨٧ من حكمدار السودان إلى المعية السنية .

وبربر وكردفان وسنار والخرطوم وزيلع وغيرها (٣٣٠) ثم ملاحظة ما يتخذ من اجراءات الحجر الصحى لمنع تفشى وباء الكوليرا فى البلاد وكانت الكوليرا من الأوبئة التى يكثر حدوثها فى مواسم الحج عادة عند عودة الحجاج إلى بلادهم من الحجاز وكانت أكثر الجهات عرضة لهذا الوباء مصوع وسواكن وخور بركة (بين مصوع وسواكن) والتاكة والكردفان (٣٣١) وكان من أقسى هذه الاوبئة وأشدها فتكا بالاهلين ما حدث فى عامى ١٨٦٦ و ١٨٧٢ فضرب الحجر الصحى على مصوع وسواكن وبربر وأبى حمد والخرطوم لعزل التاكة ومنع انتشار الوباء فى السودان (٣٣٢).

وكان من أثر جميع تلك الجهود التى بذلتها الحكومة فى سبيل المحافظة على الأمن وإدخال الطمأنينة على نفوس الأهلين واستمالتهم إلى البقاء فى قراهم ودساكرهم وتوسيع المدن الهامة والإكثار من المنشآت العمرانية بها وإزالة أسباب الوخامة منها وصون الصحة العامة ومكافحة الأمراض والأوبئة كان من أثر ذلك كله أن بدأ عهد استقرار ساعد على المضى فيما اعتزمته الحكومة من إصلاحات واسعة فى جميع مرافق الحياة فى شطر الوادى الجنوبى وكان من أهم عوامل ذلك الاستقرار أيضاً ذلك التغيير الذى طرأ على ملكية الأرض على نحو جعل أصحابها ملاك الأرض الحقيقيين بعد أن ظلت الحكومة القائمة بالبلاد هى المالك الوحيد للأرض منذ أجيال متطاولة فقد اعتبر الملوك من الفونج وغيرهم جميع الأراضى ملكا لهم يمنحون من يشاءون

---

(٣٣٠) Statistique de l'Egypte (1873). p 234; Myres 46-54.

(٣٣١) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٥٧ رقم ٣٦ فى ٢١ رجب ١٢٨٢ من الجناب العالى إلى ناظر الداخلية ، ثم دفتر ٥٦٤ رقم ٩ فى أول محرم ١٢٨٣ من حكمدار السودان الى المعية السنية .

(٣٣٢) عابدين . المعية (تركى) . دفتر ٥٦٠ رقم ٥٠ فى صفر ١٢٨٣ من المعية الى نظارة الداخلية ؛ ثم F. O. 78/2231. Alex. 5. 9. 1872. Clavert to Stanton

من رعاياهم اقطاعات من الأرض هبة يتوارثها الأبناء عن الآباء ما دام فى استطاعتهم أن يقدموا ما لديهم من أوراق تحمل خاتم الأمير وتثبت إقطاع الأرض لهم ولما كان من المتعذر بسبب تقادم العهد القطع بصحة هذه الأختام فقد سهل على الحكام بعد ذلك انتزاع هـذه « الهبات » من أصحابها وعند ما كثرت الحروب الأهلية فى سنار بسبب تنافس الملوك والوزراء وانقسام البلاد شيعا وأحزاباً تتنازع فيما بينها للاستحواز على السلطة تعرضت ملكية الأرض لأخطار جسيمة وزال كل اطمئنان لدى الأهلين على ما كان فى حوزتهم من أرض ظل يزرعها أجدادهم منذ أزمنة بعيدة(٣٣٣) غير أن المصريين ما كادوا يفتحون هذه البلاد حتى تغير ذلك بأجمعه . صحيح أن الحكومة ظلت من حيث المبدأ صاحبة الأرض بحق الفتح ولـكن المصريين تركوها فى حوزة أصحابها ولم يتعرضوا لها بشىء وفضلا عن ذلك فقد أخذت الحكومة تشجع الملاك بعد تأسس الخرطوم على أن يحصلوا من محكمتها على حجج شرعية تثبت ملـكيتهم الأرض ومع أن ذلك تعذر على كثيرين فقد تركتهم الحكومة يفلحون الأرض بسلام دون أن تناقش ملـكيتهم إياها (٣٣٤) وصار كل ما يعنى الحكومة أن يظل أصحاب الأرض يزرعونها بانتظام فلا يتركونها بورا وظلت الحكومة تحصل الفرضة (فرضة الرءوس) من الأهلين على حسب مقدرة كل منهم فلم تفرض ضريبة على الأرض ذاتها واستمر

---

(٣٣٣) راجع تاريخ ملوك الفونج بالسودان وأقاليمها ، نسخة المكتبة الأهلية بباريس ؛ وتاريخ مدينة سنار نسختا دار الكتب المصرية ومكتبة ڤينا ؛ وتاريخ مملكة الفونج والعهد العثمانى حتى عام ١٨٧١ نسخة المتحف البريطانى . وهذه التواريخ الثلاثة كتبها سودانيون ، وتنتهى حوادث المخطوطة الأولى عند حكمدارية خورشيد باشا ، والثانية عند حكمدارية موسى حمدى باشا والثالثة عند حكمدارية أحمد ممتاز باشا . ثم راجع كذلك كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء ... الخ لصاحبه محمد ضيف الله . وكان فراغ المؤلف من تدوينه فى ١٦ ربيع الأول ١١٦٦ (٢١ يناير ١٧٥٣) .

(٣٣٤) Chélu. 106

الحال على ذلك حتى أيام سعيد باشا إذ ارتأى ربط المال على عدد ما كان فى حوزة كل شخص من أفدنة ومع ذلك فان هذا النظام الجديد لم يستمر طويلا فبادر موسى حمدى باشا إلى إلغاء ضريبة الأفدنة وأعاد الفرضة كما كانت وصارت تحصل من الأفراد الذين كانت الأراضى فى حوزتهم فعلا وقد أدى ذلك إلى زيادة الاستقرار وانتعاش الزراعة ولم تتدخل الحكومة إلا إذا توفى صاحب الأرض من غير وارث فكانت تنقل ملكيتها حينئذ إلى آخرين فى استطاعتهم أن يعنوا بالأرض ويستثمروها ويدفعوا الفرضة للحكومة(٣٣٥) وفى عهد اسماعيل زاد اطمئنان الأهلين عند ما مكنت حكومة الخرطوم أصحاب الارض من الحصول على الحجج الشرعية التى تؤيد ملكيتهم الارض تأييداً حاسما(٣٣٦).

وقد نجم عن تثبيت حقوق الملكية واستقرار الأهلين فى الأرض والاقبال على زراعتها أن نشطت الزراعة نشاطاً كبيرا واستطاعت الحكومة أن تنفذ برنامجا زراعيا واسعاً كان الاكثار من زراعة القطن من أهم دعائمه وسلكت الحكومة طرقا شتى لتشجيع الزراعة فانقصت ما كان يحصل من أصحاب الأراضى المزروعة وخفضت ضريبة النخيل والسواقى وأعفت الأراضى المزروعة أشجاراً وحدائق من الضرائب كما أعفت منها السواقى التى ترويها وتجاوزت عن متأخرات الضرائب فى بربر ودنقله وقبلت أن يدفع الأهلون ضرائبهم من محصول القطن عينا ووزعت التقاوى على الأهلين وبذور القطن والمواشى بأثمانها دون أى ربح وأكثرت من حفر القنوات و (السيالات)

---

(٣٣٥) عابدين . المعية . دفتر ٢٨٣ المجلس الخصوصى رقم ٣ فى ٩ ربيع الثانى ١٢٩٠ من اسماعيل أيوب باشا الى المجلس الخصوصى .

(٣٣٦) عابدين . المعية . دفتر ١٨٦٤ معية سنية رقم ٢٤ فى ١٧ شوال ١٢٨٩ من (اسماعيل أيوب باشا) الى المعية السنية .

فى ناحية بربر وشندى(٣٣٧) فأقبل الناس على زراعة القطن خصوصا فى بربر والخرطوم وسنار والتاكة (وكسلا) والقضارف وغيرها من الجهات حتى بلغ مقدار مازرع منه فى التاكة فى عام ١٨٧٢ وحده ٣٦٦٠٠ فدان(٣٣٨) وبلغت فى عام ١٨٧٣ مساحة الأراضى المزوعة فى مديدية بربر ودنقلة ٩٨٨٥ فدانا كانت ترويها ٦٥٩٠ ساقية وبلغ محصول القطن وحده (عدا الحبوب والدخان وغيره) ١٢٣٥٦ قنطارا(٣٣٩) أما فى مديرية الخرطوم وسنار فكان محصول القطن فى السنة نفسها ثلاثة آلاف قنطار(٣٤٠) وأرسلت الحكومة من القاهرة عدداً عظيما من وابورات الحلج ودواليب اليد والمكابس إلى توكر وسواكن ودنقلة وبربر والتاكة والخرطوم وغيرها(٣٤١) وفضلا عن ذلك

(٣٣٧) عابدين • المعية • دفتر ١٨٤٩ معية سنية رقم ١٥ فى ٢٦ ذى القعدة ١٢٧٨ من مدير بربر إلى المعية السنية ، دفتر ١٩٣٨ رقم ٤ فى ١٦ شوال ١٢٨٧ ، رقم ٨ فى أول محرم ١٢٨٨ أمر كريم الى مدير بربر • ثم دفتر ١٨٥٩ معية سنية رقم ١٥ فى ٢٧ ذى القعدة ١٢٨٨ من مدير بربر الى المعيه السنية ، ثم دفتر ١٨٧٥ معية سنية رقم ٣ فى ١٤ شعبان ١٢٨٩ ، ثم دفتر ٣٩١٢ معية عربى جزء رابع صادر محافظة سواحل البحر الأحمر رقم ٣٢ فى ١٢ محرم ١٢٨٨ من محافظة سواحل البحر الأحمر الى ديوان الجهادية ، ثم دفتر ١٨٥٣ معية عربى رقم ٤٧ فى ٢٣ شوال ١٢٨٨ المعية السنية إلى السنية إلى محافظة سواكن ، ورقم ٤٨ فى نفس التاريخ إلى مدير التاكه ، ثم دفتر ٥٢٩ رقم ٤ فى ٦ رجب ١٢٨١ من الجناب العالى إلى حكمدار السودان ، ثم دفتر ١٩٣٩ أوامر عربى رقم ٥ فى ١٥ محرم ١٢٨٩ أمر كريم صادر إلى محافظ مصوع . الخ الخ الخ

(٣٣٨) عابدين . المعية • دفتر ١٥٨٩ معية عربى رقم ٨ فى ١٤ محرم ١٢٨٩ من مدير التاكة الى المعية ؛ ثم دفتر ١٩٤٢ أوامر عربى رقم ٢٢١ فى ١٥ صفر ١٢٨٩ أمر كريم الى مدير التاكه •

(٣٣٩) Statistique de l'Egypte (année 1873). pp 292 -3.

(٣٤٠) عابدين • المعية • دفتر ١٨٧٥ (معية عربى) رقم ١ فى ٥ ذى القعدة ١٢٩٠ من حكمدارية السودان الى المعية •

(٣٤١) عابدين • المعيه . دفتر ١٨٠٢ (معية عربى) رقم ٩ فى ٧ شعبان ١٢٨٨ سعادة مهردار خديوى الى ديوان الداخلية ؛ ورقم ٢٥ فى ٨ شوال ١٢٨٨ من المعية السنية الى نظارة المالية ؛ ودفتر ١٨٥٩ (معية عربى) رقم ٢ فى ٨ شوال ١٢٨٨ من محافظة سواكن الى المعية السنية ، ودفتر ١٩٤٢ (أوامر عربى) رقم ٤ فى ٥ ذى الحجة ١٢٨٨ أمر كريم

فقد شجعت الحكومة زراعة الدخان فى سنهيت وكسلا[٣٤٢] وأطلقت زراعة البن فى هرر وكان أمراء هرر يحتكرون زراعته قبل افتتاح إمارتهم فرخصت الحكومة بزراعة البن ولم ير الخديو بأسا من الاستعانة بذوى الخبرة فى زراعة البن من الانجليز الذين أجادوا زراعته فى الهند حتى يرشدوا الأهلين إلى أفضل الطريق لتنمية زراعة البن فى هرر[٣٤٣] .

واستتبع ازدهار الزراعة فى السودان ووفرة المحصولات الزراعية أن نشطت التجارة نشاطاً عظيما فتعددت أسواق القطن وكان أهمها فى القلابات والقضارف[٣٤٣] وراجت تجارته بسبب الحرب الأهلية الأمريكية وانقطاع تصديره من أمريكا فترة ارتفعت خلالها أثمان القطن فى مصر والسودان وعند انتهاء هذه الحرب انصرف المشترون عن أقطان السودان وأقبلوا بدلا من ذلك على ابتياع المحصولات الأخرى كالشمع والصمغ فازدهرت أسواق هذين الصنفين فى كركوج والقضارف والقلابات وفضلا عن ذلك فقد نجم عن نشوب حرب القرم قبل ذلك بأعوام أن ارتفعت أثمان الجلود فى كل الاسواق الافريقية وراجت تجارتها وبخاصة فى أسواق مصوع والقضارف وكسلا وسواكن[٣٤٥] وبلغت تجارة السودان على حسب تقدير شيلو Chélu

---

صادر الى مديرية بربر ودنقله ، ودفتر ١٨٧٥ (معية عربى) رقم ١٦ صفر ١٢٩١ من شرقى السودان ومحافظة سواحل البحر الأحمر الى المعية ؛ ثم دفتر ١٨٧٠ معية عربى رقم ١٣٤ فى ١٩ ربيع آخر ١٢٩١ من المعية الى المالية .. الخ .

(٣٤٢) عابدين . المعية دفتر ٥ عربى وارد الافادات رقم ١٨ فى ٣ ذى القعدة ١٢٩١ ؛ ثم انظر Chélu .131.

(٣٤٣) عابدين . المعية دفتر ١٠ (أوامر عربى) رقم ٤ فى ١٢ شوال ١٢٩٢ الأمر الكريم الصادر إلى حكمدارية هرر وملحقاتها . ثم أنظر دفتر ١٠ (أوامر عربى) رقم ٣٠ فى ١٢ شوال ١٢٩٢ أمر كريم إلى حكمدارية هرر وملحقاتها .

(٣٤٤) Rassam. I. 167.

(٣٤٥) Douin. III. 1re Partie. pp. 155 – 166.

المهندس الفرنسى الذى أوفد إلى السودان للأشراف على تركيب طلمبات الرى اللازمة لزراعة القطن حوالى مليون جنيه مصرى منها نصف مليون لتجارة الصادر واربعمائة الف لتجارة الوارد(٣٤٦) ومع ذلك فقد قدر الخديو نفسه تجارة السودان الواردة إلى بولاق فى عام ١٨٧٣ بحوالى مليون ونصف من الجنيهات(٣٤٧) ومهما يكن من شأن هذه التقديرات المتفاوتة فقد أفادت موانى سواكن ومصوع وبربرة من انتعاش التجارة فى الأقاليم السودانية فائدة عظيمة وزادت رغبة التجار الأجانب على نحو ما شهدنا فى تأسيس البيوت التجارية بها وآية ذلك أنه بينما بلغ عدد السفن التى دخلت ميناء سواكن فى عام ١٨٦٩ (١٤٦ سفينة) منها ثلاثون سفينة مصرية فقط زاد عددها حتى بلغ بعد عامين (٢٠١) منها تسع وستون سفينة مصرية وفى عام ١٨٧٧ كان عددها (٢٣٠) بلغت حمولتها ٨٠٥٢٣ طنا بينما بلغ عدد السفن الداخلة إلى ميناء مصوع فى عام ١٨٧٧ (١٢٨٥) سفينة حمولتها ٨٦١٨٣ طنا(٣٤٨) .

أما بربرة فقد نشطت تجارتها وعمد سر تجارها الشيخ عوض باخشوان تحت إشراف محافظ بربرة إلى عقد اجتماعات يحضرها التجار والاعيان للبحث فى أجدى الوسائل «لانتظام شئون التجارة وعدم الخروج فى معاملاتهم ولعدم تكدير الحكومة فى مشاكلهم وتوصيل الحقوق لأهلها (وتيسير) الاخذ والعطاء » وقد أثمرت هذه الاجتماعات ثمرتها المرجوة فتقدمت التجارة فى بربرة وشكر تجارها حكومة الخديو على اهتمامها « برفع المظالم » وتوطيد الأمن ونشر العمران فى بلدهم(٣٤٩) وشملت عناية الخديو كذلك السودان الغربى

(٣٤٦) Chélu. 105–106.

(٣٤٧) Douin III. 3me Partie. p 1173.

(٣٤٨) Amici. I. 59 et seq.

(٣٤٩) عابدين . المية . دفتر ٣٧١٥ صادر بربرة عربى رقم ٤٠ فى ١٤ شوال ١٢٩٣ ثم رقم ٤٤ ، ورقم ٤٥ فى نفس التاريخ من محافظة بربر إلى المعية السنية .

إلى جانب السودانيين الأوسط والشرقى وموانى البحر الأحمر وخليج عدن فنشطت التجارة فى كردفان ثم فى دارفور بعد الفتح وازدهرت مراكزها فى الأبيض وكبكبيه وداره والفاشر وأم شنقة وغيرها وكان من بين الذين رغبوا فى تأسيس الشركات التجارية فى دارفور الشيخ عبد الغنى التازى «وكيل دولة المغرب الأقصى بمصر» والشريف العمرانى وأصدر الخديو أمره إلى اسماعيل أيوب باشا بتسهيل مهمتها وفعل مثل ذلك أيضا مع الحاج الحبابى المغربى «من تجار المحروسة (وكان يريد إرسال بضائع كثيرة إلى السودان) مع مندوبين من طرفه» فكتب الخديو إلى حكمدار السودان حتى يبذل قصاراه فى مساعدة هؤلاء المندوبين «حيث أن جل مقاصدنا — كما قال الخديو — توسيع دائرة التجارة وتسهيل شئونها»[٣٥٠] وكان من أجل «توسيع دائرة التجارة وتسهيل شئونها» فى السودان أن عاون اسماعيل بعد شهور قليلة من اعتلائه أريكة الولاية على تأسيس شركة تجارية فى يونية ١٨٦٣ سميت شركة السودان رأس مالها خمسون مليونا من الفرنكات غرضها تنمية موارد السودان وإدخال التجارة المشروعة فى الأقاليم التى لم تكتشف بعد وكانت شركة مصرية أسهمت فى تأسيسها خمسة بيوت تجارية بالاسكندرية بمبلغ ثمانية وثلاثين مليونا من الفرنكات واكتتب بالباقى مصرف الكريدى انترناسيونال ثم اتخذت الشركة اسما آخر فعرفت بالشركة المصرية التجارية The Egyptian Commercial Trading Co. وفتحت أبوابها للمموّلين من لندن وباريس وفرنكفورت ومن شركة أوبنهايم وبيت درفيو بالاسكندرية وصار لها برنامج واسع وأراد اسماعيل أن يجلب من السودان سلعا تجارية

---

(٣٥٠) عابدين - المعية - دفتر ١ (أوامر عربى) رقم ٢ فى ١١ محرم ١٢٩٢ أمر كريم إلى حكمدار السودان، ثم دفتر ٢ (أوامر عربى) رقم ٢٠ فى ٧ شوال ١٢٩١ من المعية إلى حكمدارية السودان.

جديدة كالحبوب والبن والسكر والاخشاب إلى جانب السلع القديمة كالعاج والصمغ وريش النعام[٣٥١] .

على أنه لم يكن هناك معدى عن العناية بتيسير سبل المواصلات إذا أريد الرواج لتجارة الأقاليم السودانية ولذلك كان فى مقدمة ما عنى به اسماعيل تعبيد الطرق وانشاء السكك الحديدية وترتيب البريد (البوستة) وخدمة البرق (التلغراف) فأصلح الطريق بين سواكن والتاكة ثم أصلح الطريق من التاكة إلى بربر وتم تعبيده حتى أصبح من المستطاع أن تسير فيه العربات المصنوعة من الخشب والتى تجرها الثيران لنقل البضائع ثم حفرت الآبار وأقيمت المحطات على طول الطريق من سواكن إلى بربر[٣٥٢] وعبدت كذلك الطريق بين توكر ومصوع ثم « الدرب » الموصل من زيلع إلى هرر[٣٥٣] ولما كان الطريق بين بربر وكورسكو هو طريق المواصلات الرئيسى فى السودان فقد اهتم الخديو بضرورة تأمين طريق العتمور (بين أبى حمد وكورسكو) وهو أكثر أجزاء هذا الطريق وعورة ثم اصلاحه وتعبيده حتى يسهل السفر فى طريق العتمور ونقل المتاجر[٣٥٤] .

وقد استخدمت هذه الطريق لنقل البريد ومد خطوط التلغراف وكانت الخرطوم مركز خدمة البريد فينتقل منها البريد الى القاهرة والى مختلف جهات

---

(٣٥١) Douln. I. 247—249.

(٣٥٢) عابدين ـ المعية (تركى) دفتر ٥٥٨ رقم ٦ فى غرة جمادى الأولى ١٢٨٢ الإرادة السنية إلى جعفر باشا (مظهر) وكيل حكمدارية السودان ، ثم رقم ٢٧ فى ٢٨ صفر ١٢٨٣ ارادة سنية الى حكمدارية السودان .

(٣٥٣) عابدين ـ المعيـة . دفتر ١٩٣٩ (أوامر عربى) رقم ٦ فى ١٥ رجب ١٢٨٩ ارادة الى محافظة مصوع ، ثم دفتر عربى بدون نمرة صفحه ٣٢ فى ١٢ شوال ١٢٩٢ الى حكمدارية هرر وملحقاتها .

(٣٥٤) عابدين المعية محفظة ٤٩ رقم ٣٤٨ فى آخر شوال ١٢٨٩ من وكيل مجلس الأحكام الى مهردار خديوى ، ثم دفتر ١٧ (عربى) رقم ٨٤ فى ٢٧ ذى القعدة ١٢٩٠ من خيرى باشا الى حكمدار السودان .

السودان ولما كان الاشراف على هذه الخدمة الهامة ضروريا لأحكام الروابط بين شطرى الوادى من جهة وبين الخرطوم وسائر الأقاليم السودانية فقد أنشأ جعفر صادق باشا «وظيفة مفتش عام للبوسطه السودانية» على أن تكون مهمة المفتش «التنقل باستمرار فى جميع الانحاء ليشرف على سرعة العمل» (٣٥٥) ثم صار البريد ينقل من الخرطوم الى سواكن مرة كل أسبوع وخصصت باخرة لنقله من سواكن الى مصر مرة فى كل اسبوع كذلك (٣٥٦) وأنشئت عدة مكاتب للبوسطه فى سواكن ومصوع والخرطوم والتاكه وغيرها واعدت الجداول الخاصة بقيام البواخر التى تنقل البريد بين السويس وبربرة وبين بربرة وزيلع وعدن (٣٥٧) وإلى جانب خدمة «البوسطة» أقيمت شبكة من خطوط «التلغراف» الغرض منها ربط السودان بمصر من جهة وربط أقاليمه بعضها ببعض من جهة أخرى وكان الخط من القاهرة الى الخرطوم أهم خطوط «التلغراف» بدأ انشاؤه فى عام ١٨٦٣ ثم وصـــل الى الخرطوم فى بداية عام ١٨٧٠ ويليه فى الأهمية الخط بين سواكن وكسلا وفى عام ١٨٧٣ قرر الخديو أن يمد أسلاك البرق من بربر الى كسلا ومن مصوع إلى كسلا ومن الخرطوم إلى سنار وفازوغلى ومن الخرطوم (أم درمان) الى كردفان ومن مصوع إلى بربرة وقد تم انشاء هذه الخطوط حوالى عام ١٨٧٥ هذا عدا خط

---

(٣٥٥) عابدين . المعية . محفظة ٣٦ رقم ٧٨ فى ١٦ رجب ١٢٨٢ من جعفر صادق باشا إلى المعية .

(٣٥٦) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٥٨ رقم ١٩ فى ٩ ذى القعدة ١٢٨٢ من المعية إلى حكمدار السودان .

(٣٥٧) عابدين . المعية (عربى) دفتر ٥ وارد الإفادات فى ١٨ رمضان ١٢٩١ من شرقى السودان إلى المعية السنية ؛ ثم محفظة ٥٢ معية تركى رقم ٢٩٢ نمرة ١ جديدة فى ٢٢ شعبان ١٢٩٢ من مصطفى باشا العرب وفردريجو باشا مديرا وابورات البوستة (راجع المرفق أيضا) ؛ ثم دفتر ١٥ معية عربى وارد الإفادات رقم ٢ فى ٢٩ شعبان ١٢٩٢ .

دارفور من أم درمان وفوجه فى بداية عام ١٨٧٧ (٣٥٨)

وعلاوة على ذلك عقد الخديو آمالا عظيمة على إمكان انشاء شبكة من السكك الحديدية تربط بين أطراف الأقاليم السودانية كما تربط بين مصر والسودان . قال اسماعيل فى حديث له مع المسيو جارنيه Garnier من رجال القنصلية الفرنسية فى مصر فى اكتوبر ١٨٦٤ « كل أمنيتى أن أربط السودان بمصر بسكة حديدية تخترق تلك الصحراء الممتدة من كورسكو إلى أبى حمد من الدرجة الثالثة والعشرين الى التاسعة عشرة من خطوط العرض الشمالية ويلزمنى ست سنوات لإنجاز هذا العمل » ثم استمر يقول « والى أن يتم إنشاء هذه السكة تربط البواخر بين آخر محطات السكة التى يفرغ من بنائها والخرطوم وقد أرسلت ثلاث بواخر بالفعل لهذه الغاية وإنى منتظر الآن وصول ثلاث أخرى من أوربا سوف أرسلها بمجرد وصولها إلى مصر » (٣٥٩) وكان لتنفيذ مشروع السكة الحديدية بين القاهرة والخرطوم أن قامت فى عامى ١٨٦٤ ، ١٨٦٥ بعثتان لاختبار الطريق من كورسكو الى أبى حمد ثم الى الخرطوم ولدراسة جنادل أسوان والبحث فى إمكان شق قناة تخترق هذه الجنادل وكانت البعثة الأولى برياسة المهندسين الانجليزيين « براى » Bray و « ووكر » Walker

---

(٣٥٨) عابدين . المعية (عربى) دفتر ١٨٧٠ رقم ٣٣ فى ١٤ محرم ١٢٩١ من المعية السنية إلى السكه الحديد ورقم ٤٨ فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٩١ ؛ ثم دفتر ١٤٨ معية عربى رقم ٨ فى ٤ شعبان ١٢٩٣ من المعيه السنيه إلى حكمدارية السودان ، ثم دفتر ١٥ معية وارد الإفادات عربى رقم ٣٩ فى غاية ذى الحجه ١٢٩٢ ثم رقم ١١٠ فى ٢٦ شعبان ١٢٩٣ من السكة الحديد إلى المعية ، ثم دفتر ١٨٤٩ وارد معية رقم ١٤ فى ٣ ربيع الثانى ١٢٨٨ من حكمدارية السودان إلى المعيه السنيه الخ الخ . ثم أنظر

Douin III, 1re et 3me Parties.

(٣٥٩) Aff, Etr, Egypte (Carton Alex. 1863—1866). Assouan 12. 10. 1864. Garnier à Tastu.

وقدمت تقريرها الى اسماعيل فى مارس ١٨٤٥(٣٦٠) وأما البعثة الثانية فكانت برياسة المهندس الانجليزى هوكشو Hawkshaw وقد قدمت تقريرها الى الحكومة فى مايو من العام نفسه(٣٦١)

وفى فبراير ١٨٧١ أبرم الخديو عقداً مع المهندس الانجليزى «چون فولر» Fowler لمدة خمس سنوات وكانت مهمة فولر وضع التصميمات اللازمة لسكة حديدية تربط السودان بالوجه البحرى ثم دراسة الوسائل الناجعة لتحسين الملاحة فى النيل وتمكين البواخر والسفن الكبيرة من اجتياز الجنادل فى أسوان (٣٦٢) وفرغ فولر من دراسة المشروع بعد عامين فقدم تقريراً بنتائج دراسته فى فبراير ١٨٧٣ . ولم يحل دون تنفيذ مشروع فولر بحذافيره سوى استحكام الأزمة المالية فى مصر وقتذاك فأدخل الخديو تعديلات هامة على المشروع لتقليل نفقاته وأمكن فى السنوات التالية أن يتم بناء السكة الحديدية من وادى حلفا إلى سرس شمالى أمبوكل (٣٦٣) ولما كان مشروع فولر يشمل إلى جانب مد السكة الحديدية من وادى حلفا إلى الخرطوم مدخطوط أخرى من دبة إلى الفاشر ثم من سواكن إلى الخرطوم ماراً بسنكات والعطبرة فقد فحصت

---

(٣٦٠) F. O, 78/1871, Turkey (Egypt), Colquhoun to Russell. 11. 3. 1865, ثم انظر عابدين المعية (تركى) دفتر ٥٤٥ رقم ٤ فى ١٦ جمادى الثانية ١٢٨١ من المعية الى حكمدار السودان . ورقم ٢٧ فى ١٩ جمادى الثانية ١٢٨١ الى مديرية قنا وإسنا ثم دفتر ٥٤٩ رقم ٤٩ فى ١٦ جمادى الثانيه ١٢٨١ من المعية الى اسماعيل باشا ناظر الجهادية .

(٣٦١) Douin III. 1re Partie pp 145—148.

(٣٦٢) F. O. 78/2186. Turkey. (Egypt), Cairo 3.3. 1871, Stanton to Granville

(٣٦٣) Gleichen (The Anglo-Egyptian Sudan). I. 213; Douin III, 11 e Partie p. 641 et seq,

الطرق فى السودان الشرقى ودارفور (٣٦٤) ولم يحل دون تنفيذ هذا المشروع العظيم سوى شدة الأزمة المالية وجسامة التكاليف .

والواقع أن الإصلاحات الإنشائية المتعددة التى تمت فى هذا العهد والتى زاد ظهور آثارها فى تعمير المدن وانتعاش الزراعة ونشاط التجارة كانت تقتضى نفقات جسيمة لم يكن هناك معدى عن اتباع سياسـة مالية ذات أغراض محددة واضحة حتى يمكن إنجازها بصورة تكفل النهوض بأهل البلاد والسير بالسودان فى طريق الحضارة والعمران بخطا ثابتة سريعة واعتبر اسماعيل الأقاليم السوادنية جزءا من البلاد المصرية ذاتها وعدها من مديريات الوادى جميعا لا فرق بين تلك الواقعة فى شماله والأخرى الواقعة فى جنوبه ينفق عليها جميعا من خزانة واحدة ويسهر على راحة أهل الجنوب سهره على راحة أهل الشمال. على أنه لما كانت الأقاليم السوانية «أقطاراً جسيمة» وكان من قواعد الحياة الاقتصادية المنظمة أن يتكفل كل قطر بقدر الأمكان بسداد ما يحتاج اليه من نفقات من موارده الخاصة فقد هدفت سياسة الخديو المالية إلى إنشاء ميزانية خاصة بالسودان حتى تتحدد الإيرادات والنفقات بصورة معينة واضحة وتسعى الأقاليم السودانية فى سد حاجاتها من مواردها الخاصة وتتدخل مصر عند ظهور العجز فى مالية هذه الأقاليم فقط يحدوه إلى ذلك الاعتقاد بأن استقلال السودان بشئونه المالية دليل قاطع على مقدار ما بلغه شطر الوادى الجنوبى من تقدم وعمران .

---

(٣٦٤) عابدين المعية (تركى) سجل ٥٦٠ بدون نمرة صفحة ٨٩ قسم ثانى فى ٢٤ صفر ١٢٨٤ من شريف باشا إلى الباشا المهردار ، ثم دفتر ٥ معية سنية (عربى) وارد الإفادات رقم ١٤ فى ١٥ رجب ١٢٩٢ مدير بربر الى المعية ، ثم دفتر ١١ معية صادر رقم ٢٣٣ فى ٢٣ رمضان ١٢٩٣ من المعية السنية الى المالية ، ثم دفتر ١٩٤٦ (أوامر عربى) رقم ٤ فى ١٢ محرم ١٢٩٠ الى مدير دنقله وبربر . ثم أنظر .
Purdy. (Une Recon. entre Bérenice et Berber). p 639 et seq

وعلى ضوء هذه الاعتبارات اتبعت حكومة الخديو فى السودان سياسة مالية رشيدة قائمة على العناية بتوفير أسباب الرفاهية للسودانيين ليس فقط عن طريق إدخال الاصلاحات المتعددة التى سبق ذكرها بل والمبادرة كذلك بتقديم كل وسائل المساعدة للسودانيين لانتشالهم من أى ضيق قد ينزل بهم نتيجة احتباس الأمطار أو زيادة الفيضانات وغير ذلك من الأسباب وعلاوة على ذلك فقد بذل الخديو جهدا كبيرا فى تنظيم استثمار موارد السودان استثمارا يعود بالربح والفائدة على أهله بيد أن هذه المساعدات المتعددة وتنفيذ برنامج الاصلاحات العمرانية الواسعة كان يقتضى نفقات جسيمة لم تستطع ميزانية السودان أن تواجهها بحال من الأحوال وظل الخديو طوال مدة حكمه يسدد ما كان يحدث من عجز ظاهر فى هذه الميزانية عاما بعد آخر .

فقد التمس موسى حمدى حكمدار السودان فى أوائل عام ١٨٦٤ إرسال ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف كيس نقدا إلى مديرية التاكة بسبب ضائقتها المالية نتيجة « للقحط الحادث فى حاصلاتها » كما التمس إرسال « كمية من النقود إلى الحكمدارية لتساعد فى نفقاتها الضرورية » فأمر اسماعيل نظارة المالية بارسال الأموال اللازمة ثم كتب إلى الحكمدار الجديد جعفر صادق باشا حتى يبحث إيرادات الحكمدارية ومصروفاتها بحثا دقيقا بمجرد وصوله إلى الخرطوم « وتنظيم ميزانيتها نظاما موافقا » وقال « وبعد أن تفحصوا عما إذا كان السودان فى حاجة إلى نقود بطريق المساعدة علاوة على إيراداته السنوية لانفاقها فى وجوه الأصلاحات الضرورية والتحسينات المهمة عليكم أن تحرروا بذلك بيانا مفصلا واعرضوه علينا »[٣٦٥] بل إن اسماعيل لم يلبث أن صرف النظر

---

(٣٦٥) عابدين . المعيه (تركى) دفتر ٥٣٧ رقم ٢ فى ٢٨ محرم ١٢٨٢ ارادة سنيه الى جعفر باشا حكمدار عموم السودان ، ودفتر ٥٣٩ رقم ١٦١ ص ٨٦ قسم ثانى فى نفس التاريخ من الجناب العالى الى ناظر المالية .

عن « ابتياع سفينتين من نوع القرويت وسفينتين مدفعيتين (كانو ننير) كان قد أوصى بصنعهما فى انجلترة » وأمر بارسال مائة الف ليرة كان فى النية دفعها من أصل الثمن إلى السودان لتفريج الضائقة المالية به[٣٦٦] وفضلا عن ذلك فقد أرسلت المقادير الكبيرة من الغلال « لبيعها بأثمانها الأصلية للأهالى والسكان وموظفى الحكومة فى سواكن وكسلا وبربر والخرطوم لتوزيعها على الجهات المذكورة »[٣٦٧] وتكرر إرسال الأعانات المالية وإرسال الغلال وغيرها إلى السودان فى الأعوام التالية وكانت الضائقة التى حلت بدارفور فى غضون عام ١٨٧٥ بسبب احتباس الأمطار « واشتغال أهلها بالحروب » منذ العام السابق — أى قبل الفتح — من أخطر هذه الضائقات وأقساها على الأهلين وبادر الخديو على عادته بأرسال النجدة فبلغ ما أنفقه فى هذا السبيل حوالى عشرين الف كيس خلال عامين فقط[٣٦٨]. بلغ ما أرسله الخديو اسماعيل حتى شهر نوفمبر من عام ١٨٦٦ حوالى ستة وعشرين ألف كيس. «ومادمنا قد أرسلنا من المال ٢٦٠٠٠ كيسة فسنرسل عشرة آلاف كيسه أيضا وقد اتضح لنا من كشف نظارة المالية أن هناك نحو ١٦٣٠٠٠ كيسه من الأموال المتبقية على السودان» هذا ما كتبه الخديو إلى جعفر صادق باشا ثم استطرد يقول « وبديهى أن النقود التى أرسلت وسوف ترسل والمبالغ التى ستحصلونها من الأموال المتبقية تفى بالحاجة على قدر الأمكان وعلى ذلك فأنكم بعد وصولكم إلى

---

(٣٦٦) عابدين . المعيه (تركى) دفتر ٥٥٣ بدون رقم صفحه ٣٥ فى ١٧ صفر ١٢٨٢ من شريف باشا الى رياض باشا ، ثم دفتر ٥٣٨ رقم ١٤٧ قسم ثانى صفحة ٧٥ فى ٢٦ صفر ١٢٨٢ من الجناب العالى الى شريف باشا .

(٣٦٧) عابدين . المعيــة (تركى) دفتر ٥٥٨ رقم ١٢ فى ٧ رجب ١٢٨٢ ارادة الى حكمدار السودان .

(٣٦٨) عابدين . المعية (عربى) دفتر ١٧ قيد الوارد الخ . رقم ٣ مرور فى ٢٨ رمضان ١٢٩٢ من حكمدارية السودان الى المعيه .

مركز الحكمدارية واطلاعكم على المصروفات والأيرادات إذا بعثتم الينا بميزانية صحيحة لها فسوف لا نضن عليكم بأجابة المطالب التى نرى لزوما لها وكما أننا عندما نطلع على هذه الميزانية نوافيكم حالا بالمال الذى تدعو الضرورة له ثم نؤكد لكم بأننا نرسل ما تدعو الحاجة لأرساله من المال لتغطية بعض المصروفات علاوة على إيرادات السودان فنخطركم بذلك من الآن »(٣٦٩) وحتى نهاية الحكم لم يكف السودان عن طلب المساعدة المالية من مصر ويتضح من الوثائق المتعددة أن متأخرات الضرائب على الأهلين ظلت كثيرة كما أن العجز فى ميزانية السودان كان مزمنا استمر سنوات طويلة وقد بلغت متأخرات الضرائب فى عام ١٢٨٧ هجرية (ابريل ١٨٧٠ — مارس ١٨٧١) على مديرية بربر ثمانية آلاف كيس(٣٧٠) وعلى التاكة حوالى نيف وألف ومائتى كيس وعلى محافظة مصوع ٣٦٩٣ كيس كما زادت نفقات محافظة سواكن على إيراداتها(٣٧١) وفى عام ١٢٨٨ هجرية (مارس ١٨٧١ — مارس ١٨٧٢) بلغ المتأخر على عربان بنى عامر فى مديرية التاكة ما يربو على ٩٥٢ كيس(٣٧٢) وعلى جهة (فيزوغلى) ١٤٥٨٦ كيسا تقريبا وعلى مديرية الخرطوم حوالى ٢٧٥٩١ كيس(٣٧٣) وقدرت حكومة الخرطوم ما كان متأخراً على أهل السودان من الضرائب

---

(٣٦٩) عابدين . المعيـة (تركى) دفتر ٥٥٨ رقم ١١ فى ٢٩ جمادى الآخرة ١٢٨٢ إرادة إلى حكمدار السودان .

(٣٧٠) عابدين . المعيـة . دفتر ١٩٣٤ (أوامر عربى) رقم ١٠ فى ٧ جمادى الآخرة ١٢٨٧ فى الجناب العالى الى حكمدار السودان .

(٣٧١) عابدين . دفتر ١٨٤٧ (معيـة عربى) رقم ٣ فى ٨ رجب ١٢٨٧ من محافظة سواحل البحر الأحمر الى المعية السنية .

(٣٧٢) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٦ رقم ٢ فى ١٠ شعبان ١٢٩١ من قرار المجلس الخصوصى الى المعية السنية .

(٣٧٣) عابدين . المعية (عربى) دفتر ١٨٦٤ رقم ١٧ فى ١٥ رمضان ١٢٨٩ ، ورقم ٨ فى ٢٩ شعبان ١٢٨٩ من مدير عموم قبلى السودان الى المعية السنية .

حتى سنة ١٢٨٨ هجرية بمبلغ ٣١٠٠٠ كيس تقريبا أى نحو ١٥٥٠٠٠ جنيها مصريا فى مديرية عموم قبلى السودان فقط[٣٧٤] وفى هذه السنة نفسها بلغ عجز ميزانية مصوع ٤٥٧٨٥٢ قرشا[٣٧٥] وفى عام ١٢٩١ هجرية (فبراير ١٨٧٤ — فبراير ١٨٧٥) كان العجز فى ميزانية القلابات ٣٣٧٩ كيسا و ٣٨٦ قرشا و ٣٦ بارة[٣٧٦].

تلك بعض الأمثلة التى اتسع المقام لذكرها عن مقدار ما كان يتأخر من ضرائب على الأهلين تجاوزت الحكومة عن معظمها ولم تشدد فى تحصيلها وعن مقدار ما كان يحدث من عجز فى ميزانية المديريات المختلفة والمحافظات السودانية بادرت حكومة الخديو دائما بارسال الأموال اللازمة لسدها وكان من الطبيعى أن يعنى الخديو باستثمار كل ما يمكن استثماره من موارد السودان وثروته المعدنية على أن يغطى الايراد المتحصل من ذلك بعض هذه النفقات الجسيمة ولما كان السودان مشهوراً من قديم الزمان بوجود بعض المعادن به فقد كاف الخديو أحد المهندسين الانجليز بورمان Bowerman بالكشف عن المعادن فى ساحل البحر الأحمر وصحبه فى هذه المهمة اسماعيل يسرى بك من معاونى المعية السنية وبعض «العساكر اللغمجية» برياسة مصطفى درويش أفندى ونقلتهم الباخرة الطور إلى سواكن ١٨٦٩[٣٧٧] وجرت الأعمال فى

---

(٣٧٤) عابدين . المعيه (عربى) دفتر ٨٥٩ رقم ٢٦ فى ٢٠ ذى القعدة ١٨٨ من مدير عموم قبلى السودان الى المعيه السنيه .

(٣٧٥) عابدين المعيه (عربى) . دفتر ١٨٥٩ رقم ٦١ فى ٦ رجب ١٢٨٨ من محافظه مصوع الى المعيه السنيه .

(٣٧٦) عابدين . المعيه (عربى) . دفتر ١٨٧٥ رقم ٦١ فى ٢٧ جمادى الثانيه ١٢٩١ من شرق السودان وسواحل البحر الأحمر الى المعيه السنيه .

(٣٧٧) عابدين . المعيـة . (تركى) دفتر ٥٧٣ رقم ١ ص ١٦٩ فى ١٢ شوال ١٢٨٥ ارادة سنية الى محافظ سواكن . ثم رقم ١ ص ١٧٠ فى نفس التاريخ من الجناب العالى الى محافظ مصوع .

جهات أخرى من السودان للكشف عن المعادن كان أهمها ماحدث فى دارفور للتنقيب عن معدن الرصاص فى جهة جبل الكُتُم وفحص المياه المعدنية الموجودة فى عينين بجهة جبل مرة يقال لهما بركة الذكر وبركة الأنثى [٣٧٨] وأرسل الزبير رحمت بك مدير بحر الغزال « عينة » من النحاس الموجود فى حفرة النحاس لفحصها بالقاهرة ووجد بعد الفحص أن النحاس بهذه الحفرة « يكاد يكون نقيا ويلزم استعماله فى الأحوال التى يستعمل فيها النحاس لأنه كالنحاس الجيد الذى يجلب من أوربا[٣٧٩] » وعند ماعرف وجود معدن الفحم وغيره بجهة زيلع وجبال بنى عامر بين سواكن وعقيق ووجود الفحم كذلك فى حدود دهرر المتاخمة لشوى الحبشية كلف محافظ سواكن ووكيل محافظة زيلع (أبو بكر شحيم) وحكمدار هرر رءوف باشا بفحص هذا المعدن للوقوف على مقدار صلاحيته كوقود نافع[٣٨٠] وفضلا عن ذلك فقد أبدت القاهرة اهتمامها بمعرفة خصائص نبات الكينا الذى يكثر وجوده فى السودان وتجربة هذا النبات للوقوف على فوائده[٣٨١] كما اهتم الخديو بصناعة قوالب النيلة من

---

(٣٧٨) عابدين • المعية . (عربى) دفتر ١٤٨ رقم ٥٢ فى ٢٧ ربيع الاول ١٢٩٣ من المعية الى حكمدارية السودان .

(٣٧٩) عابدين • المعية • (عربى) دفتر ١٨٧٥ رقم ١٩ فى ٢٥ صفر ١٢٩١ من حكمدارية السودان الى المعية السنية ، ثم دفتر ١٨٧١ رقم ١٠ فى ٢٤ جمادى الأولى ١٢٩١ من المعية الى حكمدارية السودان .

(٣٨٠) عابدين . المعية • (عربى) دفتر ١٨٣٥ رقم ١٠ فى ١٦ صفر ١٢٨٧ من محافظ سواكن الى المعية السنية ، ثم دفتر ١٧ رقم ٢٠ سايرة فى رمضان ١٢٩٢ من رؤوف باشا الى المعية ، ثم دفتر عربى بدون نمرة معية . صفحة ٣٢ فى ١٢ شوال ١٢٩٢ من المعية السنية الى حكمدارية هرر وملحقاتها .

(٣٨١) عابدين . المعية . دفتر ١٨٣٦ (عربى) رقم ٧ فى ١٠ صفر ١٢٨٧ من حكمدارية السودان الى المعية السنية ، دفتر ٥٥٨ (تركى) ٢٠ فى ٢٥ ذى القعدة ١٢٨٢ من المعية الى حكمدار السودان .

هذا النبات الذى تكثر زراعته بمديرية التاكة بنوع خاص [٣٨٢] وأوصى بالعناية بأمر الملاحات الموجودة بسواحل البحر الأحمر حتى يمكن استثمارها استثمارا طيبا وكانت أهم هذه الملاحات ثلاثا احداها بجهة سواكن (ملاحة رواية) والثانية بين سواكن ومصوع والثالثة بين سواكن وتجرة (تاجورة) [٣٨٣] غير أن هذه الأعمال جميعها كانت ماتزال فى دور التجربة ولذلك ظلت خزانة الخديو تتحمل شطراً عظيما من نفقات الحكم والادارة فى السودان وكان من أسباب زيادة هذه النفقات ولا شك رغبة الخديو فى نشر العلم وتشجيع الكشوف الجغرافية ومكافحة الرق والنخاسة .

ولقى التعليم على أيدى اسماعيل كل عناية وكان العاهل العظيم صاحب سياسة تعليمية واضحة المعالم ترجع اصولها إلى ذلك البرنامج الذى وضعه محمد على الكبير وعباس باشا الأول من حيث تعزيز ثقافة البلاد الدينية الاسلامية من ناحية وادخال نوع من التعليم الحكومى المدنى إما بارسال أبناء السودان الى مصر حتى يتعلموا بمدارسها الحكومية على نحو مافعل محمد على وإما بانشاء المدرسة الحكومية فى السودان نفسه على « حسب الأصول المصرية » على نحو مافعل عباس الأول عند إنشاء مدرسة الخرطوم . حقيقية لم تعمر مدرسة الخرطوم بعد وفاة عباس ولكن التعليم الدينى أو الأهلى — إذا جاز استعمال هذا التعبير — كان عند اعتلاء اسماعيل أريكة الولاية قد ازداد قدرة على تأدية رسالته بفضل تمسك محمد سعيد بالخطة التى سار عليها أسلافه فقد ظل سعيد

---

(٣٨٢) عابدين . المعية . دفتر ٥ (معيه سنيه عربى وارد الإفادات) رقم ٢٤ فى ٦ ذى الحجة ١٢٩١ ، ثم رقم ٢٨ فى ٢١ محرم ١٢٩٢ من شرقى السودان وسواحل البحر الأحمر الى المعيه السنيه .

(٣٨٣) عابدين . المعيه . محفظة ١١ جهادية (عربى) رقم ٤٨ فى ٢٠ شعبان ١٢٩٢ من الجناب العالى الى ناظر الجهادية ، ودفتر ٥ (معيه عربى الخ) رقم ٢٦ فى ٢٨ ذى الحجة ١٢٩١ من شرقى السودان وسواحل البحر الأحمر الى المعيه السنيه .

يعمر المساجد وهى دور العلم بالسودان ويرتب لأئمتها الأرزاق والمهايا وبعض الفقهاء والعلماء من الأموال المربوطة على الأطيان والسواقى مادام ريعها مخصصا للانفاق منه على المساجد وطلاب العلم وحفظة القرآن الكريم بل ويهب هؤلاء الفقهاء والعلماء قدراً كبيراً من الأفدنة مساعدة لهم على المضى فى تعليم أبناء السودانيين. فمن المساجد التى وصلتنا أخبارها وأمر سعيد بتعميرها «من طرف الميرى» مسجد الخرطوم وفضلا عن ذلك فقد أمر سعيد بأجابة ملتمس إمام هذا الجامع الشيخ أحمد مكى بشأن «ترتيب مئونة (أرزاق) له» علاوة على مرتبة أسوة بأمثاله من أئمة المساجد الأخرى فوافق سعيد «لكون أحمد مكى المذكور رجل فقير وصاحب تدريس وقائم بشعائر الدين وأذان الصلوات بالجامع ويعلم أولاد المسلمين ومشهور له فى ذلك»[٣٨٤]

وعند ما التمس الشيخ أحمد الامام إمام الجامع الشريف «الكائن بأوردى دنقلة» زيادة مرتبه بادر سعيد بإجابة ملتمسه[٣٨٥] وفى أوائل عام ١٨٦٢ توسط محمد حسين سلطان دارفور لدى سعيد فى أمر الشيخ محمد على قرانى النقشبندى وكان الشيخ يقوم بتعليم أبناء السودانيين فى مديرية دنقلة وبربر ويلتمس ترتيب معاش له من جانب الحكومة فأجاب سعيد وساطة سلطان دارفور وأصدر أمره إلى مدير دنقلة وبربر «بترتيب المعاش الكافى» للشيخ[٣٨٦]

---

(٣٨٤) عابدين . المعيه . دفتر ١٨٩٣ صادر الأوامر رقم ٢ فى ١٩ ربيع أول ١٢٦٧ أمر كريم الى مدير سنار والخرطوم ، دفتر ١٨٩٧ صادر أوامر رقم ١ فى ٦ ذى الحجه ١٢٧٧ أمر كريم الى مدير سنار والخرطوم .

(٣٨٥) عابدين . المعية . دفتر ١٩٦١ صادر قرارات المجلس الخصوصى رقم ١٥ فى ٢٣ رجب ١٢٧٦ ؛ دفتر ١٨٩٣ صادر الأوامر رقم ٢ فى ٢٦ رجب أمر كريم الى مدير دنقلة وبربر .

(٣٨٦) عابدين . المعيــة . دفتر ١٨٩٩ أوامر عربى رقم ١٦٠ فى ١٣ شعبان ١٢٧٨ أمر كريم الى حضرة سلطان دارفور ، ثم دفتر ١٨٩٨ أوامر عربى رقم ٧ فى ١٦ شعبان ١٢٧٨ أمر الى مدير دنقلة وبربر .

وبلغ من اهتمام سعيد بتعزيز الثقافة الإسلامية بالسودان أن أمر بتوزيع الأرزاق على الفقهاء والعلماء «المقررين لتعليم القرآن والعلوم» فى جهات الخرطوم وسنار والتاكة وغيرها وإعفائهم من أموال الأطيان التى يزرعونها «ومعافاتهم أيضاً من الأشغال والمطالب، ما داموا منقطعين للعلم وما دامت مساجدهم «مفتوحة لتلاوة القرآن والعلم الشريف»(٣٨٧).

وفى عهد اسماعيل كثر تعمير المساجد وصرف المرتبات لأئمة هذه المساجد وتوزيع الأرزاق عليهم وتشجيع الفقهاء بكل الوسائل على المضى فى نشر الثقافة الاسلامية فى أرجاء السودان فكان من بين المساجد التى أمر إسماعيل بتعميرها وترتيب المهايا لأئمتها ومؤذنيها وخدمتها، وربط مايوافق ربطه من الأشياء سواء أكان أطيان أو عقارات مما يقتضى ترتيب إيقافه عليها، الجامع العتيق بالأبيض والجامع الكائن بحلة أبو صفية ومسجد الأرباب ببندر الخرطوم والمسجد الكائن بحلة الهلالية بمديرية جزيرة سنار والخرطوم ومسجد قرية عبود ومسجد مدينة سنار ومسجد المسلمية ومسجد مروى ومسجد توكر وغيرها من المساجد الكثيرة. ذلك بأنه «لما كان طبيعتنا — كما قال اسماعيل — جبلت على عمارة المساجد وإقامة الشعائر الاسلامية، فقد أمر بتعمير هذه المساجد جميعها (٣٨٨) ومما تجدر ملاحظته أن إسماعيل

---

(٣٨٧) عابدين · المعية دفتر ١٨٨٦ (أوامر عربى) رقم ٨ فى ١٣ شوال ١٢٧٣ أمر كريم إلى مدير كردفان ؛ سجل ١٨٨٩ (عربى) جزء أول — الأوامر العالية الصادرة للدواوين رقم ١٣ فى ٢٤ محرم ١٢٨٤ ، دفتر ١٨٩٣ (صادر الأوامر) رقم ٤ فى ٢٤ شعبان ١٢٧٦ أمر كريم إلى مدير التاكة ، ثم رقم ٨ فى ١٧ شوال ١٢٧٦ أمر كريم إلى مديرية سنار والخرطوم .

(٣٨٨) عابدين · المعيه . دفتر ١٢٥ (وارد معاونة) رقم ١١ فى ٢٣ شعبان ١٢٧٩ ، ودفتر ١٦٩٤ وارد العرضحالات دواوين ومديريات رقم ٥ فى ٦ محرم ١٢٨٠ ، دفتر ٥٢٩ (تركى) رقم ٢ فى ١٣ ربيع أول ١٢٨٠ ، دفتر ١٢٦ وارد الأقاليم رقم ٢٦ فى ٢٠ محرم ١٢٨٠ ، دفتر ١٩٠٤ أوامر عربى رقم ٢١ فى ٥ ربيع الأول ١٢٨٠ ، ثم سجل =

كان يأمر ببناء الجوامع فى مصوع وسواكن وبربرة وهرر وغيرها على نحو ما سبقت الاشارة اليه . وفضلا عن ذلك فقد أجرى اسماعيل الرواتب والأرزاق على الفقهاء والعلماء وأئمة المساجد وأصحاب « الخلاوى » والزوايا القائمين بتعليم القرآن والدين الحنيف ومنهم الشيخ مصطفى بن ابراهيم الأسوانلى صاحب زاوية بربر والشيخ خلف الله فقيه خلوة السكتياب بمديرية بربر أيضا والولى الصالح أبو صفية والسيد المكى بن الشيخ اسماعيل الولى بمديرية كردفان والشيخ محمد توم بمأمورية سنار وفازوغلى .

وكان الثلاثة الأخيرون « منقطعين للعبادة وتدريس العلم وتعليم أولاد المسلمين القرآن العظيم ومعتكفين بمساجدهم ولا يطلعون منها » والشيخ أحمد الريح إمام مسجد المتمة والشيخ الأمين محمد الخوجلى والشيخ عبد الله الخوجلى وكانا صاحبى مدرستين بحلة العبش والشيخ أبو صالح بن الشيخ احمد أبى الطيب بالحلفاية والشيخ الحاج ابراهيم الأمين إمام مسجد الخندق بمديرية دنقلة والشيخ الأمين محمد من فقهاء الخرطوم والفقيه أو سيد بن الفقيه ابراهيم حمدتو بخط مروى والشيخ يوسف الدرويش بناحية بربر ثم بعد وفاته الشيخ صالح الدرويش وغير هؤلاء كثيرون[٣٨٩] وفى أثناء افتتاح دارفور التمس الفقيه سراج الدين

= ١٧٠١ معيه عربى رقم ١٣ فى غرة ذى الحجه ١٢٨٠ ، ثم دفتر ٥٢٩ (تركى) رقم ٣ فى ١٨ جمادى الأولى ١٢٨١ ، ثم دفتر ١٨٠٢ وارد معيه عرضحالات الخ رقم ٢ فى غاية جمادى الآخرة ، ٢١ معيه عربى رقم ٥ فى ٢٣ شوال ١٢٩٤ المعية السنيه إلى محافظة مصوع وسواكن .

(٣٨٩) عابدين . المعية دفتر ١٧٠١ وارد معية عرضحالات الخ رقم ٧ فى ١٨ رجب ١٢٨٠ دفتر ١٩١٠ أوامر عربى رقم ١٤ فى ٢ ذى الحجة ١٢٨٠ ، دفتر ١٩٤٦ أوامر عربى رقم ٦ فى ٦ ذى الحجه ١٢٨٩ أمر كريم الى مدير عموم قبلى السودان ، دفتر ١٢٠٤ وارد عرضحالات الداخليه رقم ١ (تركى) فى ١١ ربيع الأول ١٢٨٢ ، دفتر ٥٢٩ (تركى) رقم ٨ فى ٦ ذى القعدة ١٢٨١ رقم ٣ فى ٢٢ جمادى الأولى ١٢٨٢ ورقم ٢ فى ٢٢ جمادى الأول ١٢٨٢ ورقم ٦ فى ١٣ ربيع الأول ١٢٨٢ الى حكمدار السودان ثم دفتر ١٩٤١ أوامر كريمه رقم ١ فى ١٣ ربيع الأول ١٢٨٩ ، دفتر ١٨٥٣ معية عربى رقم ٨ فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٨٨ المعية الى ممتاز باشا مدير عموم قبلى السودان .

ابن يعقوب إمام مسجد أم شنقة أن تعفى حلات خمس من الخراج للانفاق من ريعها على المسجد والتلاميذ فأجيب إلى طلبه[٣٩٠] وزيادة على ذلك فقد درج الخديو على تشجيع السودانيين على تلقى العلم فى الأزهر الشريف[٣٩١].

وفى عهد الخديو اسماعيل استأنف التعليم نشاطه بعد أن ألغى سعيد مدرسة الخرطوم وكان السبب فى إلغاء هذه المدرسة أن السودانيين لم يكونوا حتى ذلك الحين قد شعروا بحاجتهم إلى هذا النوع من التعليم الحكومى وآية ذلك أن السلطات الحكومية فى الخرطوم كانت تجد صعوبة كبيرة فى جمع التلاميذ لهذه المدرسة لأن هؤلاء كانوا على حد قول رفاعة يهربون فى « الجبال البعيدة وغير ممكن الحصول على حضورهم »[٣٩٢] ويؤيد قول رفاعة ما ذكره الانجليزى « ملى » Melly الذى شهد المحاولات التى بذلت لافتتاح المدرسة ثم كتب تعليقا على ذلك « من المستحيل أن يتم تأسيس مدرسة بهذا المكان لأن الآباء يفضلون على إرسال أبنائهم (إلى المدرسة) ليتعلموا الفرار إلى الصحراء حيث يتسنى لهم أن يعيشوا بها مستقلين »[٣٩٣] ومع ذلك فأن الحال لم يلبث أن تبدل بعد ذلك حتى أن حكمدار السودان فى آخر عهد سعيد استطاع أن يقترح على الباشا فى مصر ادخال أبناء العمد والأعيان والأهالى فى دواوين الحكومة بالخرطوم وسائر الأقاليم ليتعلموا بها « فن التحريرات

---

(٣٩٠) عابدين . المعية . دفتر ٢ أوامر عربى رقم ٦ فى ٢٢ شوال ١٢٩١ أمر كريم إلى حكمدارية السودان .

(٣٩١) عابدين . المعية . محفظة ٤٢ (تركى) رقم ٢٩٨ فى ٢٧ رجب ١٢٨٤ من حكمدار السودان الى سكرتير الجناب العالى .

(٣٩٢) عابدين . المعيــة . دفتر ٢٣٢ مدارس عربى رقم ١ فى غرة شعبان ١٢٦٨ من ناظر الخرطوم إلى مدير المدارس .

(٣٩٣) Melly II. 99.

والحسابات، تمهيدا لاستخدامهم فى هذه الدواوين وذلك لما بدا له من أن «أهالى (هده) الديار لهم قابلية للعلم »[٣٩٤].

وقد كان هذا الاقتراح أو «الاستئذان» كافيا لأحياء الأمل لدى اسماعيل فى إمكان « تنظيم مكتب على طرف المدير بالخرطوم بحيث يترتب به خوجات تركى وعربى ومن يثبت مهارتهم فى ذلك ليعلموا قدر خمسمائه نفر تلامذة من أهالى تلك البلاد» ثم عاد فكتب فى نفس الأمر الذى أصدره إلى موسى حمدى حكمدار السودان بإنشاء المكتب « وإذا كان بحسب أحوال السودان تجدوا أن يعمل مكتبين بدل المكتب المذكور . فلا بأس وإذا كان يوجد أشخاص من أولاد الترك المتوطنين بالسودان يرغبون إلحاقهم بالمكاتب من ضمن التلامذة السالف الذكر عن تعدادهم فلا مانع من ذلك »[٣٩٥] واقترح موسى حمدى الاستعاضة عن هاتين المدرستين المزمع إنشاؤهما بخمس مدارس صغيرة فى مديريات الخرطوم وبربر ودنقلة وكردفان والتاكة حيث أنه « من المعلوم أن بلاد السودان عبارة عن ديار متسعة، وأن المديريات بعيد بعضها عن بعض وأن قصر التلاميذ الخمسمائة السالف ذكرهم على مدرسة أو مدرستين يوجب تمتع أهل المديرية التى بها تلك المدرسة بحب ثمرات التمدن وحرمان أهل غيرها عن تلك الثمرات النافعة » وبادر اسماعيل بدوره يؤيد اقتراح موسى باشا لما ينجم عن تأسيس هذه المدارس من « نشر وتعميم العلوم والمعارف والحضارة» وأمره بافتتاح المدارس الخمس والسعى « فى تعليم سكان الجهات المذكورة وتقدمهم بأحسن وجه »[٣٦٦] فكان فى ذلك نشأة التعليم الحكومى والمدنى

---

(٣٩٤) عابدين . دفتر ١٩٠٤ أوامر كرام عربى صادرة الى الأقاليم رقم ٢ فى ٦ شعبان ١٢٧٩ .

(٣٩٥) عابدين . دفتر ١٩٠٤ أوامر كرام عربى الخ . رقم ٢ فى ٦ شعبان ١٢٧٩ .

(٣٩٦) عابدين . المعية . محفظة ٢٩ (تركى) رقم ٥٠٨ فى ٢٠ رمضان ١٢٨٩ من موسى حمدى حكمدار السودان الى باشمعاون الخديو ، ثم دفتر ٥٢٦ (تركى) رقم ٢٢ فى ١٠ ذى القعدة ١٢٧٩ .

فى السودان . وفى يونية ١٨٦٣ افتتحت المدارس الخمس[٣٩٧] وانشئت مدرسة أخرى بمدينة سنار ثم تلا ذلك افتتاح مدرسة فى مصوع واثنتين فى سواكن وأنشئت كذلك مدرستان لتعليم فن التلغراف إحداهما فى الخرطوم والأخرى فى كسلا[٣٩٨] وأنشأ رءوف باشا مدرسة صغيرة فى مدينة هرر يتعلم تلاميذها « النحو والحساب وحسن الخط » فى أثناء النهار بينما يقصدها « المراهقون » فى الليل ليقرأوا القرآن الكريم »[٣٩٩] ولما كان الخديو يرغب فى تنوير أذهان السودانيين جميعا فقد شملت عنايته كذلك أهل النيل الأبيض من قبائل الدنكا والشلوك فى مناطق النهر العليا وأعد مشروعا للاصلاحات الواسعة فى تلك الجهات كان أهم ما يسترعى النظر فيها حرص العاهل العظيم على « تشويق أهل هذه القبائل فى دخول من يرغبون دخولهم من أولاد الأهالى للتعليم وتعاطى مشغولات (الصنائع المختلفة) وإرشادهم إليها بالرفق والترغيب »[٤٠٠] .

تلك كانت سياسة اسماعيل التعليمية فى السودان وهى سياسة إن دلت على شيء إلى جانب رغبة الخديو الكبير فى تنوير أذهان رعاياه السودانيين فأنها تدل كذلك على شغف اسماعيل العظيم بالعلم وحرصه على نشر ألويته

---

(٣٩٧) عابدين . المعية . دفتر ١٢٦ وارد معية (عربى) رقم ٢٩ فى ٢٣ محرم ١٢٨٠ ثم سجل ١١٦ صادر المعاونة (عربى) رقم ١٦ فى ١٦ صفر ١٢٨٠

(٣٩٨) عابدين . المعية . دفتر ١٨٧٥ معية عربى رقم ٦٥ فى رجب ١٢٩٠ ، ثم دفتر ١٥٤٩ (أوامر شفاهية عربى) رقم ٤٢ فى ٢٩ شعبان ١٢٩٠ . دفتر ١٨٦٤ (عربى) رقم ٢٥ فى ١١ جمادى الثانية ١٢٩٠ ، ثم دفتر ١٨٧١ معية عربى صفحة ٦٩ فى ٢ ربيع الثانى ١٢٩١ ، دفتر ١٨٧٠ رقم ٤٢ فى ٢٨ صفر ١٢٩١ .

(٣٩٩) عابدين – محفظة ٣ . شميز ١ نمرة الحفظ ٤ . فى ٢ ربيع الثانى ١٢٩٣ من تقرير رؤوف باشا إلى الخديوى (٢٧ ابريل ١٨٧٦) .

(٤٠٠) عابدين . المعية . دفتر ١٩١٠ (أوامر عربى) رقم ١٧ فى ١٨ صفر ١٢٨١ لائحة مرسلة إلى حكمدار السودان .

خفاقة دائما فى كل مكان بل إن هذا الشغف ليبدو جليا عند بحث قائمة أخرى أضافها الخديوى إلى مآثره المتعددة على السودان وأهله وخدمة للعلم وتخفيفا لويلات الانسانية جميعا هى كشف هذه الأقاليم المتسعة كشفا علميا صحيحا كان من فوائده ولا شك فتح شطر الوادى الجنوبى للتجارة المشروعة ومعاونة رجال الحكومة فى تلك الجهود الشاقة التى بذلوها فى مكافحة الرق والنخاسة فى السودان .

— ٦ —

المصريون والكشوف الجغرافية

بدأت الكشوف الجغرافية فى السودان بمجىء المصريين من أيام محمد على وبلغت حركة هذه الكشوف ذروتها فى عهد الخديو اسماعيل فقد ظل السودان على نحو ما سبقت الاشارة إليه مغلقا فى وجه العالم الخارجى أجيالا متطاولة قبل الفتح المصرى فكان ما يعرفه العالم عن أرضه وشعوبه وحيوانه ونباته وما إلى ذلك كله شيئا يسيرا وبحاجة ظاهرة إلى التمحيص العلمى الدقيق وفضلا عن ذلك فقد ظلت منابع نهر النيل فى قلب القارة المجهولة لغزا استعصى عل العلماء حله منذ عهد سحيق ذلك بأن أحدا لم يستطع السير فى النيل (أو البحر) الأبيض جنوبى ملتقى هذا النهر بالنيل الأزرق أو جنوبى قرية الليس إلى منابع هذا النهر فى الأزمان التى سبقت مجىء المصريين وإرسال حملات الكشف إلى تلك الأصقاع النائية.

ومنذ سير محمد على جيوشه لافتتاح السودان كان كشف الأقاليم السودانية من المسائل التى أولاها الباشا بالغ عنايته ذلك بأن معرفة هذه البلاد معرفة صحيحة والوقوف على أحوال الشعوب القاطنة بها : من حيث أجناسهم وطرق معيشتهم وعاداتهم وطبيعة الأرض التى يعيشون عليها ومناخها وثروتها المعدنية والحيوانية والنهر الكبير الذى يخترقها وروافده التى ترويها وآثار الحضارات القديمة الموجودة بها . كانت معرفة ذلك كله أمراً ضروريا لا لإزاحة تلك الأستار الكثيفة التى حجبت الأقطار السودانية عن أعين العالم مئات السنين فحسب بل ولأن هذه المعرفة من شأنها أن تمكن الباشا من إقامة الحكومة الموطدة فى كل ركن من أركان تلك « الأقطار الجسيمة »

ووضع أسس الإصلاح الضرورى للنهوض بشعوبها وآية ذلك أن الحملة التى ذهبت إلى السودان بقيادة إسماعيل بن محمد على فى يونية ١٨٢٠ كانت تضم كثيرين من العلماء الأجانب مهمتهم التنقيب عن الآثار ودراسة شعوب هذه البلاد وثروتها المعدنية والحيوانية والنباتية نذكر منهم فردريك كايو Cailliaud والطبيب الرسام ريشى Ricci وليتورزك Litorezc وقد اشترك مع كايو فى عمل بعض الأرصاد الفلكية وإعداد البحوث الجغرافية ، وكورنز الانجليزى وزميله كونستانت Constant وزوكولى Zuccoli وسيجاتو Segato من الطليان وانجليش English وبراديش Bradish من الأمريكان وغيرهم [٤٠١] وقد وصف أكثر هؤلاء جغرافية البلاد التى زاروها وشعوبها وحيوانها وطيورها وآثارها . وعند ما أرسل محمد على ولده ابراهيم بالإمدادات إلى الأمير إسماعيل فى سنار فى اكتوبر ١٨٢١ [٤٠٢] لم يقنع ابراهيم بمجرد بذل المعونة لأخيه بل كان يريد القيام بمشروعات عظيمة أهمها الكشف عن منابع النيل الأبيض وقد صرح ابراهيم بأغراضه « العلمية » للرحالة الفرنسى كايو وأفضى إليه بما كان يجيش فى صدره من آمال كبيرة هى اعتلاء النيل الأبيض فى عدة سفن مسلحة وزوارق خفيفة يمكن نقلها بسهولة إذا اعترضت الجنادل سيرها فيسير ابراهيم بهذه العمارة النيلية فى النهر وروافده الكبرى حتى يصل إلى منابعه فاذا تحقق لديه أن هناك اتصالا بين النيل الابيض ونهر النيجر سار ابرهيم بعمارته فى النيجر حتى يصل إلى شواطىء أفريقية الغربية وأما إذا ثبت عكس ذلك فإنه كان ينتوى الذهاب إلى كردفان ثم يتوغل فى دارفور وبرنو بعد افتتاحها ويضرب فى الصحراء الكبرى حتى يصل بجيشه عن طريق طرابلس الغرب إلى مصر [٤٠٣] ولم يمنع ابراهيم من تنفيذ هذا المشروع الضخم سوى

(٤٠١) بنولا — (مصر والجغرافية) ص ١٥ ثم — English. p I; Cailliaud I, 277.

(٤٠٢) Cailliaud. II. 319—320; Driault (Formation). 225.

(٤٠٣) Cailliaud. II. 235.

مرضه « بعلة الباسور » واشتداد وطأة المرض عليه اشتداداً اضطره إلى النكوص على أعقابه والعودة إلى القاهرة (٤٠٤) ومع ذلك فقد استطاع محمد بك الدفتردار الذى قاد جيش الحملة الثانى لافتتاح كردفان أن يسهم بنصيب ملحوظ فى الكشوف الجغرافية إبان وجوده فى السودان فقد كتب أسربى Acerbi القنصل النمساوى فى مصر إلى وزيره مترنيخ (٤٠٥) « أن الدفتردار بك يحتل بين ضباط محمد على نفس المكانة التى يحتلها القائد مسينا Massena بين قواد نابليون الفرنسيين ... بل إن فى استطاعة الدفتردار بفضل مايستمتع به من مواهب عظيمة وبفضل غناه الطائل وطموحه الكبير أن يكون رجلا ذا شأن خطير فى العالم الشرقى » ويقول أسربى إن الدفتردار فى أثناء حملته المعروفة عنى برسم خريطة « تحفظ قصة هذه الحملة على طريقته الخاصة ومع أن هذه الخريطة لا تبلغ حد الكمال فأنها تظهر برغم ذلك مواهب هذا القائد جلية واضحة وأما هذه الخريطة فهى عبارة عن قطعة من الكتان رسم عليها الدفتردار مجرى النهر وعين عليها مواضع المحطات المختلفة التى مر بها والمسافة بين كل محطة وأخرى مقدرا تلك المسافات بالزمن الذى كان يقطعه فى أثناء سيره وقد حرص الدفتردار على بيان انحناءات النهر واستعان فى ذلك كله باستخدام البوصلة » .

وكان من أثر نجاح المصريين فى اقامة الحكومة الموطدة فى الخرطوم أن استطاع فى السنوات التالية نفر من الرحالة والكاشفين الأجانب زيارة الأقاليم السودانية والجولان فى إنحائها بأمان يدرسون جغرافية البلاد وينشرون نتائج بحوثهم على العالم أجمع فاستطاع الرحالتان «هاى» Hay و «هوشت» Hoscht

---

(٤٠٤) عابدين . المعية . دفتر ١٠ (تركى) رقم ١٢٥ ف ١٠ جمادى الأولى ١٢٣٧ من المعية السنية الى ابراهيم باشا بسنار ؛ ثم — Cailliaud II. 351—352.

(٤٠٥) Staat-Archiv. Consular-Reports. Alexand. 1825, 1826—1834. (Acerbi). Alex. 26. 12. 1827. Acerbi à Metternich.

الوصول قريبا من موضع الخرطوم فى عام ١٨٢٤ (٤٠٦) وقام البلجيكى أدولف لينان الذى سمى فيما بعد باسم لينان دى بلفون Linant de Bellefonds برحلة إلى النيل الأبيض فكان أول أوربى استطاع الصعود فى هذا النهر منذ تمكن الكاشف الأغريق داليون Dalion فى العصور القديمة من السيرفية إلى ماوراء الخرطوم الحالية (٤٠٧) فوصل لينان إلى اقليم الشلوك عند خط عرض ١١° و ٣٠ دقيقة من خطوط العرض الشمالية عند جزيرة آبا ونقطة الليس (٤٠٨) وقوى الأمل نتيجة رحلة لينان فى امكان القيام بأعمال الكشف ، فى إقليم منابع النيل الغربى الذى كان حتى ذلك الوقت مايزال أعقد مشكلة فى جغرافية قلب افريقية ، وكان بين عامى ١٨٢٨ و ١٨٣١ أن استطاع الكاشف ابراهيم الرحلة فى بلاد الشلوك على جانبى النيل الأبيض وتوغل فى بلاد الدنكا جنوبا حتى وصل فى سيره إلى ماوراء الخط العاشر من خطوط العرض الشمالية (٤٠٩).

وفى الوقت الذى كانت تبذل فيه المحاولات لمعرفة مجرى النيل الأبيض والكشف عن منابعه كثرت رحلات الأوربيين فى أقاليم السودان الأخرى فزار لورد بردهو Prudhoe سنار والخرطوم فى عام ١٨٢٩ واستطاع العالم الطبيعى الألمانى ادورد روپل Rüppel أن يقطع الصحراء بين دبة والأبيض قبل ذلك بأربعة أعوام فكان أول أوربى دخل عاصمة كردفان (٤١٠) وبين عامى ١٨٢٩ و ١٨٣٤ كشف كادلفين Cadalvene وبروفيرى Bruevery

---

(٤٠٦) Déhérain. 230.

(٤٠٧) Bonola (Somm. Histor.) 22; Johnston. 19—20, 94.

(٤٠٨) Linant de Bellefonds. Journal of a Voyage on the Bahr el Abiad. pp. 171—190.

(٤٠٩) F. O. 78/381. Turkey. (Report of Dr John Bowring) March 1839. f 282; Martin Lake (Journ. of Roy. Geog. Soc. of London 1832.) p. 26 et seq.

(٤١٠) Rüppell (Reisen in Nubien etc). 1829; Johnston p III; Déhérain. 148, 215.

وادمون كومب Combes جهات النوبة وصحراوات بيضوية والبشارية وبعض أقاليم السودان الشرقى إلى شاطىء البحر الأحمر وشيد كومب بفضل ما كان يبذله محمد على ورجاله من عناية حتى يطمئنوا التجار والراحالين الذين يقصدون السودان للتجارة أو الكشف والسياحة فقال إنه كان من أثر هذه العناية ، أن أصبح فى استطاعة الرحالين الذين أولاهم الباشا كل عناية أن يصلوا فى جولتهم بسلام حتى سفوح جبال دارفور،[٤١١] وكان من بين الذين أفادوا من هذا التشجيع فى الفترة التالية الرحالة الانجليزى هوسكنس Hoskins والبرنس پوكلر مسكاو Puckler-Muskau الألمانى وآرثر هولرويد Holroyd وايجناتيس پالم Ignatius Pallme من الانجليز .

أما الباشا الكبير فقد أرسل إلى السودان للبحث عن ثروة البلاد المعدنية والتنقيب عن معدن الذهب بنوع خاص فى سنار وفاز وغلى وكردفان[٤١٢] كلا من النمساوى رسيجير Russegger والأيطالى بوريانى Boreani على أن أهم ما حدث من كشوف جغرافية أيام العاهل الكبير كان ولا شك خروج ، تجريدات سليم قبودان ، المشهورة إلى البحر (النيل) الأبيض عقب رحلة الباشا التاريخية إلى الأقاليم السودانية فى أواخر عام ١٨٣٨ وبداية العام التالى فقد اعتزم الباشا عند خروجه إلى السودان إعداد حملة لكشف منابع النيل الأبيض وذلك على حد قول رفاعة الطهطاوى ، اقتداء بمشاهير قدماء ملوك مصر وملوك العجم واسكندر والبطالسة وقياصرة الروم وعقلاء خلفاء مصر ونبلاء سلاطينها وملوكها[٤١٣] ، ولم يحول الباشا عن عزمه جسامة ما كان منتظرا أن يتكلفه أعداد هـــذه الحملة من نفقات أو تصادفه من مشقات

(٤١١) Combes. II. 50.

(٤١٢) Hamont II. 538—540; Russegger. 9,13—29; Yates II, 630; Shukry 81—82. Sammarco (see Introduction).

(٤١٣) رفاعه : ص ٢٤٢ .

وصعوبات(٤١٤) فقر الرأى قبل أن يغادر محمد على القاهرة على أن يكون عدد السفن التى تخرج بها هذه الحملة المزمعة للكشف عن منابع النيل الأبيض خمسة وثلاثين مركبا منها ثلاث سفن مسلحة(٤١٥) وفى أثناء وجوده بالسودان مهد محمد على لنجاح هذه الحملة العلمية بارسال الرسل لاستمالة رؤوس السود على ضفتى النيل الأبيض وقد رحب الرؤساء بهؤلاء الرسل ترحيبا طيبا «حتى أن الباشا — على حد قول لاورين القنصل النمساوى — أصبح عظيم الاطمئنان على نجاح الحملة التى يعتزم إرسالها من الخرطوم للكشف عن منابع البحر الأبيض»(٤١٦) ولم يقنع الباشا وهو بالخرطوم بضرورة تأجيل الحملة إلى الصيف المقبل سوى تأخر وصول الذهبيات وانخفاض المياه فى النيل الأبيض بصورة لا تساعد على سير الحملة فى النهر بأمان والاهتمام بتزويد الحملة المزمعة بما يكفيها من مؤن وذخائر وانتظار مجىء شيخ قبائل الشلوك إلى الخرطوم لتقديم فروض الطاعة والولاء لمحمد على(٤١٧).

ومع ذلك فقد غادرت الخرطوم «حملة تجريبية» بقيادة بوجمارتن Baumgarten وهو سويسرى مغامر تسمى باسم احمد قبودان وكان يصحبه الفرنسى تيبو Thibaut والدكتور سليمان افندى وذلك لتجربة السير فى النيل الأبيض قبل خروج تجريدة سليم قبودان ففحصت هذه الحملة النهر حتى بلدة

---

(٤١٤) Staat-Archiv. Rapp. de Constple. Turquie (49). No 319 Lit. Enclos. Report of Laurin to Stürmer. Alex. 7. 1. 1839.

(٤١٥) Sammarco. Doc. 30 Aless. 9 oct. 1838. Ricardo Fantozzi A. S. E. Il Sig. Principe Di Cassara. pp 35—36.

(٤١٦) Staat-Aachiv. Rapp. de Constple. Turquie (49) — 1838 — No 315 Const. 19. 12. 1838. Stürmer Zu Metternich. Adj. Laurin Zu Stürmer Alex 6. 12. 1838.

(٤١٧) Staat-Archiv. Rapp. de Constple. Turquie (50). No. 324. Const. 20. 2. 1839. Adj. Trad. Lettre de Cartoum 15. 12. 1838. also. F.O. 195/51, Cairo 25. 12. 1838 ; ibid Cairo 41. 2. 1839. Campbell to Palmerston.

الليس وعادت إلى الخرطوم بسلام (٤١٨) وبعد عودة محمد على إلى مصر تمت الاستعدادات اللازمة لخروج الحملة الكبيرة برياسة سليم قبودان يصحبه فيض الله قبودان لمعاونته فى شئون الملاحة ويتولى قيادة الجند سليمان كاشف كما صحب الرحلة أوربى واحد هو الفرنسى تيبو الذى تسمى باسم ابراهيم افندى (٤١٩) وقد غادرت هذه الحملة الخرطوم فى ١٦ نوفمبر ١٨٣٩ وفى يوم ١٦ ديسمبر من العام نفسه وصلت «إلى مكان تجرى فيه مياه لا تشبه مياه البحر الأبيض لأن لونها كان ضاربا إلى الحمرة وكان عرض مصب هذا النهر نحو ربع ميل ، ويأتى بهذه المياه نهر يصب فى البحر الأبيض أخبر سليمان كاشف رجال التجريدة بأنه « يسمى البحر السباط » وبعد أن استأنفوا السير قليلا دخلوا فى منطقة السدود وفى يوم ٢٦ يناير ١٨٤٠ وصلوا إلى خط عرض ٦ درجات ، ٣٣ دقيقة من خطوط العرض الشمالية ولما كان من المتعذر التوغل فى النهر (بحر الجبل) إلى أبعد من ذلك بسبب قلة عمق المياه فقد قر الرأى على العودة فى اليوم التالى وكان فى أثناء العودة أن توغلت الحملة فى نهر السوباط (أو بحر شافيح بلغة الشلك) بغية كشفه ولكنها لم تستطع السير فيه طويلا بسبب كثرة « المنعطفات والملتويات » والكردات أو السدود فى هذا النهر وسكون الريح وقلة عمق المياه فعادت الحملة أدراجها إلى مصب النهر ثم استأنفت السير فى النيل الأبيض وكان رجوعها إلى الخرطوم فى ٣٠ مارس ١٨٤٠ (٤٢٠) .

وكانت هذه التجريدة أول محاولة علمية من نوعها قام بها المصريون

---

(٤١٨) Staat. Archiv Rapp. de Constple : Turquie (50) No 339 Lit B. Const. 5.6. 1839. Stürmer à Metternich. Adj. No 370. Alex 24.5. 1839. Laurin à Stürmer.

(٤١٩) Thibaut (Expedition) 11; Werne (Wanderings) 62.

(٤٢٠) سليم بكباشى (الرحلة الأولى) صفحات ٩ ، ٣٠ — ٣١ ، ٣٦ ، ٧٥ ، ٨٨ ، ٩٠ ثم انظر — Déhérain 252; Johnston. 95.

للكشف عن منابع النيل أثارت اهتمام العالم الخارجى بفضل ما نشره قائدها البكباشى سليم فى (جرناله) من جداول ، تحتوى ١١ عموداً للبيانات الآتية: الساعات والطريق والتيار والترمومتر أى درجة الحرارة وطول النهر وعمقه ونمر الترتيب المعطاة للجزر وأسماء هذه الجزر والاتجاه والرياح والملحوظات، وقد بعث أرتين بك ، المترجم والكاتم الأول لأسرار سمو الوالى ، هذا الجورنال إلى المسيو جومار Jomard فنقله إلى الفرنسية وقد قال جورمار فى مقدمة ترجمته إن ، رحلة البكباشى سليم قبودان باكورة ثمار الحضارة التى انبعث فى مصر ضوؤها منذ خمس وعشرين سنة . . . وتحتوى روايتها بيانات جمة عن مجرى البحر الأبيض وروافده والسكان النازلين بضفتيه والحاصلات الطبيعية المشهورة فيهما وهى صالحة ولا بد أن تبقى كذلك لأن تكون قاعدة للكشوف التالية ،[٤٢١] وبادر كوشيليه Cochelet القنصل الفرنسى فى مصر بأرسال أخبار هذه الرحلة والنتائج العلمية التى وصلت اليها إلى حكومته ثم قال فى ختام رسالته ، وقد حصلت على وعد قاطع من محمد على بأن يبدأ فى إعداد حملة جديدة خدمة للعلم على أن يصحبها فى هذه المرة رجال فى استطاعتهم القيام بأعمال الكشف وتدوين الملاحظات المفيدة وهذا ما كان يرغب فيه الباشا دائما ،[٤٢٢] .

وبالفعل لم تلبث أن قامت الاستعدادات بعد ذلك فى الخرطوم لأرسال سليم قبودان على رأس تجريدة ثانية للكشف عن منابع النيل الأبيض لأن الباشا كما قال المهندس الفرنسى دارنو D'Arnaud كان يريد الوصول إلى رأى حاسم فى موضوع منابع هذا النهر[٤٢٣] وفى ٢٣ نوفمبر ١٨٤٠ غادرت التجريدة

(٤٢١) سرهنك ٢ : ٢٣٤ - ٢٣٥ ؛ ثم انظر Jo mard (Premier Voyage); Déhérain 242.

(٤٢٢) Aff. Etr. Egypte (10) No 188. Alex 1. 6. 1840 Cochelet à Thiers.

(٤٢٣) Arnaud. Documents p 1. Lettre de M. d'Arnaud à M. Jomard Du Kaire le 12 Jaurvier 1842.

الثانية الخرطوم وخرج معها أربعة من الأوربيين هم تيبو الذى رافق الحملة الأولى والفرنسى ساباتييه Sabatier والألمانى فردنند فرن Werne ثم المهندس الفرنسى دارنو مخطط مدينة محمد على وقد وصلت هذه الحملة فى ٢٥ يناير ١٨٤١ إلى جزيرة چانكير Janker عند خط عرض ٤ درجات و ٤٢ دقيقة من خطوط العرض الشمالية وتقع هذه الجزيرة قبالة مرتفع من الأرض عند غندكورو ولما كان يعوق الملاحة فى النهر وجود حاجز صخرى فى هذا الجزء من المجرى وانخفاض المياه فقد قر الرأى على العودة ثم حاول سليم كشف نهر السوباط ولكنه أخفق لنفس الأسباب التى جعلت التوغل فى هذا النهر متعذرا فى اثناء التجريدة الأولى . وفى ١٨ مايو ١٨٤١ عادت الحملة إلى الخرطوم(٤٢٤) وبادر بورفيل القنصل الفرنسى فى القاهرة بأرسال أخبار هذه التجريدة مفصلة إلى حكومته(٤٢٥) .

ولما كانت التجريدة الثانية قد وصات إلى جزيرة چانكير فقط ولم تفد المعلومات التى جمعها رؤساؤها عن منابع النيل من أهالى تلك الجهات شيئا فى حل هذا اللغز الجغرافى القديم فأن الباشا ما لبث أن قرر خروج تجريدة ثالثة برياسة سليم قبودان لشدة رغبته « فى معرفة منابع النيل وجهاته »(٤٢٦) فغادرت هذه التجريدة الخرطوم فى ٢٧ سبتمبر ١٨٤١ وبعد جهد بلغت المكان الذى بلغته التجريدة السابقة ثم عادت إلى الخرطوم فى ٦ مارس من العام التالى دون أن تحاول كشف السوباط وكان السبب فى عدم استطاعة هذه الحملة تحقيق رغبات الباشا أن حكمدار السودان أحمد باشا أبو ودان لم يعن العناية الكافية بأمر الاستعدادات اللازمة لها(٤٢٧) ومع ذلك فقد كتب

---

(٤٢٤) Jomard (Second Voyage) 11; Sammarco XLII-XLIV; Déhérain 257—259; Bonola 27.

(٤٢٥) Aff. Etr. Egypte (15) No 31 Caire 3. 2. 1842. Bourville à Guizot.

(٤٢٦) سرهنك ٢ : ٢٣٥ ؛ ثم Jomard (Second Voyage) p 11.

(٤٢٧) Sammarco, XLV. Déherain 263—265.

(جوتييه دارك) Gautier d'Arc القنصل الفرنسى فى مصر « أنه فى الوقت الذى تبدى فيه الحكومة الفرنسية اهتماما كبيرا بالعلوم الجغرافية تتحمل الحكومة المصرية كذلك نفقات حملة أرسلت فى بلاد بعيدة . . . لتتبع مجرى النيل الأعلى حتى منابعه . . . بلغت خط عرض ٢ ٤َ ٤° شمالا . . . وقد كشفت هذه الحملة فى أثناء سيرها عن عدد عظيم من الشعوب التى ظل العالم يجهل أمرها حتى يومنا هذا . . . ومما يجعل فائدة هذه الرحلة محققة أن هناك أملا كبيرا فى إمكان استخدام هذا الطريق لأنشاء صلات مع الأمم المسيحية العظيمة التى تقطن أقاليم افريقية الوسطى وذلك بالسير فى جزء النهر الذى تصلح الملاحة فيه من فرع النيل الرئيسى ويعود الفضل فى ذلك إلى محمد على الذى يعد الآن حملة جديدة لأرسالها إلى أقاليم النيل العليا وفضلا عن ذلك فأن الفوائد العظيمة التى تجنيها التجارة من فتح هذا الجزء من العالم لا يمكن تقدير قيمتها بحال من الأحوال »(٤٢٨) .

والواقع أن هذه التجريدات الثلاث إلى جانب ما جمعه رجالها من معلومات جغرافية جديدة لم تلبث أن مهدت لارتياد مناطق النيل العليا بفضل ما صار يتحدث به رجالها عن وجود الفيلة والعاج بكثرة عظيمة وذلك عدا الأبقار والماشية والطيور كما أن هؤلاء أفاضوا فى ذكر محصولات الأرض الوفيرة خصوصا الذرة فكان من المنتظر أن تسفر هذه التجريدات التى فتحت النيل الأبيض للملاحة عن نتيجة هامة مباشرة هى تأليف الشركات التى بدأت منذ عام ١٨٤٣ ترسل حملاتها بانتظام لصيد الفيلة أولا ثم لاقتناص الرقيق فى أقاليم النيل العليا بعد ذلك وقد استطاع التجار والمغامرون الذين قصدوا هذه الجهات أن يجمعوا المعلومات الجغرافية الهامة . من هؤلاء الفرنسى

---

(٤٢٨) Aff. Etr. Egypte (15) No 37. Caire 24. 1. 1843 Gautier d'Arc à Guizot

« بران روليه » Brun Rollet فى أواخر عهد محمد على فقد وصف جغرافية المناطق التى زارها فى النيل الأبيض حول غندكورو وفى بحر الغزال واستطاع أن يكشف مسافات بعيدة من هذا النهر وكان بران روليه يعتقد أنه مجرى النيل الرئيسى (٤٢٩) وفى أواسط عام ١٨٤٧ وصل إلى مصر أعضاء (البعثة الكاثوليكية) فى طريقها إلى الخرطوم لتأسيس مراكز للتبشير بين الزنوج فى جهات النيل العليا واستطاعت هذه البعثة برياسة الدكتور أجناتز كنوبلخر Knoblecher أن تنشىء بعض المراكز التبشيرية فى جهات النيل الأبيض (بحر الجبل) حول غندكورو وفى السوباط والنيل الأزرق (٤٣٠) وأسدى أعضاؤها خدمات جليلة للعلم فقال الرحالة الانجليزى سبيك Speke « وقد احتفظ المبشران النمساويان كنوبلخر ودوياك Dooyak بجداول تبين درجات الرطوبة فى هذه البقاع على مدار السنة كما أنهما أعدا سجلات وافية بالارصاد الجوية وكل ذلك بدقة عظيمة وبأسلوب علمى منظم (٤٣١) وقال جلبرت Gilbert « إن ما قام به هؤلاء من أسفار بين الشعوب الهمجية (فى مناطق النيل العليا) وإنشاء مركز للتبشير جديد فى سان كروا St Croix عند قبائل الكيك تحت خط عرض سبع درجات شمالا ساعد مساعدة قيمة فى جمع المعلومات المفيدة عن القارة الأفريقية » (٤٣٢) وقد ظل أعضاء البعثة يقومون بأعمالهم بنشاط حتى أوائل عام ١٨٦٠ عندما اضطرت البعثة إلى الانسحاب من مراكزها فى هذه الجهات بسبب ما أثارته بين عامى ١٨٥٢ و ١٨٥٧ فعال تجار العاج

(٤٢٩) Brun-Rollet. 93, 96, 151, 200—204; Mott, 14.

(٤٣٠) Berlioux 246; Debono 350. Junker, 197,198; Brun-Rollet 193—194.

(٤٣١) Speke. (The Discovery of the Victoria Nyanza) p. 61.

(٤٣٢) Gilbert. 167.

والرقيق الأجانب من سخط قبائل البارى والبلنيان على كل أوربى فى مناطق النيل العليا (٤٣٣) .

ومع ذلك فان انسحاب البعثة الكاثوليكية من جهات بحر الجبل لم يكن معناه أن هذه المناطق قد أغلقت فى وجه الرواد والمغامرين الذين استمروا يقصدونها فى السنوات التالية لصيد الرقيق خصوصا وجمع الحقائق الجغرافية التى تعين على معرفة منابع النيل ويرجع الفضل فى ذلك إلى سعيد باشا الذى زار السودان فى عام ١٨٥٦ و ١٨٥٧ فقد كان لهذه الزيارة نتائج جغرافيـة مفيدة ذلك أن الدكتور أباته Abbate عند ما نشر أخبار هذه الرحلة تحدث عن جغرافية الأقاليم الممتدة من كورسكو إلى الخرطوم (٤٣٤) وفضلا عن ذلك فقد أراد سعيد إعداد حملة جديدة للكشف عن منابع النيل على غرار الحملات التى قادها سليم بكباشى أيام محمد على (٤٣٥) واعتمد سعيد فى ذلك على أحد المغامرين الفرنسيين إسكايراك دى لوتير Escayrac de Lauture . ولكن لوتير بدلا من مغادرة القاهرة وجد فى سخاء الباشا ما أطمعه فى إطالة المكث بها بدعوى انتظار الآلات العلمية التى أوصى بشرائها خصيصا لهذه الرحلة فلما وصلت الآلات إلى القاهرة وجد أن أكثرها أصيب بالعطب . زد على ذلك أن سعيداً لم يشأ أن تكون الرحلة المزمعة ، فرنسية لحما ودما، كما أن رئيسها لوتير ما لبث أن أثار سخط الكثيرين ممن اتصلوا به وانتهى الأمر بعدم مغادرة

---

(٤٣٣) Staat-Archiv. Consular Repor — Alex. 1838—1847. No. 987/1 Alex. 20.7.1846. Laurin Zu Metternich ; ibid Gen. Cons. Egypt 1854. No. 142. Cairo 12.2.1854 Enclos. Rep. of Dr. Heuglin No. 2 Khartoum 5.1.1854 , ibid No. 1055. Alex. 30.6.1854. Enclos. No. 79 Khart. 25.4.1854. Heuglin to Huber, also Enclos. II. Khart. 17.5.1854. Report. Dr. Knoblecher to Huber.

(٤٣٤) Abbate. pp. 5—26.

(٤٣٥) Vivian de Saint-Martin. pp. 355—356.

الرحلة القاهرة أصلا (٤٣٦) ومع ذلك فان زيارة سعيد للسودان ثم ما نشر عن رحلة إسكايراك دى لوتير لم يلبث أن استرعى أنظار كثيرين من الأوربيين وغيرهم وتنبيههم إلى ضرورة الرحلة إلى السودان لا لمجرد السياحة أو الصيد والقنص بل ولمعرفة جغرافية هـذه البلاد والوقوف على حقيقة الشعوب القاطنة بها ومحاولة الوصول إلى منابع النيل الأبيض فنشطت رحلات الرواد والكاشفين إلى مناطق النهر العليا واعتبر المعاصرون «أن عهداً جديداً قد بدأ فى تاريخ النيل الأبيض» (٤٣٧).

وكان من بين الذين شجعهم سعيد على القيام برحلة لـكشف منابع النيل الفرنسى ألفريد پينى Peney فقدأعد پينى مشروعا للرحلة المزمعة ونال موافقة الحـكومة عليه كما تكفل الباشا بنفقات الرحلة وكان پينى يرجو الوصول إلى بحيرة فيـكتوريا فاعتلى پينى النيل الأبيض يصحبه التاجر المالطى أندريا ديبونو Debono وبلغ غندكورو فى ديسمبر ١٨٦٠ وعندما بلغته الأخبار عن وجود أنهار عظيمة فى جهة الغرب صمم على زيارة بلاد النيامبارا للوقوف على حقيقة هذه الأنهار فتم له ما أراد وكشف جزءاً من إقليم بحر الغزال وبعث بنتيجة كشوفه الجغرافية فى تلك الجهات إلى الخرطوم كما أرسل اليها بمجموعة من نباتات هذا الاقيم ومعادنه وكتب عند عودته إلى غندكورو فى فبراير ١٨٦١ رسالة مسهبة إلى رئيس المجمع العلمى المصرى كوينج بك Koenig تحدث فيها عن رحلته من الخرطوم إلى غندكورو ثم زيارته لبلاد النيامبارى (٤٣٨) ثم اعتزم پينى بعد ذلك السير فى بحر الجبل إلى ما وراء غندكورو وغادرت الحملة

---

(٤٣٦) Staat-Archiv. Rapp. de Constple. vol. XII 59. No. 396. Buyukdere 26.6.1857. Enclos. I. Alex. April 1857; Johnston 106; Shukry 123-124.

(٤٣٧) Berlioux. 87.

(٤٣٨) Malté-Brun (Les Dernières Explorations) 8,17,24—25; also. Lettre de M. Peney à M. Koeing Bey. Gondokoro. 20.2.1861. [Bull. de l'Institut Egyptien-Année 1861 No. 5 Alex. 1861] pp. 111—112.

فعلا هذا المكان الأخير فى فبراير ١٨٦١ ولكن صعوبات كثيرة حالت دون تقدمها فاضطر پيني إلى العودة ووجد عزاءه عن هذا الفشل فى إخفاق رحالة بندقى هو ميانى Miani كان يعتزم السير فى النهر فى العام السابق وفى ابريل ١٨٦١ زار پيني بلاد اللوتوكا Lotuka والبارى Bari وجمع معلومات جغرافية عن هذه الأقاليم وشعوبها ثم توفى بعد عودته فى غندكورو فى يوليه من العام نفسه

وكان فى عهد سعيد أن قصد عديدون بلاد السودان للسياحة والكشف الجغرافى نذكر منهم ليجيان Lejean الذى زار السودان الشرقى وكردفان واعتلى النيل الأبيض حتى غندكورو ووصف شعوب النيام نيام فى بحر الغزال(٤٤٠) ثم من الألمان روبرت هارتمان Hartman وزميله أدلبرت Adelbert والبارون هارنييه Harnier وقد زار هارنيه غندكورو عام ١٨٦٠ ووصف الحملات التى كانت تقوم منها وقتذاك بغية صيد الرقيق أو الكشف عن منابع النيل(٤٤١) ثم البلجيكى برسنير Pryssenaere والماركيز أنتنورى Antinori الذى اعتلى النيل الأزرق وبحر الغزال(٤٤٢) ثم الكاشف الأيطالى كارلو بيادچيا Piaggia ومواطنه ميانى Miani والسيدات الهولنديات من اسرة تينى Tinné والكاشفون الانجليز سبيك Speke وجرانت Grant وصمويل بيكر Baker وچون بتريك Petherick وغيرهم أما بيادچيا فقد قام بأول رحلاته فى النيل الأبيض فى عام ١٨٥٣ ثم استطاع بعد محاولات ثلاث فى الأعوام ١٨٦٣ و ١٨٦٤ و ١٨٦٥ الدخول فى نهر السوباط وزيارة بلاد النيام نيام فى اقليم بحر الغزال(٤٤٣) وأما السيدات

---

(٤٤٠) Lejean. Voyage dans l'Afriqne Orientale (1860); Lejean, L'Afrique Inconnue (1862); Lejean, Gondokorro (1862) : Tour du Monde. vols II, III, V, VI.; also. Lejean, Le Haut Nil (Revue des Deux Mondes. vol. XXXVII (1862).

(٤٤١) Vivian de Saint-Martin. (Revue Geogr. 1864). Texte Inedite. p. 149; Berlioux 138—140.

(٤٤٢) Bull. de l'Institut Egyptien No. 6. (1862) p. 90; Lejean (Voyage aux Deux Nils) 72: Petherick II. 13—14; Douin III. 1re Partie. 107.

(٤٤٣) Piaggia 186; Antinori (Voyage); Schweinfurth (Charles Piaggia) 180—181.

تيني فقد استطعن الوصول إلى غندكورو والجولان فى بحر الغزال (١٨٦٢ — ١٨٦٥) وأسفرت رحلاتهن عن جمع معلومات كثيرة عن حيوان ونبات وطيور النيل الأبيض وتحقيق مجارى بعض الأنهار مثل الجور والكوزنجا وغيرهما (٤٤٤) أما سبيك وزميله جرانت فقد غادرا زنجبار إلى أوغاندة حيث قابلا ملكها امتيسة M'tesa ثم قصدا أونيورو فبلغا عاصمتها بعد مشقة فى سبتمبر ١٨٦٢ وأخيرا وصلا إلى غندكورو فى فبراير ١٨٦٢ وهناك قابلا صمويل بيكر وزوجه ثم تابعا السير فى النهر حتى وصلا الخرطوم وغادراها إلى اسوان والقاهرة وكانت عودتهما إلى انجلترة فى ربيع ١٨٦٣ (٤٤٥) وأما صمويل بيكر فقد حصل من سعيد باشا وهو مازال بالقاهرة على فرمان يطلب من جميع موظفى حكومته مساعدته فى رحلته ووصل هو وزوجه فى مايو ١٨٦١ إلى كورسكو ثم زار قبل وصوله إلى الخرطوم الأقاليم التى يجرى فيها العطبرة مثل كسلا والقضارف وأرض الهدندوة وغيرها وأخيرا بلغ الخرطوم فى يونية ١٨٦٢ بعد أن قضى فى جهات العطبرة حوالى أربعة عشر شهرا استطاع فى اثنائها أن يعين بشىء كثير من الدقة علاقة نهرى العطبرة والنيل الأزرق بمجرى النيل الرئيسى وفى فبراير ١٨٦٣ وصل بيكر وزوجه إلى غندكورو وبعد مشقة وصلا إلى مكان يسمى مباكوفيا Mbakovia على شاطىء بحيرة البرت الجنوبى الشرقى فى مارس ١٨٦٤ ثم سارا فى البحيرة بحذاء الشاطىء حتى مجانجو ثم اعتليا نيل فكتوريا وكشفا شلالات مرشيزون ثم غادرا أونيورو

(٤٤٤) Heuglin (Reise in das Gebiet); John Tinné (Geogr. Notes); Heuglin (Tinnesche Expedition); Berlioux 86—7; Petherick I 323—26; Budge II 313—14; Johnston 192; Vivian de Saint-Martin (Revue) 422—3.

(٤٤٥) Staat Archiv. Cons. in Alex. und Cairo 1863. No. 30 Pol. Ale. 7.5.1863 Schreiner zu Rechberg-Rothenlowēn. Speke (Les Source du Nil) (Tour du Monde No. 229) p. 328; M'Queen 79; Murray and White 62, 64, 67, 70—71.

فى نوفمبر وبلغا غندكورو فى مارس من العام التالى وفى أوائل مايو كانا فى الخرطوم ثم عادا إلى السويس عن طريق بربر وسواكن وفى اكتوبر ١٨٦٥ كانا فى انجلترة [٤٤٦] وقد كتب بيكر فى رسالة له من الخرطوم فى ٣٠ مايو ١٨٦٥ «وعلى الرغم من أن منابع النيل ظلت منذ أزمان بعيدة سرا يصعب الوقوف عليه فأن انجليزيا واحدا لم يكلف نفسه عناء البحث عن حقيقة هذا السر حتى نجح بروس فى كشف منبع النيل الازرق. وأثبت سبيك وجرانت أن للنيل منبعا آخر فى بحيرة فكتوريا ثم تمكنت بدورى من كشف بحيرة البرت العظيمة وهى منبع النيل الثانى» [٤٤٧] وأعطى بيكر لقب فارس مكافأة له على جهوده العلمية.

وعند ما كان بيكر يجول فى مناطق النيل العليا وصل اسماعيل إلى الحكم فى يناير ١٨٦٣ فكان ذلك مؤذنا ببدء صفحة جديدة فى تاريخ الكشف الجغرافى فى حوض وادى النيل والأقاليم السودانية فقد سارت الكشوف الجغرافية والعلمية المنوعة فى السودان جنبا إلى جنب مع اتساع رقعة الممتلكات الأفريقية التى دخلت فى حوزة مصر أيام العاهل العظيم وفى هذا العهد الجديد لم يكن غرض اسماعيل مجرد الوصول إلى منابع النيل فحسب بل أراد الخديو كذلك أن يتم كشف تلك الأقطار التى ظلت مغلقة فى وجوه العالم الخارجى أجيالا طويلة فى السودان الغربى وبحر الغزال والقيام بكشوف علمية دقيقة فى أجزاء السودان الشرقى والأقاليم المطلة على ساحل البحر الأحمر الغربى وسواحل الصومال ثم مناطق النيل العليا وأخيرا إعداد خريطة شاملة لجميع الأقاليم السودانية ولم يشأ اسماعيل أن يستأثر الأوربيون وغيرهم من الأجانب بفضل المساهمة فى هذا العمل العلمى الجليل بل أراد أن يشترك

---

(٤٤٦) Murray and White. 50, 56, 125, 307—8; Johnston 185—87; Baker (Voyage à l'Albert) No. 368. pp. 41—42.

(٤٤٧) Murray and White. 100.

مصريون فى وسعهم أن يعيدوا إلى الأذهان سيرة القبودان سليم وكانت الرغبة فى تحقيق هذه الغاية أحد الدوافع التى دعت إلى إنشاء مدرسة أركان الحرب فى عام ١٨٦٥ تحت ادارة الكولونيل ميرشير Mircher رئيس البعثة العسكرية الفرنسية التى استقدمها اسماعيل إلى البلاد فى غضون العام السابق[٤٤٨] وفى عام ١٨٦٧ تأسست هيئة أركان الحرب العامة المصرية وكان من أغراض تأسيسها أن يتلقى الضباط المصريون العلوم التى تعدهم للقيام بأعمال الكشف الجغرافى على وجه يدعو إلى الارتياح[٤٤٩].

وفى الوقت الذى كانت تجرى فيه الاستعدادات لتهيئة النخبة الصالحة من الضباط المصريين لارسالهم فى بعوث الكشف الجغرافى إلى السودان أوفد الخديو السير صمويل بيكر فى حملة إلى جهات النيل العليا حتى يخضع لسلطان الحكومة الأقاليم الواقعة إلى الجنوب من غندكورو ويقضى على تجارة الرقيق ويستبدل بها تجارة مشروعة يساعد على نجاحها وعلى توطيد سلطان الحكومة إنشاء سلسلة من المراكز العسكرية والتجارية فى تلك الأقاليم النائية . على أنه مما تجدر ملاحظته أن فرمان الخديو الذى صدر إلى السير صمويل بيكر فى مايو ١٨٦٩ كان ينص كذلك على ضرورة فتح الملاحة فى النهر من غندكورو إلى البحيرات الاستوائية العظيمة[٤٥٠] وكان معنى هذا كشف هذه الأقاليم التى يخترقها النهر والوصول إلى منابع النيل لا لإماطة اللثام عن حقيقة هذه الجهات المجهولة فحسب بل ولبذر بذور الحضارة والعمران فى قلب القارة

---

(٤٤٨) سرهنك ٢ : ٣٠٧ — ٣٠٨ .

(٤٤٩) Bull. Soc. Khed. Geog. Ser. II. No. 2 Caire 1883. p. 2. Sabry (Empire Egypt. Sous Ismaïl) 384.

(٤٥٠) Abdin. Corresp. fran. Doss. 72/1 f. 20922. Trad. Contrat de Sir Samuel Baker. Caire 15.4.1869; Baker (Ismailia) I. 6—7; Murray and White. 149.

الأفريقية(٤٥١) غير أن بيكر لسوء الحظ اعتبر مهمته عسكرية فحسب فطفق يشنها حربا شعواء على الاهلين الوادعين بصورة نفرت هؤلاء من حكومة المصريين واضطرت الخديو إلى الاستغناء عن خدماته(٤٥٢) وكان من نتائج إخفاق بيكر أنه لم يستطع فتح الملاحة النهرية إلى بحيرة البرت بالرغم من أن وضع السفن على هذه البحيرة وكشف هذه الاقاليم النائية كان على حد قول القنصل الانجليزى ڤيڤيان Vivian من أهم أغراض حملة السير صمويل بيكر(٤٥٣) .

وكانت عودة بيكر إلى القاهرة فى أغسطس ١٨٧٣ وفى العام نفسه استخدم الخديو انجليزياً آخر هو شارلس چورج غردون وفى ١٦ فبراير ١٨٧٤ أصدر اليه تعليمات مفصلة كان أهم ما يسترعى النظر فيها إلى جانب ضرورة القضاء على تجارة الرقيق وعدم الوقوع فى الأخطاء التى سببت فشل السير صمويل فتح النهر جنوبى غندكورو للملاحة والوصول إلى البحيرات الاستوائية وإدخال التجارة المشروعة فى هذه المناطق البعيدة(٤٥٤) وأدرك غردون على خلاف ما فعل بيكر مقاصد الخديو على وجهها الصحيح وكان فى مقدمة المسائل التى عنى بها فتح النهر والبحيرات الاستوائية للملاحة(٤٥٥)

---

(٤٥١) Abdin. Corresp. fran. Doss. 72/1 f. 20918 Caire. fevrier 1872 Ismaïl à Baker.

(٤٥٢) Abdin. Amr. vol. VI. No. 19. Alex. 16.10.1872. Hale to the Assistant Secretary of State ibid. vol IX. No. 235. Cairo 12.9.1874. Enclos. J. M'Williams, Chief Engineer to the Editor of the Mail. pp. 84–5. Baker. (Ismaïlia) I. 308—9 ; 364—7 ; 397—8 ; etc. etc.

(٤٥٣) F.O. 85/1371 (Slave Trade 71). Confid. Alex. 6.9.1873. Vivian to Granville.

(٤٥٤) Abdin. Corresp. fran. Doss 71/3. Palais d'Abdin. 16.2.1874 Ismaïl à Gordon ; ibid. doss. 71/4. f. 8211 Caire 19.9.1875. Ismaïl à Gordon; Blunt (Gordon at Khartoum) 96.

(٤٥٥) Butler 109.

دون تفكير فى إيذاء الأهلين أو شن الحروب عليهم وضم بلادهم عنوة واقتدارا إلى الأملاك المصرية[٤٥٦] ولذلك لقيت إدارة غردون نجاحا كبيرا فى المدة التى قضاها فى مأمورية خط الاستواء بين عامى ١٨٧٤ و ١٨٧٦ وكانت أهم الكشوف الجغرافية التى حدثت فى عهده (أولا) تلك التى قام بها الضابط الأمريكى الكولونيل شاييه لونج Chaillé-Long الذى أوفده غردون فى عام ١٨٧٤ فى مهمة سياسية واقتصادية إلى أوغنده ثم أرسله لإنشاء سلسلة من المحطات فى أقليم مكركة نيام نيام فى عام ١٨٧٥ ، (ثانيا) تلك التى قام بها البلجيكى أرنست لينان دى بلفون فى الأقليم الممتد بين لادو عاصمة المأمورية الجديدة ودوباجا عاصمة أوغنده فى عام ١٨٧٥ ، (ثالثا) كشوف الايطالى چسى Gessi فى أقليم بحر الغزال فى عام ١٨٧٤ ونجاحه فى الملاحة حول بحيرة البرت فى عام ١٨٧٦ ، (رابعا) هذا عدا الكشوف الأخرى التى قام بها غردون نفسه عند محاولته التقدم فى النيل الأعلى صوب بحيرة فكتوريا ثم محاولة الضابطين واطسن وشبندال Chippendall الوصول إلى بحيرة البرت ونجاحهما فى كشف مجرى النهر حتى وادلاى.

أما شاييه لونج فقد غادر غندكورو فى مهمته الأولى فى ابريل ١٨٧٤ ووصل إلى دوباجا عاصمة ملك أوغندة أمتيسة فى يونية ثم غادرها فى الشهر التالى وفى أثناء عودته إلى غندكورو كشف بحيرة ابراهيم (أو بحيرة كيوجا)[٤٥٧]

---

(٤٥٦) Sudan Notes and Records. vol X. (Unpublished Letters of Charles George Gordon). No. 28 Dufli and Magungo 16, 17.1.1876. p. 50; Hill. p. Xli.

(٤٥٧) Abdin. Corresp. fran. Doss 71/1. f. 8001. Trad. d'une dépéche adressée par M.M. le Consul Hansal et Giegler. Khartoum 2 Ramadan 1291; also Publications of the Egyptian Staff—Province of the Equator.. p. 68.

وبلغ غندكورو فى ١٨ اكتوبر من العام نفسه [٤٥٨] وقدم تقارير مفصلة عن رحلته إلى غردون بعث بها غردون بدوره إلى القاهرة [٤٥٩] وفى يناير ١٨٧٥ غادر شايبه لونج اللادو إلى مكركة نيام نيام لفتح الطريق بينها وبين لادو عاصمة المأمورية الجديدة وصحبه فى هذه المرة الرحالة مارنو Marno وعاد من هذه الرحلة إلى اللادو فى مارس من العام نفسه وبعث بتفاصيل رحلته إلى رئيس هيئة أركان الحرب الجنرال ستون Stone [٤٦٠] كما بعث غردون بأخبارها إلى القاهرة [٤٦١] وفى عام ١٨٧٦ نشر لونج فى مجلة الجمعية الجغرافية الخديوية « ملاحظات عن شعوب السود الضاربة فى الإقليم الممتد من النيل الأبيض إلى خط الاستواء ثم إلى القرب من (البحر) الأبيض إلى بلاد المكارا كانيام نيام » [٤٦٢] وفى عام ١٨٧٩ نشر مارنو كذلك تفاصيل هذه الرحلة [٤٦٣]

وفى نهاية يناير ١٨٧٥ غادر لينان الرجاف فى طريقه إلى دوباجا فبلغ عاصمة امتيسه (اومتاسى) فى أبريل ثم قفل راجعا وفى أثناء عودته قتله الوطنيون

---

(٤٥٨) أنظر عن تفاصيل هذه الرحلة — جريدة أركان حرب الجيش المصرى · السنة الثانية الجزء الثانى . الصادر فى ١٥ ذى الحجة ١٢٩١ و٢٣ يناير ١٨٧٥ ، ثم انظر Abdin. Amer. vol. IX. No. 258. Cairo 28.12.1874. Beardsley to Fish. Enclos. Letter of Chaillé-Long. Khartoum 7.11.1874; also. Douin III. 3e Partie. Fascicule A. p. 89 Note 3.

(٤٥٩) Abdin. Corresp. franç. Doss 71/3. Gondokoro 18.10.1874 Gordon à Khairy Pacha. App. A. Extrait des Rapports de M. Le Lieut-Colonel Long; App. B. Colonel Chaillé-Long. A.S. Ex (Gordon) Gondokoro-Foweira Sur le Nil. 13.9.1874.

(٤٦٠) Abin. Corresp. fran. Doss 71/4. Ministère de la Guerre . . Etat Major-Général. Cabinet du Chef (Stone). Caire 5.5.1875. Itinéraire du voyage . . .

(٤٦١) Abdin-Corresp. franç. Doss. 71/4 Rageef 19.3.1875 Gordon à Khairy Pacha.

(٤٦٢) Chaillé-Long. Notes sur Les Négres etc.. (Bull. Soc. Khed. Geog. Ser I. No. 2 Caire 1876). pp. 223–234 .

(٤٦٣) Marno. (Reise in der Egypt. Aquat. Provinz... Wien 1879.

قريبا من موجى (٤٦٤) ومع ذلك فقد استطاع لينان فى اثناء هذه الرحلة أن يرسل إلى غردون التقارير المفصلة عن جغرافية الأقاليم التى اجتازها فى طريقه إلى دوباجا وطبوغرافيتها والارصاد الجوية المختلفة علاوة على ما اشتملت عليه التقارير من معلومات تاريخية هامة عن اونيورو واوغندة ووصف الأحوال السائدة فى مملكة امتيسة (٤٦٥)

أما الايطالى جسى فقد عهد اليه غردون بمهمة التقدم صوب بحيرة البرت لفتح الملاحة فى النهر اليها وكان غردون قد ارسل قبل ذلك الانجليزيين واطسن وشبندال فى هذه المهمة ذاتها ولكنهما مرضا وأرغما على العودة (١٨٧٥) (٤٦٦) وعلى ذلك غادر جسى دفلاى فى ٧ مارس ١٨٧٦ وصحبه فى هذه الرحلة الإيطالى پيادچيا وبلغ جسى ماجنجو فى ٣٠ مارس ولكنه لم يستطع البقاء بها بسبب عداء الوطنيين فذهب إلى شلالات مرشيزون وفى ١٢ أبريل بدأ بالملاحة حول شواطىء بحيرة البرت وبمجرد أن فرغ من ذلك عاد إلى دوفيله (الدفلاى) وأعد تقريرا عن رحلته كما رسم خريطة للبحيرة وبعث غردون بالتقرير والخريطة إلى القاهرة (٤٦٧) وفضلا عن ذلك فقد أرسل غردون إلى القاهرة اثباتا موقعا عليه من جسى وضباط الحملة الآخرين برفع العلم المصرى على ماجنجو فى ١٠ ابريل ١٨٧٦ (٤٦٨)

---

(٤٦٤) Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/4. Fatiko 9, 13, 20 février 1875 ; Foweira 24, 25 Mars 1875; Doubaga 25 avril, 8 Juin 1875; Foweira 11 Juillet ; Fatiko 27 Juillet 1875. Ernest Linant de Bellefonds à Gordon.

(٤٦٥) Ernest Linant de Bellefonds. Itinéraire et Notes . . . (Bull. Soc . . Khed. Geog. Ser I. No. 1. Caire 1876). pp. 7—80.

(٤٦٦) Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/4. Rageef 17, 18—4—1875 Gordon à Khairy Pacha.

(٤٦٧) Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/5. Kerri 1.5.1876 Gordon à Khairy Pacha.

(٤٦٨) Abin. Corresp. fran. Doss. 71/5. Ministére de la Guerre-Etat major-Général.Caire 6. 5. 1876.

ولما كانت مهمة غردون فتح المواصلات النهرية مع البحيرات فقد بدأ بعد شهور قليلة من وصوله إلى مقر مأموريته يؤسس محطة فى الرجاف على بعد ستة عشر ميلا جنوبى غندكورو حتى يتخذها قاعدة لنشاطه فى المستقبل (٤٦٩) وشرع يكشف الطريق النهرى إلى بحيرة البرت فبدأ بالجزء من النهر الواقع بين رجاف ودوفيله ففحص جنادل بدن وأسس محطة فى كرى ثم فى موجى وأتم كشف النهر بين الرجاف ومكادة والأقليم الواقع بين الرجاف ولابورة ورسم خريطة لهذا الإقليم (٤٧٠) واعتزم غردون الذهاب إلى بحيرة فكتوريا بدلا من البرت (٤٧١) فتقدم إلى فويرة ثم إلى مرولى وعندما انتهت مأمورية غردون فى خط الاستواء فى سبتمبر ١٨٧٦ استطاع الجنرال ستون ، رئيس عموم أركان الحرب ، أن يعد تقريرا بالكشوف الجغرافية التى تمت فى المدة بين عامى ١٨٧٤ و ١٨٧٦ (٤٧٢) واشتمل ذلك التقرير على الكشوف التى أتمها غردون ورجاله فى مديرية خط الاستواء وكانت هذه تلخص فيما يلى : (١) كشف دقيق من النيل الأبيض من غندكورو إلى بحيرة ألبرت (غردون يساعده كل من واطسن وشبندال وچسى) (٢) كشف النيل الأبيض من الخرطوم إلى غندكورو (وهو أكثر الكشوف دقة إلى يومنا هذا) وتعيين خمسة مواقع بالأرصاد الفلكية (واطسن وشبندال تحت أوامر غردون) (٣) كشف بحيرة

---

(٤٦٩) Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/3 Station tout près de mont Rageef. 1.10.1874. Gordon à Khairy Pacha.

أنظر أيضا . عابدين المعية . دفتر ١٧ (عربى) رقم ٢ فى ٧ ربيع الثانى ١٢٩٣ .

(٤٧٠) Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/4. Rageef 27.3.1875, also 6.4.1875; 17.4.1875 ; and Bedden 23.4.1875; 27.5.1875; Près de Laboré sur le Nil 22.8.1875; 24.9.1875. Gordon à Khairy Pacha.

(٤٧١) British Museum. Ms. No. 40665. Mrooli 18.2.1867 Gordon to Richard Speir Staunder.

(٤٧٢) Abdin. Corresp. fran. Doss. 72/1. Résumé des Résultats geogr. etc. Caire 16.10.1876. (Stone).

البرت فى عام ١٨٧٦ قام به چسى بأمر من غردون (٤) فتح الملاحة فى بحيرة البرت بوضع سفينة بخارية فى هذه البحيرة على يد غردون (٥) تحقيق مجرى نهر النيل بين بحيرة فكتوريا ومرولى وكشف بحيرة ابراهيم قام بذلك الضابط شاييه لونج تحت أوامر غردون (٦) تحقيق مجرى نهر النيل بين شلالات كرومة وبحيرة البرت قام بذلك كل من لينان وچسى وبيادچيا تحت أوامر غردون (٧) كشف فرع النيل الخارج بالقرب من بحيرة البرت والمتجه صوب الشمال الغربى فعل ذلك چسى تحت أوامر غردون (٨) كشف فرع النهر الخارج من بحيرة ابراهيم والمتجه صوب الشمال على أيدى بيادچيا تحت أوامر غردون (٩) كشف دقيق للنيل بين فويرة ومرولى قام به الجنرال غردون (١٠) كشف الأقليم الواقع بين النيل الأبيض قريبا من غندكورو بلاد مكركة نيام نيام قام به الكولونيل لونج بمعاونة مارنو وتحت أوامر غردون » .

وفضلا عن ذلك فقد اشتمل تقرير الجنرال ستون على جميع الكشوف الجغرافية والعلمية المختلفة التى قام بها الضباط من هيئة أركان الحرب المصرية منذ تم تنظيم هذه الهيئة حتى منتصف اكتوبر ١٨٧٦ فقد أعيد تنظيم هيئة أركان الحرب فى الجيش المصرى عندما استخدم الخديو اسماعيل الجنرال شارلس بومرى ستون ونخبة من مواطنيه الأمريكيين فى عام ١٨٧٠ وكان الخديو قد بدأ يستخدم هؤلاء فى جيشه منذ العام السابق فالتحق عدد منهم بخدمة الخديو حتى شهر مارس ١٨٧٤ نذكر منهم كولستون Colston وپوردى Purdy ومازون Mason وپراوت Prout وكامبل Campbell وشاييه لونج Chaillé Long ومتشل Mitchell وريد Reed ورهت Rhett [٤٦٣] وقد اشترك هؤلاء وغيرهم فى أعمال الكشف الجغرافية وإعداد الخرائط والرسوم الطبوغرافية

---

(٤٧٣) Abdin. Amer. vol. VI. No. 3 Alex. 4.6.1870 Butler to Fish. pp. 28—29; No. 179 Alex. 10.3.1874. p. 173.

فى جميع أنحاء الأقاليم السودانية يعاونهم نخبة كذلك من الضباط المصريين الذين امتاز من بينهم كثيرون نذكر منهم محمد مختار وعبد الله فوزى وعبد الرازق نظمى ومحمد عزت وحسن واصف ومحمد رءوف وحتى عهد اسماعيل العظيم كان هؤلاء قد أتموا كشوفا عدة ومسحوا كثيرا من الأقاليم ورسموا عدة خطرائط دقيقة ووضعوا تقارير تحوى معلومات جغرافيه مفصلة ثم توج هذا العمل الجليل بوضع خريطة مفصلة لأفريقية .

فقد قام كولستون فى عام ١٨٧٣ على رأس بعثة كشفت الطريق بين قنا ورأس بناس على البحر الأحمر ثم تمكن مع پوردى من مسح المنطقة الشمالية الشرقية من السودان حتى بربر وفى عامى ١٨٧٤ و ١٨٧٥ استطاع بمعاونة الضباط المصريين من هيئة أركان الحرب كشف الطريق بين دبة وما طول ثم بين دبة والأبيض ووضع كولستون تقريرا ضافيا عن كشوفه فى الجزء الشمالى من إقليم الكردفان ورافقه فى هذه المهمة عمر رشدى واحمد حمدى ومحمد ماهر وخليل فوزى ويوسف حلمى ورسم أحمد حمدى خريطة كشفية للاقليم الواقع بين دبة والأبيض كما رسم يوسف حلمى خريطة الطريق بين دبة وما طول(٤٧٤) وأتم الأمريكى پراوت Prout كشف كردفان ووضع تقريرا ضافيا عنها ١٨٧٥ واشترك فى هذا الكشف الضباط المصريون ورسم محمد ماهر خريطة للطريق من الخرطوم إلى الأبيض واشترك مع پراوت فى وضع خريطة لمجرى النيلين الأبيض والأزرق كما رسم أحمد حمدى خريطة كشفية عسكرية لمديرية كردفان وفى عام ١٨٧٦ وضع الضباط المصريون

---

(٤٧٤) Colston. Extrait d'un rapport sur le Rordofan (15.11.1875); also Colston, Report on Northern and Central Kordofan (1878); also Colston, Notes Sur les Tribus de Bedouins.. (Bull. Soc. Khed. Geog. Ser I. No. 3 (1876) pp. 267—274; also. Abdin Archives. (Cairo). Atlas Contenant 46 Cartes etc.. (Soudan)—Planches V, XIV, XXVI.

خليل فوزى وعمر رشدى ويوسف حلمى خريطة لمدينة الأبيض ورسم براوت خريطة لكردفان[٤٧٥].

وفى أثناء فتح دارفور اهتم حكمدار السودان اسماعيل ايوب باشا بعمل خريطة لدارفور «تبين الجهات التى مرت بها العساكر رسمها بالبوصلة والساعة وباقى الجهات صار رسمها — على حد قوله — بالاستدلال من أهالى وعمد دارفور وسكانها بحيث لم يترك شىء من القرى والجبال والقبائل المشهورة ومسافات الخارطة هى بالنسبة لمشى الحملة بالجمل المعتادين عليه أهالى دارفور» وقد ذكر صاحب الخريطة أنه لم يسبق «عمل خارطة مثل هذه مستوفية عن جهات دارفور لعدم تمكن أحد من السير فى جهاتها» ومع أن الآلات لم تستخدم فى رسم هذه الخريطة فأنها «قريبة من التحقيق وغير خالية من الثمرة»[٤٦٧] وبمجرد أن تم الفتح كشف پوردى دارفور ثم وضعت خرائط دقيقة لهذا الاقليم وعاونه مازون Mason وبراوت والضباط المصريون محمود صبرى ومحمد سامى وسعيد نصر وغيرهم وقد قطعوا ٦٥٠٠ كيلو مترا وعينوا اثنين وعشرين موقعا بالأرصاد الفلكية وقد وضع پوردى تقريرا عن كشوفه فى دارفور ودارفرتيت حتى حفرة النحاس وشكاجنوبا وجبل الميدوب ورسم خريطة لدارفور[٤٧٧] ومن الخرائط التى وضعت كذلك خريطة كشفية للطريق من دنقلة العجوز إلى الفاشر رسمها مازون بك ١٨٧٥ وأخرى للطريق

---

(٤٧٥) Prout. General Report on the Province of Rordofan (1877); also Bull. Soc. Khed. Geog. Ser II. No. 4. (1883); Crabités (Americans) pp. 81—90; Abdin. Archives. Atlas etc. (Soudan) Planches XII, XXIII, XXIV, XXVI, XXVII, and XXVIII,

(٤٧٦) عابدين . المعية . دفتره معية عربى وارد الأفادات . رقم ١٩ مرور صفحة ٧٦ فى ٧ صفر ١٢٩٢ من حكمدارية السودان إلى المعية السنية .

(٤٧٧) عابدين . المعية . دفتر ١٩٨٤ جهاديه . رقم ١١ صفحة ١٢٧ فى ١٠ شعبان ١٢٩٣ من حكمدارية السودان إلى ديوان عموم الجهادية .

بين الابيض والفاشر رسمها محمد ماهر وخليل فوزى وثالثة كشفية لاقليم دارفور ورابعة كشفية كذلك لجبل مرة وكلاهما من رسم پراوت وخريطة للجهات الواقعة شرقى وادى الكوه من رسم محمد سامى ثم خريطة كشفية بين كبكبية وحدود واداى وصوب الجنوب من جبل مرة إلى دارة وشكا وطويشة رسمها مازون وأخرى بين دارة وحفرة النحاس من صنع پوردى وكلها تمت فى عام ١٨٧٦ [٤٧٨] وعلاوة على ذلك فقد صحب بعثتى كردفان ودارفور العالم الطبيعى بفوند Pfund وكشف نباتات كردفان والجزء الأوسط من مديرية دارفور وعاد بمجموعات نباتية طيبة [٤٧٩].

وفى السودان الشرقى وساحل البحر الأحمر وبلاد الصومال وهرر وضع محمد رءوف باشا تقريراً عن البلدان التى مر بها فى حملته من زيلع إلى هرر (١٧ سبتمبر — ١١ اكتوبر ١٨٧٥) والقبائل القاطنة فى هذه الجهات كما وضع محمد مختار وعبد الله فوزى تقريراً ضافيا عن هذا الأقليم يحوى معلومات جغرافية مفصلة ورسما خريطتين ألحقاهما بهذا التقرير إحداهما لمسطح مدينة هرر، والثانية خريطة للجزء الأعظم من مملكة عادل الملحقة بالحكومة الجليلة الخديوية مشتملة أيضا على خط السير الذى اتبعناه من بندر زيلع إلى مدينة

---

(٤٧٨) Purdy. Le Pays entre Dara et Heufrah En Nahass. (Bull. Soc. Khed. Geog. Ser I. No. 8. (1880); Abdin. Archives. Atlas. (Soudan) Planches. XXVIII, XXIX, XXX, XXXI, XXXII, XXXIII.

عن بعثة پوردى (وكولستون) انظر أيضا :

عابدين . المعية . دفتر ٢ أوامر عربى رقم ٧ ق ٢٩ شوال ١٢٩١ أمر كريم الى حكمدار السودان ، ثم أرقام ٥٧ — ٦١ أوامر كريمه فى التاريخ نفسه إلى مديرية كردفان ودنقلة والزبير رحمة باشا مدير بحر الغزال ، والى مديرى وحكام وعمد ومشايخ الأقاليم السودانية .

(٤٧٩) Pfund, (Pfund's Reisebriefe) pp. 1—185; Pfund and Zarbe, Rapport sur les spécimens botaniques etc. (Caire 1879)

هرر،(٤٨٠) وقدزار مختار زيلع وأقليم الجاديبورسى الذى يمتد إلى الجنوب الغربى منها ورافقه فى زيارة جاديبورسى محمود خير الله ودون مختار مذكرات وافية عن جغرافية هذا الإقليم وشعوبه ورسم مختار وعبد الله فوزى وعبد الحليم حلمى خريطة لزيلع وما يجاورها ومسطح مدينة زيلع وقام مختار بكشف عسكرى فى طريق سنكات ووضع رءوف تقريراً عن زيلع «وما يليها»(٤٨١) وفى عام ١٨٧٤ قام عبد الرازق نظمى وعبد الحميد رشدى وغيرهما من الضباط المصريين بكشف المنطقة الواقعة بين بربرة وجبل دوبار ووضعوا خريطة لها وفى منتصف العام رسم أحمد حمدى خريطة عسكرية للأقليم الممتد من جبال البارية إلى بندر التاكة «مبيناً بها خط التلغراف المصمم عمله من كسلا لغاية سنهيت» وفى عام ١٨٧٥ قام بكشف طبوغرافى فى الجهات الواقعة على ساحل البحر الأحمر قريباً من مصوع وهضبة الحبشة ورسم خريطة لها كل من لوكيت Lockett وفيلد Field وديريك Derrick ودوليه Dullier ودنيسون Dennison وايجرن Igrens ودرهولتز Durholtz واشترك معهم كثيرون من الضباط المصريين وفى عام ١٨٧٦ رسم لوكيت ومحمد صادق ومصطفى رمزى خريطة

---

(٤٨٠) عابدين . المعية . (عربى) محفظة ٣ شميز ٣ نمرة الحفظ ٢ — من محمد رؤوف إلى مهردار جناب خديوى من هرر فى ١٨ رمضان ١٢٩٢ ، ثم محفظة ٣ شميز ٣ نمرة ٤ تقرير موضوع من محمد مختار وعبد الله فوزى إلى حكمدار هرر (بدون تاريخ) ، أنظر أيضا :Mustafa Amer,

Some Unfublished Egyptian Maps ot Harrar (1937).

(٤٨١) عابدين ، المعية ، دفتر ١٧ معية عربى قيد وارد الافادات الخ . رقم ٢ صفحة ٩٠ فى ٧ جمادى الثانية ١٢٩٣ من سعادة رؤوف باشا حكمدار هرر إلى المعية السنية ، دفتر ١١ معية عربى رقم ص ١٠ فى ٤ رمضان ١٢٩٢ من المعية السنية إلى الجهادية ثم دفتر بدون نمرة معية عربى صفحة ١ فى ٥ رمضان ١٢٩٢ من المعية السنية إلى ديوان المالية ثم — أنظر :

Moktar, Notes Sur les Pays de Harrar.

pp.352 —389; Abdin-Archives Atlas (Soudau) Planches XLII,XLIV,XLV,XLVI.

لمصوع وما يجاورها بينما قام وارد Ward بكشف قسمايو ودرنفورد وقياس أعماق المياه وعمل خريطة لهاتين الفرضتين واشترك فى ذلك صدق وغيره من الضباط المصريين وعلاوة على ذلك فقد كشف محمد عزت الأقليم الواقع بين تاجورة وأوسوه[٤٨٢] ورسم لوكيت سهول حباب وقرع وفى نفس العام قام متشل Mitchell بكشف طبوغرافى وجيولوجى فى الأقليم الواقع إلى الجنوب الغربى من زيلع وبالقرب من تجره (تاجورة) ورسم خريطة وقد عاونه ضباط مصريون إلى جانب الإيطالى اميليانو Emiliano الإخصائى فى المعادن كما قام بكشف جيولوجى للجهات الواقعة بين مصوع وقرع ثم منطقة ايلت Ailet (١٨٧٦ — ١٨٧٧)[٤٨٣] وفى عام ١٨٧٧ كشف مازون نهر سمليكى ورسم خريطة دقيقة لبحيرة البرت وفى العام التالى رسم خريطة لمجرى النيل من حنك إلى ملك الناصر[٤٨٤] وفى عام ١٨٧٨ ارتاد الكولونيل جريفز Graves شواطىء الصومال لاختيار مكان يصلح لإقامة فنار ورسم خريطة مفصلة لرأس غردفوى وللأقليم بأجمعه مبينا عليها المكان الملائم لإقامة الفنار[٤٨٥].

---

(٤٨٢) Abdin-Archives-Atlas. (Soudan) Planche XLIII; ibid (Soudan-Oriental) Planches VII, VIII, IX, X, XI; XII also Stone. La Topographie du Pays entre la Cote de la Mer Rouge etc. (Bull. Soc. Kh. Geog. Ser I, Nos 9 and 10. Caire 1881).

(٤٨٣) Abdin-Amer. Vol XIII. No 109. Cairo 27.3.1877. Farman to Fish Enclos. I. Copy. War Office. Bureau of the General Staff. Cairo 27.3.1877. by C.P. Stone; also No 119 Cairo 11.4. 1877 Farman to William Evarts; also. Mitchell. Publications of the General Staff. Report. of the Seizure by the Abyssinians of the Geoglogi cal and Miner. Reconn. Exped. (1878); also Crabités (Americans) pp. 201—213.

(٤٨٤) Mason. Trad. du Rapport (Albert Nyanza) Bull. Soc. Khed Geog. Serie I No. 5 (1878). Crabités. op cit. 214—227.

(٤٨٥) Abdin-Archives. Atlas (Soudan). Planche IV.; Murray and White p. 111; Crabités. op. cit. 230—238.

وفضلا عن ذلك فقد رسم أعضاء القسم الثالث من هيئة أركان الحرب الخرائط التى أعدها «تخطيطيا» أو أدلى ببيانات أمكن بفضلها وضع هذه الخرائط كل من غردون وچسى وشايه لونج بين عامى ١٨٧٥ و ١٨٧٨ من ذلك خريطة « للطريق الذى سلكه لونج بك من غندكورو إلى خط الاستواء ذهابا وإيابا من ٢٤ ابريل لغاية ١٨ اكتوبر ١٨٧٤ رسمها مصطفى أفندى صدقى» ثم خريطة النيل الأبيض من الخرطوم إلى فكتوريا نيانزا «حسب استكشافات (غردون فى أعوام) ١٨٧٤ ، ١٨٧٥ ، ١٨٧٦» وخرائط مجرى النيل بين فويرة ومرولى ونيل فكتوريا بين ما جنجو وشوامورو (أغسطس ١٨٧٦) لغردون وخريطة البرت نيانزا «حسب تخطيط عمله چسى فى يوليو ١٨٧٦» (٤٨٦).

وإلى جانب هذه الكشوف التى قام بها ضباط هيئة أركان الحرب قام هاجن ماخر Haggenmaker ، أحد المستخدمين بمديرية عموم السودان الشرقى » برحلة فى عام ١٨٧٤ « تتعلق بجهات زيلع وبربرة وتجرا (تاجورة) الملحقة بالخديوية المصرية وما يليها من بلادعادل والسومال» بأمر من الخديو اسماعيل ثم دون تحقيقاته الكشفية باللغة الفرنسية وأمر الخديو بنقلها إلى العربية فى العام التالى وقام محمد قانى من ضباط أركان الحرب فى عام ١٨٧٦ برسم خريطة لبلاد الصومال « حسب الاستكشافات التى قام بها هاجن ماخر » (٤٨٧) وفى عام ١٨٧٥ قام تيودور ڤون هوجلين بكشف أراضى بنى عامر والحباب ورافقه فى هذه الرحلة ڤايوج Vieweg ورسم خريطة هذا

---

(٤٨٦) Gordon. Letteres de. Accompagnant quatre cartes. (Bull. Soc. Khed. Ser. 1, No 3 (1876) pp- 294–296). Abdin—Archives. Atlas (Soudan)—Planches— XV, XXXIV, XXXV, XXXIII, XXXIX.

(٤٨٧) هاجن ماخر — ترجمة رحلة سياسية تتعلق بجهات زيلع وبربره وتجرا . . . (القاهرة ١٢٩٢) . ثم انظر

Abdin-Archives. Atlas (Soudan) Planche XLI.

الأقليم مصطفى رمزى من هيئة أركان الحرب المصرية[488].

وقد توجت هذه الأعمال الكشفية برسم خريطتين كبيرتين إحداهما عن منابع النيل الأبيض والأنهار التى تصب فيه لأجل المساعدة على توسيع الأعمال ، التجارية ببلاد السودان الشرقية التى تحت خط الإستواء ،[489] وقد رسمها فى عام ١٨٧٠ عضو المجمع العلمى المصرى جون مانويل ، حسب أحدث المعلومات والأرشادات التى وصلته وأدلى بها التجار الاوربيون والعرب فى هذه الجهات وأمكن تنسيقها ،[490] أما الخريطة الثانية فهى خريطة أفريقية وضعت فى عام ١٨٧٧ ، حسب الإستكشافات المصرية مع الاستناد إلى اوثق المصادر الجغرافية ، وأشرف على صنعها الكولونيل لوكيت رئيس القسم الثالث من هيئة أركان حرب الجيش المصرى واشترك فى رسمها كل من لوكيت ومحمد مختار وعبدالله فوزى وعبد الرازق نظمى ومحمود صبرى وأحمد فايق وحسن صفوت ويوسف ضياء وابراهيم حلمى ومحمد جودت ومحمد خيرالله وعلى حيدر وأحمد راشد وأما الكشوف المصرية التى اعتمد عليها هؤلاء فى رسم هذه الخريطة فكانت تلك التى قام بها هؤلاء الضباط المصريون إلى جانب غردون باشا وشاييه لونج ووارد ولوكيت ومازون والسير صمويل بيكر وكولستون وپوردى وپراوت وجسى وغيرهم ومن الكشوف الأجنبية التى اعتمدوا عليها رحلات وكشوف لفنجستون وغليوم ليچيان واستانلى

---

(٤٨٨) Heuglin. Le Territoire des Beni Amer et Des Hab abs. (Bull. Soc. Khed. Geog. Ser. I. No I (1876) pp (105—120); Abdin-Archives-Atlas (Soudan Oriental) Planches V., VI.

(٤٨٩) عابدين . المعية . دفتر ٦ معية عربى رقم ٢٥٦ ص ١٠٤ فى ٥ جمادى الثانية ١٢٩٢ من نظارة المالية إلى المعية السنية .

(٤٩٠) Abdin. Archives. Atlas (Soudan) Planches XVII. Carte des Sources du Nil Blanc et de ses Affluents etc. publiéé sous les auspices de S.A. Ismaïl Pacha, Khedive, par john Manuel (1878).

وشواينفرت وهوجلين وتحمل هذه الخريطة امضاء رئيس هيئة اركان الحرب استون باشا (فى ٣٠ أغسطس ١٨٧٧) [٤٩١] وقد طبعت مصلحة المساحة هذه الخريطة فى عام ١٩٣٠ بأمر من المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول ثم اعادت طبعها بعد أربعة أعوام [٤٩٢] وقد تفضل مولانا جلالة الملك فاروق الأول بأهداء الأصل إلى الجمعية الجغرافية الملكية.

على أنه إلى جانب إهتمام الخديو اسماعيل بتلك الكشوف الجغرافية والعلمية فى السودان على أيدى الضباط المصريين والأجانب من هيئة اركان حرب الجيش المصرى كان الخديو عظيم الحدب على الهيئات العلمية الأجنبية التى تقصد السودان والقارة الافريقية عموما للقيام بالكشوف الجغرافية والعلمية بها فكان من بين الذين نالوا معاضدتة الكاشف الايطالى ميانى Miani الذى ربط له مرتب شهرى من أجل السياحة بالبحر الأبيض [٤٩٣] والعالمان الألمانيان هو جلين وديسبورج، المتوجهين لأعمال مطالعات جغرافية على شاطىء إفريقية الشرقى وبجهات بنى عامر بين سواكن ومصوع، [٤٩٤] ثم الدكتور ولهلم يونكر Junker وأعضاء البعثة الأيطالية، المتوجهة إلى افريقية

---

(٤٩١) Carte Générale de l'Afrique Dressée sous la Direction du Colonel Lockett etc. Le Caire 1877.

(٤٩٢) Mustafa Amer. 292.

(٤٩٣) عابدين المعية دفتر ١٨٧٠ معية عربى رقم ١٤٧ س ١٠١ فى ١٧ جمادى الأولى ١٢٩١ من المعيه السنية الى المالية. دفتر ٥٧٦ معية (تركى) رقم ٣٩ فى ٢١ جمادى الأولى ١٢٨٦ أمر كريم إلى ناظر الداخلية؛ ثم دفتر ٥٦٠ معية (تركى) صفحة ٣٤ فى ١٠ شعبان ١٢٨٢ من المعية السنية إلى الخارجية، ثم دفتر ١٨٧٥ معية (عربى) رقم ٣ س ٢٤ فى ٦ شوال ١٢٩٠ من مدير عموم قبلى السودان إلى المعية السنية.

(٤٩٤) عابدين. المعية. دفتر بدون نمرة معية عربى رقم ٦٨ س ٣٧ فى ٢ ذى الحجة ١٢٩١ من المعية السنية إلى وكيل محافظة سواكن. ثم انظر
Junker. Les voyages du Dr Junker Dans l'Afrique Equatoriale (Bull. Soc. Khed. George). Ser. I. No. 7 (1880).

الوسطى ، وقد بذل لها الخديو كل مساعدة وصحبها عبد الله فوزى وكان رئيسها المسيو مارتينى ولقيت كل حفاوة من السلطات المصرية فى بربرة وزيلع(٤٩٥) وكان من الانجليز الذين لقوا كل معونة اعضاء البعثة التى ذهبت إلى افريقية الوسطى للبحث والاجتماع مع الدكتور لفنجستون ثم رجل الدين ويلسون Wilson عضو البعثة التبشيرية الانجليكانية وعضو شرف الجمعية الجغرافية الخديوية الذى ذهب إلى اوغندة فى عام ١٨٧٧(٤٩٦) وعندما التمست « جمعية المانية تريد السفر إلى أفريقية للقيام باستكشافات علمية ، المساعدة من الخديو بذل لها اسماعيل المال بسخاء مشترطا فقط ، أن تقدم للحكومة المصرية صورا من خرائط البقاع التى سيجرى الكشف عنها»(٤٩٧)

ذلك كان مدى اهتمام العاهل العظيم بالبحوث العلمية ومبلغ سعيد فى إماطة اللثام عن أسرار أفريقية تلك القارة التى ظلت مجهولة قرونا عدة . وكان من أثر هذا الاهتمام كشف الأقاليم السودانية كشفا علميا خلال المدة التى خضع فيها وادى النيل لحكومة الخديو المستنيرة . ومع ذلك فقد أسدى اسماعيل خدمة جليلة ليس فقط لأهل السودان بل وللإنسانية عموما عندما اعتزم مكافحة الرق والنخاسة والقضاء على تجارة الرقيق الشائنة فى شطر الوادى الجنوبى .

---

(٤٩٥) عابدين . المعية . دفتر ٣٧١٦ رقم ٤٥ فى ربيع الثانى ١٢٩٤ من محافظة بربره إلى المعية السنية ، ثم دفتر ١٤٨ معية عربى رقم ٢٦٩ فى ٢٢ شوال ١٢٩٣ من المعية إلى محافظ زيلع (أبو بكر شحيم) .

(٤٩٦) عابدين . المعية . دفتر ١٨٤٦ معية عربى رقم ٥١ فى ٢٨ ذى القعدة ١٢٨٩ من الجناب العالى إلى مأمورى الحكومة الخديوية المصرية بالأقاليم السودانية عموما ؛ ثم أنظر Wilson. Uganda et lac Victoria. (Bull. Soc. Khe. Geog.) Ser. I. No. 9 et 10. (1880).

(٤٩٧) عابدين . المعيـة . دفتر بدون نمرة ترجمة الوثيقة رقم ١٣ ص ١٨ فى جمادى الأولى من المعية السنية إلى شريف باشـا .

— ٧ —

مكافحة الرق والنخاسة

تغلغل الرق فى كيان السودان من أزمان سحيقة بدرجة أثرت فى حياة أهله من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تأثيرا بليغا وبصورة جعلت الفشل المحقق نصيب أى محاولة قد تبذل لألغاء الرق والنخاسة فى الأقطار السودانية عنوة واقتدارا وقد ازدهرت تجارة الرقيق فى السودان من أوائل القرن السادس عشر تقريبا وكان من أهم عوامل ذلك تأسيس دولتى الفونج فى سنار والفور فى دارفور ونشأة المشيخات شبه المستقلة فى قرى وشندى والمتمة وفازوغلى وغيرها ثم انتشار عربان البدو فى ارجاء السودان كالبشارين والهدندوه والحلانقة وبنى عامر والحباب والشكرية وغيرهم فى السودان الشرقى والدناقلة بين الشلالين الثالث والرابع ثم قبائل الشايقية حول كورتى وحنك ومروى خصوصا والجعليين بين أبى حمد والخرطوم والحسانية فى صحراء بيوضة والكبابيش والبقارة والهبانية والحمر فى كردفان والرزيقات والتعايشة والهبانية كذلك فى دارفور وغير هؤلاء كثيرين(٤٩٨) ممن ينتمون إلى أصل عربى أو كانوا ثمار ذلك الامتزاج الذى حدث بين العرب وسكان البلاد الأصليين منذ بدأ العرب يفدون إلى السودان قبل انتشار الاسلام فى الجزيرة العربية ثم عظمت هجرتهم اليه فى القرن السابع الميلادى عن طريق مراكش ومصر والحجاز خصوصا(٤٩٩)

وتغلب العنصر العربى على الرغم من الامتزاج الذى حدث(٥٠٠) ؛ وفى

---

(٤٩٨) شقير ج ١ : ص ٤٥ — ٦٤

(٤٩٩) Lauture (Kordofan) 9; Lauture (Soudan) 42-44

(٥٠٠) شقير ج ٢ : ٧٢ ؛ ثم — Bruce. IV 455;

عهد السيطرة العربية تغلغل الرق فى كيان البلاد ذلك بأن السادة العرب كانوا فى حاجة إلى الرقيق بوصفهم خدماً وجندا وعمالا زراعيين وسلعا للتجارة(٥٠١) وعلى ذلك فقد استكثروا من شراء العبيد الذين تأتى بهم قوافل الجلابين من برنو وبرقو وباقرمى والحبشة وغيرها ؛ ثم أخذوا يسيرون الغزوة لصيد الرقيق بين الزنوج وبخاصة فى الجهات الملاصقة للدول أو الدويلات التى أقاموها فى سنار وكردفان ودارفور وغيرها(٥٠٢) وساعدت كثرة الحروب الأهلية أو تلك التى نشبت بين هذه الامارات على انتشار النخاسة ؛ وبمضى الزمن أصبح الأرقاء يؤلفون جزءا من «العشور» التى صار يدفعها الحكام أو المكوك لكبار الرؤساء والسلاطين وفى مقابل ذلك يترك هؤلاء لهم الحكم فى « اقطاعاتهم » أو مشيخاتهم ، كما حدث فى سنار وكردفان ودارفور(٥٠٣) وعلاوة على ذلك فإنه لما كان سلاطين سنار ودارفور دائما فى حاجة ظاهرة إلى المال للانفاق منه على شئون الادارة والحكم فى وقت كانت ما تزال فيه أملاكهم تتسع رويد رويدا فقد باتت أموال الجزية والعشور لا تكفى لسد هذه الحاجة ، وعمدوا إلى تحصيل الضرائب من القوافل والجلابين تجار الرقيق ، كما صاروا يرسلون « الغزوة » كذلك لصيد الرقيق من بين جيرانهم السود حتى يبيعوهم إلى الجلابين(٥٠٤) وأضحى صيد الرقيق من الأمور المعترف بها « قانونا » والمسلم « بشرعيتها » ، وكان رجال القوافل والجلابون عرضة لإغارات البدو المنتشرين على حدود هذه الممالك والدويلات كالشائقية والكبابيش والبقارة والتعايشه والرزيقات وغيرهم ، وصارت هذه القبائل بدورها تقيس ثروتها

(٥٠١) Cailliaud III. 295; Bruce II. 480-481.

(٥٠٢) Burchkardt 322; Cailliaud II. 119-120; Pallme 350-352.

(٥٠٣) Browne. 277, Pallme 350-352, Cuny (Dar Four) 118.

(٥٠٤) Cailliaud II. 263,277, III. 245, Tounsy (Ouaday) p. XIV; Burchkardt 325-6, شقير جـ ١ : ١٤٨ ، جـ ٢ : ١٤٦

بقدر ما كان فى حوزتها من رقيق تسلبه من القوافل أو يصيده رجالها من مواطنه كما فعل البقارة والشائقية والكبابيش ومن إليهم(٥٠٥) وعلى ذلك فقد أصبحت تجارة الرقيق أهم تجارة فى السودان واشتهرت أسواق كثيرة بتجارته قبل الفتح المصرى بأجيال عدة كان أهمها فى سوبه وبربر وشندى وسواكن ومدينة سنار وكوبى والفاشر(٥٠٦) وأحضرت قوافل الجلابين العبيد إلى أسواق القاهرة وأسيوط وأسوان وإسنا ، وصارت مصر تصدر الرقيق إلى الآستانة وموانى الليفانت ثم إلى بعض بلدان أوربا الجنوبية(٥٠٧) .

وكانت أهم طرق القوافل من السودان إلى مصر طريق المحس إلى أسيوط لقوافل النوبة ؛ ثم من شندى وبربر إلى أبى حمد ومنها إلى كورسكو وأسوان لقوافل سنار ، ثم من الأبيض إلى دنقلة أو دبه إلى المحس ثم إلى أسيوط لقوافل كردفان ؛ ثم درب الأربعين من كوبه (أو كوبى) عبر صحراء ليبيا إلى أسيوط لقوافل دارفور .(٥٠٨) وذاع صيت دارفور باعتبارها مستودعا للعبيد لحدث فى أثناء وجود الحملة الفرنسية فى مصر أن طلب بونابرت إلى سلطان دارفور عبد الرحمن الرشيد إرسال ألفين من أشداء الرقيق .(٥٠٩)

ولم يستنكر العالم فى ذلك الوقت — أى فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر — الرق بوصفه إحدى دعامات النظام الاجتماعى والاقتصادى المعترف بها فى الدنيا الجديدة من ناحية وفى العالم الشرقى وبعض

---

(٥٠٥) Prout (Kordofan) 21,26. 29, Brun-Rollet. 52, Pensa 235-63.

(٥٠٦) Burchkardt 207,233,335 etc, Poncet 24—25, 28, 82—3 etc. Bruce III 1-2, Cailliaud II 277, 294-5, III 62, 115.,

(٥٠٧) F. O. 78,/ 381 (Turkey) Report of Bowring ff. 289-290, Burchkardt 326,329-30.

(٥٠٨) Slatin. 324-5, Pensa 234, Déhérain,19, Browne 142, Cailliaud III 244, Burchkardt 320-24.

(٥٠٩) Jomard (Observations) p 7. Lettre du Bonaparte au Sultan du Dôrfour, 2 messidor an VII.

الأقطار الأوربية وفى افريقية من ناحية أخرى . وعند مجىء بونابرت إلى مصر كان المماليك أصحاب السلطان فى البلاد يستأثرون بحكومتها الفعلية دون الباشا العثمانى وكان المماليك من الرقيق البيض وعلاوة على ذلك وجد الرقيق الأسود طريقه إلى الخدمة المنزلية وغيرها فى مصر حتى بات الرق جزءا من نظام البلاد الاجتماعى والاقتصادى على نحو ما كان الحال فى الأقاليم السودانية ذاتها . وعند وصول محمد على إلى الولاية فى السنوات الأولى من القرن الماضى كادت الحروب الأهلية التى استمرت أزمانا طويلة تودى بحياة كثيرين من أهل البلاد بسبب تلك الفوضى التى نجمت عن تنافس البكوات المماليك على السلطة قبل مجىء الفرنسيين أولا ؛ ثم بعد خروج هؤلاء ثانيا ، وكانت هذه الحروب قد افنت كثيرين من أهل البلاد حتى ظهر أثرها فى تعطيل الزراعة بسبب نقص الأيدى اللازمة لفلاحة الأرض وصونها من طغيان النيل وقت الفيضانات العالية ومن اعتداء رمال الصحراء عليها .

ولذلك فإنه ليس من الغريب أن يكون طلب « العبيد » أحد أغراض الحملة التى سيرها محمد على لافتتاح السودان فى عام ١٨٢٠ ، فضلا عن أن طلب العبيد لم يثر دهشة أحد من قناصل الدول وممثليها فى مصر فى ذلك الوقت. فقد ذكر القنصل الفرنسى دروفتى Drovetti أن الرغبة فى زيادة عدد سكان البلاد وعدد جيشها بجلب الأحباش أو العبيد من السودان كانت سببا من أسباب الحملة (٥١٠) ؛ وقال قنصل السويد (بوكتى) Bockty وكان يقوم بالاشراف على مصالح الروس كذلك فى ذلك الوقت ، إن محمد على يريد جلب العبيد حتى يستخدمهم فى الزراعة بسبب نقص الأيدى العاملة فى الحقول وحتى يدرب جزءا منهم على أساليب الحرب الأوربية الحديثة(٥١١) وتحدث

---

(٥١٠) Driault (Formation) 225.

(٥١١) Cattaui I. 34,46.

الباشا نفسه فى أوامره المتعددة التى أصدرها إلى قواد جيوشه ورجال حكومته عن الغرض من جلب هؤلاء العبيد وهو تجنيدهم فى جيشه النظامى الجديد واستخدامهم فى أعمال الزراعة والصناعة وفى « دار الحدادة » « ومصنع البنادق » وغير ذلك من الشئون .(٥١٢) ومع أن الفشل كان نصيب تلك المحاولة التى أراد بها محمد على إنشاء جيشه الجديد فى مصر من السودانيين فقد ظلت الحاجة ظاهرة طوال مدة الحكم إلى استخدام العبيد فى الأعمال العمرانية الكثيرة فى مصر والسودان معا إلى جانب تأليف قوة عسكرية من هؤلاء العبيد لاستخدامها فى السودان . وخرجت « الغزوة » من الخرطوم كما كانت تخرج فى الأزمان السالفة من سنار والفاشر وغيرها لجمع العبيد من مواطن السود (أو الزنوج) الذين ظلوا خارجين عن سلطان الحكومة فى جبل نوبة جنوبى كردفان وفى جبال الفونج بفازوغلى ومن بين الدنكا والشلوك على ضفتى النيل الأبيض . وعمد « الحكمدارون » بعد انتقاء الصالحين من العبيد للخدمة إلى توزيع بقية العبيد على الضباط والجنود بدلا مما كان يستحقه هؤلاء من رواتب نقدية .(٥١٣) وكان مما ساعد على بقاء الرق وانتشار النخاسة

---

(٥١٢) عابدين ، المعية . دفتر ٩ (تركى) رقم ٨١٥ فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٣٧ أمر كريم من الجناب العالى إلى الكتخدا بك ؛ دفتر ١٠ (تركى) أرقام ٣٧٤٠٤٩٠٢٠٠ فى ١٥ رجب ١٩ ربيع أول ١٢٣٧ ، ١٢ محرم ١٢٣٨ من الجناب العالى إلى اسماعيل باشا والدفتردار بك وسر عسكر السودان ، ثم دفتر ١٦ (تركى) رقم ١٥٤ فى ٢٤ جمادى الأولى ١٢٣٩ من المعية إلى متصرف جرجا ، ثم دفتر ١٨ (تركى) رقم ٣٧٥ فى ٣٠ شوال ١٢٣٩ من المعية إلى البك الكتخدا .

(٥١٣) Aff. Etr. Egypte (16) No.2. Alex 16.10. 1843. Rapport de M. Hamont; also ibid. Charles Beke (16. 10. 1843). Récit d'une Chasse aux esclaves; Staat-Archiv-Rapp. de Consple. Turquie (57) No. 466. Constple. 10. 2. 1841. Adj. Note de M. Laurin Sur La Chasse aux Négres; Paton. 227-231. ثم أنظر

عابدين . المعية . محفظة ١٩ رقم ٨٨ مكاتبة فى ١٢ ربيع آخر ١٢٦٣ ، ثم تعليق خالد خسرو فى ١٢ رجب ١٢٦٣ .

فى السودان أن الآباء أنفسهم على حد قول هولرويد Holroyd كانوا يبيعون أبناءهم فى أسواق الرقيق .(٥١٤) وفضلا عن ذلك فقد عمد الفرنجة المقيمون فى السودان وفى مصر معا إلى شراء العبيد واستخدامهم فى منازلهم خصوصا ويقول القنصل الروسى (پيتزونى) Pezzoni أن حكومة الباشا فى مصر كانت متساهلة فى مبدأ الأمر مع الأوربيين الذين يبتاعون العبيد ولو أنها كانت تصر دائما على أن يعتنق هؤلاء الدين الاسلامى الحنيف وألا يغادروا مصر اطلاقا ، ونظمت حكومة الباشا عملية البيع والشراء بصورة تكفل تحقيق هاتين المسألتين ، ويستمر پيتزونى فيقول إنه كان من المتعذر سريان قرار مؤتمر ڤينا الذى صدر فى عام ١٨١٥ بابطال تجارة الرقيق لأن أحدا من القناصل لايستطيع التدخل فى « عادات صارت جزءا من التشريع المحلى وكان من نتائجها كذلك أن الأوربيين المقيمين فى مصر صاروا يجنون منها فوائد كثيرة هامة فى حياتهم الخاصة »(٥١٥) .

على أنه سرعان ما استيقظ ضمير الإنسانية وشمرت انجلترة على وجه الخصوص عن ساعدها لالغاء الرق وابطال النخاسة وتجارة الرقيق الشائنة ، وبدأ قناصلها ورجال الهيئات النيابية بها يبذلون قصارى جهودهم لمكافحة هذا الداء الوبيل فى أعظم مواطنه شأنا ونعنى به القارة الافريقيـــة ، ولما كان محمد على وهو صاحب السلطان المطلق على السودان وهو من أهم مستودعات الرقيق القديمة فقد غدا بلاط الباشا ميدانا لنشاطهم ، ومما هو جدير بالذكر أن محمد على رحب بهذه الجهود الطيبة ترحيبا كبيرا ثم لم يحجم من أول الأمر عن توضيح شىء من العوامل التى جعلته يجلب الرقيق بنوعيه الأبيض والأسود من السودان ومن البلاد الأخرى . قال الباشا فى حديث له مع لافيزون

---

(٥١٤) F. O. 78/ 381 (Turkey) Report of Bowring. f. 287

(٥١٥) Cattaui. I. No 163. Alex 24.5 1828. Pezzoni à Nesselrode pp. 231—2

Lavison أحد رجال قنصلية روسيا العامة بالاسكندرية فى عام ١٨٣١ يشرح السبب الذى دعاه لجلب الرقيق الابيض خصوصا ، أنه كان مضطرا إلى ذلك حتى يتيسر له تأليف تلك القوة المحاربة التى استطاع أن يستبدلها إلى جانب جيشه المصرى بأولئك الالبان وغيرهم الذين تألفت منهم حملات فتوحه الاولى ، وعلاوة على ذلك فقد كان الباشا فى حاجة إلى هيئة من رجال الادارة والحكم المدربين فى وسعها القيام بأعباء الحكومة فى ممتلكاته . ومع ذلك فقد نفى الباشا عن نفسه تلك الاتهامات التى كانت توجه ضده وقتئذ وفحواها أن له عملاء زودهم الباشا بالمال مهمتهم التوجه إلى مواطن الرقيق الاصلية لاحضاره منها »(٥١٦) .

وعندما حضر إلى مصر فى شتاء عام ١٨٣٧ عضو البرلمان السابق الدكتور جون بورنج Bowring صاحب التقرير المشهور عن مصر وكريت وتحدث إلى محمد على فى موضوع الغاء الرق وتجارته الشائنة فى السودان، أبدى الباشا شكوكه فى حقيقة مابلغه عن توزيع الرقيق على جنوده فى السودان بدلا من مرتباتهم « لأن أحدا لم يذكر عن ذلك شيئا أمامه » ومع ذلك فإن الباشا على حد قوله لبورنج وللقنصل الانجليزى كامبل Campbell كان يعرف أن «ضباطه يتجرون فى الرقيق وهو أمر لا يوافق عليه لأنه يكره هذه التجارة ويعتبر نفسه سعيدا إذا استطاع الغاءها ، ولاجدال فى أن الباشا كان يعنى مايقول فما لبث أن اقترح ارسال أحد ضباطه إلى السودان للذهاب بصحبة أى إنسان يختاره بورنج وكامبل « لتقرير مايراه هناك حتى إذا ثبت صحة مايقوله هؤلاء بادر باصدار الاوامر اللازمة للقضاء على هذه المساوىء » ، وفضلا عن ذلك فقد وعد محمد على باصدار أمره إلى حكمدار السودان فى مساء نفس اليوم الذى

---

(٥١٦) Cattaui I, No. 258. Alex 18.7.1831. Lavison à Bouteniefi. pp. 425-6.

حصلت فيه المقابلة بينه وبين بورنج وكامبل « يطلب إليه أن يمنع منعاً باتا استخدام الجنود فى صيد الزنوج ودفع مرتبات الجند من الرقيق ، وأضاف الباشا أنه لم يسمح قط للأجانب المقيمين بالسودان أن يتجروا فى الرقيق ونفذ محمد على وعده فأصدر أوامره فى أول ديسمبر ١٨٣٧ إلى حكمدار السودان خورشيد باشا لابطال دفع مرتبات الجند من الرقيق بما يتعارض مع رغباته تماما ومن شأنه أن « يلحق العار بشخصه فى نظر جميع الشعوب المتمدينة وبخاصة فى نظر الحكومة الانجليزية التى تقوم بينه وبينها علاقات ود وصداقه » وقال الباشا فى رسالته إلى الحكمدار « ويجب عليك أن تعلم أنى لاأريد ربحا من تجارة لاتشرفنى ؛ وإنى لعلى استعداد لبذل كل تضحية إذا تطلب الغاء هذه التجارة تضحيات من جانبى »(٥١٧) وفى أثناء زيارته للسودان أعلن محمد على وهو بالخرطوم الغاء الرق (فى ٤ ديسمبر ١٨٣٨) وأصدر الأوامر المشددة لمنع دفع مرتبات الجند من العبيد ، وإرسال الغزوة لصيد الرقيق ؛ ثم أطلق بعد ذلك سراح حوالى الخمسمائة من العبيد الذين كان أحمد باشا أبو ودان قد أسرهم من بين بعض قبائل السود العصاة ، وأمر محمد على بإنشاء مستعمرة زراعية على النيل الأزرق تضم أولئك الذين يعجزون منهم عن العودة إلى بلادهم أو يريدون الاستقرار فى الجهات التى خضعت لسلطان الباشا(٥١٨) وعقد الباشا آمالا عظيمة على امكان إحياء التجارة المشروعة فى السودان باعتبارها خطوة لابطال تجارة الرقيق . ومما هو جدير بالذكر أن نظام الاحتكار الذى طبقه محمد على فى السودان على غرار مافعل فى مصر كان لا يشمل تجارة

(٥١٧) F. O. 78/ 381 (Turkey) Report of Bowring. ff. 327-335.

(٥١٨) F.O. 195/151 Cairo 11. 3. 1839. Campbell to Palmerston. Enclos. "Echo D'Orient". Smyrna 16.2. 1839; Staat-Archiv. Turquie (50). No. 336. Lit. C. Const. 15.5. 1839 Stürmer à Metternich. Enclos Trad. de la Gazette Turque (Alex. 6 safer 1255, 21 avril 1839) et qui renferme une relation du voyage du Pacha D'Egypte au Sennar.

الرقيق . وعلاوة على ذلك فقد أبطل الباشا احتكار تجارة الصمغ وغيره من السلع وحاول تشجيع تجارة القوافل بين السودان والحبشة كما عمل على تنمية موارد البلاد الطبيعية حتى ينعش التجارة المشروعة ويبطل تجارة الرقيق.(٥١٩) وكانت خطة الباشا أن يتم الغاء الرق وتجارة الرقيق رويدا رويدا ، حيث أن هذا هو الطريق الوحيد الذى يمكن بفضله — كما قال — الوصول إلى هذه الغاية المنشودة ، والسبب فى ذلك ، أن ما ألفه شعبه من عادات وما درج عليه فى هذه الأمور من شأنه أن يضع عقبات كثيرة فى سبيله من العسير تذليلها إذا هو اعتزم الغاء تجارة الرقيق دفعة واحدة . ،(٥٢٠)

وكان من أثر الاجراءات التى اتخذها الباشا لإبطال الرق وتجارة الرقيق فى السودان أن أوفدت جمعية إلغاء الرق بلندن The Anti Slavey Society ريتشارد مادن Madden إلى مصر فى عام ١٨٤٠ يحمل إلى محمد على شكر الجمعية وارتياحها لما أصدره من أوامر إبان زيارته للسودان ، فقابل مادن وبصحبته القنصل الانجليزى هودچس Hodges عاهل البلاد ، وقال محمد على فى أثناء هذه المقابلة ، يعظم سرورى إذ ألغيت الرق إلغاء تاما ، ولكن من الواجب على الانسان أن يهيء للشعب قبل ذلك وسائل التربية والتعليم لأن مسألة الرق فى هذه البلاد من أشق المسائل وأشدها صعوبة على خلاف الحال فى بلادكم . . . ذلك أن الناس اعتادوا أن يستخدموا الأرقاء لدرجة أنه إذا امتنع وجود الرقيق بالأسواق ، بادروا بالشكوى على نحو ما فعلوا سابقا عندما منعت جنودى من تسيير الغزوات لصيد الرقيق فى سنار. ومن العسير على الإنسان أن يجعل من هؤلاء السود شعبا متمدينا فى بلاده وأن يعودهم العيش وفق أساليب الحياة التى نأخذ بها . لقد حاولت أن أصنع منهم جنودا

---

(٥١٩) Shukry. 84—85. See Notes 1-5 .page 85.

(٥٢٠) F. O. 78,/ 381. (Turkey) Report of Bowring. f. 329.

منذ سنوات مضت ولكنهم صاروا يموتون فى مصر وفى غيرها من الجهات التى أرسلوا إليها ولم يبق منهم لدى سوى ثلاثمائة أو أربعمائة فحسب ، وفضلا عن ذلك فإنى لا أسمح لشعبى بأن يجهز الحملات لصيد الرقيق وجلب عبيد آخرين .... وواقع الأمر أن هؤلاء السود لا يعرفون السلام والوئام إذ بينما تعيش إحدى قبائلهم فى الجبال تعتدى ثانية على غيرها بغية السلب والنهب وتشن ثالثة الحرب على هاتين القبيلتين كلتيهما والجميع يعيشون فى حرب ونضال يصيدون ويسترقون بعضهم بعضا »(٥٢١) .

تلك كانت حقيقة معضلة الرق والنخاسة فى السودان، وقد زاد من خطرها أنه كان من المتعذر على الباشا وهو بالقاهرة أن يشرف إشرافا دقيقا على نشاط الحكمدارين والحكام فى السودان لدرجة أن أحد المعاصرين وهو (پوكلر مسكاو) قال إن هؤلاء يستمتعون فى الخرطوم والأبيض بسلطان يفوق كثيرا ما كان لحكومة القاهرة البعيدة من سلطان على تلك الجهات (٥٢٢) . ولما كان مستعصيا على هؤلاء الحكمدارين والحكام أن يناضلوا ضد نظام كان متغلغلا فى كيان البلاد الاقتصادى والاجتماعى بصورة قد تفضى محاولة اقتلاعه من جذوره إلى ثورة جامحة (٥٢٣)، فقد وجد هؤلاء من الحكمة ألا يتعرضوا لهذا النظام بشىء ، وعلاوة على ذلك فقد تضافرت عدة عوامل على بقاء الرق وانعاش تجارة الرقيق فى السنوات التالية وكان أهم تلك العوامل ولا شك فتح النيل (البحر) الأبيض للملاحة على أثر نجاح تلك الحملات التى قادها سليم بكباشى فى هذا النهر بين عامى ١٨٣٩ ، ١٨٤٢ . فقد ازدحمت الخرطوم فى ذلك الحين بالتجار العرب والأوربيين ومن أهل الليفانت

---

(٥٢١) Madden. 110-114.

(٥٢٢) Puckler-Muskau. 200

(٥٢٣) Madden 110-111.

الذين صاروا يخرجون «بحملاتهم» فى النيل الأبيض لصيد الفيلة وجمع العاج فى بادىء الأمر ثم صاروا يصيدون الرقيق(٥٢٤). ولم تفد محاولات عباس وسعيد شيئاً فى كبح جماح تجار العاج والرقيق. حقيقة أعلن عباس إلغاء احتكار الصمغ والسنامكى وغيره من منتجات سنار لتشجيع التجارة المشروعة فى عامى ١٨٤٩، ١٨٥٠ ثم أطلق الملاحة حرة فى النيل الأبيض واستدعى فى عام ١٨٥٢ إلى القاهرة حكمدار السودان عبد اللطيف باشا الذى احتكر الملاحة لنفسه فى هذا النهر(٥٢٦). ولكن هذه الجهود ذهبت سدى. فاستمر ازدهار تجارة الرقيق على حاله وفضلا عن ذلك فقد أخفقت محاولات سعيد لابطال الرق والنخاسة فقد أعلن فى أثناء رحلته المعروفة فى الأقاليم السودانية إبطال الرق ثم أصدر وهو مايزال بالخرطوم مرسومات أربعة فى ٢٧ يناير ١٨٥٧ لإعادة تنظيم الحكومة بصورة جعلت كثيرين من المعاصرين يعتقدون أن هذا الاصلاح الجديد سوف يؤدى ولاريب إلى القضاء على الرق والنخاسة فى هذه البلاد(٥٢٧) ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث بل حدث فى عهد عباس وسعيد أن قويت شوكة تجار العاج والرقيق فى جهات النيل العليا حتى صاروا خطراً على حكومة الخرطوم ذاتها، فقد أكثر هؤلاء من إنشاء المحطات المسلحة والزرائب واتخذوا منها قواعد لارسال حملاتهم لصيد الرقيق فى أقاليم بحر الغزال وبحر العرب والسوباط وحول غندكورو ولما كانت هذه المناطق حتى ذلك الحين خارجة عن سلطان الحكومة الفعلى فى الخرطوم فقد تألفت

---

(٥٢٤) Shukry 91-92;

(٥٢٥) Abdin. Aamer. vol. I. no 10 Alex 8. I. 1850. by Mc Cauley; F.O. 78/840 (Turkey) Egypt. no 2. Cairo 8.1.1850. murray to Palmerston; Arminjon)37.

(٥٢٦) Staat- Archiv. Gen. Cons. 1848 — 1860. No 1479. Cairo 6.I. 1852 Huber to von Schwarzenberg.

(٥٢٧) Gilbert 221.

الشركات التى استطاعت أن تستأجر من الحكومة حق التجارة فى هذه الجهات النائية أى صيد الفيلة (للحصول على العاج) وصيد الرقيق ، وامتدت هذه الحقوق حتى شملت أصقاعا شاسعة جنوبى دارفور وفى كردفان وعلى طول النيل الأبيض حتى غندكورو (٥٢٨).وكان من أكثر تجار الرقيق والعاج شهرة فى ذلك الحين المالطى ديبونو Debono وقريبه أمبيلى Ambile ثم الفرنسى ملزاك Melzak الذى انتشرت زرائبه على الرُهل وفى أقليم بحر الغزال وأنشأ فى (رمبك) محطة كبيرة . ثم بارتلى Barthlemy ولافارج Lafargue من الفرنسيين ، هذا عدا جملة من الرعايا النمساويين(٥٢٩)واحتمى كل هؤلاء وراء أعلام الدول الأجنبية التى انتموا اليها يرفعونها على مراكبهم حتى لا تحد الحكومة من نشاطهم (٥٣٠) .

وأما تجار الرقيق العرب، فقد اشتهرت منهم طائفة كبيرة كالسيد أحمد العقاد وشريكه موسى العقاد وعلى أبو عمورى ومحجوب البصيلى وغطاس القبطى وكوشك على التركى وادريس أبتر الدنقلاوى ، وألف البصيلى وأبو عمورى وكوشك على فيما بينهم مايشبه ديكتاتورية ثلاثية، استبدت بكل سلطة فى أقليم بحر الغزال(٥٣١) بينما ألف كل من ديبونو وشنوده القبطى وخورشيد أغا فيما بينهم ديكتاتورية ثلاثية أخرى فى غندكورو(٥٣٢) فتقلص نفوذ الحكومة فى الجنوب حتى صار أيام عباس لا يتعدى نقطة الشلك على النيل الأبيض ،

---

(٥٢٨) F.O.84/1181. Slave Trade No 5. Alex 31.7. 1862. Saunders to Russell; Ibid Hornby to Pussell 12.9. 1862

(٥٢٩) F. O. 84/1181 (Slave Trade) No 4, Alex 31, 7.1862 Colquhon to Pussell Enclos Petherick to Colquhon-24.5.1862.

(٥٣٠) Staat- Archiv' Gen- Cons. 1855. No 46. Cairo 8.1.1855. Huber to Buol- Scheinstein.

(٥٣١) Berlioux 113.

(٥٣٢) Berlioux. 138 — 139·

والرصيرص على النيل الأزرق وفقدت الحكومة كل سلطان فى الأقاليم الجنوبية وأخفقت محاولات سعيد لاستعادة نفوذ الحكومة فى هذه الجهات (٥٣٣) . وهكذا لم يكن هناك معدى عن إنشاء رقابة فعالة على نشاط النخاسين فى هذه الأقاليم إذا أريد إبطال تجارة الرقيق وفتح مناطق النهر العليا للتجارة المشروعة، واتفقت كلمة المعاصرين على أن حكومة مصر وحدها هى التى تستطيع فعل ذلك بل ويقتضيها الواجب أن تدخل فى حوزتها جهات النهر العليا وتبسط عليها سلطانها ؛ ووقع عبء ذلك كله على عاتق اسماعيل .

وقد أشار بتريك مرارا بعد تعيينه قنصلا لانجلترة فى الخرطوم الى ضرورة انشاء « بوليس نهرى » للحراسة فى النيل الأبيض كما أشار زميله فى الاسكندرية سدنى سوندرز Saunders إلى ضرورة اسراع والى مصر فى أن يضم إلى ممتلكاته ذلك الجزء من النيل الأبيض حول غندكورو الذى تنتشر فيه تجارة الرقيق (٥٣٤) وفى يوليو ١٨٦٢ شرح سوندرز غرضه فقال « أما إذا أمكن اقناع باشا مصر بضم النيل الأعلى إلى ممتلكاته فإن ذلك بلاشك سوف يعود بالخير العميم على السود التعساء من أهل هذه الجهات فضلا عن أنه يسدد إلى أصل هذا البلاء طعنة نجلاء تقضى على تجارة الرقيق »(٥٣٥) وفى نفس العام أرسلت الحكومة الانجليزية إلى قنصلها فى القاهرة (كوهون) Colquhon تخبره بوصول كتاب قنصلها فى الخرطوم جون بتريك وتطلب إليه « أن يبين للجناب العالى بوضوح وجلاء ضرورة اتخاذ خطوات نشيطة لانهاء الاحوال

---

(٥٣٣) Staat -Archiv- Gen- Cons. 1854. Enclos. Report of DrHeuglin; F.O. 84/ 1181 Slave Trade No 5 Alex 31.7. 1862. Saunders to Russell; also Hornby to Russell 12. 9. 1862.

(٥٣٤) F.O. 84/1181 Slave Trade, Hornby to Russell 12.9. 1862.

(٥٣٥) F.O. 84/ 1181 Slave Trade, ibid, also No 5 Alex 31.7. 1862 Saunders to Russell

السيئة (السائدة فى مناطق النهر العليا) وإنزال العقوبة الصارمة بكل من يشتركون فى تجارة الرقيق الافريقية ».

وفى يونية ١٨٦٢ أبلغ (كوهون) الحكومة المصرية مقترحات بتريك بشأن انشاء « البوليس » النهرى لمراقبة نشاط النخاسين فى النيل الأبيض ومصادرة سفنهم المحملة بالرقيق (٥٣٧) . وفى مايو ١٨٦٤ أعد رئيس الجمعية الملكية الجغرافية ومجلسها بلندن « مذكرة » ضافية عن « موضوع تجهيز حملة إلى أقاليم افريقية الاستوائية الشرقية » قدمها إلى وزير الخارجية البريطانية اللورد رسل Russell لدراستها (٥٣٨) .

وقد اشتملت هذه المذكرة إلى جانب إظهار فضائح تجار الرقيق على مقترحات معينة من شأنها إقامة الحكومة الموطدة فى هذه الأقاليم حتى تستطيع نشر الأمن والسلام فى هذه الأصقاع النائية ، فقال « المجلس » إن القضاء على التجارة الشائنة وإزالة المساوىء المترتبة على نشاط النخاسين فى جهات النيل العليا حول غندكورو ثم فى « ممالك » أونيورو وأوغنده وكارجوى Karagwè الاستوائية خصوصاً لا يمكن أن يتم إلا إذا أنشئت محطة رئيسية فى غندكورو بصفة مبدئية ، وتلا ذلك إنشاء سلسلة من المحطات على طول النيل الأبيض فيتسنى للدولة التى تستحوذ على النهر بفضل إنشاء هذه المحطات أو المراكز أن تبسط سلطانها على أقاليم النهر العليا والشعوب القاطنة فيها ، وعلاوة على ذلك فإن السود ولا شك سوف يقبلون بسرور عظيم على إنشاء العلاقات التجارية مع هذه المراكز أو « المستودعات » ، ولم يكتف أعضاء المجلس باقتراح إقامة هذه المحطات بل إنهم وجدوا من واجبهم أن

---

(٥٣٦) F. O. 84/ 1181 Slave Trade. Draft No3. to Con Gen. Colquhon F O. 3. 5. 1862,

(٥٣٧) F. O. 84/1181 Slave Trade No 3 Alex 6.6. 1862 Colquhon to Russell, Enclos, Letter to the Egyptian Minister for Foriegn Affairs.

(٥٣٨) F.O. 78/1537 Turkey (Egypt) Cousuls at Cairo etc. January – Dec.1864

يشيروا إلى الدولة التى كان فى استطاعتها فى نظرهم أن تقوم بهذه المهمة خير قيام فقالوا « ويحق لنا فى هذا المقام أن نشير إلى الفوائد العظيمة المنتظرة من انبساط نفوذ الحكومة المصرية على إقليم بعد الآن من الأراضى التى لا يملكها أحد ، ويقع إلى الشمال من حدود هذه الممالك الاستوائية ، ومن المنتظر أن يسوده شىء من النظام نتيجة لذلك ، هذا إلى أن القضاء على تجارة الرقيق الشائنة سوف يكون أحد الفوائد الهامة التى تنجم عن إنشاء مركز مصرى دائم فى غندكورو ولا سيما أن الحكومة المصرية قد أعلنت رغبتها القوية فى القضاء على هذه التجارة المزدهرة فى جهات النيل العليا ، وأن لدى المجلس ما يحمله على الاعتقاد أن باشا مصر ، اسماعيل عظيم الرغبة فى اتخاذ الاجراءات التى تكفل إزالة هذه الفظائع التى يرتكبها النخاسون وتجار الرقيق فى البلدان الخارجة عن نفوذ حكومته ، ولذلك فإنه من رأى المجلس أن سموه سوف يزداد رغبة فى العمل على الأخذ بهذه الآراء لو لقى بعض التشجيع من جانب الحكومة الانجليزيه » .

وحق للجمعية الجغرافية الملكية أن تعقد آمالا كبارا على معاونة اسماعيل فقد أصدر العاهل الجديد أوامره الشديدة إلى حكمدار السودان موسى حمدى بمنع الاتجار فى الرقيق ، وصدع موسى حمدى بالأمر فصادر مراكب النخاسين فى النيل الأبيض وقذفت الحكومة بعملها الرعب فى قلوب تجار الرقيق فى غندكورو وأنشأ موسى حمدى المراكز المسلحة فى كاكا وغيرها من الجهات على طول النيل الأبيض واتخذ مدير « البحر الأبيض » مقره فى فاشوده وقامت سفينتان بخاريتان بالملاحظة وأعمال البوليس فى النهر وأرسلت قوة من الجند إلى غندكورو (٥٣٩) وأنشأ موسى حمدى (ديوان الويركو) لتحصيل الضرائب

(٥٣٩) Baker (Voyage de l'Albert Nyanza) 42, Berlioux 97-98, F. O. 78/2253. Heuglin to Petherick, Berber 9.8. 1864; ibid No. 43 Cairo 6.4. 1865 Colquhon to Russell, F. O. 84/1260 Slave Trade Pol Alex 9. 5. 1866, Stanton to Clarendon.

من التجار ولاصدار (التراخيص) اللازمة للسفن قبل مغادرتها الخرطوم وذلك لإحكام الرقابة على نشاط التجار فى جهات النهر العليا[٥٤٠] ، وشدد اسماعيل الرقابة كذلك على سفن شركة العزيزية التى أنشأها حديثا للملاحة فى البحر الأحمر لمنعها من نقل الرقيق من سواكن ومصوع وغيرها من موانى البحر الأحمر على الشاطئين الأفريقى والعربى[٥٤١]

ولما كانت الحكومة الانجليزية أسبق الحكومات الأجنبية التى اهتمت وقتئذ أشد الاهتمام بضرورة إلغاء الرق والقضاء على تجارة الرقيق فى مصر والسودان فقد ظلت من أيام محمد على تلفت نظر الولاة المصريين إلى ضرورة الكفاح ضد الرق والنخاسة ثم عظم اهتمامها بهذه المسألة على وجه الخصوص فى عهد اسماعيل وبادرت منذ اعتلاء العاهل العظيم أريكة الولاية باظهار هذا الاهتمام بصورة واضحة جلية[٥٤٢] . ووجدت مساعيها لدى اسماعيل ترحيبا كبيرا بل إن اسماعيل كان قوى الرغبة فى التعاون مع الحكومة الانجليزية « فى اتخاذ أية اجراءات تهدف إلى وضع حد نهائى لتجارة الرقيق »[٥٤٣] . وعلى ذلك فقد كان من الطبيعى أن يعمل وزير خارجيتها اللورد (رسل)

---

(٥٤٠) Aff Etr. Egypte (34) No 83. Alex 14. 7 1874 Adj Khart. 2. 1. 1864. F. O. 78/2253 No 43 Cairo 6.4.1865 Enclos, Petherick to Colquhon 17.3.1864. F. O. 84/1260 Slave Trade No 1, Alex 9.5.1866, Letters of Khartoum, July.Oct, 1865,

(٥٤١) F. O.84/1435 Slave Trade No 9 Laws of Foreign Countries Abolishing Slavery,Egypt No 20 Orders for the suppression of the Egyptian slave trade, Letter addressed by the Egyptian Government to the Governor of Suez 9. 1. 1865, also F. O. 84/1246, Slave Trade No 9 Enclos. Tran. of an order issued by the Egyptian Government 9. 1, 1865.

(٥٤٢) Abdin-Amer, vol IV No. 43 Alex 9.10. 1865, and No 44 Alex 27.10. 1865 Hale to Seward, also vol VIII No 128 Cairo 16. 9. 1873 Beardsley to Fish.

(٥٤٣) F. O. 84/1245 Slave Trade No 1. Sir Henry Bulwer F. O. 22. 2. 1865

بمقترحات الجمعية الجغرافية الملكية فيرسل فى فبراير ١٨٦٥ تعليماته إلى السير هنرى بلور سفيرها فى الاستانة وكان وقتئذ بمصر « حتى لايدع فرصة تمر دون أن يبين للباشا مبلغ اهتمام الحكومة الانجليزية بضرورة القضاء على تجارة الرقيق فى افريقية وترحيبها العظيم بالتعاون مع سموه ما وسعها ذلك فى اتخاذ أية وسيلة من شأنها إنهاء هذه التجارة غير الانسانية »[٥٤٤].

وفى هذا الوقت المبكر شرع اسماعيل بعد ذلك البرنامج الواسع للقضاء على الرق والنخاسة الذى أسفر تنفيذه عن تشييد صرح امبراطورية مصر فى افريقية فى عهد العاهل العظيم ، فلم يستلزم الكفاح ضد الجلابين والنخاسين انشاء الحكومة الموطدة فى جهات النيل العليا حول غندكورو والبحيرات الاستوائية فقط بل ضم مواطن الرقيق الأخرى فى دارفور وهرر والسودان الشرقى ثم إغلاق المنافذ المطلة على البحر الأحمر التى كان يصدر منها الرقيق ، وذلك بالاستيلاء على سواكن ومصوع وزولا وراحيتا (رهيطة) وتاجوره (تجرة) وزيلع وبلهار وبربرة ثم محاولة ضم الساحل الصومالى الشرقى حتى قسمايو إلى الممتلكات المصرية[٥٤٥].

وعلى ذلك فقد أعدت حكومته فى مارس ١٨٦٥ برنامجا مفصلا لفرض رقابة صارمة على نشاط النخاسين فى النيل الأبيض والاشراف على تصدير الأسلحة والبارود إلى السودان وطلب معاونة قناصل الدول فى الخرطوم لرفع «حمايتهم» عن تجار الرقيق من العرب والأوربيين وأهل الليفانت وأصرت الحكومة المصرية على أنه لامعدى عن رفع هذه الحماية إذا أريد النجاح لأية محاولة يقصد منها القضاء على تجارة الرقيق فى الأقاليم السودانية »[٥٤٦]. فلم

---

(٥٤٤) F.O. 84/1245 Slave Trade No 1, ibid. (22.2.1865).

(٥٤٥) أنظر كتابنا (مصر والسيادة على السودان) صفحات ٣٧ — ٤٠

(٥٤٦) F. O. 84/1246. Slave Trade, Alex 23. 3. 1865 Bulwer to Russell Enclos Letter of Sheriff to Bulwer, Le Caire 19.3. 1865. No 2. Cairo 6. 1. 1865, also No 26 Alex 15. 3. 1865. Bulwer to Russell

تمض شهور قليلة على تنفيذا هذا البرنامج حتى اضطر (ديبونو) إلى بيع زرائبه إلى حكومة الخرطوم وتلا ذلك انتزاع وشراء الزرائب الأخرى من بقية النخاسين خصوصا فى عهد جعفر مظهر باشا[٥٤٧]، وطهرت الحكومة النيل الأبيض من تجار الرقيق .

غير أنه كان من أثر اجراءات الحكومة الناجحة فى النيل الأبيض أن اضطر تجار الرقيق إلى الانسحاب إلى الداخل حول غندكورو على بحر الجبل وفى اقليم بحر الغزال كما لجأ فريق منهم إلى دارفور ؛[٥٤٨] ولما كانت هذه الجهات خارجة عن سلطان الحكومة فقد قوى بها بأس تجار الرقيق واستمرت التجارة الشائنة ؛ وكان أعظم التجار شأنا فى اقليم النيل الأعلى فى ذلك الوقت السيد أحمد العقاد ؛ وكانت شركة العقاد من الشركات التجارية الكبيرة فى القاهرة والخرطوم التى استطاعت أن يحصل من حكومة الخرطوم على احتكار حقوق الاتجار فى النيل الأعلى أى فى أقاليم كانت لا تملكها الحكومة واستطاع وكيلها فى تلك الأنحاء أبو السعود العقاد أن ينشىء عدة مستودعات أو محطات للشركة فى غندكورو وفاتيكو وفالوره وغيرها واستخدم حوالى الخمسائة والألفين من الرجال المسلحين وشمل نشاطه مملكة أونيورو واشترك فى المنازعات الداخلية بها بين ملكها كمراسى ومنافسه ريونجه وبلغ من عظم شأنه أنه صار يلقب « بالسلطان » وكان قوام تجارته العاج والرقيق[٥٤٩] وفى إقليم بحر الغزال أسس الزبير رحمت وهو من تجار العاج والرقيق

---

(٥٤٧) F. O. 84/1246. Slave Trade No 7. Alex 10. 7. 1865 Colquhon to Russell. Aff, Etr, Egypte (35) No 9 Alex 1. 6. 1865. Schweinfurth I. 357-358,
مرهنك ٢ : ٣١٦

(٥٤٨) Schweinfurth II, 359-366.

(٥٤٩) Baker (Ismaïlia) I. 140, 150; 156-58, II 139, 141, Murray and White 222, Abdin-Amer. vol IX No 235 Cairo 12. 9. 1874 Beardsley to Fish; Hake 242. Wilson and Felkin I. 325.

كذلك مملكة كبيرة واتخذ (بابه) أو (ديم الزبير) عاصمة لملكه واستطاع أن يعقد مع عربان الرزيقات اتفاقا لفتح طريق شكا للتجارة بين مملكته وسلطنة دارفور ثم استولى على شكا وعاش فى بذخ ظاهر وبسط سيطرته على دار فرتيت وجميع بحر الغزال وأخذ يناوىء سلطان الحكومة .(٥٥٠) وهكذا لم يكن هناك معدى عن ضم جهات النهر العليا واقليم بحر الغزال إلى الممتلكات المصرية إذا أريد القضاء على الرق فى مواطنه وتعطيل نشاط تجار الرقيق .(٥٥١) وكان لتحقيق هذه الغاية أن أعدت الحكومة فى عام ١٨٦٩ حملتين إحداهما بقيادة محمد البلالى (أو الهلالى) وغرضها احتلال بحر الغزال، والثانية برياسة السير صمويل بيكر وغرضها القضاء على الرق والنخاسة فى النيل الأعلى

وكان البلالى صاحب أطماع واسعة ولكنه سرعان ما عادى الزبير رحمت ووقف تجار الرقيق على حقيقة أغراضه ثم دب الشقاق بين البلالى وقواد الحملة الآخرين فأوقع به الزبير هزيمة كبيرة وقتله ربيع أحد رجال الزبير فى معركة حامية ، وترتب على اخفاق البلالى أن زاد الزبير قوة على قوته وتوطد سلطانه فى بحر الغزال .(٥٥٢) وفضلا عن ذلك فقد كان من أغراض حملة البلالى

---

(٥٥٠) Jackson 3, 9, 16. 30, 33 ; Junker 372, Vizetelly 10 ; Chaillé -Long (Prophêtes) 17.

شقير ج ٣ : صفحات ٦٠ — ٦٧ .

(٥٥١) سر هنك ج ٢ : ٣١٦ .

(٥٥٢) عن حملة البلالى (أو الهلالى) أنظر : عابدين . المعية • دفتر ١٨٥٩ معية عربى رقم ٨ فى غرة شوال ١٢٨٨ من مدير عموم قبلى السودان إلى المعية السنية ، ثم سجل ١٩٤٦ أوامر عربى الأمر الكريم رقم ٢ فى ١٠ شعبان ١٢٨٩ الى مدير عموم قبلى السودان ، ثم دفتر ١٨٦٤ معية عربى رقم ٣٨ فى ١٧ جمادى الثانية ١٢٨٩ من آدم باشا مأمور ادارة مديرية عموم قبلى السودان ، ورقم ٤ فى ٢٥ شعبان ١٢٨٩ ن من مديرية عموم قبلى السودان الى المعية السنية ، ومنها كذلك رقم ٥ فى ٢٦ شعبان ١٢٨٩ ؛ ثم رقم ٢٠ فى ٢٦ رمضان ١٢٨٩ ، ثم دفتر ١٨٦٢ صادر معية صفحة ١٧ فى ١٦ ذى القعدة ١٢٨٩ من المعية السنية الى مدير عموم قبلى السودان .

الاستيلاء على دارفور أهم مواطن الرقيق فى السودان الغربى على أن يتم افتتاح هذه السلطنة بعد القضاء على الزبير وتجار الرقيق فى بحر الغزال وذلك لأن إخضاع بحر الغزال كان عملا ضروريا لا يتيسر بدون هدم وكر النخاسة الآخر فى سلطنة دارفور.[٥٥٣] فتأجل افتتاح دارفور بسبب اخفاق البلالى.

وأما السير صمويل بيكر فقد غادر القاهرة فى ديسمبر ١٨٦٩ ووصل الخرطوم عن طريق سواكن وبربر فى يناير من العام التالى وبلغ غندكورو فى إبريل ١٨٧١ وبدأ عمله فى الحال بكل همة ونشاط وكانت مهمة بيكر الرئيسية القضاء على الرق والنخاسة فى هذه الجهات ووسائل ذلك انشاء الحكومة الموطدة فى غندكورو التى سماها «الاسماعيلية» ثم امتلاك الأقاليم الواقعة إلى الجنوب من غندكورو وهى مواطن الرقيق والجهات التى أقام فيها النخاسون وتجار الرقيق زرائبهم أو محطاتهم المسلحة[٥٥٤] وفضلا عن ذلك فقد طلب إليه الخديو اسماعيل أن يفتح هذه البلاد للتجارة المشروعة وينشىء سلسلة من المحطات المسلحة للسهر على الأمن ومراقبة نشاط النخاسين وتجار الرقيق ولاتخاذها مستودعات للمتاجر، وطلب إليه كذلك أن يفتح النهر للملاحة من غندكورو إلى البحيرات الاستوائية لإدخال التجارة المشروعة فى هذه الأقاليم النائية وحتى يمكن إقصاء تجار الرقيق عنها[٥٥٥] ولكن بيكر سرعان ما تجاهل الغرض الأساسى من بعثته فشنها حربا شعواء لا على تجار الرقيق فحسب بل

---

(٥٥٣) Boulger I. 143. Report on the Egyptian Provinces of the Sudan. p. 12
ثم أنظر فوزى جـ ١ : ص ١٣٧ ، شقير — ٣ : ٦٧ ، سر هنك ٢ : ٣١٦ .

(٥٥٤) Abdin. Corresp fran. Doss 72/1, f. 20918. Caire, février 1872, Ismail á Baker, also Abdin Amer-vol VII No. 92. Cairo 7.5. 1869, Beardsley to Fish; Baker (Ismailia) I. 155, Murray and White. 141,

(٥٥٥) Abdin, Corresp. fran. Doss, 72/1 f. 20922. Trad. Contrat de Sir Samuel Baker. Caire 15.4.1869 also Baker (Ismailia) I 6-7; Murray and White, 149

وعلى الأهلين السود من قبائل الشير والبلينيان والبارى وغيرها ثم اشتبك مع رجال كبريقه Kaba Rega ملك أونيورو فى معركة حامية فى مسندى (يونيه ١٨٧٦)(٥٥٦) .

وعلى ذلك أخفق بيكر فى تحقيق أغراض الحملة فلم يزد عدد ما أنشأه من محطات مسلحة ومستودعات للمتاجر على ثلاث فى غندكورو وفويره وفاتيكو عدا مدينة التوفيقيـــة التى أسسها على بعد أربعة أميال من ملتق السوباط بالنيل الأبيض(٥٥٧) . وفضلا عن ذلك فقد فشل السير صمويل فى القضاء على تجارة الرقيق وفتح النهر للملاحة إلى البحيرات الاستوائية ووضع سفينة بخارية على بحيرة البرت ، ولو أن وضع باخرة على هذه البحيرات كان من أهم أغراض البعثة ،(٥٥٨) وظلت الأقاليم الواقعة إلى الجنوب من فويره وفاتيكو خارجة عن سلطان الحكومة بل إنه بدلا من أن تضم البعثة هذه الأقاليم إلى الممتلكات المصرية أصابت نجاحا كبيرا فى إثارة عداء الاهلين السود ضد حكومة الخديو وألقت بهم فى أحضان تجار الرقيق . وهكذا لم يمض سوى عام واحد على عودة السير صمويل من مأمورية خط الاستواء حتى كان قد ضاع كل نفوذ للحكومة فى هذه الجهات وبات لا يجرؤ إنسان على مغادرة غندكورو دون التعرض لموت محقق بسبب عداء قبائل السود

---

(٥٥٦) Abdin Amer vol Vll No. 45 Cairo 11.12.1872. Beardesly to Fish, vol IX No, 235 Cairo 12.9 1874. Enclos, J. M'Williams to the Editor of the Mail p,85, also ibid "Sir Samuel Baker and Colonel Gordon" Letter to the Editor of the Mail by James Shaw, Abdin, Corresp, Fran, Doss, 72/1 f 20919 Masindi 18. 5. 1872 Baker à Ismaïl f. 20917. Khartoum 5.7. 1873 Baker à Ismaïl

(٥٥٧) Bonola 62, Mc Coan 159

(٥٥٨) F. O. 84/1371 Slave Trade (Confid) Alex 6. 9. 1873 Vixian to Granville

المنتشرة حول عاصمة المأمورية.[٥٥٩] ووقع الاختيار على شارلس جورج غردون لإنشاء تلك الحكومة الموطدة التى أخفق بيكر فى إقامتها فى إقاليم النيل العليا.

وكانت مهمة غردون القضاء على الرق والنخاسة فى مديرية خط الاستواء وفتح الأقاليم الاستوائية للتجارة المشروعة ووسيلة ذلك تشييد صرح الحكومة الثابتة الدعائم فى غندكورو ثم فتح الملاحة فى النهر إلى البحيرات الاستوائية وفتح هذه البحيرات ذاتها للملاحة الحرة،[٥٦٠] أى إنجاز تلك المهمة التى فشل بيكر فى تحقيقها وحرص الخديو من مبدأ الأمر على تحذير غردون من الوقوع فى الأخطاء التى ارتكبها السير صمويل ومعاداة الزنوج للحكومة المصرية بل عليه أن يعمل على استجلاب محبة السود ورضاهم عن الحكومة إذا أريد حقيقة على حد قول الخديو «بذر بذور الرقى والحضارة ونشر ألوية الرخاء» فى هذه الأصقاع البعيدة[٥٦١] وفضلا عن ذلك فإن الغرض من ايفاذ غردون إلى غندكورو لم يكن «ضم أملاك جديدة» وإنما كان القضاء على الرق والنخاسة وإنشاء الحكومة الموطدة فى مديرية خط الاستواء.[٥٦٢] ووضح الخديو نفسه هذه المهمة فى احدى رسائله إلى غردون فى سبتمبر ١٨٧٥ فقال إن الغرض من بعثته ينحصر فى أمور ثلاثة، استتباب الأمن والسلام، والقضاء على تجارة الرقيق. وفتح هذه البلاد الشاسعة للتجارة الأوربية، وكان ادخال السفن إلى بحيرات البرت وفكتوريا من أهم الأمور التى طلب إلى غردون

---

(٥٥٩) Abdin Amer, vol X No 305 Cairo 3.5. 1875. Beardsley to Fish;

(٥٦٠) Sudan Notes and Records vol X, (Unpublished Letters of Ch. G. Gordon) No, 16 (Private) En Route to Makedé, 21, 9 1875,

(٥٦١) Abdin, Corres fran Doss 71/1, Palais d'Abdin 16.2. 1874; 30. 8. 1874, Ismaïl à Gordon,

(٥٦٢) Staat, Archiv, Rapp, de Constple, Berichte Weisungen 1874 ,No1 A- C. Const. 2.1. 1874, Ludolf zu Audrassy

تحقيقها كما عقد الخديو آمالا عظيمة على امكان مقاومة تجارة الرقيق بنجاح إذا فتحت أبواب البلاد للتجارة المشروعة . (٥٦٣)

وغادر غردون القاهرة فى فبراير ١٨٧٤ فوصل عن طريق سواكن إلى الخرطوم فى ١٣ مارس وبعد أربعة أيام أصدر وهو بالخرطوم قرارا باحتكار تجارة العاج لحساب الحكومة ومنع أى فرد من الذهاب إلى مديرية خط الاستواء دون أن يكون لديه مقدما « تذكرة » تخوله هذا الحق يحصل عليها من حكمدار السودان وموقعا عليها من سلطات « المأمورية » فى غندكورو أو فى غيرها وعلاوة على ذلك فقد أصبح انشاء الجماعات المسلحة ممنوعا فى المديرية بمقتضى هذا القرار كما منع ادخال الاسلحة النارية والبارود إليها وهدد كل مخالف لهذه الأوامر بأقسى العقوبات التى تجيزها القوانين العسكرية . (٥٦٤) وكان لهذا القرار نتائج خطيرة لايزال بسببها إلى اليوم موضع نقاش من جانب طائفة كبيرة من المؤرخين ، ذلك إنه لما صار يتحتم على جميع التجار سواء أكانوا من تجار الرقيق أم من غير هؤلاء أن يحصلوا على تصريح خاص يمكنهم من إرسال مراكبهم فى النيل الأبيض إلى مديرية خط الاستواء فقد ترتب على التشدد فى تنفيذه تعطيل الملاحة فى هذا النهر واغلاقه فى وجه التجارة الحرة حتى إن القنصل النمساوى فى الخرطوم مارتين هنزل Martin Hansal لم يلبث أن رفع عقيرته بالشكوى إلى حكومته من هذا القرار الذى يلحق أشد الأذى بتجارة السودان جميعها . (٥٦٥) ولا جدال فى أن هنزل كان محقا فى شكواه إذ من الثابت أن اغلاق النيل الأبيض على هذه

---

(٥٦٣) Abdin. Corres. fran. Doss 71/4 Caire 19.9. 1875 Ismail à Gordon; ; o
Blunt (Gordon at Khart.) 96; Bujac 158.

(٥٦٤) Abdin. Corresp. fran. Doss 71/3. Khart. 14. 5. 1874 Gordon à Khairy

(٥٦٥) Nouvelle Revue 8e an. t 42 (Paris 1886). p. 395.

الصورة أضر بتجارة السودان ضرراً بليغا.(٥٦٦) وعلاوة على ذلك فقد أدى تعطيل نشاط التجار سواء أكان هؤلاء من تجار الرقيق أم من أصحاب التجارة المشروعة إلى زيادة تذمرهم من الحكومة، ذلك التذمر الذى ساعد فى آخر الأمر على قيام الثورة فى السودان على يد محمد أحمد (المهدى) (٥٦٧) ومع ذلك فإن اصدار قرار ١٧ مارس ١٨٧٤ كان عند وصول غردون إلى الخرطوم إجراء لامعدى عن اتخاذه إذا أريد إصابة تجارة الرقيق الشائنة بضربة قاتلة. (٥٦٨) وآية ذلك أن السير صمويل بيكر كثيرا ما كان يقترح على الحكومة اتخاذ مثل هذه الأراجراءات.(٥٦٩) وفى فبراير ١٨٧٢ وافق الخديو اسماعيل على مبدأ احتكار التجارة فى أقاليم النيل العليا لوقف نشاط تجار الرقيق والقضاء على تجارتهم الشائنة(٥٧٠). غير أنه قبل عام ١٨٧٤ لم يبد من جانب الحكومة ما يدل على أنها تعتزم احتكار تجارة العاج دون السلع الأخرى، فكان صدور قرار غردون مفاجأة لهم. وزاد من غضبهم أن المهلة التى أعطوها لتسريح قواتهم المسلحة فى المشارع المختلفة البعيدة ثم تسليم مالديهم من مقادير العاج الكبيرة كانت مهلة قصيرة لا تزيد على ثلاثة شهور (٥٧١).

ومنذ أن وصل غردون إلى مقر مأموريته فى غندكورو كان أهم ما عنى به تنفيذ هذا القرار ومصادرة مراكب التجار المحملة بالعاج والرقيق وجمع المعلومات التى تساعده على انتزاع المشارع فى أنحاء مأموريته من أيدى أصحابها المسلحين، هذا علاوة على انشاء عدد من المحطات الحكومية

---

(٥٦٦) Vossion. 16 — 17.

(٥٦٧) Chaillé — Long (Prophêtes) 34.

(٥٦٨) Gessi 39.

(٥٦٩) Baker (Ismailia) I. 159 — 9, Murray and White 244 — 5.

(٥٧٠) Abdin. Corresp. fran Doss 71/1. Caire. Fevrier 1872. Ismail à Baker

(٥٧١) Chaillé Long. (Life) I. 80.

على طول النهر وفتح النيل الأعلى للملاحة وادخال السفن إلى البحيرات الاستوائية . وكان الغرض من تنفيذ هذا البرنامج الواسع القضاء على الرق والنخاسة فى أقاليم النيل العليا . وعلى ذلك فقد أوفد غردون وهو بالخرطوم چسى الإيطالى Gessi وآخرين إلى بحر الغزال للتفتيش على زرائب النخاسين والوقوف على حقيقة نشاط تجار الرقيق وإنشاء محطة عسكرية فى تلك الجهات(٥٧٢) . غادر چسى الخرطوم فى أوائل مايو ١٨٧٤ ووصل إلى كاكا فى بلاد الشلوك ثم بلغ فاشودة واعترض « السد » سيره فاستطاع بعد مشقة عظيمة الوصول إلى (مشرع الريك) فى ٢٤ يونية وبقى بالمشرع حتى اليوم الثانى من شهر أغسطس فغادره إلى (شامبى) ثم أنشأ بعد ذلك محطة عسكرية فى بور وترك بها حامية لمراقبة نشاط تجار الرقيق ثم قصد إلى غندكورو فوصلها فى ٢ سبتمبر ١٨٧٤ (٥٧٣) . وأعد چسى تقريرين أحدهما فى ١٠ يوليه عن الزرائب والمحطات التجارية التى لتجار الرقيق فى اقليم بحر الغزال والآخر فى ١٦ أغسطس(٥٧٤) . ووصف چسى فى هذين التقريرين الفظائع التى كان يرتكبها تجار الرقيق مع العبيد فى المشارع وبين مبلغ ما كان يستمتع به هؤلاء النخاسون من نفوذ ضار بالأهلين فى تلك الأصقاع الأمر الذى أقنع غردون بضرورة الحاق بحر الغزال بحكومته إذا أريد مكافحة الرق والنخاسة فى هذا الاقليم بنجاح(٥٧٥) . وقد شهد غردون نفسه وهو فى طريقه من الخرطوم إلى مقر مأموريته شيئا من نشاط تجار الرقيـــق ولم يحجم عن مطاردتهم خصوصا فى بحر الزراف ووجد من الحكمة قبل وصوله إلى غندكورو أن

---

(٥٧٢) Zaghi. 70.

(٥٧٣) Gessi. 16, 23, 46 — 7, 77.

(٥٧٤) Abdin. Corresp. fran Doss 71/3. Soubat 16, 17. 8. 1874. Gordon à Khairy Pacha, Gessi 50.

(٥٧٥) Abdin. Corresp. fran 71/2. Soubat 11, 19. 8./1874. Gordon à Khairy Pacha

ينشىء محطة عسكرية فى سبت (سوباط) على بعد ثمانى عشرة ساعة من فاشوده عهد إل حاميتها بتحطيم زرائب تجار الرقيق ، ولما كانت هذه المحطة الجديدة مقامة عند مدخل النهر فقد خضعت جميع السفن الذاهبة بطريق النيل الابيض إلى الخرطوم لتفتيش دقيق يقوم به رجال هذه المحطة العسكرية وأدى ذلك إلى اغلاق النهر فى وجوه تجار الرقيق(٥٧٦).

وبدأ غردون فى سبتمبر ١٨٧٤ يقيم سلسلة من المحطات العسكرية على طول النيل الأعلى (أو بحر الجبل) ويستعد لفتح النهر للملاحة حتى يستطيع نقل السفن إلى البحيرات الاستوائية . البرت وفكتوريا ، فلم ينقض العام حتى كان غردون قد أتم انشاء عدد من المحطات فى فويره وفاتيكو والابراهيمية أو الدفلاوى (دوفيله) واللابورية والرجاف ومكركه واللادو (العاصمة الجديدة) واللاتوكه وبور وشامبى والناصر وسبت (السوباط) أى إحدى عشرة محطة بلغ عدد رجال حامياتها ١٨٨٥ من الجند النظاميين والدنقلاويين غير النظاميين (٥٧٧) وكان من أغراض بعثة شاييه لونج الى أوغنده وهى البعثة التى سبق الحديث عنها ، فتح النهر للملاحة إلى بحيرة فكتوريا . واتفقت عودة لونج من بعثته فى الوقت الذى أخذ رجال غردون ينقلون فيه إلى الدفلاى أجزاء تلك السفينة البخارية (الخديو) التى اعتزم غردون وضعها على البحيرة(٥٧٨) وكانت خطوة غردون التالية اختبار طريق النهر إلى بحيرة البرت ثم الاطمئنان إلى إمكان التقدم بأمان فى الطريق الموصل إلى بحيرة فكتوريا ثم كشف هذا الطريق بصورة أدق مما فعله شاييه لونج فى أثناء بعثته إلى

(٥٧٦) Hill. 17, 33, 37.; Sudan Notes. op. cit. Letter no.5. Gondokoro 18.11.1874
ثم انظر فوزى ١ : ٦ ;Gessi 36

(٥٧٧) Abdin. Corresp. fran Doss. 71/3. Gondokoro 15. 12. 1874. Gordon à Khairy Pacha.

(٥٧٨) Abdin. Corresp, fran Doss 71/3. Station prés de Mont Rageef.. 1.10. 1874; Dross 71/1(In Arabic) Letter of 7 Ramadan 129. (18.10.74) Reports of Chaillé-Long; Hill 54; Chaillé-Long (Life) I. 114

أوغنده(٥٧٩) فأرسل غردون لاختبار هذا الطريق الأخير ارنست لينان دى بلفون الذى لقى حتفه بعد ذلك فى (موجى) على نحو ما تقدم ، بينما كلف (شبندال) Chippendall بكشف الطريق النهرى من الدفلاى إلى بحيرة البرت(٥٨٠) ولـكن شبندال ما لبث أن مرض فتعذر عليه التقدم إلى أبعد من حوالى ثلاثين ومائة ميل جنوبى دفلاى ثم عاد أدراجه(٥٨١) وفى الشهور القليلة التالية استطاع غردون كشف النهر بين الرجاف والدفلاى وجنادل بادين Badden ثم أسس محطة فى كيرى Kerri وفى مكاده Makadé وأخرى بالقرب من اللابورية عرفت فيما بعـد باسم موجى (٥٨٢) . وهكذا استطاع غردون حتى نوفمبر ١٨٧٥ أن يفتح النهر للمـلاحة بين لادو ودفلاى . وفى يناير من العـام التالى استولى غردون على مرولى (٥٨٣) . ثم عهد إلى جسى بكشف النهر من الدفلاى إلى بحيرة البرت فأتم جسى هذه المهمـة على نحو ما تقدم (فى مارس وابريل ١٨٧٦) (٥٨٤) ، بينما اعتزم غردون التقدم صوب فكتوريا نيانزا لانشاء المحطات المسلحة فى اروندجانى Urondogani وكوسيتزا Cossitza وفتح البحيرة للملاحة ورفع الأعلام المصرية على شواطئها (٥٨٥) .

---

(٥٧٩) Abdin. Corresp. fran. Doss 71/3. Gondokoro 21.11.1874 Gordon à Khairy Bacha

(٥٨٠) Allen. 41—42.

(٥٨١) Hill. 57; Gessi 99 — 100; Abdin — Corresp. fr. Doss 71/4 Rageef 18. 4. 1875 Gordon à Khairy Pacha.

(٥٨٢) Abdin Corresp. fran. Doss. 71/4. Rageef 6, 10,17. 4.1875 : ibid Bedden 7,27.5.1875; fram Prés de Laboré. 22-8. 75. Gordon à Khairy Pacha ; Allen 52.

(٥٨٣) Abdin. Corresp. Doss 71/5. Foweira 26. 1. 1876. Gordon à Khairy Pacha

(٥٨٤) Abdin.Corresp. farn, Doss 71/5, Kerri,1.5. 1876 Gordon à Khairy Pacha

(٥٨٥) Abdin.Corresp. farn.Doss.71/5 Kerri 16.6. 1876. Gordon à Khariy Pacha ibid Kerri 19.6. 1876, Gordon à Ismaïl Ayoub Pacha, also to same from Laboré 29.6.1876. Hill 177.t

وبنى غردون أمله فى النجاح على ما وصله من تقارير ضابطيه نوراغا (عنقرة) ومحمد ابراهيم وكان غردون قد أرسلهما إلى الملك امتيسه للاتفاق معه على انشاء محطتين فى ارندوجانى وكوسيتزا فى أوغندة . وأخبراه بموافقة امتيسة لا على انشاء المحطات المسلحة فحسب بل وعلى احتلال دوباجا عاصمة ملكه ذاتها وأنهما قد احتلاها فعلا إلى جانب احتلال مسندى Masandi عاصمة أونيورو (٥٨٦) . بيد أن غردون سرعان ما تبين بعد ذلك أن امتيسة قد غرر بنور أغا ورجاله وأن هؤلاء بدلا من احتلال دوباجا كانوا أسرى فى قبضة ملك أوغندة وأن مسندى لم تدخل فى حوزة المصريين قط (٥٨٧) . واضطر غردون إلى ارسال أمين أفندى (الدكتور شنيتزر Schnitzer) لإنقاذ الحامية المصرية فى دوباجا ونجح أمين أفندى فى مهمته فانسحب نور أغا وجنده من دوباجا وتم على هذه الصورة « إخلاء » أوغندة وفى ٩ سبتمبر ١٨٧٦ وصل الجنود بسلام إلى مرولى (٥٨٨) . وكان من أثر هذا الحادث أن تعطل كشف بقية أجزاء النهر إلى بحيرة فكتوريا وفتح هذه البحيرة الكبيرة للملاحة الحرة . وفى شهر سبتمبر قرر غردون العودة من اللادو إلى الخرطوم فبلغها فى ٢٤ اكتوبر ثم غادرها إلى القاهرة ثم غادر البلاد إلى لندن (فى ديسمبر) فى أجازة لا تزيد على أسبوعين أو ثلاثة أسابيع يعود بعدها لاستئناف نشاطه فى خدمة الحكومة المصرية (٥٨٩) . وهكذا استطاع غردون

---

(٥٨٦) Abdin, Corresp, fran, Doss, 71/5, Kerri 19.6.1876; Laboré 29/6/1876, Magungo, 2. 8.1876, Gordon à Khairy Pacha' Sudan Notes (cited) Letter No 28 Magungo 27. 7. 1876, p 49; Hill 178.

(٥٨٧) Abdin Cerresp. fran. Doss 71/5 Foweira 13.8.1876, Mrooli 9.9. 1876 Gordon à Khairy Pacha; Hill 181, 186.

(٥٨٨) Abdin. Covres. Fau Doss 71/5. Fowcirn 13.8.76; Mrooli 19.8. 1876.; Mrooli 18.9. 1876 Gordon à Khairy Pacha; Hill 185.

(٥٨٩) Abdin. Corresp. Fan. Doss. 71/5 Hotel Shepherd Caire 6.12.1876. Gordon à Khairy Pacha; Caire 7.12.1876. Gordon à Cherif Pacha.

خلال السنوات الثلاث التى قضاها فى مأمورية خط الاستواء أن يقيم حكومة موطدة فى لادو وأن يتم على يده وأيدى رجاله تلك الكشوف الجغرافية التى تقدم الحديث عنها فى الفصل السابق وأن يفتح بحيرت البرت للملاحة وأن ينشىء عددا من المحطات المسلحة التى ساعدت على اخماد نشاط النخاسين والقضاء على تجارة الرقيق فى تلك الأصقاع النائية ، وكان من أجل مكافحة الرق والنخاسة فى قلب القارة الافريقية وفتح هذه الاقاليم للتجارة المشروعة أن وضع غردون قواعد ذلك البرنامج الذى أفضت محاولة تنفيذه إلى إرسال حملة الجوبا فى عام ١٨٧٥ تلك الحملة التى يرتبط تاريخها فى الحقيقة بتاريخ الجهود التى بذلها الخديو اسماعيل للقضاء على تجارة الرقيق فى مواطنها الهامة فى دارفور وهرر ثم اغلاق المنافذ التى كانت تصدر منها هذه التجارة على سواحل البحر الأحمر والصومال .

وقد حدث فى الوقت الذى أوفد فيه الخديو الكولونيل غردون الى خط الاستواء أن سارت الحوادث سراعا فى اقليم بحر الغزال وعلى حدود دارفور الجنوبية عقب اخفاق حملة البلالى بصورة أفضت الى إفتتاح سلطنة دارفور موطن الرق ووكر النخاسين من ازمان قديمة . ذلك أن الزبير رحمت على الرغم من انتصاره على محمد بلالى ظل يوجس خيفة من السلطات الحكومية بالخرطوم فاعتذر عن مسلكه السابق ووعد بأن يشن الغارة على حدود دارفور حتى يستميل الحكومة إليه .(٥٩٠) وفى يوليه ١٨٧٣ هاجم الزبير عربان الرزيقات الموالين لسلطان دارفور ولجأ شيخاهم منزل وعليان إلى السلطان ابراهيم فى الفاشر ولم يشأ السلطان تسليمهم (٥٩١) ولم يعد هناك مناص من

---

(٥٩٠) فوزى ١ : ١٣٧ ثم — Boulger I. 143; Gessi 248.

(٥٩١) عابدين ، المعية . محفظه ٣ شمبز ١ نمرة الحفظ ١ خطاب فى ١٥ رجب ١٢٩٠ (٨ سبتمبر ١٨٧٣) من الزبير رحمة الجيمابى الى السلطان ابراهيم ... الخ ، ثم أنظر شقير ٣ : ٧٢ ، ٧٣ ثم — Junker 171.

نشوب الحرب بين الزبير والسلطان ابراهيم ؛ وعندئذ بادر الزبير بالكتابة إلى حكمدار السودان اسماعيل أيوب باشا ينبئه بانتصاراته السابقة على الزريقات واحتلاله شكا وسأله أن يرسل من يتولى حكومة البلاد التى افتتحها فى بحر الغزال ودارفور بالنيابه عن خديو مصر « فإذا ماوصل الحاكم وتسلم البلاد عدت إلى تجارتى تاركا كل ما أنفقت من الأموال فى الفتح هدية لحكومتى السنية وانتظرت مكافأتها الأدبية كما تقتضيه عدالتها وكرمها » . (٥٩٢) وقد كافأته الحكومة على ذلك بتعيينه مديرا على بحر الغزال فى نوفمبر ١٨٧٣ وعندما أغار الفوريون بقيادة الوزير أحمد شطه والمقدوم سعد النور على شكا وحاولا استرجاع اقليم الزريقات (٥٩٣) بادر اسماعيل أيوب بارسال النجدات الى الزبير لرد هذه الاعتداءات كما أصدر إليه التعليمات باقتحام حدود دارفور ذاتها من جهة الجنوب فى الوقت الذى خرج فيه اسماعيل ايوب نفسه على رأس حملة كبيرة لاقتحام حدودها الشرقية (٥٩٤) فتمكن الزبير من هزيمة الفوريين ودخل داره فى ٤ فبراير ١٨٧٤ بينما كان اسماعيل أيوب يتابع الزحف صوب الفاشر حتى وصل الى فوجه فى الوقت الذى احتل فيه الزبير داره يعمل فى اثناء سيره على تأمين الأهلين ويحرر كل مايصادفه من الرقيق حتى بلغ عدد الأرقاء المحررين حوالى الستمائة والألف كان نحو الألف منهم يشكون من مختلف العلل وعنى بهم أطباء الحملة خير عناية (٥٩٥).

---

(٥٩٢) شقير ٣ : ٧٤

(٥٩٢) عابدين . المعية . محفظة ٣ شمبز ١ نمرة الحفظ ١١ مكاتبة من محمد بن الأمين معاون وريس تحريرات مديرية بحر الغزال ادارة سعادة الزبير باشا رحمة . فى ١٩ صفر ١٢٩٣ (١٨٧٦/٣/١٨) صفحات ١ — ٣

(٥٩٤) شقير ٣ : ٧٤ — ٧٥ Jackson 61;

(٥٩٥) Staat-Archiv. Gen. Cons 1874. No. 7 Cairo 7.11.1874 Cischini to Andrassy. Enclos. Trad. d'une dépêche du G. G. écrite du Darfour 7 Ramadan 1291 (17.10. 1874).

وكان هدف اسماعيل أيوب احتلال أم شنقه لأهميتها فى تثبيت دعائم الفتوح الجديدة فى جهات دارفور الشمالية من جهة ولاتخاذها مركزا يمكن إرسال الحملات منه لتخليص داره من جهة أخرى ، وكان الفوريون قد ضيقوا الخناق على قوات الزبير رحمت بها واضطر الزبير الى الالتحام معهم فى بضعة معارك .(٥٩٦) وفى أثناء آخر هذه المعارك المتصلة بين الزبير والسلطان ابراهيم حول داره فى ١٦ اكتوبر ١٨٧٤ استطاع اسماعيل أيوب دخول أم شنقه بعد انتصار حاسم على قوات العدو فأمكن بفضل ذلك فتح الطريق بين الزبير وأيوب باشا واستعداد الرجلين للقيام بزحف مزدوج على الفاشر فى وقت واحد(٥٩٧) وكان من أثر سقوط أم شنقه أن اضطر السلطان ابراهيم إلى النزول من جبل مره الذى اعتصم به بغية الذهاب إلى الفاشر حتى يتولى الدفاع عنها ، فأخلى بعمله هذا الطريق أمام جيوش الزبير التى خرجت من داره فى زحف سريع صوب الفاشر واستطاعت احتلال قرية منواشى فقطعت بذلك كل اتصال بين السلطان وبقية قواته المتجمعة فى جبـــل مره وتعذر على السلطان ابراهيم بلوغ عاصمته فاضطر إلى الاشتباك فى معركة كبيرة عند منواشى فى ٢٤ اكتوبر ١٨٧٤ (٥٩٨) . وفى أثناء هذه المعركة قتل السلطان ابراهيم مع جماعة من خيرة قواده وتشتت جيشه . وفى ٣ نوفمبر دخل الزبير الفـاشر ، وفى يوم ٦ نوفمبر دخل اسماعيل أيوب العاصمة كذلك(٥٩٩) . وكان أول عمل

---

(٥٩٦) Staat-Archiv. Gen. Cons. 1874. No. 6/Pol Cairo 15.10. 1874. Trad. d'une dépêche. 20.9.1874.

(٥٩٧) Staat.Archive. Gen. Cons. 1874. No.7 Nol. Cairo 6.11.1874 Cischini to Andrassy. Enclos. Trad. d'une dépêche (7 Ramadan. 1291)

(٥٩٨) Staat-Archiv. Gen. Cons. 1874. No 9 Cairo 22.11.1874. Enclos. Trad. d'une dépêche. 22 Ramadan 1291. ثم عابدين . المعية . محفظة ٣ . شميز ١ نمرة ١١ امكاتبة من محمد بن الأمين الخ . فى ١٩ صفر ١٢٩٣ . صفحات ٣ و٤ .

(٥٩٩) Abdin Amer vol IX. No 262. Cairo 1.1.1875 Enclos. Trans. of desp. of the Gov Gen. of the Sudan. Fasher 6.11. 1874. p. 209.

قام به اسماعيل أيوب أنه أطلق سراح جميع الأرقاء الذين وجدهم فى الفاشر واتخذ اجراءات سريعة لارسال أولئك المحررين منهم الذين لايريدون البقاء فى دارفور إلى أوطانهم[٦٠٠] .

ولم يمض عام واحد على افتتاح دارفور حتى كان الخديو قد استولى على هرر موطن الرقيق الهام فى الشرق وأغلق منافذ تصدير تجارة الرقيق الشائنة فى شواطىء البحر الأحمر وبلاد الصومال . ومع أنه قد سبق بحث هذا الموضوع فى كتابينا : (الخديو اسماعيل والرق فى السودان) ثم (مصر والسيادة على السودان)[٦٠١] فإنا لا نجد مندوحة عن إيجاز القول فى هذه الدراسة لرسم صورة متسقة لجهود العاهل العظيم فى مكافحة الرق والنخاسة. وكان أول نجاح أحرزه فى سبيل تحقيق هذه الغاية حصوله على مصوع وسواكن من الباب العالى فى عام ١٨٦٥ فقد اتفقت كلمة المعاصرين على أن تنازل تركيا عن هذين الميناءين يمكن مصر من إقامة الحكومة المنظمة على طول ساحل البحر الأحمر الغربى ويعينها على اتباع سياسة رشيدة من أهم أغراضها القضاء على تجارة الرقيق[٦٠٢] . وذلك أن سواكن ومصوع ظلتا من أهم موانى تصدير الرقيق وأسواقه سنوات عدة[٦٠٣] وقد استتبع ضم هذين الميناءين الاستيلاء كذلك على « توابعهما والملحقات » فاستولى اسماعيل فى العام التالى (١٨٦٦) على جميع شاطىء خليج عدن الجنوبى من بربره إلى رأس غردفوى بما فى ذلك منافذ تصدير الرقيق فى تاجوره (تجرة) وبلهار وبربره[٦٠٤] وظل

---

(٦٠٠) Abdin-Amer. vol IV No. 262 Cairo. 1.1.1875. Beardsley to Fish pp. 208-9.

(٦٠١) Shukry, M. F. The Khedive Ismail And Slavery in the Sudan (1863-1879). Cairo 1938.

ثم محمد فؤاد شكرى — مصر والسيادة على السودان — الوضع التاريخى للمسألة . القاهرة ١٩٤٧

(٦٠٢) Munzinger (Ostafrickanische) 300-301; Rivoyre 24.

(٦٠٣) Lejean (Voyage) 168; Munzinger 127.

(٦٠٤) F. O. 78/3186 (Confid) Printed for the Use of the F. O. 18.7.1871.

ميناء زيلع وحده خارجا عن دائرة النفوذ المصرى ويخضع لتركيا(٦٠٥) وعين اسماعيل عبد القادر باشا محافظا على هذه الجهات فى عام ١٨٦٧ ثم استبدل به احمد ممتاز باشا فى اغسطس ١٨٧٠ ثم عين فرنز منزنجر حاكما لمصوع فى ابريل من العام التالى (٦٠٦) وعهد إليه الخديو بالقضاء على تجارة الرقيق فى السودان الشرقى وكان منزنجر قد شغل منصب القنصل الفرنسى قبل ذلك فى مصوع وعرف البلاد التى أوفد إليها الآن معرفة طيبة(٦٠٧)، وكان من رأيه أنه يتعذر القضاء على الرق والنخاسة فى تلك الجهات دون اخضاع اقليم البوغوص (بلاد البوغاسى) أو سنهيت الواقع بين التاكة ومصوع(٦٠٨) والذى ظل خارجا عن سلطان الحكومة حتى ذلك الوقت ويجد فيه الأحباش ميدانا لارسال حملات صيد الرقيق وسلب محصولات الأهلين ومواشيهم ونشر الفوضى فى الحدود السودانية . لكل هذه الأسباب أذن له الخديو بافتتاح بوغوص(٦٠٩) .

وعلى ذلك فقد خرج منزنجر من مصوع فى يونيه ١٨٧٢ على رأس حملة إلى بوغوص واحتل (كيرن) Keren عاصمة الإقليم دون صعوبة تذكر واستطاع بفضل النجدات التى وصلت إليه فى اكتوبر من العام نفسه أن ينشىء بها

(٦٠٥) عابدين . المعية . محفظة ٣ شميز ٧ نمرة الحفظ ٥٤ (مصوع وسواكن) بدون تاريخ

(٦٠٦) Aff Etr. Egypte (43) No 9. Suez 10.11.1867; F. O. 78/3186 Letter from the Political Resident at Aden 18.8.1870. Enclosed in letter from India Office 7.11 1870; Abdin Corresp. fran. Doss. 73|5. Mossowa 1. 5. 1871, Munzinger à Khairi Pacha,

(٦٠٧) Myres 40,

(٦٠٨) Munzinger 300-301; Myres 55, 158-9; Lejean (Vayage) 56.

(٦٠٩) Abdin, Corresp. Doss, 9/1. Mossowa 15.9. 1872, Munzinger à Khairi Pacha; Doss 73/5 Palais d' Abdin 22.12, 1872 Ismaïl à Munzinger; Abin-Amer vol VI. No 18 Alex 1872 Comanos to Fish p 249.

الحكومة الموطدة(٦١٠) وشرع من ثم « يحرر » كثيرا من الرقيق فى هذه المنطقة الأمر الذى دعا المعاصرين إلى أن يعقدوا آمالا عظيمة على إمكان القضاء على تجارة الرقيق فى هذه الجهات بصورة حاسمة(٦١١) وفى فبراير ١٨٧٣ عين منزنجر محافظا للسودان الشرقى على أن يشمل سلطانه سواكن فى الشمال ثم راحيتا (رهيطه) فى الجنوب وكيرن وكسلا فى الشرق . وكانت مهمته القضاء على تجارة الرقيق فى هذه الجهات جميعها(٦١٢) ثم ضم بعد ذلك آيلت Ailet . بيد أن افتتاح هرر وامتلاك أوشا بعد ضم بوغوص أو (بوغاسى) وآيلت كان من شأنه تطويق الحبشة فضلا عن إثارة أحقادها لأن الأحباش كان لهم إدعاءات على بوغوص وآيلت وأوشا فكثرت غارات هؤلاء على الحدود المصرية وهددوا باقتحامها ولم تفلح جهود الخديو فى استلال سخيمتهم فنشبت تلك الحرب الحبشية المصرية التى انتهت بعد هزيمة الأحباش فى موقعة قرع (فى مارس ١٨٧٦) .

على أنه كان من أثر الاجراءات التى اتخذها الخديو بين عامى ١٨٦٥ ، ١٨٧٣ خصوصا للقضاء على تجارة الرقيق فى السودان الشرقى وساحل البحر الأحمر الغربى أن أقبلت انجلترة على تأييد سلطان الخديو فى هذه الأقاليم وترجو من وراء ذلك أن يستطيع الخديو معاونتها على قطع دابر هذه التجارة الشائنة فى البحر الأحمر وفى خليج عدن خصوصا ، واعتقدت سلطاتها فى

---

(٦١٠) Staat Archiv. Gen, Cons, 1872, No 51 Pol, Cairo 4. 10. 1872 Cischini Zu Andrassy,

(٦١١) Abdin Amer. vol VI. No 19 Alex 16.10.1872. Hale to Secr, of State p, 274; Abdin Corres. fran, Doss, 9/1 f, 22023 Trad. Article "Pall Mall" 4. 10. 1872.

(٦١٢) Abdin Corres. Fran. Doss, 73/5, Ministere de le Guerre, Caire 9.2. 1873 (Stone); also Caire 15.4.1873 Ismaïl à Munzinger Gouverneur de l'Est du Soudan

عدن أن استيلاء الخديو على زيلع واحتلال تاجوره وبربره ضرورى لتحقيق هذه الغاية(٦١٣) .

وفى يناير ١٨٧٤ أرسل الخديو منزنجر للقيام برحلة تفتيشية على الساحل الصومالى فأعد منزنجر بعد أداء مهمته تقريرا ضافيا عن (بربره وعصب وأوشا أو الأواش) كان من بين ما جاء فيه أنه من الضرورى فتح الطرق الداخلية إلى هرر وشوى حتى يمكن إخماد تجارة الرقيق فى بلاد الصومال واستبدال التجارة المشروعة بهذه التجارة المرذولة(٦١٤) فأرسل الخديو فى اكتوبر من العام نفسه رضوان باشا على ظهر القرويت « لطيف » لملاحظة الشاطىء الصومالى ومنع تصدير الرقيق من تاجوره وبربره(٦١٥) بيد أن هذه الجهود كان مصيرها الفشل لا محالة ما دام ميناء تصدير الرقيق الكبير زيلع وما دام أهم مواطن الرقيق فى هذه الجهات هرر لا يخضعان لسلطان الحكومة المصرية(٦١٦) وعلى ذلك فقد اهتم الخديو بالحصول على زيلع من تركيا . وبمجرد أن تم له ما أراد فى يوليه ١٨٧٥ بدأت الاستعدادات لارسال حملة كبيرة بقيادة محمد رءوف باشا لافتتاح هرر .

وكانت هرر فى أيام سلطانها الأمير محمد بن عبد الشكور ذات صيت ذائع بوصفها سوقا هامة للرقيق فى افريقية الشرقية يأتيها الجلابون بالعبيد من الحبشة وبلاد الجالا وجهات فكتوريا نيانزا ويصدر منها الرقيق خصوصا

---

(٦١٣) F,O, 78/3187, Memo (By Dashwood), Berbera and Turkish and Abyssinian Claims, ibid Therapia 13. 11. 1873, Elliot to Granville; also 78/3188 Memo, Affairs of the Somali Coast, Calcutta 1875,

(٦١٤) Abdin, Corresp, fran, Doss, 73/5, f, 20902, (Berbera-Assab-Aoussa) Par Werner Munzinger (1874?),

(٦١٥) Abdin, Corresp, fran, Doss 73/5 Palais d'Abdin 3. 10.1874 Ismaïl à Munzinger,

(٦١٦) Staat -Archiv Gen. Con 1875. No. 18/Pol .Alex 4.7.1875 Cischini à Andrassy; F. O.78/3188 No 81 Alex 7.7.1875 Cookson to Derby.

إلى بلاد العرب عن طريق بربرة وتاجوره وزيلع ولذلك فقد بات اخضاع هذه السلطنة ضروريا للقضاء على تجارة الرقيق وفتح هـــذه البقاع للتجارة المشروعة(٦١٧) وفضلا عن ذلك فقد كانت حكومة الأمير عبدالشكور حكومة استبدادية . واستبد (الأمير) بالأهلين حتى لم يعد لهم طاقة على حكمه فاستنجدوا باسماعيل باشا وسألوه أن يرسل من قبله واليا يتولاهم بدل سلطانهم محمد ، فأجاب اسماعيل سؤالهم .(٦١٨) وفى ١٨ سبتمبر ١٨٧٥ غادر رءوف زيلع واجتاز أرض العيسى دون مقاومة تذكر حتى إذا وصل إلى أرض الجالا التحم هؤلاء معه فى معركتين كانت الهزيمة من نصيبهم وانفتح الطريق إلى هرر فدخلها رءوف ظافرا فى ١١ اكتوبر من العام نفسه ، وسلم عبدالشكور طوعا كما سلمت قبائل كثيرة للفاتح المصرى (٦١٩) وبدأ رءوف فى الحال يتخذ الاجراءات الـكفيلة بالقضاء على تجارة الرقيق فحرم بيع وشراء الرقيق ووضع التجار العرب تحت رقابة صارمة(٦٢٠) وبينما كان رءوف يقيم أسس الحـكومة الجديدة فى هرر كانت الاستعدادات تجرى لارسال حملة بحرية إلى مصب نهر الجوبا فى الصومال الشرقى ، وكان غردون أيام مأموريته بخط الاستواء قد أرسل فى يناير ١٨٧٥ يستأذن الخديو فى الزحف من مقر مأموريته إلى خليج فرموزه على ساحل أفريقية الشرقى حتى يفتح طريقا للتجارة المشروعة بين الساحل وإقليم البحيرات الاستوائية ويقضى على نشاط تجار الرقيق الذين

---

(٦١٧) Moktar (Notes Sur le Pays de Harrar) pp 320-355; Abdin. Corresp. fran. Doss 72/2. Ministere de la Guerre. (Zeila, Tadjourah, Berbera, Bulhar, Harrar.) ff 1-5.

(٦١٨) شقير ٣ : ٩٠

(٦١٩) Abdin-Amer. vol XI. No 378. Cairo 26. 11.1875 [Beardsley to Fish; Staat Archiv, Gen. Cons.1875.No 39/ Po. Cairo 8.11.1875 Cischini, à Andrassy. Enclos. Copie de la Circulaire Addressé par Le Ministre des Affaires Etrangeres. Caire 8. 11.1875.

(٦٢٠) Shukry. 256.

ينقلون الرقيق من الداخل إلى الموانى الشرقية[٦٢١] ولما كان الخديو يرى أن التوسع على الساحل ضرورى لمكافحة تجار الرقيق فقد رحب بمشروع غردون ولو أنه رفض النزول فى خليج فرموزه لما كان لسلطان زنجبار سيد برغش من إدعاءات على هذا الخليج[٦٢٢] فاقترح غردون نزول الحملة المزمعة إما عند مصب نهر الجوبا وإما فى ميناء درنفورد[٦٢٣] وفى أغسطس ١٨٧٥ استقر رأى الخديو على العمل بمشورة غردون. وفى ١٧ سبتمبر من العام نفسه أصدر تعليمات مفصلة إلى مكيلوب باشا Mckillop رئيس الحملة المسيرة على جوبا. ولما كان مكيلوب فى ذلك الوقت فى بربره فقد تسلم شاييه لونج قيادة الحملة التى خرجت من السويس فى ١٩ سبتمبر ١٨٧٥ ووصلت إلى بربره فى ٢٥ سبتمبر، وفى منتصف اكتوبر وصلت الحملة بقيادة مكيلوب إلى مصب الجوبا ثم اضطرت بسبب شدة هبوب الريح إلى النزول فى قسمايو جنوبى المصب بقليل[٦٢٤] وفى قسمايو وجدت الحملة حامية صغيرة من جند زنجبار، ومع أن غرض حملة الجوبا على نحو ما صار الخديو يؤكد للقنصل الإنجليزى فى مصر الكولونيل ستانتون Stanton المرة بعد الآخرى هو فتح الطريق بين البحيرات الاستوائية والشاطىء الافريقى كخطوة لا معدى عن اتخاذها من أجل القضاء على تجارة الرقيق فى هذا الجزء من القارة[٦٢٥] فقد أيد الانجليز

---

(٦٢١) Abdin. Corresp. fran. Doss 71/4 Lado 29. 1.1875., Bedden 7.5.1875. Gordon à Khairy Pacha; Hill 68, 180.

(٦٢٢) Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/4. Caire 17.9.1875. Ismaïl à Gordon.

(٦٢٣) Abdin. Corresp. fran. Doss 71/4. Bedden 7.5. 1875; Bedden 17.7. 1875 Gordon à Khairy Pacha.

(٦٢٤) Abdin. Corresp. fran .Doss. 73/2. Guézireh 17.9.1875. Ismaïl à Mc Killop (Instructions); Chaillé-Long (Life) I. 174-176.

(٦٢٥) F. O.78/3188. No 160 Cairo 9.12. 1875 Stanton to Derby.

إدعاءات سيد برغش فى السيادة على هذه البقاع(٦٢٦) وعلى ذلك اضطر الخديو إلى اصدار أوامره بانسحاب الحملة فى ١٤ ديسمبر ١٨٧٥(٦٢٧) ، وفى ٢٠ يناير ١٨٧٦ غادرت الحملة قسمايو فى طريق عودتها إلى مصر وبلغت السويس فى ٥ فبراير من العام نفسه .

على أن انسحاب حملة الجوبا لم ينل شيئا من عزم الخديو على وضع موانى البحر الأحمر والساحل الصومالى تحت رقابة شديدة لمنع تصدير الرقيق فبذل أراكيل بك محافظ مصوع جهودا كبيرة لمنع تهريب الرقيق «من ميناء مصوع (١٨٧٤)»(٦٢٨) وبعد حوادث الجوبا كلف الخديو جورج موريس بك « بالمرور على المين الجنوبية على ساحل البحر الأحمر إلى عدن» فقام بالتفتيش على موانى سواكن ومصوع وتجره وزيلع وبربره وجاء فى التقارير التى بعث بها إلى الحكومة فى شهرى مارس وإبريل ١٨٧٧ أن الرقيق لا يصدر « من مينة سواكن بل من البوغازات الصغيرة التى بالساحل من شماله وجنوب تلك الجهة ، وأنه قد تبين له مما أجراه من الكشف على الساحل ما بين سواكن ومصوع (أنه لا يوجد) محلات للرقيق ولا متجر له بالنسبة لشوكة الحكومة»

---

(٦٢٦) F. O. 78/3188 No. 113 (Confid) Cairo 11. 11. 1875 Stanton to Derby.
ibid. Teleg. to Dr. Kirk at Zanzibar. F.O. 5 12. 1875. Derby to Kirk; also Teleg. from Stanton. Cairo 5.12.1875.

ثم أنظر عابدين • المعية • دفتر ١٧ رقم ١٠٥ ص ٣٢ عدن فى ٨ ذى القعدة ١٢٩٢ (٦ ديسمبر ١٨٧٥) مأمورية سواحل أفريقا الشرقية مقدم من عبد الرازق بك رئيس أركان حرب المأمورية وناظر المدرسة الحربية مؤرخ فى ٨ ذى القعدة ١٢٩٢ (ديسمبر ١٨٧٥) •

(٦٢٧) عابدين • المعية • دفتر ١٠ (عربى) رقم ٦٧ ص ٣٢ فى ١٦ ذى القعدة ١٢٩٢ (١٤ ديسمبر ١٨٧٥) من الخديو الى عبد الرازق بك •

(٦٢٨) عابدين • المعية محفظة ٣ شميز ٧ نمرة الحفظ ١٤ خطاب فرنسى ومعه ترجمة عربية من أراكيل بك محافظ مصوع الى مهردار خديوى فى ١٩ يناير ١٨٧٤ ، ثم نمرة ١٥ خطاب فرنسى مترجم للعربية من أراكيل بك فى ٣ فبراير ١٨٧٤ .

وأن ما يجرى تصديره من الرقيق يحدث « شحنه من على الساحل من شمال وجنوب مصوع بالبعد عن النقط العسكرية بجهات مصطلح عليها، وأن الرقيق لا يزال « يهرب من زيلع بينما تخلو بربره من » وجود متجر للرقيق بها(٦٣٩) فكان للقضاء نهائيا على بقايا هذه التجارة الشائنة فى جهات السودان الشرقى وسواحل البحر الأحمر والصومال أن أبرم الخديو مع بريطانيا معاهدة الغاء تجارة الرقيق فى ٤ أغسطس ١٨٧٧ .

---

(٦٣٩) عابدين . المعية . محفظة ٣ شميز ٧ نمرة الحفظ ١٧ مكاتبات وتقرير من جورج موريس بك رقم ٩ ، ١٨ مارس ١٨٧٧ ، ثم نمرة ١٨ تقرير من موريس بك رقم ٤ ابريل ١٨٧٧ .

— ٨ —

غردون ومعاهدة الرقيق

كان ابرام (معاهدة الرقيق) فى عام ١٨٧٧ نقطة تحول خطير ليس فقط فى تاريخ تلك الجهود التى بذلها الخديو اسماعيل فى مكافحة الرق والنخاسة فى شطر الوادى الجنوبى بل وفى تاريخ الأقاليم السودانية ذاتها . فقد سلكت الحكومة المصرية فى أيام محمد على فى مكافحة الرق والنخاسة مسلكا يدل على الحكمة وأصالة الرأى وبعد النظر ، فلم تشأ أن تقتلع إقتلاعا تاما ما كانت تتغلغل جذوره فى حياة السودان الاقتصادية والاجتماعية إذ يقتضيها فعل ذلك اتباع سياسة تعتمد على « السيف والنار » ومن شأنها زلزلة كيان البلاد زلزالا شديدا بل آثرت على سياسة « الإلغاء » العنيفة هذه سياسة أخرى رشيدة تهدف إلى « تقييد » أو « تنظيم » الرق والنخاسة وهذه كان من شأنها تهيئة الأسباب والوسائل التى تفضى بمرور الزمن إلى إخماد نشاط الجلابين والنخاسين والقضاء على تجارة الرقيق . فلم يعلن محمد على إلغاء الرق فى السودان « رسميا » إلا بعد مضى نيف وثلاثين سنة على الفتح وأعلن سعيد إلغاءه فى عام ١٨٥٧. ولم يكن معنى هذا الاعلان أن الحكومة قد عدلت عن سياسة « التقييد » السابقة بل إن إعلان إلغاء الرق وتجارته كان لا يتسنى تنفيذه إلا بطريق « التقييد والتنظيم » ومدار ذلك فتح النيل الأبيض للملاحة الحرة وإبطال احتكار التجارة ومراقبة نشاط تجار الرقيق وما إلى ذلك بل إن البرنامج الذى وضعه اسماعيل لمكافحة الرق والنخاسة فى عام ١٨٦٥ كان قائما على « التقييد » . وفضلا عن ذلك فإن الاستيلاء على مواطن الرقيق وفتح النيل الأعلى للملاحة حتى البحيرات الاستوائية واغلاق منافذ تصدير الرقيق على البحر الأحمر والشاطىء الصومالى

وادخال التجارة المشروعة وتعميمها فى أرجاء السودان لم يكن فى جوهره سوى توسع فى تطبيق سياسة « التقييد » بصورة تضمن زوال الرق والنخاسة فى آخر الأمر بفضل إزالة أسبابها وأصولها وابطال الحاجة إلى الرق والقضاء على نشاط تجار الرقيق . ولم تكن مصادرة مراكب النخاسين المحملة بالرقيق فى النيل الأبيض أو مراقبة حركة الملاحة فى البحر الأحمر أو الاستيلاء على مشارع تجار الرقيق فى بحر الغزال والسوباط والنيل الأعلى إلا تنفيذا لهذه السياسة . وأما مطاردة تجار الرقيق وشن الحرب عليهم فى مظاعنهم واتباع سياسة « الإلغاء » العنيفة التى تعتمد على « السيف والنار » فكان أمرا بعيدا عن الصواب والحكمة وذلك لأنه كان يصعب تنفيذه قبل كشف جميع الأقاليم السودانية كشفا دقيقا وخصوصا مواطن الرقيق التى دخلت فى حوزة الحكومة حديثا كسلطنتى دارفور وهرر أوجهات البوغوص وغيرها فى السودان الشرقى وعلى طول شاطىء البحر الأحمر والساحل الصومالى أو أقاليم خط الاستواء حول غندكورو وجنوبيها ويستلزم استعدادا عسكريا كبيرا ويكبد البلاد ، مصر والسودان معا ، نفقات جسيمة . وفضلا عن ذلك فإن العمليات العسكرية الواسعة فى بلاد كان مايزال أهلها يؤمنون بأن الرق أمر أقره العرف وأجازته التقاليد وأن تجارة الرقيق تجارة مشروعة مثلها فى ذلك كمثل تجارة سن الفيل (العاج) سواء بسواء ثم تربطهم بالجلابين والنخاسين أواصر القرابة فى كثير من الجهات ، نقول إن العمليات العسكرية الواسعة ضد تجار الرقيق من شأنها إثارة التذمر والسخط فى كل مكان ثم تحريك الثورة فى النهاية . وعلى ضوء هذه الاعتبارات إذن يمكن إدراك حقيقة سياسة « التقييد » التى أصر الخديو اسماعيل على اتباعها فى مكافحة الرق والنخاسة فى السودان ثم تتبع الخطوات التى اتخذها الخديو من أجل القضاء على تجارة الرقيق . أما سياسة « التقييد » فقد وضح أهدافها العاهل العظيم فى تلك التعليمات والارشادات التى أصدرها

إلى الحكمدارين والمأمورين ومن إليهم سواء أكانوا من المصريين كجعفر مظهر واسماعيل أيوب ومحمد رءوف وغيرهم أم من الأجانت كالسير صمويل بيكر ومنزنجر وغردون . وأما الخطوات التى اتخذت فى سبيل مكافحة الرق والنخاسة فقد وقف العالم على حقيقتها بفضل ما ظل ينشره عنها قناصل الدول والرحالون الذين قصدوا السودان للكشف العلمى أو للصيد والسياحة ثم أولئك التجار من الاجانب الذين اتخذوا الخرطوم وكوبى والفاشر ومصوع وبربره وغيرها مقاما لهم . وعلاوة على ذلك فقد أطلع الخديو انجلترة على اجراءاته دائما وكانت انجلترة وقتئذ أعظم الدول اهتماما بمسألة الرق وتجارة الرقيق . وكان من أجل التعاون فى القضاء على هذه التجارة الشائنة أن أبرم الخديو مع الانجليز معاهدة إلغاء الرقيق .

غير أن الانجليز كانوا أصحاب آراء فى الطرق التى يجب اللجوء اليها لإمكان القضاء على الرق والنخاسة تختلف اختلافا جوهريا عن الطرق التى أملت التجربة على الخديو اتباعها لمكافحة شرورهما إذ بينما كان اسماعيل يعتمد على «التقييد» كخير وسيلة للقضاء على تجارة الرقيق ، فضل الانجليز سياسة الالغاء العنيفة والاعتماد على السيف والنار فى مقاومة الرق والنخاسة . وكان لهذا الاختلاف الجوهرى بين الرأيين آثار خطيرة يكشف عنها البحث فى الأسباب المباشرة التى أدت إلى عقد معاهدة الرقيق من جهة ثم بيان الطريقة التى طبقت بها المعاهدة على أيدى غردون خصوصاً بصورة أفضت إلى قيام ثورة محمد أحمد المهدى وإخلاء السودان فى النهاية .

فقد سبق القول كيف أن الحكومة الانجليزية ظلت من أيام محمد على وفى السنوات الأولى من حكم الخديو اسماعيل تعنى عناية كبيرة بمسألة الرق والنخاسة فى السودان . وكان من أثر ما بدا من هذه العناية الكبيرة أن عهد الخديو بمأمورية خط الاستواء إلى السير صمويل بيكر أولا (١٨٦٩) ثم إلى

شارلس چورج غرودن (١٨٧٣) فقد ظلت انجلترة لا ترضى عن سياسة « التقييد » وظل الانجليز ينقدون مسلك الحكومة المصرية ويتهمون الحكمدارين المصريين موسى حمدى وجعفر صادق وجعفر مظهر على وجه الخصوص بأنهم كانوا ضـــالعين مع تجار الرقيق ويغمضون عيونهم عن نشاطهم (٦٣٠) على الرغم مما يبذله كل هؤلاء من جهد شاق فى سبيل القضاء على هذه التجارة المرذولة. وعلاوة على ذلك فقد اتهمت الحكومة المصرية ذاتها بأنها كانت على علم بمـا كان يجرى من اتجار بالرقيق بين مصر وبلدان أفريقية الأخرى ثم لم تفعل شيئاً لوقف هذه التجارة (٦٣١). بل أساء الانجليز الظن بحكومة الخديو حتى إنهم كانوا يعتقدون أنها كانت تهمل متعمدة اتخاذ أى إجراء لمنعها (٦٣٢)، ثم صاروا يتهمون السلطات فى القاهرة والخرطوم بأنها كانت تحاول إبعاد كل أوروبى من السودان حتى يتسنى المضى فى تجارة الرقيق دون أية رقابة (٦٣٣) وعلى ذلك فقد وجد الخديو حتى يدحض هذه الاتهامات غير الصحيحة أن يختار لملء منصب من مناصب الحكم الهامة أحد الأجانب لإشراكه جديا فى جهود مكافحة الرق والنخاسة فى السودان (٦٣٤) وكان من الطبيعى أن يقع اختياره على انجليزى لملء هـــذا المنصب. وفضلا عما يحدثه هذا الاختيار من أثر طيب لدى الحكومة الانجليزية ذات الاهتمام الظاهر بمسالة

---

(٦٣٠) F. O. 84/1341 Slave Trade. No. 2 Cairo 26. 1.1871. Stanton to Granville.

(٦٣١) Parl. Sess. Papers. Class C. Egypt No 20. Alex 31.7.1869. Col. Stanley; F. O. 84/1304 Draft S. T. No. 5 (Col. Stanley) 13.8. 1869.

(٦٣٢) Parl. Sess. Papers, Class C, Egypt No 16, F. O. 22. 6. 1869 Clarendon to Stanton,

(٦٣٣) F.O. 78/2253. Petherick to Lord Stanley. Enclos. Trans. of Extracts from letters. Khartoum 6. 11. 1867.

(٦٣٤) Lejean (Traite) 900; Baker (Ismaïlia) 1. 8-9

الرق والنخاسة (٦٣٥) فان من شأن ذلك أيضا إرضاء هذه الحكومة وجلب مودتها فى وقت كانت فيه انجلترة تبذل كل معونة صادقة لتأييد اسماعيل فى نضاله ضد ادعاءات فردنند دلسبس، فى مسألة قناة السويس وتشجع العاهل المصرى على المضى فى إصلاحاته ومعاضدة مساعيه فى الآستانة للحصول على فرمان الوراثة الصلبية وغيره (٦٣٦) ووجد اسماعيل من مصلحة بلاده فى ذلك الوقت أن يحرص على علاقات «الود والصداقة» مع بريطانيا (٦٣٧) وعند ما رفض إسماعيل أن يجدد عقد استخدام السير صمويل بيكر للأسباب التى ذكرها وجد أن خير ضمان لإظهار صدق نواياه وعزمه الصحيح على المضى فى مكافحة الرق والنخاسة فى السودان أن يستبدل بالسير صمويل انجليزيا آخر (٦٣٨). وفضلا عن ذلك فقد كان يهم الخديو عند بدء استحكام الأزمة المالية فى مصر أن يحرص على صداقة انجلتره (٦٣٩). وقد أثمرت هذه الخطة الحكيمة ثمرتها المطلوبة عندما تناسى الانجليز اتهاماتهم السابقة وأقبلوا يؤيدون سياسة «التقييد» التى جرى عليها الخديو وعمل على تنفيذها رجال من أبناء جلدتهم كالسير صمويل بيكر والكولونيل غردون.

على أنه لم يلبث أن حدث فى عام ١٨٧٣ أن بدأت الحكومة الانجليزية تظهر اهتماما بمسألة الرق والنخاسة فى السودان بصورة كانت تفوق كثيراً كل

---

(٦٣٥) Aff. Etr. Egypte (47) No. 16. Alex 8.6.1870 Montmorency à Gramont.

(٦٣٦) F.O. 84/1371. (confid) No 11 Therapia 8.7-1873 Sir Henry Elliott to Granville

(٦٣٧) Aff. Etr. Egypte (40) No. 73 Alex 19.12. 1876. Roustain à Moustier; Staat-Archiv. Gen. Cons. No 7/pol. Cairo 30.3.1871 Schreiner à Buest.

(٦٣٨) F.O.84/1371. S.T. No. 14. Cairo 30.8.1873 Vivian to Granville

(٦٣٩) F. O. 84/1371. S. T. No. 11 (Conifd) Therapia 8.7.1873. Elliott to Granville

اهتمام سابق لها بهذه المسألة وصارت من ذلك الحين لا ترضى قط عن سياسة «التقييد» فقد أعدت جماعة إلغاء الرق فى لندن فى ابريل ١٨٧٣ مذكرة رفعتها إلى الحكومة وتحدثت فيها بإسهاب عن ضرورة إقناع الخديو « باتخاذ إجراءات حاسمة لإلغاء تجارة الرقيق فى ممتلكاته إلغاء تاماً» فعمدت الحكومة الانجليزية تحت ضغط الرأى العام فى بلادها ولا ريب إلى إرسال هذه « المذكرة » إلى القاهرة مع تعليمات إلى قنصلها فى مصر الكولونيل ستانتون Stanton بأن يؤكد لسمو الخديو أن حكومته فى لندن لاتشك فى أن « إجراءات حاسمة » سوف تتخذ دون إمهال لإلغاء تجارة الرقيق فى مصر والسودان (٦٤٠). فصدع ستانتون بالأمر وقدم «المذكرة» إلى الخديو فى ٢٥ ابريل ووعد اسماعيل بان «يبذل قصارى جهده» لانهاء هذه التجارة المرذولة، على أنه أوضح للقنصل الانجليزى فى الوقت نفسه « أن إلغاء تجارة الرقيق إلغاء تاما مسألة زمن ووقت» ولا يتسنى إلغاؤها دفعة واحدة (٦٤١).

وكان الخديو قد أصدر أوامره منذ ١٥ ابريل إلى منزنجر بك محافظ شرقى السودان وإلى اسماعيل أيوب باشا الحكمدار وإلى المفتشين والمديرين فى مصر بضرورة وقف الاتجار بالرقيق وقفا تاماً فى مصر والسودان، ونصت التعليمات المرسلة لهم على مصادرة تجارة الجلابين وإطلاق سراح الرقيق وإرسال العتقاء إلى أوطانهم تحت حماية الحكومة إذا رغبوا فى ذلك أو استخدامهم إذا فضلوا البقاء فى أماكنهم والإشراف على تربية أولادهم وتزويج بناتهم. وأعطى منزنجر الحق فى مصادرة السفن التى تمر بالشواطىء المصرية محملة بالرقيق وإبلاغ القناصل أو عملائهم فى مصوع عند مصادرة

---

(٦٤٠) F.O. 84/1371. S. T. Draft No 6. F. O. 2.4.1873. Granville to Stanton.

(٦٤١) F.O. 84/1371. S.T. Cairo 25.4.1873. Stanton to Granville.

السفن التى يملكها أفراد من رعايا دولهم (٦٤٢) . وكانت هذه سياسة « تقييد » بأوسع معانيها . ومع ذلك فان حكومة لندن عند ما أبلغت هذه الاجراءات ما لبثت حتى عدتها إجراءات غير كافية ثم عادت تبين للخديو ضرورة اتخاذ «إجراءات حاسمة» (يونيه ١٨٧٣) (٦٤٣) . وعندئذ لم يجد الخديو مناصاً من الدخول فى مفاوضة لعقد معاهدة مع الحكومة الانجليزية من أجل القضاء على تجار الرقيق قد يستبين فى أثنائها معنى تلك « الإجراءات الحاسمة » التى توصى بها حكومة لندن دائما (٦٤٤) وفى يوليه ١٨٧٣ بدأت المفاوضات التى انتهت بعد أربعة أعوام تقريباً بأبرام معاهدة الرقيق فى ٤ أغسطس ١٨٧٧ .

واشتملت (معاهدة الرقيق) على الإجراءات التى تكفل فى نظر الحكومتين المصرية والانجليزية القضاء على تجارة الرقيق فى مصر والسودان وهى إجراءات لا تختلف عن تلك التى صدرت بها تعليمات الخديو نفسه إلى رجال حكومته فى القاهرة والخرطوم من سنوات مضت كمنع تصدير الرقيق وانزال العقوبة الصارمة بالمتجرين بهذه التجارة الشائنة وتزويد المحررين منهم «بأوراق العتق» وتسليم رعايا الدول الأجنبية المتهمين بهذه التجارة الشائنة حتى يحاكموا أمام المحاكم المختصة بالنظر فى قضاياهم واستخدام العتقاء فى الأعمال الملائمة لهم وتعهد الحكومة بتربية أولادهم . وكان الجديد فى الأمر أن صار للطرادات البريطانية الحق فى تفتيش السفن المصرية فى البحر الأحمر وخليج عدن والساحلين الصومالى والعربى وفى المياه المصرية إجمالا ثم تسليم أصحاب هذه السفن إذا وجد لديهم رقيق للسلطات المصرية حتى يحاكموا أمام المحاكم الوطنية كما أعطيت الحكومة المصرية

---

(٦٤٢) F.O. 84/1371. S. T. No 10 Alex 19.5.1873 Stanton to Granville See Enclos. Copy of Instructions by Khedive to Munzinger Bey.

(٦٤٣) F.O. 84/1371. Draft No. 2 F. O. 14.6.1873. Granville to Stanton

(٦٤٤) F. O. 84/1371. S.T. Draft No. 14 F.O.30 10. 1873 Granville to Vivian

الحق فى تفتيش السفن التى تحمل أعلاما بريطانية على أن يسلم أصحابها إلى السلطات البريطانية (٦٤٥).

وبهذه الصورة كانت معاهدة الرقيق بمثابة «عهد» سجل عدداً من الإجراءات كان الغرض منها تنفيذ سياسة «التقييد» تنفيذا دقيقا . غير أنه حدث يوم ابرام هذه المعاهدة نفسه أن صدر (ديكرتو خديوى) يوم ٤ أغسطس ١٨٧٧ نص على تحريم بيع وشراء الرقيق من الزنوج والحبشان منعا باتا فى مصر فى مدى سبعة أعوام من تاريخ صدور هذا الديكرتو تنتهى فى عام ١٨٨٤ ؛ وفى مدى إثنى عشر عاما فى السودان والملحقات المصرية تنتهى فى عام ١٨٨٩ ؛ فاذا قبض على شخص يتجر فى الرقيق بعد هذين التاريخين قدم للمحاكمة وعوقب بالحبس مدة تتراوح بين خمسة شهور وخمس سنوات (٦٤٦).

وقد غير صدور هذا الديكرتو الذى اعتبر جزءاً مكملا لمعاهدة الرقيق وجه المسألة تغييراً كاملا وخرج بمعاهدة الرقيق من مجرد وثيقة تسجل طائفة من إجراءات «التقييد» إلى أداة هامة من أدوات تنفيذ سياسة «الإلغاء» العنيفة. فقد اتفقت كلمة المعاصرين على أنه كان من المتعذر بل ومن المستحيل تنفيذ معاهدة الرقيق فى الأقاليم السودانية بصورة تكفل الغاء الرق وتقضى على تجارة الرقيق فى المدة المحددة وشاطر هذا الرأى كل من غردون والكولونيل ستيوارت (٦٤٧) صاحب التقرير المشهور عن السودان فى بداية الثورة المهدية . واعتقد هؤلاء المعاصرون أن الحكومة الانجليزية ما أقدمت على تحديد عامى ١٨٨٤،

---

(٦٤٥) سبرهنك ٢ : ٣٤٧ — ٣٤٨ ثم انظر كتابنا (مصر والسيادة على السودان) وثيقة رقم ١٧ ص ١١٧ — ١٢٢

(٦٤٦) Blue Book. Egypt No 1. (1878). Convention. Alex 4. 8. 1877.- Ordinance of 4 August 1877. Art II.

(٦٤٧) F.O. 84/1511 S. T, No 7 (Confid) Cairo 23,3, 1878 Vivian to Derby; Blue Book, Egypt No 11. (1883) Report Col. Stewart, 3. 24

١٨٨٩ لإلغاء الرق إلا بسبب تأثرها بآراء أناس كانوا يجهلون تماما حقيقة مسألة الرق وتجارته فى مصر والسودان .(٦٤٨) وعلى ذلك فقد صار اللجوء إلى وسائل السيف والنار أمر لا مفر منه حتى يمكن تنفيذ المعاهدة .(٦٤٩) وتوقف المضى فى سياسة « الالغاء » الخطيرة على مسلك الحكومة الانجليزية بعد إبرام معاهدة الرقيق ومدى حرصها على تطبيق نصوصها من جهة ثم على مبلغ استعداد من عهد اليهم بتنفيذ هذه المعاهدة للعمل على تحقيق غاياتها من جهة أخرى . أما الحكومة الانجليزية فقد أصرت دائما على تنفيذ سياسة «الإلغاء» من أجل القضاء على الرق وتجارة الرقيق فى الأقاليم السودانية قبل نهاية عام ١٨٨٩ . وأما غردون وهو الرجل الذى اختير لهذه المهمة الشاقة فقد وجد نفسه منساقا فى آخر الأمر لتنفيذ «الإلغاء» وسياسة السيف والنار بكل شدة وصرامة وذلك على الرغم من اعتقاده بأنه كان يستحيل على الخديوى تنفيذ معاهدة الرقيق فى الأقاليم السودانية بالدقة التى تطلبها الحكومة الانجليزية فضلا عن اعتقاده الجازم بأن الخديو لم يوقع على هذه المعاهدة إلا تحت ضغط ظاهر من جانب الحكومة الانجليزية .(٦٥٠) ووقع لذلك على عاتق الحكومة الانجليزية وعلى عاتق غردون كذلك مسؤلية جميع ما جرى من حوادث فى السنوات القليلة التالية سببت اشتعال الثورة فى السودان .

فقد عين الخديو غردون حكمداراً على السودان فى فبراير ١٨٧٧ ، ومنحه سلطات عسكرية ومدنية مطلقة على جميع الأراضى الممتدة من وادى حلفا فى الشمال إلى مديرية خط الاستواء فى الجنوب ومن دارفور فى الغرب إلى

---

(٦٤٨) Butler 134.

(٦٤٩) Boulger (Congo State) 94.

(٦٥٠) F. O, 84/1571 S.T. No 8 Cairo 29.3.1879 Vivian to Derby,

ساحل البحر الأحمر فى الشرق جنوبى سواكن ، (٦٥١) وفى مارس من السنة نفسها ضمت بربرة وزيلع ومصوع إلى حكومته . (٦٥٢) واعتبر غردون تعيينه فى منصب الحكمدارية وبسط سلطانه على جميع الأقاليم السودانية دليلا على رغبة الخديو الصادقة فى القضاء على تجارة الرقيق واعتبر نفسه المسؤل وحده بعد هذه السلطات الواسعة التى أعطيت له إذا استمر الرق قائما فى السودان ولم تفتح هذه البلاد للتجارة المشروعة . (٦٥٣) وفى ١٨ فبراير ١٨٧٧ غادر غردون القاهرة فى طريقه إلى الخرطوم وكانت التعليمات التى زوده بها الخديو تنص على ضرورة القضاء على تجارة الرقيق وتحسين طرق المواصلات فى السودان وفض « مسألة الحدود » (٦٥٤) بين الحبشة ومصر . وكانت الحالة فى منطقة الحدود لا تزال غير مستقرة تماما بعد الحرب الحبشية المصرية فى عام ١٨٧٦ . وبعد محاولات غير مثمره لتسوية هذه المسألة (٦٥٥) وصل غردون إلى الخرطوم فى ٥ مايو ١٨٧٧ وبدأ يتخذ الأهبة لتنفيذ معاهدة الرقيق .

ولم يكن غردون يقصد فى بادىء الأمر أن يتبع سياسة « الإلغاء » العنيفة بل كان يعتقد أن القضاء على تجارة الرقيق أمر سهل اذا أحكمت الرقابة على نشاط تجار القوافل فى الداخل ومنعوا من حمل الرقيق إلى موانى البحر الأحمر وأن الزمن وحده كفيل بالقضاء على هذه التجارة إذا أمكن « تقييدها » بصورة

---

(٦٥١) British Museum, Add. Mss. Mo 40665, Mossowa 1.3.1877 Gordon to Staunder; McCoan (Egypt Under Ismaïl) 211, Gordon (Events) 106

(٦٥٢) الوقائع المصرية — عدد ٦٩٩ . القاهرة فى ٤ مارس ١٨٧٧ .

(٦٥٣) British Museum, Add Mss No. 40665 Mossowa 11.3.1877 Gordon to Staunder; Allen 111,

(٦٥٤) Abdin. Corresp, fran. Doss, 71/1. Caire 17.2.1877, Imail à Gordon,

(٦٥٥) Shukry 283-285.

تجعل امتلاك الرقيق عملا غير قانونى بعد تاريخ معين ، (٦٥٦) بل انه ما لبث أن أعد « مشروعا » كان يرجو من تنفيذه تحقيق هذا الغرض الأخير ، بعث به إلى القنصل الانجليزى فى مصر ڤيفيان Vivian . (٦٥٧) غير أن غردون سرعان ما أرغم على نبذ سياسة « التقييد » هذه عند ما رفض « مشروعه » وطلب اليه تنفيذ معاهدة الرقيق فاضطر إلى نشر المعاهدة و « ذيلها » مع الديكرتو الخديوى فى جميع أرجاء السودان كما أصدر أمراً ناجزاً الى الأوربيين القاطنين فى البلاد باطلاق سراح أرقائهم وتحريرهم . (٦٥٨)

على أنه مما تجدر ملاحظته أن الاقدام على نشر معاهدة الرقيق لم يحدث وقتئذ أى هياج فى السودان بل استطاع غردون أن يؤكد لحكومة القاهرة أن السودان كان فى هدوء تام على الرغم من إعلان عزم الحكومة على إبطال تجارة الرقيق ابطالا تاماً فى بحر السنوات القليلة المقبلة . (٦٥٩) وكان السبب فى ذلك أن غردون حينئذ لم يكن قد نبذ ظاهرياً خطة « التقييد » التى سار عليها منذ وصوله إلى السودان . واعتقد الأهلون أن نشر معاهدة الرقيق لا يغير شيئاً من الأساليب التى اتبعتها الحكومة حتى ذلك الوقت . وكان دليلهم على ذلك ما فعله غردون نفسه عند القضاء على تلك الثورة التى أشعلها الجلابون وتجار الرقيق فى دارفور فى فبراير ١٨٧٧ .

وكان سبب هذه الثورة أن هارون حفيد السلطان محمد الفضل وأحد أقرباء سلطان دارفور السابق ابراهيم الذى سقط فى موقعة منواشى لم يلبث

---

(٦٥٦) F. O. 84/1482. S. T. No 1 of 1877 Vice—Cosul Wylde to Beyts Esquire. Consulate. Jeddah 1. 5. 1877.

(٦٥٧) Morrow Bequest. Khartoum. 18. 9.1878. Gordon to Watson Pasha.

(٦٥٨) Allen 117.

(٦٥٩) Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/6. Debbé en Route... 13. 11. 1877 Gordon à Barrot Bey.

أن عاد من ملجئه فى برقو يقود الثورة فى دارفور ضد الحكومة بتحريض من تجار الرقيق(٦٦٠) فهاجم داره والفاشر وألحق بهذه البلاد الثلاثة أضرارا جسيمة وبلغت أنباء هذه الثورة غردون بمجرد وصوله إلى الخرطوم فأرسل النجدات إلى دارفور ثم ذهب بنفسه إلى مكان الثورة واضطر هارون إلى الانزواء فى جبل مره فدخل غردون الفاشر فى أغسطس من العام نفسه(٦٦١) وعلم غردون عند وصوله الفاشر أن تجار الرقيق قد انسحبوا إلى الجنوب وتحصنوا فى شكا ويعقدون آمالا عظيمة على تزعم سليمان بن الزبير رحمة لحركتهم ويعتمدون على تأييد أسرات تجار الرقيق وأنصارها الكثيرين فى كردفان ودارفور فى مقاومة سلطان الحكومة(٦٦٢) وكان الزبير رحمة قد ذهب بعد افتتاح دارفور إلى القاهرة ، حتى يتشاور مع الخديو على أفضل الطرق لحكومة ، هذه الأملاك الجديدة فحجزه الخديو بالقاهرة بسبب ما بلغه من حكمدار السودان وقتئذ اسماعيل أيوب باشا من أن الزبير يكثر «التدخل» فى شئون الحكم والادارة فى دارفور بصورة تضر بسلطان الحكومة(٦٦٣). فأساء حجز الزبير فى مصر ابنه سليمان وخشى غردون أن يعمد سليمان إلى تزعم تجار الرقيق وإعلان الثورة ضد الحكومة فسعى لمقابلته فى داره (٢ سبتمبر) ولكن سليمان لم يلبث أن أكد ولاءه للحكومة وانسحب

---

(٦٦٠) Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/6 Obeid 31. 5. 1877 Gordon à Barrot Bey.

(٦٦١) Staat - Archiv - Gen - Cons. 1877. No 21 pol. Cairo 4. 5. 1877. Cischini à Andrassy. (Summary) Report of Hanzal. Khart. 8. 4. 1877; also. Abdin. Corresp fran. Doss. 71/6. f 8113 Foja 4.7. 1877. Gordon à Barrot Bey.

(٦٦٢) Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/6 f. 8182. Obeid 31. 7. 1877. Gordon à Barrot Bey; Gleichen (Handbook) 161.

(٦٦٣) شقير ٣ : ٨٤ — ٨٥ . Jackson 71,77—78;

برجاله من داره إلى شكا ، وحاول غردون إرضاءه فعينه وكيلا لمديرية بحر الغزال[٦٦٤] .

وحرص غردون فى أثناء هذه الحوادث على جلب محبة الأهلين واستمالة كبارهم وزعمائهم فى كردفان ودارفور ومكافأة أولئك الذين أظهروا ولاءهم له وقدموا له كل مساعدة وكان يرجو من استمالتهم إليه تشجيعهم على الانفضاض من حول هارون وقادة الثورة فقلدهم مناصب الحكم الهامة ، والتمس الاحسان عليهم ، بالرتب والنياشين المختلفة فكان من هؤلاء ادريس ابتر الذى عينه غردون وكيل أشغال بحر الغزال ، والنور أغا عنقره (عنجره) صاحب الحوادث المعروفة فى أوغنده وكان رئيس العساكر البازنقر (أو البازنجر) فى بحر الغزال فطلب له غردون الرتبة الثالثة ثم عينه مديرا على داره وألحق بادارته إقليم حفرة النحاس[٦٦٥] والياس بك صهر الزبير باشا وسرتجار ورئيس مجلس كردفان الذى عين مديرا على شكا وأنعم عليه برتبة اللواء ثم استبدل به فى رياسة مجلس كردفان أحمد بك دفع الله الذى أنعم على أخيه عبد الله محمد دفع الله بالرتبة الرابعة والنيشان المجيدى من الدرجة الخامسة بينما نصَّب محمد أحمد العريف سرتجار لكردفان وعين عبد الرحمن افندى بان النقا سرتجار لبندر الأبيض[٦٦٦] . ثم عين الياس باشا بعد ذلك مديرا لمديرية كردفان وكذلك عين العوضى افندى محمد وكيلا لمديرية شكا وأنعم عليه بالرتبة الثالثة وعين الخبير محمد بك إمام مديرا عاما على القسم الغربى من

---

(٦٦٤) Abdin. Corresp. fran. Doss 71/6. Dara 4. 9. 1877; Obeid 20. 9. 1877. Gordon à Barrot Bey.

(٦٦٥) عابدين . المعيـــة . دفتر ١٨ أوامر عربى رقم ١٠ فى ٢ جمادى الأولى ١٢٩٤ (١٤ . ٦ . ١٨٧٧) أمر كريم إلى حكمدارية عموم الأقاليم السودانية ؛ ثم رقم ٢٦ فى ٢٢ رجب ١٢٩٤ (٢ . ٨ . ١٨٧٧) .

(٦٦٦) عابدين . المعية . دفتر ١٨ أوامر عربى رقم ١٥ ، ١٧ فى ٣ جمادى الآخرة ، رقم ٤٥ فى ١٣ شوال ١٢٩٤ أمر كريم الى حكمدارية عموم الأقاليم السودانية .

دارفور وابنه حمزه إمام مديرا للفاشر واحمد النور سر تجارا لمديرية الفاشر بينما أنعم على ابنه الآخر محمود إمام بالرتبة الثالثة . والتمس غردون الانعام بالرتب والنياشين على طائفة من مشايخ عربان الرزيقات وغيرهم ورؤساء البازنجر ومنهم الشيخ مادبّو بن على والشيخ عجيل والشيخ منزل من عمد مشايخ عربان الرزيقات والشيوخ محمد خليل وعباس وجاد النبى واحمد نادر والشيخ الوالى ومحمد على ولد ابو سلام ثم حامد أغا وعثمان أغا شاى الله والسعيد افندى حسين من ضباط البازنجر كما عين السعيد مديرا على جهة شكا(٦٦٨) ثم التمس غردون الاحسان بالرتب على أبناء وزراء دارفور السابقين وأعطاهم المرتبات الكافية وأمر بتعيين نفر منهم فى وظائف المديرية(٦٦٩).

ومما يجدر ذكره أن التماس هذه الانعامات بالرتب والنياشين على هؤلاء «السودانيين» وتعيينهم فى مناصب الحكم والادارة كان جزءا هاما من خطة إشراك العناصر الوطنية فى الحكومة ، تلك الخطة التى جرى عليها الحكمدارون السابقون من قبل وحرص غردون فى الشهور الأولى من تاريخ تقلده منصب الحكمدارية على العمل بها . وكان لها أعظم الأثر فى استمرار أهل السودان فى هدوئهم وسكينتهم على الرغم من إذاعة معاهدة إلغاء الرق وابطال تجارة الرقيق ، فقد بادر غردون بمجرد وصوله إلى الخرطوم عقب جولته فى السودان الشرقى وعلى الحدود الحبشية بالتماس الاحسان بالرتب والنياشين على جماعة

---

(٦٦٧) عابدين . المعية ، دفتر ١٨ أوامر عربى رقم ٤٤ فى ٦ شوال ١٢٩٤ ؛ ورقم ٢٦ فى ٢٢ رجب ١٢٩٤ ؛ رقم ٣٥ فى غاية رمضان ١٢٩٤ أمر كريم إلى حكمدارية عموم الأقاليم السودانية .

(٦٦٨) عابدين . المعية . دفتر ٢١ عربى رقم ١٢ إفادة صادرة فى ٥ رجب ١٢٩٤ . رقم ١٥ فى ٢٦ رمضان ١٢٩٤ ورقم ١٤ فى ٢ شعبان ١٢٩٤ من المعية إلى حكمدارية عموم الأقاليم السودانية .

(٦٦٩) عابدين . المعية دفتر ١٨ أوامر عربى رقم ٤٣ فى غاية رمضان ١٢٩٤ أمر كريم الى حكمدارية عموم .. الخ .

كبيرة من شيوخ عربان رفاعة والشكرية والضباينة وبنى عامر والحلانقة والحمران نذكر منهم الشيخ الطيب شيخ عربان رفاعه الشرق وعوض الكريم أبو سن شيخ وناظر عربان الشكرية وعلى محمود ولد زيدان شيخ وناظر عربان الضباينه ومحمد حامد ناظر قسم عربان بنى عامر وعلى حامد ناظر قسم عربان الحلانقة ومحمد حامد وابراهيم محمد المليح من شيوخ الحمران. كما طلب غردون الاحسان بالرتبة الخامسة على النائب عبد الكريم «من نواب جهة مصوع وملاحظ حرقيقو»، ورفع راتبه من ثمانية آلاف إلى إثنى عشر ألف قرش[٦٧٠] وفضلا عن ذلك فقد عنى غردون بإرضاء أعضاء مجلس استئناف السودان الوطنيين بالخرطوم وكان هؤلاء يقومون بوظائفهم «بدون ماهيه ولا امتياز عن التجار»، فالتمس الاحسان عليهم بالرتبة الرابعة «بنوع الشرف بدون ماهية»، كما التمس الانعام بالرتبة الرابعة على سليمان افندى يعقوب سر تجار الخرطوم ووكيل المجلس مكافأة له على جده واجتهاده وقد أجاب الخديو التماسه[٦٧١] ثم طلب تعيين مصطفى افندى السلاوى قاضيا لحكمدارية عموم الأقاليم السودانية نظرا «لكونه من العلماء المعول عليهم وحسن استقامته وسلوكه والوثوق بأمنيته»[٦٧٢].

وهكذا سار غردون فى الحكم سيرة طيبة غير أنه سرعان ما تغيرت الأحوال ودارت الدنيا دورتها فجد من الحوادث بعد ذلك ما جعل غردون

---

(٦٧٠) عابدين . المعية . دفتر ٢١ (عربى) رقم ٨ فى ٢ ربيع الثانى ١٢٩٤ ؛ رقم ٩ فى ٢٢ ربيع ثانى ١٢٩٤ من المعية الى حكمدارية عموم الأقاليم السودانية ، ودفتر ٦ معية عربى رقم ١١ فى ٦ جمادى الثانية ١٢٩٤ شرحه ، ومحفظة ١١ جهادية (تركى) رقم ١٣٩ فى ٢ جمادى الأولى ١٢٩٤ من الخديو اسماعيل باشا الى صاحب الدولة ناظر الجهادية .

(٦٧١) عابدين . المعية . دفتر ١٨ أوامر عربى رقم ٢٥ فى ١٩ جمادى الثانية ١٢٩٤ أمر كريم الى حكمدارية عموم ...

(٦٧٢) عابدين . المعية . دفتر ١٨ أوامر عربى رقم ٢٩ فى ٣ رمضان ١٢٩٤ أمر كريم الى حكمدارية عموم ...

ينبذ هذه السياسة الحكيمة ويأتى من الأعمال بما نفر من حوله قلوب الأهلين وكان من شأنه إثارة القلاقل والاضطرابات فى السودان ثم التمهيد لقيام ثورة محمد أحمد (المهدى) فى النهاية . وكانت السبب المباشر الذى أحدث هذا التغير تعيين ضابط البحرية الانجليزى ملكولم Malcolm للتفتيش على السفن المحملة بالرقيق فى المياه المصرية بالبحر الأحمر . فقد أنشأت حكومة الخديو «خدمة بوليسية » لمراقبة سفن تجار الرقيق فى شواطىء البحر الأحمر وخليج عدن فى سبتمبر ١٨٧٧ تنفيذا لمعاهدة الرقيق وطلب الخديو من الحكومة الانجليزية استخدام أحد ضباط بحريتها للإشراف على هذه الخدمة وقيادة البواخر المصرية المرسلة إلى البحر الأحمر لإحكام الرقابة على تجار الرقيق(٦٧٣) فأجابت الحكومة الإنجليزية طلب الخديو وأوصت باستخدام الكابتن ملكولم ، وفى أول يناير ١٨٧٨ عين رئيسا « لمأمورية التفتيش على المراكب التى تبحر بجهات البحر الأحمر التابعة (للحكومة الخديوية) وضبط ما يوجد بها من الرقيق برسم البيع والتجارة . . . تطبيقا للمعاهدة المنعقدة بين (الحكومة الخديوية والحكومة الانجليزية » ووجهت إليه رتبة اللواء(٦٧٤) .

وفى شهرى فبراير ومارس قام ملكولم باشا برحلة تفتيشية على السواحل ووجد أن تجارة الرقيق لا تزال قائمة «على أشدها» بين مينائى زيلع وتاجوره (تجره)(٦٧٥) ويقوم بهذه التجارة الشائنة أسرة محافظ زيلع «أبو بكر شحيم»

---

(٦٧٣) Abdin. Corresp. fran. Doss. 72/6. Alex 11. 9. 77. Sherif à Vivian; Caire 11. 7. 1878. Ismaïl à Vivian.

(٦٧٤) F. O. 84/1511 S. T. Draft No. 12 (Vivian. F. O. 20. 3. 1878) Enclos Desp. of 11. 1. 1878; Abdin Corresp. fran. Doss. 72/6. Caire 3. 1.1878 Ismaïl à Malcolm. ثم أنظر عابدين . المعية . دفتر ١٨ أوامر عربى رقم ٥٢ فى ٢٤ ذى الحجة ١٢٩٤ أمر كريم إلى حكمدارية الأقاليم السودانية ، ثم رقم ١٢٦ فى التاريخ نفسه أمر كريم إلى محافظ القصير .

(٦٧٥) F. O. 84/1511 slave Trade No. 7 (confid) Cairo 23. 3. 1878 Vivian to Derby

باشا . فوجد ملكولم أن الواجب يقتضيه حجز أعضاء هذه الأسرة المتهمين بالاتجار فى الرقيق وإحالة قضيتهم على حكمدار السودان غردون باشا للنظر فيها وساء غردون لجوء ملكولم الى استخدام هذه الوسائل العنيفة ، خشية أن تؤدى الحماسة الزائدة واتخاذ مثل هذه الاجراءات الصارمة ، فى تنفيذ معاهدة الرقيق الى هدم كل ما كان يبذله من جهود وذهابه أدراج الرياح ، على حد قوله — (لنشر الأمن والسلام واستتباب الهدوء والسكينة فى السودان) (٦٧٦) ذلك أن حجز أسرة أبى بكر باشا ذات النفوذ القوى فى زيلع من شأنه إثارة القلاقل وخلق صعوبات عدة فضلا عن أنه فى استطاعة هذه الأسرة أن تعطل المواصلات بين زيلع وهرر وتنشر الاضطرابات فى كل الصومال . (٦٧٧) زد على ذلك أن غردون كان يكره ملكولم باشا كراهية شديدة لا يدرى لها سببا مما جعل التعاون مع الرجلين أمرا متعذرا . (٦٧٨) وعلى ذلك فقد انتهز غردون فرصة زيارته لزيلع فى مايو ١٨٧٨ وأطلق سراح المسجونين وكان من بين هؤلاء ابن أبى بكر شحيم نفسه وبذل قصارى جهده لاستمالة أبى بكر شحيم وبالغ فى تكريمه فاضطر ملكولم إزاء كل هذا إلى تقديم استقالته (٦٧٩) .

غير أن عزم ملكولم على الاستقالة لم يلبث أن أثار « مشكلة » جديدة . ذلك أن الحكومة الانجليزية سرعان ما شددت فى المطالبة بتنفيذ معاهدة

---

(٦٧٦) F. O, 84/1511 Slave Trade No 8. Cairo 29. 3. 1878 Vivian to Salisbury

(٦٧٧) F. O. 84/1511 Slave Trade No, 7 (Confid) Cairo 23. 3. 1878. Vivian to Derby; No 18 Alex 1.6. 1878 Vivian to Salisbury; No 37. F. O. Salisbury to Lascelles, 19, 11, 1878,

(٦٧٨) F. O. 84/1511 Slave Trade No. 7 (confid) Cairo 23. 3. 1878 Vivian to Derby,

(٦٧٩) F. O. 84/1511 Slave Trade. No 15 Alex 10. 5. 1878 Vivian to Salisbury.

الرقيق « بكل دقة وأمانة » (٦٨٠) فلم يسع غردون حرصا منه على « تبرير موقفه » فى مسألة ملكولم إلا أن يأخذ على عاتقه مهمة «الغاء» الرق والقضاء على تجارة الرقيق فى البحر الأحمر إلى جانب الأقاليم السودانية . (٦٨١) وعندما أرضى هذا الحل الحكومة الانجليزية قبل الخديو استقالة ملكولم باشا فى يوليه ١٨٧٨ وتحمل غردون مسؤلية تنفيذ المعاهدة وأصر الانجليز من جديد على ضرورة اجراء تنفيذ المعاهدة بكل أمانة . (٦٨٢) فبدأ من ذلك الحين أى من شهر يوليه ١٨٧٨ تحول غردون من خطة «التقييد» السابقة إلى خطة « الإلغاء » التى ظلت الحكومة الانجليزية تلح فى ضرورة اتباعها إلحاحا شديداً منذ عام ١٨٧٣ خصوصا . وكان هذا التحول منشأ تلك الأخطاء الكثيره التى ارتكبها غردون بعد ذلك والتى أدت فى آخر الأمر إلى قيام الثورة المهدية وذلك أن غردون لم يلبث أن اندفع اندفاعا خطيراً فى تنفيذ معاهدة الرقيق على أمل أن ينجح إذا هو فعل ذلك فى تهدئة روع الحكومة الانجليزية وتطمينها على أن عزل ملكولم لا يستتبع أى لين أو غفلة فى تنفيذ المعاهدة وأن غردون لا يقل تحمساً عن غيره فى مكافحة الرق والنخاسة . (٦٨٣)

وهكذا بدأت تترى من السودان التقارير بعضها إثر بعض منبئة بما صار يبذله غردون من جهود صادقة فى مكافحة تجارة الرقيق وأبلغ رياض باشا القنصل الانجليزى فيفيان فحوى هذه التقارير تباعا فى الشهور التالية حتى أوائل عام ١٨٧٩ وكلها تشيد بذكر نشاط غردون وحماسته فى مصادرة أموال تجار

---

(٦٨٠) F. O. 84/1511 Slave Trade No, 24 Salisbury to Vivian F. O, 23, 7, 1878.

(٦٨١) Abdin. Corresp. fran. Doss 72 6. Caire 8.8. 1878 Riaz à Barrot.

(٦٨٢) F.O. 84/1511, Slave Trade No, 26 Alex 13. 7. 1878 Vivian to Salisbury No. 24 F.O. 23. 7. 1878 Salisbury to Vivian.

(٦٨٣) Abdin. Corresp, fran. Doss, 72/6 f 20979 (Adj) Alex 3.8. 1878 Vivian to Riaz Pasha.

الرقيق والقبض عليهم وتنفيذ العقوبات الصارمة عليهم تطبيقا لمعاهدة الرقيق فاطمأنت الحكومة الانجليزية لتنفيذ المعاهدة .(٦٨٤) على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد إذ بلغت حماسة غردون إلى درجة أن صار يخيل اليه أن جميع الموظفين المصريين فى «حكمداريته» يتجرون فى الرقيق ويتآمرن على إفساد خططه ويمالئون تجار الرقيق فأقدم على ارتكاب فعلته هذه التى كانت على حد قول سلاتين Slatin من أهم الأسباب التى أثارت عداء الأهلين ضد الحكومة ومهدت الطريق لاندلاع ثورة المهدى المشئومة .(٦٨٥) ذلك أن غردون عمد الى «طرد» طائفة كبيرة من الموظفين المصريين من الخدمة فى شهر يوليه ١٨٧٨ واستبدل بهم أربعة عشر موظفا أوربيا دفعة واحدة وعدداً قليلا من السودانيين عهد اليهم بالحكم فى مختلف المديريات وملأ بهم الوظائف فى ديوان الحكمدارية .(٦٨٦) وكل هذا فى وقت لم يكن قد مضى زمن طويل على «الاحسان» على عدد كبير من الموظفين المصريين بالرتب والنياشين بناء على توصية غردون نفسه وما قدمه فى حقهم من شهادة طيبة اعترف لهم فيها بالصدق والاستقامة وحسن تصريف الأمور . ولم يلتمس غردون هذا الإحسان وهذه الترقية لكل أولئك المصريين إلا بعد طوافه فى أرجاء السودان واختباره لكفاءتهم ووقوفه على حقيقة أمرهم . وكان هؤلاء كثيرين حقا قد لا يتسع المقام لذكرهم جميعا ولكن يمكننا أن نميز من بين كبارهم وصغارهم حسن حلمى باشا مدير عموم دارفور وكردفان — بناء على توصية غردون —

---

(٦٨٤) F. O. 84/1511. Slave Trade No 26 Alex 13. 7, 1878, Enclos. Caire 8. 7. 1878 Riaz to Vivian, No, 28 Cairo 10.9. 1878 Lascelles to Salisbury; Nos 40, 47, 48, Cairo 14. 9. 1878 to 1. 11. 1878 Lascelles to Salisbury; F. O. 84/1545 S. T. No 5 Cairo 6.2. 1879 Vivian to Salisbury.

(٦٨٥) Slatin 55—56,

(٦٨٦) F. O. 84/1511 Slave Trade No. 29 Alex. 13. 7. 1878 Vivian to Salisbury,

وعبدالهادى افندى صبرى ناظر قسمى خورسى والطياره بكردفان وقد طلب له غردون نفسه الرتبة الرابعة ، وعلى بك شريف مدير فوجه بدارفور وكان غردون قد التمس « الاحسان » عليه برتبة أميرالاى . ومصطفى افندى ياور الذى رقاه غردون من وكيل مديرية سنار إلى مدير لها برتبة القائمقام ، ومحمد بك نفعى وكيل مديرية كبكابية (كبكبية) ، وابراهيم افندى فوزى الذى عينه مديرا على بحر الغزال فى وقت ما برتبة البكباشى ، ومحمد بك سعيد الذى جعله مديرا لبربر ، ومحمود بك طاهر الذى عين مديرا لكردفان ، ومحمد افندى صبرى مهندس تلغراف شرقى السودان ، وعلى افندى حسن وكيل محطة سبت (سوباط) ؛ وهذا عدا ترقية أربعة وثلاثين من موظفى « سواريات ومهندسى وابورات ترسانة العموم بالخرطوم » وناظر الترسانة مصطفى باشا الطوسيه الذى رقى إلى رتبة اللواء ، ومحمد افندى راسخ وكيل السكة الحديد السودانية الذى منح الرتبة الثالثة ، وموريس افندى شوقى وكيل مديرية الخرطوم ، وعزت افندى وكيل محافظة مصوع ورئيس المجلس وناظر الجمرك بها ، وحبيب افندى شادى « ناظر الكورنتينه بمصوع » ، ومصرى افندى عبد القادر وكيل مديرية تاكة ، وعبد المسيح افندى جرجس عضو مجلس استئناف السودان بالخرطوم الذى منح الدرجة الرابعة ، ورضوان باشا مأمور إدارة بربره[٦٨٧] ، وعلى بك كرد مدير فاشوده .

---

(٦٨٧) عابدين . المعية . دفتر ١٨ أوامر عربى أرقام ١٠، ١١، ١٦، ١٧، ١٩، ٣٣، ٣٥، ٣٧، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥٠، تواريخها ابتداء من ٢ جمادى الأولى ١٢٩٤ (١٤ يونية ١٨٧٧) لغاية ١١ محرم ١٢٩٥ (١٥ يناير ١٨٧٨) ؛ ثم دفتر ٢٤ معية عربى أرقام ١، ٨، ١٠ فى ١٧ صفر ، ١٠ شوال ١٢٩٤ ؛ ثم دفتر ٢٧ معية عربى أرقام ٣، ١٠ فى ١١ محرم ١٢٩٥ (١٥ يناير ١٨٧٨) ، غاية ربيع أول ١٢٩٥ (٣ ابريل ١٨٧٨) ؛ ثم دفتر ٣١ وارد معية عربى رقم ٨ عموم فى ١٧ جمادى الثانية ١٢٩٥ (١٨ يونيه ١٨٧٨) ؛ ثم محفظة ٥٤ معية عربى رقم ٢٢٩ فى ١٧ رمضان ١٢٩٤ من حسين كامل ناظر الجهادية الى مهردار جناب خديوى .

ومما هو جدير بالذكر أن غردون لم يكلف نفسه مشقة التحقيق فى أمر الموظفين الذين « طردهم » من الخدمة بل اعتمد فى صحة المعلومات التى بلغته عنهم على ما كان ينقله إليه أعداؤهم ومنافسوهم من وشايات واتهامات لا نصيب لها من الصحة مما ألحق أذى بليغا بسمعة الحكومة وأضعف من هيبتها فى نفوس الأهلين عموما(٦٨٨) . والواضح الجلى فى هذه الأمثلة ما فعله غردون مع محمد رءوف باشا حكمدار هرر وكان هذا الأخير قد أسدى خدمات جليلة فى خط الاستواء بعد ذهاب بيكر فوجد غردون عند تعيينه مأمورا لهذه المديرية أن يتخلص منه بسبب ما كان يستمتع به رءوف من نفوذ عظيم على الأهلين وخشى غردون من « استفحال أمره » بدرجة تهدد سلطانه فاستغنى عن خدماته (٦٨٩) . وقد قاد رءوف بعد ذلك الحملة المرسلة على هرر وأقام فى تلك البلاد حكومة أبوية رشيدة ووجده غردون عند زيارته هرر فى شهرى أبريل ومايو ١٨٧٨ يستمتع بسمعة عظيمة وامتدح للخديو إدارته الناجحة (٦٩٠) ولكن مع ذلك فقد راض غردون نفسه على الاعتقاد بأن رءوف إنما يبغى الانفصال بهرر والاستقلال بها فلم يكلف نفسه مشقة فحص هذه الاتهامات الباطلة بل عمل على إقصائه من هرر وتم له ما أراد بدعوى أن التعاون متعذر بين أبى بكر شحيم محافظ زيلع ورءوف باشا(٦٩١) .

---

(٦٨٨) Abdin Corresp. fran Doss 71/6 Shakka 15.9.1877 Gordon à Barrot Bey; Junker (See Voyages) Bull. Soc. Khed. Geog. Ser I. No. 7 pp 31-39; Junker (Travels 1875-1878) P 513. فوزى ١ : ٤٠ — ٤١ .

(٦٨٩) Abdin Corresp. fran Doss. 71/3 Notes Sur les evennements dans les Provinces entre avril 1874 et é vrier 1875-Sobat 7.2.1875. Gordon à Khairy Pacha; Hill 40.

(٦٩٠) Paulitschke 579-580.

(٦٩١) Abdin. Corresp fran. Doss. 71/7 Swakin 24. 5.1878 Gordon à Barrot Bey; Harrar 28.4.1878 Gordon à Barrot Bey; Shukry 300-301.

وأولى غردون ثقته جماعة من الموظفين السودانيين لم يكن موفقا كل التوفيق فى اختيارهم من هؤلاء، بُسَّاطى مِدَنى ومحمد التهامى جلال الدين الذى التمس الانعام عليه بالرتبة الثالثة وأجيب إلى طلبه(٦٩٢) . وقد عمل الاثنان سكرتيرين لغردون ووثق بهما كل الوثوق(٦٩٣) واستطاع التهامى بك «كاتم أسراره أن يتمكن من قلبه ويأخذ بمجامع لبه فكان (غردون) لا يأتى أمرا إلا بإشارته ولا يعمل عملا إلا برأيه» . وكان ذلك الرجل «من شر الرجال وأخبثهم نية وأفسدهم طوية فسلك بغردون مسلكا نفر منه القلوب وحرك فى صدور الأهالى كامن الحقد عليه»(٦٩٤) وكذلك لم يكن غردون موفقا عند ما قلد الياس باشا ومحمد إمام الخبيرى (باشا) وأبناءه الثلاثة حمزة واحمد النور ومحمود إمام — وقد سبق ذكرهم — مناصب الحكم والادارة فى كردفان ودارفور(٦٩٥) . واستخدم غردون غير هؤلاء كادريس أبتر والنور عنجره (عنقرة) وطيب بك مدير فاشوده وسرور افندى مدير بور «ممن كانوا سيارة يتجرون فى الإماء والعبيد والريش وسن الفيل وأطلق لهم (غردون) الكلمة حتى تصرفوا فى سائر الأمور فعملوا لغير ما تقتضيه مصلحة البلاد وبالغوا فى منع الاتجار بالرقيق وصادروا التجار فى أموالهم وأرزاقهم وضيقوا عليهم سبل الاتجار وقفلوا فى وجوههم أبواب الكسب»(٦٩٦) فعظم التذمر واشتدت الكراهية ضد الحكومة .

وكان مما ساعد على غليان النفوس أن غردون ما لبث أن صار يعزل

---

(٦٩٢) عابدين . المعية . دفتر ١٨ أوامر عربى رقم ١١ فى ٢ جمادى الأولى ١٢٩٤ أمر كريم إلى حكمدارية عموم الأقاليم السودانية .

(٦٩٣) Hill 398-399.

(٦٩٤) شارويبم . جـ ٤ : ص ٣٧٩ .

(٦٩٥) سرهنك جـ ٢ : ص ٣٣٤ .

(٦٩٦) شارويبم جـ ٤ : ص ٣٧٩ ؛ ثم Gessi. 193, 202-3; 206.

الأكفاء من السودانيين الذين اشتهروا بين قومهم بالاستقامة وحسن السيرة كما كان ينصت إلى وشاية أعدائهم فيهم بغير أذن واعية كما فعل مع يوسف حسن الشلالى الذى عزله لغير جريرة من حكومة بحر الغزال وعين مكانه الايطالى چسى[٦٩٧] . وكان من بين الأوربيين الذين عينهم غردون مديرين وحكاما فى أرجاء السودان شارل ريجوليه Rigolet الفرنسى مدير داره ثم سلاطين Slatin النمساوى الذى خلفه فى هذا المنصب ، والايطالى إميليانى Emilliani مدير كوبى (كوبه) وفردريك روسى Rosset ، وكان تاجرا فى الخرطوم ووكيلا لقنصل ألمانيا بها ، وقد جعله غردون مديرا لدارفور وكان روسى رجلا مكروها قال عنه صاحب (السودان المصرى والانكليز) إنه « كان شؤما على السودان عموما ودارفور خصوصا »[٦٩٨] ثم الإيطالى ميسيداليا Messedaglia (بك) الذى عين مديرا لدارفور عقب وفاة روسى . وفى الخرطوم عين الألمانى جيكلر Giegler مفتشا على عموم تلغرافات السودان ثم سمى بعد ذلك مديرا عاما لمنع تجارة الرقيق . وفى مديرية خط الاستواء عين غردون الأمريكى پراوت Prout ثم الألمانى الدكتور شنتزر الذى اعتنق الاسلام وتسمى باسم أمين[٦٩٩] وقد قال عنه (صاحب السودان المصرى والانكليز) « فإنه عدا ما كان يأتيه من الصيام والقيام وإعطاء العهود للمريدين على سلك الشيخ عبد القادر الجيلانى كان يدعى أنه عالم نحرير على مذهب الإمام أبى حنيفة وأنه يصلح لأن يكون قاضيا شرعيا فصدقه كثيرون من البسطاء واعتقدوا بأنه من أكابر الأولياء الصالحين ولم يعلموا حقيقة أمره

---

(٦٩٧) السودان المصرى والأنكليز ص ١٥ .

(٦٩٨) السودان المصرى والانكليز ص ١٦ .

(٦٩٩) Messedaglia. (Expeditions Egypt. en Afrique). Bull. Soc. khed. Geog. Serie III. No I. (1888). pp 48, 54, 61 ; Gessi 148. ثم شقير ج ٣ : ص ٩٤ .

إلا بعد مغادرته خط الاستواء بصحبة منقذه ستانلى الرحالة الشهير »[٧٠٠]

وكان غرض غردون من استخدام كل هؤلاء أن يستطيع بفضل معاونتهم تنفيذ سياسة « الإلغاء » الصارمة . ولم يخيب الحكام الجدد ظنه فشنوا حربا شعواء على تجار الرقيق يصادرون متاجرهم ويطلقون سراح الإماء والعبيد ويطاردون الجلابين وينكلون بهم إلى غير ذلك من ضروب الاضطهاد والمضايقات. ولكن هؤلاء الحكام كانوا من « المسيحيين » وسهل على الأهلين وهم أقرباء تجار الرقيق ولا يخلو بيت من بيوتهم بالطبع من وجود الرقيق به الاعتقاد بأن هذه الحرب التى يشنها « الكفار » عليهم ما هى إلا حرب دينية قائمة على التعصب المرذول . وهكذا كان تشديد الحكام لاسيما من الانجليز والايطاليان فى منع الاتجار بالرقيق وتحرير كل من علوا بوجودهم من سادتهم من أهم الأسباب التى دفعت بأهل السودان إلى شق عصا الطاعة إذ كان الناس هناك يحسبون أن تحرير مواليهم وخروجهم من حوزتهم على يد أولئك الأجانب اضطهاد دينى من النصرانية للإسلام وكان شيوخهم وعلماؤهم يؤيدون لهم ذلك بالأدلة المقبولة والشواهد المعقولة حتى أصبحت عندهم حقيقة لاشك فيها فكانوا يخفون ما بقلوبهم من نار التألم والحقد على أعمال الحكومة ويرقبون كل سانحة حتى ظهر محمد أحمد مدعى المهدوية وأيقظ الفتنة الراقدة»[٧٠١] .

بيد أن آثار هذه السياسة الخاطئة التى جرى عليها غردون لم تلبث أن ظهرت قبل أن يعلن محمد أحمد الثورة ويستفحل أمره بوقت طويل بل فى أثناء حكمدارية غردون نفسه . ذلك أن إصرار غردون ورجاله على مطاردة

---

(٧٠٠) السودان المصرى والانكليز . صفحات ٢٠ — ٢١

(٧٠١) شارويبم ، ج ٤ : ص ٣٧٩ .

تجار الرقيق وخروج ما كان أشبه بالحملات العسكرية لتعقبهم فى مكامنهم (٧٠٢) كان من أثره أن اضطر هؤلاء إلى اللجوء إلى أوكارهم القديمة فى بحر الغزال ودارفور يلتفون حول السلطان هارون صاحب الثورة السابقة فى دارفور الذى كان لا يزال معتصما فى نيورنيا وسط جبل مرة المنيع ويحضون على الثورة سليمان ابن الزبير المعين من قبل غردون مديراً على بحر الغزال (٧٠٣) . فلم تلبث أن وصلت الأنباء إلى الخرطوم فى يوليه ١٨٧٨ أن سليمان بن الزبير قد شق عصا الطاعة على الحكومة . وكان السبب المباشر لاندلاع لهيب هذه الثورة هو تصديق غردون لوشايات أعداء سليمان وأكاذيب ادريس أبتر الذى استعان بفردريك روسى على إقناع غردون بأن سليمان كان يعتزم إعلان استقلاله فى بحر الغزال (٧٠٤) فسير غردون حملة عسكرية على بحر الغزال عهد بقيادتها إلى چسى ، واشتبك چسى فى معركة دامية قريبا من (ديم سليمان) فى ١٦ مارس ١٨٧٩ انهزم فيها سليمان (٧٠٥) وقبل أن يتمكن چسى من تعقب فلول جيشه اندلعت نار الثورة فى كل من كردفان ودارفور ؛ فى كردفان على يد صباحى أحد قواد الزبير السابقين ، وفى درافور على يد «السلطان» هارون ، فسير غردون حملة عسكرية جديدة إلى تلك الجهات تولى قيادتها بنفسه وتمكن من هزيمة صباحى وإعدامه وأرسل النجدات إلى چسى فانتصر على ابن الزبير واحتل ديم سليمان فى مايو ١٨٧٩ ثم تقابل غردون وچسى فى الطويشة لبحث الخطة الواجب اتباعها لإخماد ثورة ابن الزبير نهائيا والقضاء على ثوة هارون فقر الرأى على إرســال ميسيداليا لمطاردة هارون فى جبل مرة وذهاب چسى

---

(٧٠٢) F. O. 84/1511. Slave Trade No 56 Cairo 14. 2. 1878 Lascelles to Salisbury.

(٧٠٣) F. O. 84/1571. Slave Trade. No 9. Cairo 30.8.1879 Lascelles to Salisbury

(٧٠٤) فوزى ١ : ٣٥ ثم Chaillé-Long (Prophêtes) 22.

(٧٠٥) Gessi 263.

لتعقب سليمان فى ناحية كالكل بينما عاد غردون إلى فوجه . وفى فوجه وصلت غردون من القاهرة فى أول يولية برقية منبئة بعزل الخديو اسماعيل فقصد توآ إلى الخرطوم وقرر مغادرة السودان فى ٢٩ يولية (٧٠٦) أما چسى فقد استطاع إخماد ثورة سليمان عند ما اضطر ابن الزبير إلى التسليم هو ورجاله بعد نفاد مؤنهم وذخائرهم ووقوع الانقسام فى صفوفهم . ورأى چسى أن يتخلص من سليمان نهائياً فأعدمه مع تسعة من الزعماء رميا بالرصاص فى ١٤ يوليه . واستمرت العمليات العسكرية فى دارفور مدة أطول اشترك فيها إلى جانب ميسيداليا كل من اميليانى مدير كوبه وسلاطين مدير داره وانقضت الثورة بقتل هارون على يد نور عنجره مدير كالكل فى أول يوليه ١٨٨٠ (٧٠٧) .

تلك كانت سياسة « الإلغاء » التى أصرت الحكومة الإنجليزية على تنفيذها « بدقة وأمانة » إذا شاءت حكومة الخديو أن تقيم الدليل على صدق نواياها فى مكافحة الرق والنخاسة واحترام معاهدة الغاء الرق وأبطال تجارة الرقيق فى الأقاليم السودانيـة ثم وجد غردون نفسه مرغما على تنفيذها « بدقة وإمانة » كذلك منذ يوليه ١٨٧٨ ، فقد نشر « الإلغاء » الفوضى والاضطراب فى السودان . حقيقة أمكن القضاء على ثورات سليمان بن الزبير والصباحى وهارون وهدأت كردفان ودارفور وبحر الغزال ولـكن هذا الهدوء كان ظاهريا فقط ولا يمكن أن يدوم طويلا لأن البلاد من أقصاها إلى أقصاها كانت تطغى عليها موجة من التذمر الشديد والـكراهية العميقة ضد الحـكومة بسبب ما كان يبديه عمالها « الـكفار » من مغالاة شديدة وجنونية فى تنفيذ سياسة « الإلغاء » العقيمة ، تلك السياسة التى هزت كيان البلاد الاقتصادى والاجتماعى هزة عنيفة وألقت بالسودان وأهله فى أتون الثورة المهدية .

---

(٧٠٦) Butler 154; Allen 159.

(٧٠٧) Shukry 308 — 310.

— ٩ —

المهـــــدية

قضى على ثورات سليمان الزبير وصباحي وهارون وهدأت الحالة فى البلاد ولـكن هذا الهدوء كان كما أسلفنا القول هدوءا ظاهريا فحسب فلم يخدع أحدا من المعاصرين الذين أدركوا حقيقة الأمور، فراح هؤلاء يؤكدون أن النار لم تنطفىء جذوتها تماما، بل كانت تطغى على الأقاليم السودانية موجة من التذمر الشديد لا يطمئن إنسان لعواقبها(٧٠٨) وفضلا عن ذلك فقد أثبت قيام هذه الثورات وخصوصا ثورة سليمان الزبير على أكتاف تجار الرقيق، واشتباك صيادى الرقيق أو «البحارة»(٧٠٩) فى النضال المسلح ضد الحكومة أن الجلابين كانوا شديدى العزم على مقاومة سياسة «الإلغاء» بالسيف والنار أى بنفس الوسائل التى لجأ إليها غردون ورجاله لتنفيذ هذه السياسة الخاطئة(٧١٠) وعلى ذلك فقد باتت مهمة الحكومة فى الخرطوم إحكام الرقابة على نشاط تجار الرقيق لتدعيم انتصار الحكومة الأخير عليهم ومنعهم من إلقاء البلاد فى أحضان الفوضى من جديد. وهذه مهمة كانت جد خطيرة ولا سبيل إلى تحقيقها إلا إذا ظلت حكومة الخرطوم مستمتعة بما كان لها من قوة ونفوذ وفى وسعها اتخاذ كل إجراء سريع وحاسم لاخماد أية اضطرابات جديدة قد يثيرها تجار الرقيق.

غير أنه حدث فى هذا الوقت العصيب، ما جعل استمرار الحكومة

---

(٧٠٨) Wilson and Felkin. II. 214

(٧٠٩) سمى صياد وتجار الرقيق بالبحارة لأنهم كانوا يغزون فى البحر الأبيض — أنظر شقير ج ٣ : ص ٥١

(٧١٠) Wilsou and Felkin II. 128.

القوية فى الخرطوم أمراً متعذرا ذلك أنه سرعان ما أخذ يذيع فى كل أرجاء السودان خبر عزل الخديو اسماعيل ثم زاد من تحرج الموقف أن غردون الذى قذف الرعب فى قلوب الأهلين وتجار الرقيق بنشاطه العنيف فى تنفيذ سياسة الالغاء قد غادر البلاد ، فنجم عن عزل اسماعيل وذهاب غردون رد فعل شديد كانت له آثار خطيرة (٧١١) فقد استرد تجار الرقيق ثقتهم السابقة واطمأنوا إلى امكان مقاومة الحكومة وعادت جموعهم تحتشد مرة ثانية فى بحر الغزال ودارفور ، ولم تمض شهور قليلة حتى كانت قوافل الجلابين تسير محملة بالعبيد فى طرقها القديمة صوب الشرق إلى موانىء البحر الأحمر وصوب الشمال إلى الحدود المصرية . (٧١٢) واستأنف البقارة « الغزوة » لصيد العبيد ، وزخرت كردفان بقوافل الرقيق ، وأتت سفن الجلابين من جهات النيل العليا تحمل مئات من هؤلاء المنكودين ولم يغن فتيلا وجود محطة حكومية مسلحة فى فاشوده . (٧١٣) وساعد على استفحال أمر تجار الرقيق أن جميع السودانيين تقريبا الذين قلدهم غردون مناصب الحكم فى المديريات المختلفة بين عامى ١٨٧٧ ١٨٧٨ ما لبثوا حتى ألقوا جانبا كل حيطة وحذر وأخذوا يتجرون بالرقيق بل ويرسلون الغزوة إثر الغزوة لصـــيد العبيد فى دارفور وبحر الغزال وفاشودة (٧١٤) . وكان مرد ذلك كله إلى ضعف حكومة الخرطوم التى عجزت عن وقف ذلك التيار الجارف الذى أحدثه ذهاب غردون وعزل اسماعيل (٧١٥)

---

(٧١١) Gessi 366; Wilson and Felkin II. 128.

(٧١٢) Gleichen (Handbook) 170; Gessi 366 — 7; 409, 432, 440.

(٧١٣) F. O. 84/1597 Slave Trade No 35 Cairo 27. 10. 1881. (Confid. Enclos. Giegler to Malet, Obeid 29. 8. 1881; No 10 Cairo 21. 2. 1881 Malet to Granville. Enclos. Letter from Don Leon Henriot to Hanzal. Delen 6. 8. 1880; 13 Cairo 7. 3. 1881. Enclos. Letter from Dr Schweinfurth to Malet. 22.2. 1881.

(٧١٤) F. O. 84/1597 Slave Trade, No 19 Cairo 4.4.1881 Malet to Granville

(٧١٥) Vizetelly 160.

وعند ما ظلت انجلترة تضغط على حكومة الخديو توفيق من أجل تنفيذ معاهدة الرقيق « بدقة وأمانة » لم تفد شيئاً إجراءات الحكمدار الجديد محمد رءوف باشا فى القضاء على تجارة الرقيق بل كان من أثرها زيادة تذمر الأهلين من جهة ، وزيادة فى تصميم تجار الرقيق على الثورة المسلحة من جهة أخرى .

وكان السبب فى استمرار الضغط من جانب انجلترة أن حكومتها كانت لا تزال واقعة تحت ضغط (جماعة إلغاء الرق) الانجليزية ، وكانت أشد ما تخشاه هذه الجماعة وقتئذ أن يدعو عزل اسماعيل واستقالة غردون إلى ازدهار تجارة الرقيق ، فبادرت الحكومة الانجليزية بإرسال تعليماتها إلى (مالت) قنصلها فى مصر فى مارس ١٨٨٠ حتى يبين للخديو توفيق باشا اهتمام انجلترة بضرورة القضاء على هذه التجارة الشائنة [٧١٦] ولما كانت القاهرة لم تفرغ بعد من إعداد تعلياتها إلى الحكمدار الجديد، فقد اشتملت هذه التعليمات على ضرورة القضاء على تجارة الرقيق قضاء مبرما ، وفضلا عن ذلك فقد اعتبر الخديو رؤوف باشا مسئولا عن أى فشل قد يؤدى وقوعه إلى استئناف تجار الرقيق نشاطهم المرذول . ثم سلمت حكومة القاهرة صورة من هذه التعليمات إلى (مالت) برهانا على صدق نواياها [٧١٧] ولذلك فقد بات محتما على الحكمدار الجديد أن يمضى قدما فى تنفيذ سياسة الالغاء بكل همة [٧١٨] ، ثم تجنب كل عمل من شأنه إثارة شكوك انجلترة على وجه الخصوص فى نوايا الحكومة الخديوية .

---

(٧١٦) F.O. 84/1572 Slave Trade No 3 Salisbury to Malet F.O. 29.3.1880.

(٧١٧) F. O. 84/1572 No 6 Cairo 20.3/1880 Malet to Salisbury. Enclos Letter de S. A. Le Khedive à S. E. Le Gouv-Géner. du Soudan 3 Rabi Akhar 1297 (15.3. 1880); No 4 Cairo 17.3.1880 Malet to Salisbury.

(٧١٨) F.O. 84/1572 Slave Trade No 33 Gairo 19.10. 1880 Malet to Granville Enclos. Ministére de la Guerre. Trad. d'une lettre par Giegler Pacha 20.9,1880,

وعلى ذلك لم يشأ رؤوف عند وصوله إلى الخرطوم فى يونيو ١٨٨٠ أن يحدث تغييرا فيما وضعه غردون من ترتيبات فأبقى الأوروبيين الذين يملئون وظائف الحكم والادارة فى مختلف أنحاء السودان فى أماكنهم ، ثم أصدر إليهم الأوامر المشددة بضرورة الاستمرار فى مكافحة الرق والنخاسة بكل همة . وكان الانجليزى لبتون بك Lupton قد تسلم حكومة بحر الغزال بعد أن استقال منها الإيطالى جسى Gessi ، بينما ظل فى دارفور كل من سلاتين وإمليانى وميسيداليا ، وفى مديرية خط الاستواء أمين بك (الدكتور شنتزر) ، ثم عين رؤوف أوروبيا آخر « مفتشا » فى فاشودة النمساوى أرنست مارنو Ernest Marno (٧١٩) ، وشمر رؤوف عن ساعد الجد والنشاط فى العمل ، فأغلق طرق القوافل بين دارفور ومصر ، وكان الجلابون قد بدأو يستخدمونها بعد ذهاب غردون ، ومنع تصدير الرقيق فى كوبة والفاشر ، وحوكم المتجرون بالرقيق أمام المحاكم العسكرية ووقعت عقوبة الاعدام على عدد من هؤلاء.(٧٢٠) وعمل على تحرير الإماء فى السودان الشرقى وكن يستخدمن فى أغراض غير شريفة(٧٢١) وحرصت حكومة الخديو على إبلاغ ذلك كله إلى القنصل الإنجليزى .

غير أن هذه الاجراءات لم تفد شيئا فى وقف نشاط الجلابين ، بل زاد هؤلاء نشاطا على نشاطهم ووصلت الشكاوى إلى القاهرة عن إزدهار تجارة الرقيق ، وأخذت التقارير تترى على القنصل الانجليزى فى مصر واصفة عجز

---

(٧١٩) Ibid; also Gleichen (Handbook) 176; Report on the Egyptian Provinces 31-32.

(٧٢٠) F. O. 84/1572 Slave Trade No 22 Cairo 23. 6. 1880 Malet to Salisbury, No 43. Cairo 10-11-1880 Malet to Granville (Confid); No 48 Cairo 13.12.1880.

(٧٢١) Mokhtar (Dans le Soudan Oriental). p. 14.

حكومة الخرطوم عن تنفيذ معاهدة الرقيق ، ويتهم أصحابها موظفى هذه الحكومة بالاتجار بالعبيد(٧٢٢) .

ولا جدال فى أن هذه الشكاوى كانت صحيحة وكان لاخفاق رؤوف أسباب عدة لعل أهمها أن الحكمدار الجديد عمد إلى « عزل كثير من الجند بدعوى انقاص النفقات » وذلك حتى يصلح مالية السودان بعد النفقات الطائلة التى تكبدتها البلاد أيام غردون بسبب أعداد الحملات العسكرية لمطاردة تجار الرقيق ثم لاخماد ثوراتهم وبسبب المرتبات الكبيرة التى أخذها الموظفون والمديرون الأوروبيون ، فشجع نقص الجند وضعف الحاميات تجار الرقيق على الازدراء بسلطان الحكومة والاستخفاف برجالها (٧٢٣) .

أضف إلى ذلك أن المديرين والموظفين إلى جانب نشاطهم فى تنفيذ سياسة الإلغاء ، لم يكونوا فوق الشبهات فى أغراضهم ونواياهم حتى أن صاحب كتاب (السودان المصرى والانكليز) كان لايرى فى أعمالهم إلا خطة مرسومة يبغون من اتباعها استفزاز شعور الأهلين واثارة كوامن الحقد فى نفوسهم ضد الحكومة الخديوية وتحريك « الفتنة الراقدة » على أيدى الجلابين وتجار الرقيق ، لاهم لهم إلا ملء جيوبهم بالأموال وإذاعة الرشوة ، وفرض المغارم الفادحة ، والامعان فى القسوة عند جباية الضرائب والتنكيل بالأهلين تنكيلا شديدا اذا قصر هؤلاء فى أداء « الطلبة » وسائر الضرائب ، بدعوى أنهم ماقسوا فى فرض هذه المغارم وجمع الأموال الا تنفيذا لأوامر الحكومة ، ثم لم يكتفوا بفعل ذلك بل صاروا يحرضون الأهلين فى الوقت نفسه على نبذ طاعة الحكومة (٧٢٤) ويسوق صاحب الكتاب أمثلة عدة يؤيد بها صدق مايقول والمعروف أن صاحب كتاب السودان المصرى والانكليز هو الشيخ

(٧٢٢) Felkin (The Egyptian Soudan) 232; Vizetelly 24.

(٧٢٣) السودان المصرى والانكليز . ص ١٥٣ — ١٥٤ .

(٨٢٤) السودان المصرى والانكليز . صفحات ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ١٤٧ الخ ...

محمود القبانى ، من الذين شهدوا هذا الحوادث أيام غردون ورؤوف ، ودون فى كتابه جميع ماوقف عليه بنفسه من حوادث أو بلغه من السودانيين أنفسهم وأضحى فى منزلة الحقائق الذائعة التى اعتقد بصحتها وآمن بصدقها أهل البلاد فى ذلك الحين وفضلا عن ذلك فقد اعتمد الشيخ محمود القبانى فيمادونه على « مجموعة (وجدها) فى خزانة المهدى بعد وفاته بخطه مقسومة الى أربعة أقسام » وأما الموظفون السودانيون الذين عينهم غردون ثم أبقاهم رؤوف ، فقد اتفقت كلمة المعاصرين على أنهم كانوا يأخذون الرشوة ويتجرون بالرقيق، ويعاملون أبناء جلدتهم بقسوة بالغة . فلا عجب اذن اذا أخفق محمد رؤوف بسبب هذه الصعوبات فى القيام بالمهمة التى عهد بها اليه الخديو توفيق والقضاء على تجارة الرقيق ، ومع ذلك فقد كان من أثر الشكاوى التى بلغت القاهرة أن بادرت الحكومة الانجليزية تطلب من جديد أن يبذل حكمدار السودان كل ماوسعه من جهد وحيلة فى مطاردة الجلابين واقتلاع جذور تجارتهم الشائنة ، وطلب الى رؤوف فى ديسمبر ١٨٨٠ أن « يضاعف جهوده » من أجل القضاء على تجارة الرقيق(٧٢٥) وصدع رؤوف بالأمر ، فأدى ذلك إلى زيادة التذمر ونمو البغض والكراهية ضد الحكومة ليس فقط بين تجار الرقيق بل وبين السودانيين عموما الذين اتحدوا الآن مع تجار الرقيق تحدوهم جميعا الرغبة فى التخلص من حكم « المصريين » . وكان وجه الخطورة فى هذه الرغبة الجديدة ، ان الاضطرابات والثورات السابقة كان قوامها الجلابون والنخاسون فحسب، أما الآن فقد انضم الأهلون إلى تجار الرقيق يشدون من أزرهم ، ويتحفزون للثورة عند سنوح الفرصة ، لافرق فى ذلك بين صغار القوم وكبارهم طالما أنهم كانوا ينتظرون الخلاص مما هم فيه من شر مستطير بزوال تلك الحكومة

---

(٧٢٥) F. O. 84/1572. No 48 Cairo 13.12.1880 Malet to Granville.

التى أهلك عمالها الألوف من أبنائهم وذوى قرباهم وضيقوا عليهم سبيل العيش، وأخذوهم بالقسوة والعنف وجعلوا الحياة هينة رخيصة فى وجوههم .

وكان من أسباب هذا التذمر ولا شك سياسة الإلغاء الصارمة ، فى وقت كان أهل البلاد يعتقدون فيه أن الرق من النظم التى أقرتها عقائدهم الدينية ، وتعذرت عليهم الملاءمة بين ما أرادته الحكومة وما درجوا عليه فى حياتهم الخاصة والعامة من أجيال طويلة ، وأضاع عليهم الغاء الرق مورداً كبيرا من موارد الرزق ،(٧٢٦) وفضلا عن ذلك فإنه بمجرد أن بدأ غردون يعمل لتنفيذ معاهدة الرقيق أنتهز كثير من الرقيق هذه الفرصة فطلبوا تحريرهم وحصلوا من الحكومة على أوراق العتق دون أن يستطيعوا اثبات سوء معاملة أسيادهم لهم ، وزاد الطين بلة أن هؤلاء الأسياد لم يعوضوهم شيئا عن هذه الخسائر الفادحة . وعلاوة على ذلك فقد تعذر الاتجار بالرقيق بسبب احتكار الحكومة للتجارة عموماً (٧٢٧) فشعر الناس بالضيق الشديد .

وزاد من شدة هذا الضيق ، أن غردون كان قد خيل اليه أن من وسائل مكافحة الرق والنخاسة ، زيادة الضرائب زيادة فاحشة حتى يلحق الأذى بتجار الرقيق الأغنياء على وجه الخصوص ، ويضطرهم إلى الإفلاس فى النهاية ، فضرب غردون وأعوانه ، على زق العسل أربعين قرشا مع أنه لا يساوى إلا خمسة غروش فقط وجعلوا على قنطار البن ٨٠ قرشا مع أن ثمنه ٦٠ قرشا لاغير ، فقامت قائمة التجار ورفعوا عريضة إلى الحكمدار غردون يشكون اليه من لائحة المكوس والدخوليات الجديدة ، فعنفهم وقال لهم إنكم نخاسون تجلبون الأرقاء من بلاد الحبشة وإنى أريد قطع تجارتكم هذه ثم أصدر أمرا بأن كل من شكا من هذه اللائحة يحاكم طبقا للائحة بيع

(٧٢٦) شقير ٣ : ١١ — ١١٢ .

(٧٢٧) Vizetelly 25.

الأرقاء ، وذلك كفعله مع زملائهم التجار فى دارفور ، [٧٢٨] ووضع غردون العراقيل فى وجه الأحباش الذين يريدون تصدير بضائعهم إلى السودان ومصر ، وزاد الضرائب على سائر الأهلين ، وكانت هذه « مجموعة فى جزية — (الطلبة) — أقلها ٢٠ قرشا يفرضها المشايخ والعرفاء على كل شخص ، جرت الحكومة على تحصيلها من أيام محمد سعيد بدلا من ضريبة الأطيان فى جميع مديريات السودان عدا مديريتى بربر ودنقله ، فرفعها غردون إلى خمسمائة قرش ، وكان الجباة يحملون قدر ثلث الجزية إلى ناظر القسم وقدر الثلث إلى المدير وقدر الثلث الثالث إلى الخديوى ، (وكان غردون والمديرون الأوروبيون وعمالهم) يبلغون الأهالى أنهم يسيرون فى هذا العمل على مقتضى أوامر خديوى مصر ويسمون الثلث بحقوق الخديوى الأعظم » . وأصاب كثيرون من هؤلاء المديرين من جباية الضرائب على هذه الصورة ثروة جسيمة كما فعل چسى الإيطالى ولبتون الإنجليزى وغيرهم [٧٢٩] وعظم بؤس الأهلين وشقاؤهم عندما عمد غردون إلى تنفيذ سياسة الغاء الرق تنفيذا لا شفقة فيه ولا رحمة ، منذ عام ١٨٧٨ وظلت الضرائب مرتفعة [٧٣٠]

وزاد فى بؤس الأهلين وشقائهم أن جباة هذه الضرائب كانوا من العساكر الباشبوزق المعروفين بوحشية الطباع وشراسة الخلق والشراهة والنهم ، وإزاء كل هذه الصعوبات والأخطار وهذا الظلم الفادح اضطر كثيرون الى الفرار من جباة الضرائب والاعتصام بالجبال التى لا نفوذ للحكومة بها كجبال تقلى والنوبة وقدير وجرادة وغيرها فاشتدت الفاقة وكثرت اللصوصية وأقفرت القرى والدساكر من ساكنيها ، ووقع عبء « الطلبة » على أولئك الذين لم

---

(٧٢٨) السودان المصرى والانكليز . ص ٣٢

(٧٢٩) السودان المصرى والانكليز . صفحات ٣٣ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٤٩ .

(٧٣٠) Russell. (Ruin). 18.

يستطيعوا اللحاق لسبب من الأسباب باخوانهم ، « فاشتدت وطأة الظلم على الذين لم ينزحوا (الى الجبال) وعمت الفوضى جميع الأنحاء السودانية » (٧١) . وكان من أسباب الشكوى المريرة أن السودانيين صاروا « لايجدون محكمة تفصل بينهم فى قضاياهم المدنية والجنائية (بل) كان غردون كلما جاءه مظلوم يقول له استعن على خلاص حقك بقوة عشيرتك ، وأن لم تكن لك عشيرة فاقتل خصمك » ، ويذكر الشيخ محمود القبانى مثلا لذلك واقعة « رجلين من سكان الخرطوم أحدهما يدعى ادريس النور والآخر موسى النقرانى كان بينهما قضية مدنية ، فأخذ غوردون أوراقها وحرقها وقال للخصمين اذهبا فتحاكما أمام الله لأن بنى الانسان لايستطيعون الحكم بينكما » ، ويؤكد الشيخ أن أحد الخصمين حتى يصل إلى غرضه من ابطال دعوة غريمه قد رشا سكرتير غردون ، محمد بك التهامى ؛ « وكان غردون يبيح له تناول الرشوة علناً وسلك المديرون صنائع غردون نفس المسلك « فكانت المحاكم فى تلك الأيام بيد الجهلاء والسوقة الذين لايعرفون إلا تجارة الصمغ والريش ولكن القاضى هو المدير المأجور وكان يأخذ على القضية رسما فاحشا ولا يفصل فيها بل كان يقول لأصحابها من كان منكم قويا فليخلص حقه من صاحبه » (٧٣٢) وفضلا عن ذلك فقد تهاون غردون ورجاله فى احترام شعور الأهلين الدينى وعاداتهم ، فأجازوا اقامة العاهرات بجوار الزوايا ، ولم يفد شيئا فى منع هذا المنكر احتجاج أحد شيوخ السودان المعروفين بالصلاح والتقوى الشيخ على عبد الله شيخ السجادة القادرية فى الخرطوم ، ورد غردون على احتجاج الشيخ ردا قبيحا ، وكذلك بلغ من استهتار غردون ورجاله بالتقاليد الاسلامية حداً جعلهم يشجعون الاعتداء « على سنن الزواج فى الشريعة الإسلامية » بدعوى

---

(٧٣١) السودان المصرى والانكليز . ص ٥٦ ، ١٤٧ ثم انظر Buchta (Story) 14; Boulger II, 114.

(٧٣٢) السودان المصرى والانكليز . ص ١٤٨ ، ٤٩ .

« أن الدنيا حرية » (٧٣٣) وهكذا وجد رؤوف عن حضوره الى الخرطوم أن السودان يغلى بمراجل الحقد والثورة . كتب أحد العلماء السودانيين كتابا الى أحد الأساتذة المدرسين فى الأزهر وصف له فيه حالة السودان فى سنة ١٢٩٥ هجرية (١٨٧٨) ، فقال « أن الحكومة كأسد كاسر والأهالى كأنعام ضالة لاراعى لها غير الأسد . هذه حالنا اليوم أما أنا فانى أؤكد لك أن هذه الأحوال لاتدوم إلا أياما قلائل وسترى أن الأغنام السود ستنقلب الى ذئاب وسيرأسها أسد كاسر ويموت الأسد الظالم شر ميتة » وأما « هذا الأسد الكاسر » فكان فقيه آبا محمد احمد الذى ادعى المهدية بعد ذلك .

ولد هذا الرجل فى جزيرة ضرار فى مديرية دنقلة ، وانتقل به أبواه وهو صغير إلى الخرطوم ، وأظهر محمد أحمد فى حداثته ميلا شديدا لتعلم العلوم الدينية واندمج فى سلك الشيعة السمانية واشتهر بالورع والتقوى والزهد ، فالتف حوله التلاميذ وأنشأ « مدرسة » بالخرطوم فى عام ١٢٨٠ هجرية (١٨٦٣ — ١٨٦٤) ثم انتقل بعد عشر سنوات الى جزيرة آبا فى النيل (البحر) الأبيض حوالى خمسين ومائتى ميل جنوبى الخرطوم للانقطاع للعبادة . وبدأ من ذلك الحين ينشر دعوته بصورة جدية إلى ضرورة تحرير العقيدة الاسلامية مما لحق بها من شوائب وإعادة مجد الإسلام القديم (٧٣٤) .

وجعل الفقيه كل اعتمادة فى نجاح دعوته على تجار الرقيق . ولما كانت جزيرة آبا وسط النيل الأبيض تقع فى طريق الجلابين والنخاسين فقد صار يقصده هؤلاء عند خروجهم لصيد الرقيق يتبركون به وينذرون له النذور يوفون بها اذا رجعوا سالمين غانمين ، حتى اذا عاد النخاسون من حملاتهم فى بحر الغزال وبحر الجبل والسوباط وغير ذلك من مواطن صيد الرقيق ، أظهر اشفاقه

(٧٣٣) السودان المصرى والانكليز · ص ٥٣ ، ١٥١ .
(٧٣٤) Slatin 44; Gozzi 181; Budge II 242.

عليهم وترحم على من « اســـتشهد » من رفقائهم على أيدى بيكر وغردون وبشرهم بأن الفرج من هذا الضيق آت لا ريب فيه يوم يظهر المهدى .

وذاع صيت الفقيه فقصده الناس من كل حدب وصوب شاكين له ما حاق بهم من عذاب وما نزل بهم من صنوف المظالم على أيدى عمال الحكومة يسألونه النصيحة والإرشاد . على أن الفقيه لم يقبع فى جزيرته بل أخذ يسعى إلى القرى والدساكر يستر بدنه جبة مرقعة وفى يده مسبحة وعكاز وأبريق من الفخار فيهرع الناس ليتبركوا بالفقيه الفقير لما اشتهر عنه من ورع وتقوى ، ويجول الرجل بين منازل القرية وأكواخها حتى إذا ترامت إلى أذنه أصوات النساء خلف الجدران وهن يجهشن بالبكاء ويندبن من « استشهد » من ذوى القربى فى غزوات صيد الرقيق على ايدى « الكفار » الأوروبيين اطلق زفرات الأسى والتوجع واخذ يستثير حماسة الملتفين حوله ورجولتهم حتى يعملوا على رفع هذا الظلم ومقاومة ذلك الطغيان .

وقوى نفوذ محمد احمد عندما اشتط غردون والمديرون الأوروبيون « الكفار » — كما نعتهم أهل البلاد — فى تنفيذ معاهدة الرقيق وهلك مئات الألوف من تجار الرقيق والأهلين الضالعين معهم ، وثقلت وطأة الضائقة المالية عليهم وسامهم جباة الضرائب من العذاب صنوفا وألوانا ، وظهر استهتار غردون وصنائعه من الأوربيين خصوصا بتقاليد القوم وشعائرهم الدينية ، وقد اضطر محمد احمد فى إحدى المناسبات إلى الاحتجاج على هذه التصرفات الشاذة المثيرة ولكن دون جدوى .

ووجد محمد احمد فى انتشار التذمر وتغلغل الحقد فى النفوس فرصة مواتية لبث دعايته وتأليب الأهلين على الحكومة فصار يقصد الإجتماعات التى كان يعقدها بعض كبار السودانيين فى السودان الأوسط خصوصا ثم فى كردفان ، لتدبر الأمر « يعدد رزايا الإسلام ويحرض الناس على الجهاد

فى سبيل الله ، ذلك أن فقيه آبا كان قد انقلب من داعية دينى إلى « مصلح » سياسى واجتماعى خطير ، يدين بآراء فى السياسة والاقتصاد والاجتماع لا سبيل إلى تحقيقها إلا بطرد المصريين من السودان وانهاء عهد « التركية » فقد عزا محمد احمد إلى المصريين والترك ما لحق بالشريعة الغراء من تحقير وإهانة ، لأن هؤلاء بوصفهم حكاما كان دأبهم على حد قوله ارتكاب الأعمال المنافية لمبادىء الشريعة السامية .(٧٣٥) وكان من رأيه أن طرد المصريين من السودان كفيل وحده بإعادة الأمن والنظام إلى نصابهما وتحقيق العدالة ونشر ألوية السلام ؛ وأعلن أن العشور أو الزكاة فقط التى نص عليها القرآن الكريم هى كل ما يجب جبايته من ضرائب (٧٣٦)، ثم دعا إلى شيوع الملكية ، فلا يستأثر مؤمن بمال أو عقار دون أخيه المؤمن ، بل توزع الثروة على الجميع بالتساوى .(٧٣٧) وكانت هذه آراء جديدة سرعان ما صادفت هوى فى نفوس السودانيين فانضووا تحت لوائه ، وسهل عليهم أن يؤمنوا بأنه « المهدى المنتظر » حقيقة . وكان أعظم هؤلاء ايمانا تجار الرقيق الذين انتظروا « الرخاء » إذا تحقق طرد المصريين على يد هذا الفقيه (٧٣٨) .

واستهوت هذه الآراء والنظريات ، على وجه الخصوص لب عبد الله التعايشى وكان وقتئذ أخطر زعماء البقارة صيادى الرقيق شأنا وأشدهم بأسا وقوة فقصد محمد أحمد واستحثه على إعلان دعوته بأنه المهدى المنتظر ، على شريطة أن يستوزره ، وكان عبد الله رجلا مراوغا طموحا لا تفوته فرصة دون أن يغتنمها عرض فى السنوات الخوالى على الزبير رحمة بعد فتح دارفور أن يعلن

Ohrwalder. 7. (٧٣٥)

Why Gordon Perished 24; Sartorius 45. (٧٣٦)

Gozzi 182. (٧٣٧)

(٧٣٨) عابدين . المعية . حافظة ٢ شمبز ٢ نمرة الحفظ ٢ (ترجمة المهدى) .

الزبير أن المهدى المنتظر ، فرفض الزبير ذلك وأنب عبد الله تأنيبا عنيفاً ، فوجد الآن فى فقيه آبا ضالته المنشودة (٧٣٩) . ولما كان البقارة تجار الرقيق خير من يمكن الاعتماد عليهم لترويج « المهدية » لما ذاع من عدائهم للحكومة، ولما كانت تقتضيه مصلحتهم ورواج تجارتهم الشائنة من مؤازرة كل من يدعو إلى ضرورة إخلاء البلاد من المصريين ، فقد حرص محمد أحمد على استمالتهم إلى تأييده ، وقبل عروض عبدالله التعايشى ، وكتب هنزل Hanzal القنصل النمساوى بالخرطوم أن الأخبار قد وصلت من جزيرة آبا إلى الخرطوم فى يوليه ١٨٨١ منبئة بأن الفقيه قد أعلن على الملأ أنه المهدى المنتظر ، وكلف من قبل الله تعالى بتأسيس دولة اسلامية مترامية الأطراف تكون عاصمتها مكة المكرمة (٧٤٠) فكانت المهدية .

غير أن صعوبات عدة سرعان ما اعترضت سبيل محمد أحمد ورفيقه التعايشى ، عندما وجدا أنه من المتعذر عليهما دفع الأهلين الى الانتقاض على الحكومة المصرية ، لأن هؤلاء كانوا يعزون ما أصابهم من أذى ولحق بهم من ضر الى عمال الحكومة الأجانب والأوربيين « الكفار » وأذنابهم والضالعين معهم من مواطنيهم أنفسهم مما عدوا حكومة المصريين بريئة منه ولا يسوغ شرعا الثورة عليها ، وتمسك كثيرون من كبار السودانيين بولائهم لها ، نذكر منهم السيد احمد الأزهرى ابن الشيخ اسماعيل الولى الكردوفانى الكبير (جد الأستاذ اسماعيل الأزهرى رئيس الوفد السودانى فى مصر) ، ونجيب بك بطراكى ومحمد بك الملك ، وفرج باشا الزينى وحسين باشا خليفة والشيخ حسين عبد الرحيم شيخ الدويم والشيخ عبد القادر قاضى

---

(٧٣٩) شقير ٣ : ٧١ — ٧٢ ، ١٢٠ ثم Wingate (Mahdiism) 36, 228.

(٧٤٠) Staat-Archiv-Gen. Cons. 1881. No. 108. Cairo 17.9.1881, Enclos Khartoum. 15.8.1881. Hanzal à Baleslawski.

الكلاكلة . والشيخ عوض الكريم أبوسن شيخ الشكرية وكثير غيرهم (٧٤١).
وكان لكل هؤلاء نفوذ ملحوظ على اتباعهم الكثيرين وكانت كلمتهم مسموعة،
ولذلك فقد عمد محمد أحمد إلى ابتكار « نظرية » قد يقبلها بسطاء العقول تسوغ
الانتقاض على الحكومة ، ولخصها الشيخ محمود القبانى فى قوله « وكان رأيه
(أى رأى المهدى) إلقاء تبعات تلك المظالم والمصائب على عاتق الحكومة
المصرية لأنها استخدمت أولئك الأجانب والدخلاء وولتهم أمور العباد
فحكموا سيوفهم فى رقابهم وأتوا ما أتوه من الظلم وقتل النفوس وهتك الأعراض
وهب أنها لا تسيء الظن فيهم ولا تعتقد أنهم يتطوحون مثل ذلك التطوح
ويأتون كل تلك المنكرات والموبقات ، فهل لم يكن من الواجب أن تتجسس
أعمالهم وتتنسم أخبارهم حاسبة السودان عضوا من اعضائها يؤلمها ما يؤلمه .
لاريب فى ذلك ولا مراء ، ولكنها أهملت هذا الواجب ، وكان اهمالها دليلا
على تركها حبلها على غاربها وترك مقادير السودان تجرى فى أعنتها . إذن ليس
بدعا انتقاض أهل السودان عليها بل البدع والغرابة أن لا ينتقضوا ويثوروا
لخلع ذلك النير القاسى وقلب تلك الهيئة الحاكمة التى أبلغت أرواحهم حناجرهم
وأحرجتهم فأخرجتهم ولم تعمل عملا يصلح دنياهم ويستجلب رضاهم بل وكلت
أمورهم إلى أناس يعتبرون السود عبيداً أرقاء ولا يفرقونهم عن العجماوات
ومن العبث أن يرضى المرء بالهوان والشقاء إذا كان قادرا على اصلاح
حاله واسعاد مآله » ، ثم مضى الشيخ محمود فقال « هذا ملخص رأى محمد أحمد
الذى لقب نفسه بالمهدى وثارت السودان بسببه ، وهذه زبدة أدلته على
وجوب قيام السودانيين لخلع طاعة الحكومة المصرية ، ولم يلبث رأيه أن
أصبح رأى خاصة السودان وعقلائه وأمسى حديث نهارهم وسمر ليلهم يدور
فى خلدهم كلما هزت الريح غصنا وحركت شبحا وراحوا يفتشون عن كل

(٧٤١) شقير ٣ : ١٥٨، ١٦٢، ٢٢٠، ٢٣٦، ٢٥٠، ٢٦١، ٢٨٤، ٣٤٥، ٣٨٣، ٦٤٩ الخ

وسيلة للخلاص من تلك الحكومة الظالمة ونسوا الانكليز العاملين باسمها والمسببين لتلك القلاقل والمشاكل » [٧٤٢].

وبالرغم من خطورة هذه الحركة التى كان يقوم بها محمد أحمد وزميله التعايشى ظل حكمدار السودان محمد رؤوف باشا يجهل حقيقتها ، ولا يوليها ماتستحقه من عناية واهتمام فأضاع الوقت فى فحص مسألة «المهدى» والتثبت من صدق دعواه ، وأوفد إلى آبا جماعة من المشايخ لمناقشة الفقيه ، ومع أن هؤلاء عادوا يؤكدون كذب دعوى المهدى وأخبروا الحكمدار بأن عددا كبيرا من الأتباع المتعصبين يحيطون بالفقيه وأن الواجب يقضى على رؤوف بأن يرسل فى التو والساعة قوة عسكرية كبيرة لاخماد هذه الفتنة ، [٧٤٣] فقد اكتفى رؤوف بارسال حوالى المائتين من الجنود للقبض على الفقيه ، فكان نصيب هؤلاء الهزيمة (اغسطس ١٨٨١) وذاع صيت المهدى ، بعدهذا الانتصار الرخيص على قوات الحكومة ، ثم غادر آبا الى الكردفان بين البقارة أنصاره الأشداء ، فأرسل رؤوف حملة أخرى لتعقبه كان مصيرها كذلك الفشل ، وتحصن المهدى فى جبل قدير واستطاع أن يلحق بقوات الحكومة هزيمة جديدة فى ديسمبر ١٨٨١ فانتشرت أخبار انتصارات المهدى فى الكردفان ودارفور وسنار والسودان الشرقى بين بربر وساحل البحر الأحمر [٧٤٤] ، فاستدعى رؤوف الى القاهرة فى فبراير ١٨٨٢ وبعد شهر واحد من ذهابه وصلت الأخبار الى الخرطوم منبئة بقيام الثورة فى سنار (ابريل) [٧٤٥] ، وهكذا لم تعد الثورة محصورة فى كردفان بل عمت الآن أرجاء السودان .

---

(٧٤٢) السودان المصرى والانكليز ص ٥٠

(٧٤٣) Staat-Archiv. Gen Cons. 1881. No. 96/pol. Cairo 21.8.1881. Baleslawski á Haymerle. Enclos. Copie "Un Faux Prophête dans le Soudan": No 108. Cairo 17.9.1881; Enclos Khartoum 15.8.1881. (Letter of Hanzal).

(٧٤٤) Staat-Archiv. Egypt. Rapp. Dep. Varia 1882—1884. No 96. Cairo 5.31.1882. Enclos No 67 Khartoum 11.4.1882. Hanzal to Rasjek

(٧٤٥) Buchta (Story) 244.

وكان السبب الأكبر فى أخفاق رؤوف إلى جانب اعتقاده بقلة أهمية الحركة التى يقودها فقيه آباوزميله التعايشى ، أنه لم يكن لديه من القوات مايكفى للقيام بالعمليات العسكرية على نطاق واسع ، ومرد ذلك الى اشتعال الثورة فى مصر على يد أحمد عرابى فى ذلك الوقت ، فقد عجزت حكومة القاهرة عن ارسال النجدات العسكرية الى السودان ، وكان كل مافعلته عند ماوصلتها أخبار المهدى أن بعثت بتعليماتها المشددة إلى رؤوف باشا ، تدعوه الى العمل الحاسم السريع للاقتصاص من المهدى الكاذب وأتباعه المارقين »(٧٤٦). وارتكبت حكومة القاهرة نفس الخطأ ، فأوفدت أقدر رجالها العسكريين عبد القادر باشا حلمى ولكن دون أن ترسل معه أية نجدات، ومع أنه أخضع الثورة فى سنار فقد استطاع المهديون الاستيلاء على الأبيض فى ١٩ يناير ١٨٨٣ ، واستدعى عبد القادر إلى القاهرة ، وعين بدلا منه علاء الدين باشا وحضر معه هيكس باشا (Hicks) وتألفت القوة التى جاء بها من فلول جيش عرابى المنحل وقرر هيكس الخروج بجيشه لقتال المهدى فى كردفان ، فكان نصيبه الموت ومصير جيشه الفناء فى موقعة شيكان فى ٥ نوفمبر ١٨٨٣ ، فقوى مركز المهدى جنوب الخرطوم ، وانتشرت الثورة فى السودان الشرقى إلى ساحل البحر الأحمر وفضلا عن ذلك فقد بدأت من ذلك الحين حركات الثوار التى انتهت بتضييق الحصار على الخرطوم ذاتها (٧٤٧) فقد اضطر سلاتين الى تسليم داره (فى ديسمبر) ثم سقطت الفاشر فى يناير من العام التالى وسقطت دارفور بأجمعها فى قبضة المهديين .(٧٤٨)

---

(٧٤٦) Staat-Archiv. Gen. Cons. 1881. No· 96/Pol. Cairo 21.8.1881. Baleslawski à Haymerle.

(٧٤٧) شقير ج ٣ : ١٨٣ — ١٨٥ ثم Frank Power 50; Ohrwalder 183; Slatin 128.

(٧٤٨) Slatin 84-122; 136-153, 188-189; Gordon (Journals) 21,453,579.

ثم أنظر أيضا . عابدين ، محافظة ٢ شميز ٢ نمرة الحفظ ٤ — ملخص الحوادث منذ ظهور المهدى

وفى بحر الغزال أفضت هزيمة هيكس إلى عزل هذه المديرية وبعد مقاومة طويلة اضطر لبتون بك Lupton إلى التسليم فى ابريل ١٨٨٤ (٧٤٩) وبعد سقوط الأبيض فى كردفان بسبب خيانة الياس باشا أحد صنائع غردون بدأ عثمان دقنه تاجر الرقيق القديم بسواكن الثورة ضد الحكومة فى السودان الشرقى بالهجوم على سنكات فى أغسطس ١٨٨٣ ثم حاصر سنكات وطوكر ولم تفلح حملات مونكريف Moncerieff ، وفالنتين بيكر Valentine Baker من أقرباء السير صمويل ، فى تخليصها ، ومع أن الجنرال (جراهام) Graham أحرز بضعة انتصارات على عثمان دقنه فقد سقطت طوكر فى أيدى الثوار ، واضطر جراهام إلى الانسحاب والعودة إلى مصر . (ابريل ١٨٨٤) عندما قررت الحكومة الانجليزية اخلاء السودان . ثم أخليت سواكن بعد ذلك فى مايو سنة ١٨٨٥ (٧٥٠) .

وفى مديرية خط الاستواء . ظل مديرها أمين (الدكتور شنيتزر) فى عزلة تامة منذ ابريل ١٨٨٣ وازداد موقفه حروجة بعد هزيمة هيكس وتسليم سلاتين ولبتون ، وبدأ الدراويش هجومهم على مديريته بعد استيلائهم على بحر الغزال فحاصروا (أمادى) حتى سقطت فى أيديهم فى فبراير سنة ١٨٨٤ ولما كانت هذه قريبة من اللادو عاصمة المديرية فقد توقع أمين ، انقضاض الدراويش بين لحظة وأخرى على جميع مراكزه فى الجنوب والشرق ، والغرب ، (٧٥١) ولكن شيئا من ذلك لم يحدث لأن الدراويش فى ذلك الوقت كانوا يستعدون لبلوغ غايتهم الكبرى بالاستيلاء على الخرطوم ذاتها .

---

(٧٤٩) Junker (Travels 1879-1883) pp. 285-6; Mounteny-Jephson 259-60; Scott-Keltie 149-150; Casati I 286-7; شقير ٣ : ١٩٥ — ١٩٩

(٧٥٠) Wingate (Chronological Index) 37,89; Royle III. p 11; Levi 7-8.

(٧٥١) Pimblett, 27,48 Stanley (In Darkest Africa) 25-27, Felkin (and Others) III 462.

ذلك أن حكومة غلادستون ، منذ أن وصلتها أنباء هزيمة هيكس كانت قد قررت اخلاء السودان وجعل حدود مصر الجنوبية عند وادى حلفا واسوان (نوفمبر وديسمبر ١٨٨٣)[٧٥٢] ولم تغن احتجاجات شريف باشا والوزراء المصريين شيئا فى حمل الانجليز على النزول عن آرائهم واضطر شريف إلى الاستقالة فى يناير ١٨٨٤ ، ووقع اختيار الحكومة الانجليزية على غردون باشا لتنفيذ سياسة الإخلاء فى الشهر نفسه . وبلغ غردون الخرطوم فى ١٨ فبراير ١٨٨٤ . وشرع ينفذ الاخلاء ، وتألف برنامج غردون من أمور ثلاثة ، إخلاء الخرطوم من غير المحاربين والأطفال والنساء ، سواء أكان هؤلاء من الأوروبيين أو من جنسيات أخرى ماداموا يرغبون فى ذلك ، واخلاء السودان اخلاء تاما من جميع الحاميات المبعثرة فى أرجائه ، ثم اتخاذ العدة لإقامة نوع من الحكومة إذا كان ذلك ممكنا لادارة شئون البلاد بعد انسحاب الحكومة الخديوية على شريطة ألا يبقى بالبلاد جنود مصريون يعاونون الأهلين فى إنشاء حكومتهم الجديدة[٧٥٣] ، غير أن أسبابا كثيرة سرعان ما عطلت الإخلاء . ولعل أهمها أن غردون عند وصوله إلى الخرطوم أذاع أن « حملة انجليزية » كانت فى طريقها إلى الخرطوم ، ففضل الأهلون البقاء بها ، وعلاوة على ذلك فقد شهد هؤلاء الجند المصريين يغادرون العاصمة ، بينما لم يغادرها جندى سودانى واحد ، أضف إلى هذا أن غردون بدلا من الإسراع فى تنفيذ الإخلاء ، قضى الوقت يبحث فى خير الطرق لإنشاء الحكومة الوطنية الجديدة . فشاع الإعتقاد بأن غردون لا يريد ترك الخرطوم وأن « الحملة الانجليزية » فى طريقها حقيقة لتخليص السودان من طغيان المهدية[٧٥٤] .

---

(٧٥٢) Fitzmaurice I. 319-320; Russell (Ruin) 39; Cromer II. 294.

(٧٥٣) Colvin 67.

(٧٥٤) Russell (Ruin) 57-8; Ohrwalder 123, Frank Power 73, Daryl 44.

وأضاع غردون وقتاً ثمينا عندما أخذ يرسم برنامج الحكومة المقبلة وقضى زمنا طويلا يحاول دون جدوى اقناع حكومته بإرسال الزبير رحمة من القاهرة لتسلم زمام الأمور فى الخرطوم « بعد الاخلاء » وعندما قرر الانجليز نهائيا فى ١١ مارس ١٨٨٤ عدم إرسال الزبير إلى السودان ، كان الدراويش قد أطقبوا على الخرطوم من كل جانب ، ولم يبق مفتوحا سوى طريق بربر ، وأضحت « المشكلة » الحقيقية هى تخليص غردون نفسه ونجاة الحامية الصغيرة التى بقيت معه . (٧٥٥) وذلك أن غردون أرسل من الخرطوم يوم ١١ مارس يقول إن الثوار لا يبعدون عن العاصمة بسوى ساعات على النيل الأزرق وأنهم يطوقون الخرطوم تماما . وفى اليوم التالى قطع الثوار اسلاك البرق بين العاصمة والعالم الخارجى ، وفى ذلك اليوم بدأ حصار الخرطوم بصورة جدية(٧٥٦)

فقد أغلق الدراويش طريق بربر باستيلائهم على الحلفاية فى ١٣ مارس وانهزم جنود غردون عند محاولة تخليصها فى واقعة الشرق فى ١٦ مارس ، وحاصر الدراويش أم درمان ، وغادر محمد أحمد معسكره فى الأبيض قاصدا الخرطوم فى ٥ ابريل ، وعهد الى عبد الرحمن النجومى بالإشراف على عمليات حصار الخرطوم (يونيه) (٧٥٧) . وهكذا لم يعد هناك أى أمل فى انقاذ غردون سوى إرسال حملة عسكرية قويه .

وفطن السير ايفلن بارنج بالقاهرة إلى خطورة الموقف بمجرد أن علم بتعطيل المواصلات البرقية ، واعتقد بضرورة ارسال حملة لتخليص غردون على وجه السرعة(٧٥٨) ولكن الحكومة الانجليزية لم تصل إلى رأى حاسم فى

---

(٧٥٥) Morley III. 124; Allen 303, Frank Power 79, Russell, op cit. 72.

(٧٥٦) Gordon (Events) 370, Delebecque 129

(٧٥٧) شقير ج ٣ : صفحات ٢٢٢—٢٢٤ ؛ ٢٥٣—٢٥٦ .

(٧٥٨) F. O. 78/3668, Baring to Granville. Cairo 16.3.1884

هذه المسألة الا بعد أن سقطت بربر فى أيدى الدراويش (مايو) وانقطع كل رجاء فى إمكان انسحاب غردون بطريق النيل من الخرطوم وتدخلت الملكة فكتوريا فى الأمر ونادت الصحافة بضرورة الاسراع لانقاذ غردون ، فقرر البرلمان الانجليزى تخصيص ثلثمائة ألف من الجنيهات للبدء فى العمليات العسكرية لتخليص غردون . وصدر هذا القرار فى ٥ أغسطس وعهد إلى السير جارنت ولسلى Sir Garnet Wolseley بقيادة الحملة ، فوصل ولسلى القاهرة فى ٩ - سبتمبر ١٨٨٤ وفى ٥ اكتوبر غادر وادى حلفا فى طريقه الى الخرطوم (٧٥٩) واستطاع أحد قواده السير شارلز ويلسن Wilson الوصول الى حلفاية فى ٢٨ يناير ١٨٨٥ وذلك بعد أن اشتبكت قوات الحملة مع الدراويش فى معارك دامية ذهب ضحيتها السير هربرت ستيوارت ، ولكن ويلسن سرعان ماعرف وهو بالحلفاية أن الخرطوم سقطت فى أيدى الثوار قبل وصوله بيومين فقط (٢٦ يناير ١٨٨٥) ، وان غردون قد قتله الدراويش شر قتلة .

وكان سقوط الخرطوم مأساة رهيبة (٧٦٠) فقد بدأ الدراويش يتسللون إلى داخل المدينة فى منتصف الساعة الرابعة من صبيحة يوم الاثنين ٢٦ يناير من ثغرة فى خط الدفاع الذى أقامه غردون حول طرف المدينة الجنوبى ولم تكد جموعهم تحتشد خلف المتاريس حتى علت صيحاتهم وأطلقت المدافع قذائفها من معسكرات (المهدى) وأمرائه ، ثم تدفقت جموعهم صوب قلب المدينة وهم يصيحون « إلى السراى ، إلى الكنيسة » ، واشتد الصخب وعظمت

---

(٧٥٩) Holland I. 424; Gwynn and Tuckwell II. 45; Royle II. 204.

(٧٦٠) Slatin 340. Wingate (Mahdiism) 163-172.192-194, Ohrwalder 173, Arthur (Life of Kitchener) I. 121.

ثم أنظر شقير جـ ٣ : ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .

الضوضاء والجلبة ، فهب أهل الخرطوم التعساء يستطلعون الخبر والنوم مايزال يعقد جفونهم ، والحذر واليأس يأكل قلوبهم بعد أن طحنتهم المجاعة وأفنتهم الأوبئة إبان الحصار الطويل ، فتلقاهم الدراريش بالسيوف والحراب ، وأوقعوا بهم مقتلة عظيمة فلم يرحموا إمرأة ولا طفلا بل صاروا يغرزون حرابهم فى أجسام الرضع حتى يحملوها على رؤوس الأسنة ، وكان هدف الدراويش الوصول بكل سرعة إلى سراى الحكومة وكنيسة الارسالية النمساوية يدفعهم الأمل فى العثور على الكنوز العظيمة محفوظة فى مخازن ومخابىء السراى والكنيسة . فلم يمض بعض الوقت حتى كانوا فى حديقة السراى يطلبون حياة غردون رخيصة ، فاقتحموا أبواب السراى ودخلوا مخادعها يفتشون عن فريستهم ، ثم ارتقوا سلم السراى الموصل إلى طابقها الأعلى وعندئذ خرج غردون وحده لمقابلتهم ، وحاول أن يتحدث إليهم ، ولكن أحدا من هؤلاء السفاكين لم يلق بالا إلى ماكان يحاول أن يقول أو يسمع له فما مرت لحظات حتى كان أحدهم قد طعنه بحربة كبيرة فى صدره فوقع غردون على وجهه والدم يتدفق من جرحه ، وعندئذ بادر آخرون بجذبه على السلم ، وانهال عليه الدراويش بحرابهم يطعنون بها جسمه ، ثم فصلوا رأسه وبعثوا بها إلى زعيمهم . فعلق محمد أحمد رأس غردون فى شجرة بأم درمان احتشد حولها الدراويش يلعنون الرأس وصاحبها . وخرب الثوار الكنيسة ثم استباحوا مدينة الخرطوم المنكوبة فاستمر النهب والسلب وهتك الأعراض والتقتيل ست ساعات طوالا ، فكان من بين الذين لقوا حتفهم فى ذلك اليوم المشئوم مارتن هنزل القنصل النمساوى ثم عاذر قنصل الولايات المتحدة ، ونيقولا ليونتيدس Leontides قنصل اليونان ، وذبح الدراويش أسرات بأكملها من القبط ، فبلغ عدد من قتلهم الدراويش من أهل الخرطوم فى هذه الساعات المعدودات ٣٣٢٧ نسمة وهذا عدا من قتلوا من عربان الشايقية

الذين آزروا غردون ، وبلغ هؤلاء الضحايا ٢٣٣٠ نسمة ، فكان جملة من لقوا حتفهم فى هذا اليوم الرهيب ٥٦٥٧ نسمة . وفى الساعة العاشرة صباحاً من يوم ٢٦ يناير أصدر فقيه آبا القديم أمره بوقف المذبحة فانطلق الدراويش ينهبون المدينة . وبهذه المأساة المروعة إذن أسدل الستار على آخر فصول الحكم المصرى بعد نيف وستين عاما ، وهى سنوات مليئة بالأعمال المجيدة حقاً ، وفى وسط حمام الدم المخيف بدأ حكم المهدية الغاشمة فى السودان .

الوثائق

ليس الغرض من « مجموعات » الوثائق التالية نشر كل ما صدر من أوامر وتعليمات متعلقة بمهمة الحكمدارين ، أو إثبات جميع التقارير التى بعث بها هؤلاء إلى الخديوين أو الرسائل المتبادلة بين الخديوين وسائر الحكام ، إذ يحتاج مثل هذا العمل إلى مجلدات ضخمة . وكل ما نرمى إليه أن نرسم صورة قد تساعد على فهم الأغراض ، التى كان يهدف إليها الحكم المصرى فى السودان والمبادىء التى استرشد بها محمد على وخلفاؤه العظام من أجل النهوض بالسودانيين والسير بهم قدما فى طريق الحضارة والرقى .

مجموعة ا

الأوامر الصادرة بتعيين الحكمدارين
والتعليمات المرسلة لهم

١

الأنعام برتبة الميرميران على خورشيد باشا حكمدار السوادن وتعليمات من الجناب العالى (محمد على) إلى خورشيد باشا

فى ٢٨ ربيع الأول ١٢٥١ (٢٤ يولية ١٨٢٥)

حضرة أمير الامراء الكرام وكبير الكبراء الفخام وصاحب المجد والاحتشام خورشيد باشا مدير الاقاليم السودانية الجسيمة التى هى إحدى الاقاليم المصرية الممنوح له لقب حكمدار تلك الاقاليم منعما عليه برتبة الميرميران الجليلة دام إقباله .

اعلم أن توجيه همتك إلى العناية بسكنة هذه الأقاليم التى كلفت بتنظيم أمورها تنظيما حسنا وبادارة شئونها ادارة طيبة ، وكذلك نجاحك فى القيام بخدمات تشكر عليها فى هذا السبيل بفضل الكفاءة التى هى صفة خالدة تلازم شخصك دواما وبفضل النبوغ الذى يشرق فى جبينك دائما قد زاد فى عطفى الخاص عليك حتى أصبح إعجابى بك مضاعفا . فوجب أن أكافئك بمكافأة إظهارا لهذا الإعجاب ، فأصدرت أمرى هذا اليك لتبشيرك بأننى مع ابقائك مديرا لهذه الأقاليم كالأول قد أنعمت عليك برتبة الميرميران الجليلة وبوسام رفيع مرصع بالجواهر من هذه الرتبة ، فإذا علمت أن هذا الإنعام مما يشرح صدرك ويعلى صيتك ويرفع اسمك حتى يصل إلى عنان السماء فأرنى نشاطك فى هذا السبيل أيضا تقديرا من بعد الآن لهذا العطف الجليل الذى بزغت شمسه عليك بهذا البزوغ الجميل ، وقم بجولات متواصلة فى فيافى البلاد السودانية ليلا ونهاراً كالأنجم السيارة السبعة فى سبيل تمشية أمور البلاد تمشية حسنة والعناية بها كل العناية ، وسس كافة الأهالى بسياسة طيبة واجعل الاهتمام ببسط العمران والرفاهية فى هذه الأقاليم كالأقاليم المصرية نصب عينيك كما هو المنتظر منك من بعد الآن حتى تستحق به المزيد من عطفى الذى مازال متجليا

عليك من القديم بلا شك ، فينبغى أن تعمل بهذا الأمر فتجنب المخالفة .

[عابدين المعية دفتر ٦٦ تركى رقم ٦٨]

٢

الأنعام على موسى حمدى باشا باحدى الرتب الرفيعة مكافأة له على حسن إدارته

إرادة إلى موسى باشا حكمدار السودان .

فى ٢ ذى القعدة ١٢٧٩ (٢١ ابريل ١٨٦٣)

كما هو معلوم لدى الجميع إن البلاد السودانية هى أقطار جسيمة صار الاستيلاء عليها بصرف مساع عظيمة وتكاليف باهظة و باقتحام مشاق وصعوبات لا تعد ولا تحصى وأن الواجب يقتضى بأن تكون مربوطة وملحقة بالمملكة المصرية وحيث أنه غنى عن الإيضاح أن مواقع هذه البلاد صالحة لقبول أسباب العمران وأن سكانها مستعدة لتعلم الحرف والصنايع ولأخذ وسائل التمدين والحضارة بناء عليه قد أصبح إعمار واصلاح ذلك الإقليم الواسع والمحافظة على حقوقه وحدوده أمر مرغوب فيه وملتزم لدينا وحيث انه مأمول منكم حسن إدارة تلك الحوالى من كل الوجوه بمناسبة إقامتكم وسكنكم مدة مديدة فيها ووقوفكم على أميال وأطباع سكانها فضلا عن كفائتكم الذاتية وأنكم من يوم انتخابكم وتعيينكم حكمداراً جاءت أكثر أفعالكم واجراءتكم محمودة وحسنة وبما أن رضاء الأهالى عنكم وسرورهم بكم حسب ماوصل إلى سمعنا قد أوجب سرورنا وارتياحنا فمكافأة على أعمالكم الحسنة والمرضية هذه وغيرتكم الواقعة قد استحصلنا هذه المرة على إرادة شاهانية بتوجيه رتبة « روم ايلى بكلير بكى » الرفيعة « رتبة ميرمراء إقليم الروم » وقطعة من النيشان المجيدى من الدرجة الثانية إلى عهدتكم وأرسلنا إليكم الفرمان والبراءات الخاصة بالرتبة والنيشان المذكورين فأمولى منكم من الآن وصاعداً أن تجتهدوا فى إصلاح وإعمار

الأقطار الفسيحة المذكورة وحيث أن وجود الرعايا الأجانب فى هذه البقعة من جهة ودقة أحوال الممالك المجاورة لها من جهة أخرى قد أكسبتها أهمية وخطورة عظيمة بناء عليه يجب أن تكونوا على حذر تام من إتيان الأفعال المكروهة فى نظر الأجانب والمخلة بأمن الأهالى وأن تسهروا على راحتهم ببصيرة كاملة. فبادروا إلى صرف الدقة والعناية فى هذه الشئون نشكر مساعيكم؟

عابدين . المعين . دفتر ٥٢٦ (تركى) جزء ثانى مكاتبة رقم ١٨ صفحة ٧٠

٣

تعيين جعفر صادق باشا حكمداراً للسودان فى ١٤ ذى القعدة ١٢٨١ (١٠ ابريل ١٨٦٥)

بناء على انتقال موسى حمدى باشا حكمدار أقاليم السودان إلى دار البقاء بأجله الموعود اقتضت الحال انتخاب وتعيين حكمدار بدلا منه ، وحيث أن أهمية الموقع المذكور امر ظاهر وأن لياقتكم واهليتكم المشهورة والمسلمة كفيلة بحسن إدارته فبناء عليه اقتضت إرادتى تعيينكم حكمداراً للأقاليم المذكورة فعندما تحيطون علما بذلك يجب أن تتأهبوا للسفر إلى جانب مأموريتكم وان تبادروا ببذل المساعى والأقدام فى حسن إدارة أمورها كما هو مأمول منكم .

حاشية — حيث إنى انعمت عليكم من الآن بمرتبات سلفكم ، فبناء عليه يجب ان تبادروا بتقييدها على اسمكم ، ولذلك لزمت التحشية ؛

[أمين سامى . تقويم النيل وعصر اسماعيل باشا . المجلد الثانى من الجزء الثالث صفحة ٦٠٣] .

— ٤ —

تقسيم حكمدارية السودان وتحقيق رفاهية السودانيين ، إرادة سنية إلى سليم باشا الجزايرلى حكمدار جزيرة الخرطوم وملحقاتها .

فى ٩ محرم ١٢٨٢ (٤ يونيه ١٨٦٥)

إن إقليم السودان قد ظل تحت إدارة حكمدار واحد مع سعته وعظمته كما لا يخفى على أحد وأن جهة البحر الأبيض كانت ملحقة بحكمدارية السودان منذ عهد أفندينا جدنا الأمجد ساكن الجنان ، وقد كان نصب لها موظفون ، ولكن لم يكن قد تم تنظيم إدارتها لكونها مستجدة ولا التفت أحد إلى تنظيمها فى عصرى المرحومين عباس باشا وسعيد باشا . فظلت منذ عهديهما مهملة . وحيث أن الجهة المذكورة هى من ملحقات السودان ولا يجوز تركها على حالها قد سبق أن عينا لها مديرا وموظفين . وبما أن دائرة السودان ازدادت سعة وعظمة بمناسبة وضعنا نظاما جديداً لتلك الجهة ، أى جهة البحر الأبيض ، والحاق سواكن ومصوع وملحقاتها الوسيعة إلى حكومتنا فمن الضرورى أن تكثر أشغالها وتتسع أمورها . ولما كانت آمالنا متجهة إلى تسهيل مصالح عباد الله ، وانجاز الأعمال فى آونتها وإماطة الصعوبات والموانع عن طريق سيرها ، فقد اقتضت إرادتنا أن تنقسم حكمدارية السودان إلى ثلاثة أقسام يدير كل منها حكمدار على حدة ، على أن يكون القسم الأول عبارة عن « التاكة » وسواكن ومصوع وملحقاتها الفسيحة . وأن ينحصر القسم الثانى فى « جزيرة الخرطوم كاملة مع جهات البحر الأبيض » الواقعة فى غربى الجزيرة ، وفى الشرق بالنسبة إلى البحر الأبيض . وأن يشمل القسم الثالث كردفان ودنقله وبربر مع جهات البحر الأبيض الواقعة فى غربى البحر الأبيض التى تقرر أن ينشأ فيها مديريات . وقد حددت مدة ثلاث سنين لكل من الثلاثة

الذين سيتولون الحكمدارية لتمكث فى منصبه خلالها . فإذا أراد أن يعود إلى مصر بعد انقضائها فيجب أن يعرض علينا أمره قبل حلول الميعاد بستة أشهر حتى نتمكن من تولية غيره . ولا بأس أن يطيل المدة بعد أن يتمها وحيث أنه ينبغى تولية حكمدار لكل من تلك الأقسام قد خولناكم حكمدارية عموم جزيرة الخرطوم وجهات البحر الأبيض السالف ذكرها التى هى من ملحقاتها لما عهدنا وشهدنا فيكم الإخلاص والاستقامة والشهامة ، ولا يخفى عليكم أهمية هذه البقعة الفسيحة نظرا لأتساعها وكثرة تردد التجار والسياح وسائر القادمين عليها . فاذاً ينبغى أن تقوموا بإصلاح هـذا القسم وتنظيمه متوسلين بحسن إدارتكم وصائب تدبيركم ، وأن تنصبوا الموظفين والخدمة اللازم تنصيبهم لضبط إدارته وربطهـا وأن تضعوا كل شىء فى موضعه وتبنوه على أساس متين وأن ترفقوا بالواردين والمترددين والسياح وتعاملوهم بلطف وتهتموا بعمران البلاد وترفيه العباد وتحكموا بينهم بالعدل والإنصاف طبق القانون والأصول كما هو واجب علينا أجمعين وتصرفوا فى ذلك كل المجهود وفى إيصال البريد فى أوقاته المعينة وتعتنوا بتسهيل الطرق وتوطيد الأمن فيها إلى آخر حدود حكمداريتكم وأن تنشئوا محطات فى المواضع التى يوجد فيها الماء وأن تسيروا أبناء السبيل والمسافرين الذين يفدون من هذه الجهات . أى من جهة مصر ، على هيأة القوافل وتأذنوا لهم فى المرور فى كل شهر مرة أو مرتين وتأخذوا على مشايخ القبائل والعربان ومن غيرهم عهدا قويا على مرور أموال التجار أو المترددين بالأمن والسهولة . ولاريب أن حكمداريتكم تحتاج إلى طائفة من الجنود الموجودة فى السودان . فإذا وصلتم إلى مقر وظيفتكم وأقمتم به شهراً لتتمكنوا من تنظيم أمور الحكمدارية ، فخابروا الحكمدارين الآخرين واجتمعوا بهما ، وبأمراء اللواء الموجودين بالأقطار السودانية وشاوروهم فى تخصيص العدد اللازم من العساكر لكل من الحكمداريات وأفرزوا العساكر

والضباط المختصين بحكمداريتكم على حسب القرار المتخذ فى ذلك الاجتماع وأقيموا فى المواضع والمراكز اللازمة ونظرا لتأسيس هذه الحكمداريات جديدا فيجب أن يهتم ويعتنى بحسن إدارتها وتسوية أمورها على الوجه الأتم كما أنه لو حدث اعتداء من الخارج والعياذ بالله ومست الحاجة إلى إحضار قوة عسكرية من كل من الحكمداريتين الأخريين ، عدا القوة العسكرية المقيمة فى حكمداريتكم فيجب أن تخابروهما وتستعينوهما وعليكم أن يساعد بعضكم بعضا بدون إضاعة وقت وأوصوا المديرين الذين بالحدود أن يتوادوا ويعامل بعضهم بعضا بالحسنى وأن لايختلفوا ... ولا يأبى أحد منهم أن يساعد الآخرين عند الحاجة ويسهل أمورهم ولا ينبغى له أن يقول « إنى خاضع لحكمدار آخر فلا أستطيع أن أقوم بهذا الأمر إلا أن يأمرنى الحكمدار الذى اتبعه » وليحذر أن يؤخر المسائل المهمة الضرورية ويعرضها للأعضاء ، وليسارع إلى اجراء ما هو خير لذات المصلحة . وحيث إنه لايبعد عن الملاحظة أنكم تظنون بعض الظن وتذهبون مذاهب أخرى حينما ترون أن السودان التى كانت تحت إدارة حكمدار واحد قد قسمت إلى ثلاث حكمداريات وأنكم وليتم حكمدارا لأحد أقسامها أرى من الواجب أن أشرح لكم ما أرمى إليه من المقاصد والأغراض وهى أن التجوال فى إقليم متسع كالسودان أو الاطلاع على تفاصيل أموره اطلاعا تاما والبت فى إنجازها أمر لايطيقه رجل واحد ، والدليل على ذلك عدم وصول تلك الأقاليم منذ سنين إلى الدرجة المطلوبة من العمران والتمدن وإنى لأرغب كل الرغبة فى تمدين هذه الأقاليم وعمرانها للقابلية والاستعداد المشهورين فيها . ولذلك قد لاحظت أن هذه الأمانى الخاصة لاتحصل إلا بقسم تلك الديار إلى أقسام يمكن أن يدير كل منها رجل واحد . فأولى حكمداراً قديراً ذا دراية على كل من تلك الأقسام فإذا اطلعتم على الحقيقة بوضوحها من البيانات السالفة فاعلموا أننا أصدرنا

أمرنا هذا كى تصرفوا مساعيكم وجهدكم فى تحقيق آمالنا المنتظر تحقيقها منكم ؟

[عابدين . المعية . دفتر ٥٣٧ (تركى) مكاتب فى صفحة ٥٦]

٥

إعادة الحكمدارية وتعيين جعفر صادق با حكمدارا للسودان — إرادة سنية إلى جعفر باشا حكمدار عموم السودان .

فى ٢٤ محرم ١٢٨٢ (١٩ يونية ١٨٦٥)

سبق أن قسمنا الأقاليم السودانية إلى ثلاثة أقسام ، وصدر أمرنا إليكم بتوليتكم حكمدارا لقسم التاكة وسواكن ومصوع ، ولكن حيث أننا فضلنا إدارتها بواسطة حكمدار واحد ، كما كان سابقا وثبت ذلك الترجيح بعدة وجوه — ونظراً لثبوت إخلاصهم واستقامتكم وكمال قدرتكم ودرايتكم لدينا ، قد أسندنا إليكم حكمدارية عموم السودان ونصبنا صاحب السعادة جعفر باشا مدير قنا سابقا وكيلا للحكمدارية . وبما أن إدارة مينائى سواكن ومصوع قد انضمت إلى حكومتنا كما هو معلوم لديكم قد رأينا تأسيس محافظة فى كل من كلتا الميناءين وعينا ممتاز أفندى المستخدم الآن فى جهة القنال ، بعد أن كان فى ضبطية مصر ، محافظا لمصوع ، وأسندنا إلى كليهما الرتبة الثانية ، وأصدرنا إليهما أمرنا القاضى بذلك . وقد أمرنا صاحب السعادة شريف باشا فى هذا التاريخ بأن يتفق معكم فى منصب وكيل لكل منهما برتبة البيكباشى وفى تعيين سائر الموظفين — فسارعوا إلى مقابلته لإبرام الشئون الواجب إنجازها واعلموا أنه قد تقرر أيضا إيفاد صاحب السعادة جعفر باشا وكيل الحكمدارية إلى جده لتسلم الميناءين المذكورتين مع ملحقاتهما ، وحررنا إليه وإلى صاحب السعادة شريف باشا وإلى حضرة الباشا صاحب الدولة والى جده بذلك وقد أصدرنا أمرنا هذا وأرسلناه إليكم كى تتموا أشغالكم بمصر وتعدوا لوازمكم فى أقرب وقت وتسارعوا إلى الحضور بمحل وظيفتكم وتسجلوا أنفسكم

بمرتب سلفكم وتجددوا اللازم فى تسجيل المحافظين المومى إليهما والموظفين الذين سيعينون جديدا وتعتنوا بتنظيم أشغال تلك الأقاليم ومصالحها كما هو مأمول منكم وتنظروا فى القضايا والدعاوى على الوجه الموافق وتديروها فى المحور اللائق ، وتحقوا حقوق عباد الله وتهتموا بعمران الأقاليم السودانية وتمدينها لاسيما جهات البحر الأبيض وتعتنوا بالتسهيل فى شئون تجارتها مع النظر فى توسيعها وعليكم أيضا بقمع الأحوال المخالفة وتوسلوا بالأسباب الحسنة والوسائل الممكنة فى تقرير الأمن العام وتأسيس الرفاه وإدامته وابذلوا همتكم وبجهودكم فى ذلك . أما وكيل الحكمدار سابقا وهو الآن موجود ثمة ـ فاستخدموه فى وظيفة أخرى إذا شئتم بقاؤه واستخدامه ، وأما الباشكاتب فافصلوه وعينوا مكانه رجلا مناسبا غيره ؟

[عابدين . المعية . دفتر ٥٣٧ (تركى) مكاتبة رقم ١ صفحة ٦٦]

٦

صورة فرمان صار تحريره باسم حضرة جعفر صادق باشا حكمدار السودان
فى ٢٤ محرم ١٢٨٢ (١٩ يونيه ١٨٦٥)

صدر هذا الفرمان المطاع الواجب له القبول والاتباع خطابا لحضرات العلماء والأعلام والقضاة والنواب والملوك وكبار الحلل والمشايخ والعشاير والوجوه والحكام بكافة أقاليم السودان تحيطون علما وتدركون فهما أنه لمناسبة انتقال موسى باشا الذى كان حكمدار عليكم إلى دار البقاء قد نصبنا بدله جعفر صادق باشا وجعلناه حكمدار على عموم وكافة جهات السودان بما الحق اليها من جهات مصوع وسواكن وهذا بناء على ما توسمناه فيه من القيام بشعائر هذه الوظيفة ومسعاه فيها بالصدق والاستقامة فى صالح المصلحة ومناظرة أحوال الرعايا بما يجب من حسن رعايتهم وحسن توطنهم والفصل فى شئون قضاياهم المدنية والجنائية بوجه الحق والإنصاف ومراعاة الأوامر

والقوانين واللوائح فيلزم أن تكونوا جميعكم معه يدا واحدة لتجرى الادارة والأحكام مجراها على منهج الحق والتقوى مع انقيادكم بتنفيذ أوامره ونواهيه الباعثة لحسن عماريتكم وتنجيز أحوال تكسبكم وتعيشكم واقدامكم أنتم والأهالى لطاعة الحكومة مع القيام بتنجيز المطاليب الميرية وأنت أيها الحكمدار عليك بالتقوى والتعضد بالحق الذى هو السنة الأقوى وعامل الناس بالعدل والانصاف وتجنب الجور والاعتساف واصرف همتك فى رؤية مصالح العباد وعمارية البلاد واعلم أن راحة العباد حمل على كاهل الحكام محمول وأن كل راع لم يراع جانب الحق فهو مؤاخذ ومسئول واجعل حركاتك بما تدعو اليه الأوامر واللوائح والقوانين فان ارادتنا جبلت على حب رعاية الرعية لأنهم وديعة رب البرية فلتعلموا جميعكم هذا وتعملوا به لزم إصداره والحذر من المخالفة ثم الحذر والعاقل من بغيره اعتبر .

(أمين سامى تقويم النيل وعصر اسماعيل باشا المجلد الثانى من الجزء الثالث صفحة ٦١٢ - ٦١٣)

٧

تعليمات إلى جعفر باشا صادق حكمدار السودان — إرادة سنية إلى حكمدار عموم السودان

فى ٢٢ ربيع أول ١٢٨٢ (١٥ أغسطس ١٨٦٥)

إن من أعظم الأدلة على وثوقنا واعتمادنا عليكم أن وليناكم حكمدارية الأقاليم السودانية التى هم أهم شأنا وأعظم خطراً وأنا موقن بانكم تعرفون أعمال وظيفتكم وتقومون بأحسن الخدمات باتباعكم أوامرنا أوآراءنا مقتفين العدل والإنصاف إذ يحملكم على ذلك ما اتصفتم به وجبلتم عليه من الأوصاف الحميدة كالإخلاص والدراية. فاعلموا إذاً أنكم مسئولون عن أعمال المديرين والموظفين

الذين ينتمون إلى إدارتكم وعما يترتب على أعمالهم من الخطأ والصواب كما أن عزلهم ونصبهم أو تبديلهم وتغييرهم أمر يرجع إلى رأى سعادتكم إلا أننا مع تفويضنا ذلك الأمر إليكم نريد أن نطلع على تفصيل أسباب ماتتخذونه من مثل هذه الإجراءات فيجب أن تطلعونا عليها وقدأصدرنا أمرنا هذا لتعلموا مقدار وثوقنا بكم وتسعوا فى القيام بأعمالكم سعيا بليغا وتصرفوا كل مافى استطاعتكم .

[عابدين المعية . دفتر ٥٣٧ (تركى) مكاتبة رقم ٧ صفحة ٧٠]

٨

تعليمات الى حكمدار السودان جعفر مظهر باشا — من المعية إلى حكمدار السودان (مظهر باشا)

فى ٢١ شعبان ١٢٨٢ [٩ يناير ١٨٦٦]

إن المساعى المنتجة والأعمال المشكورة التى وفقتم إلى القيام بها وفقا لمقاصدنا الخيرية فى مأموريتكم التى انتدبتم إليها أخيراً بعنوان (وكيل حكمدارية السودان) بناء على ماشوهد وعرف فيكم قديما من المقدرة والجدارة والإخلاص والاستقامة قد لاقت منا قبولا وتحبيذا وضاعفت ثقتنا بكم واعتمادنا عليكم أضعافا . ولما كان إصلاح الحال واستكمال أسباب المدنية والعمران فى إقليم السودان المتسع هو من أهم مانفكر به ونأمل تحقيقه منذ القدم . وكما أنه من المحقق لدنيا أنكم تبذلون الجهد فى هذا المشروع وتوفقون فى إنجازه بعون البارى وعنايته قد منحناكم رتبة الفريق الرفيعة وأقمناكم حكمداراً للأقاليم السودانية فهلموا إلى العمل ليلاونهاراً وتوسلوا بالأسباب المؤدية للإصلاحات والتنظيمات اللازمة الممكنة واعتنوا جيداً فى توسيع الزراعة والتجارة اللتين هما الأساس الأعظم للمدنية والعمران واكفلوا الأمن ورخاء العيش للأهالى

والسكان الذين هم وديعة الله وعاملوهم بالعدل والإنصاف وقوهم الغبن والضرر وضاعفوا بذلك سرورنا منكم ورضانا عنكم .

حاشية : قيدوا على اسمكم بديوان الحكمدارية المرتبات التى كانت لسلفكم أيضا حسب الأصول .

[عابدين . المعية دفتر ٥٥٨ (تركى) مكاتبة رقم ١٦ صفحة ٣٤]

٩

عقد استخدام السير صمويل بيكر

نص العقد المبرم بين سمو اسماعيل باشا خديو مصر والسير صمويل بيكر
(الاسكندرية ٢٧ مارس ١٨٦٩)

يتعهد السير صمويل بيكر بالدخول فى خدمة سمو اسماعيل باشا ، فيخدم الحكومة المصرية لمدة سنتين على الأقل . ابتداء من أول ابريل سنة ١٨٦٩ وتكون مهمته قيادة حملة غرضها ضم بلاد حوض النيل وافريقيا الوسطى إلى الأقطار المصرية .

وأول ماترمى إليه الحملة إعلان السيادة المصرية على بلاد النيل الأبيض التى تقطنها اليوم أمم متبربرة لاقوانين لها ولاحكومة ترعى الأمن فيها .

(٢) إلغاء النخاسة فى منطقة النيل الأبيض .

(٣) إدخال الوسائل المشروعة للتجارة التى تعود بالفائدة على مصر .

(٤) إنشاء الملاحة فى البحيرات الكبرى الواقعة فى خط الاستواء . وهى منابع النيل الرئيسية .

(٥) إنشاء خط من النقط العسكرية ابتداء من غندوكرو فى حوض النيل المتوسط تقع الواحدة على مسيرة ثلاثة أيام من الأخرى . وذلك ضماناً للاتصال بين أقصى نقطة . وقاعدة أعمال الحامية .

(٦) ضم الأراضى التى تمر بها هذه النقط العسكرية بعد إنشائها ، إلى أراضى الأمبراطورية المصرية فتمتد إذن هذه الأمبراطورية من منابع النيل إلى البحر الأبيض المتوسط .

وهكذا تكون مصر قد خطت بهذه الأمم الخطوة الأولى نحو الحضارة . هذه الأمم التى لن يتأتى للعالم منها أية فائدة مادامت مقيمة على حالتها الراهنة : فهى ستعيش فى عداء مستمر مع بعضها بعضاً ، وستكون حجر عثرة فى سبيل كل إصلاح ما دامت بعيدة عن النفوذ المصرى ، وطالما بقيت أبواب بلادها مغلقة فى وجه التجارة .

يوافق سمو اسماعيـــل باشا خديو مصر على أن يقدم للمدعو السير صمويل بيكر بصفته رئيساً لهذه الحملة مبلغاً قدره عشرة آلاف ليرة استرلينية سنوياً ، مضافاً إليها نفقات السفر .

ويوافق سمو اسماعيل باشا خديو مصر على أن يخلع على المدعو السير صمويل بيكر الرتبة الملائمة لهذه الرئاسة ، وعلى أن يخوله السلطة المطلقة — حتى فيما يتعلق بالحياة والموت — على أولئك الذين تتألف منهم الحملة التى أسندت رئاستها له . ويمنح كذلك نفس السلطة فى البلاد التى تقع فى جنوب خط عرض ١٤ شمالا وتدخل ضمن نطاق حوض النيل .

ويوافق سموه على أن يترك للمدعو صمويل بيكر مطلق التصرف فى إعداد كل ما يراه ضرورياً للحملة ، وكذلك فى الحصول عليه . ويتعهد سمو اسماعيل باشا أن تدفع الحكومة المصرية هذه النفقات .

يوافق سمو اسماعيل باشا خديو مصر على أن يتقدم للمدعو السير صمويل بيكر حسب طلبه الرجال ، والذخائر ، والمبانى وكل ما يجده السير صمويل بيكر ضرورياً للحملة .

وفى حالة وفاة السير صمويل بيكر خلال السنة الأولى من مهمته التى كلف بها فان الحكومة المصرية لن تحاول أن تنتقص شيئاً من المبلغ الذى عين له سنوياً بل ستعطى المقدار بأكمله لأرملته وورثته وللمشرفين على تركته .

وفى حالة وفاته فى بحر العام الثانى أو فى السنة التالية لتعهده فان الحكومة ستطبق نفس المبدأ . وستدفع المبلغ الذى تدين به للسير صمويل بيكر ثمناً لخدماته عن السنة الجارية برمته لأرملته وورثته .

وعلى السير صمويل بيكر أن يبدى كل مقدرة فى توجيه الحملة لصالح صاحب السمو اسماعيل باشا خديو مصر .

Abdin. Corresp fran. Doss. 72/1.f. 20922: Caire 15 avril 1869.

١٠

مهمة السير صمويل بيكر وسبب تعيينه ، مأمورا لالحاق أعالى النيل الأبيض بالممالك المصرية ».

من الجناب العالى إلى ناظر الداخلية

فى ٤ صفر ١٢٨٦ (١٦ مايو ١٨٦٩)

نظرا لوجوب إلحاق أعالى النيل الأبيض الذى يعد القسم الأكبر من النيل المبارك بالأقطار السودانية . ولوجود مناسبة بينهما فان الحكومة المصرية من القديم اتخذت لنفسها طريق التقدم الى الجهات العليا . وعلى ذلك تقرر تعيين صمويل بيكر بك الموظف بالحكومة الذى سبق له اكتشاف منبع النيل ولديه المعلومات الكافية عن تلك الجهات . مأمورا لإلحاق أعالى النيل الأبيض بالممالك المصرية . وإرساله إلى تلك الجهة وسيعطى له جيش

مكون من ٨٠٠ جندى من الجنود النظامية ، ٥٠٠ من الجنود السودانية النظامية ، ٢٠٠ من الجنود الشايقية حيث يكون مجموعه ١٥٠٠ وسيعطى أيضا ١٤ مدفعا جبليا بطوبجيتها وكافة لوازمها وحيث أن المذكور سيقوم بتعيين عشرة مراكز تجارية وعسكرية فى أعالى النيل الأبيض ، وإقامة جنود فيها بحسب تقديره ، وتعيين ضباط من رتبة الصاغ وسيعين بكباشيان للعساكر النظامية وميرالاى واحد لتسلم قيادة الجند جميعا ، وسيعين رئيس وبلوكباشى وما إلى ذلك للجنود الشايقية لإدارة أمورهم وقيادتهم منهم ويسمون ضباط ، وحيث أن الجنود النظامية الذين سيكونون فى هذا السفر وجميع الضباط سيكونون فى السودان فى حالة حرب من جهة أخرى ، فقد تقرر اضافة مبلغ مناسب على العلاوة المقررة على مرتبات الجنود الموجودين فى السودان ، وحيث أن بيكر بك سيكون القائد المفوض للجنود المذكورين والمدير المفوض للأراضى التى سيضمها للبلاد السودانية ، وبما أن الإدارة ستكون وفقا للنظم العسكرية وقوانينها فانه له الحق فى ترقية العساكر والضباط الذين معيته لغاية رتبة قول أغاسى وذلك إذا رأى أن واحدا منهم ذا كفاية ويستحق الترقية إلى رتبة أعلى وذلك بعد العرض علينا لغاية رتبة قول أغاسى والإستحصال منا على الإرادة . حيث أنه لا يستطيع منح الرتب من تلقاء نفسه كما أنه فى حالة ارتكاب جنحة فهو مرخص له بتوقيع الجزاء القانونى حتى أنه مفوض منا فى الإعدام بالرصاص بدون استئذان منا لوجود حالة الحرب . إنما يشترط عقد مجلس عسكرى إذا لزم الحال بمجازاة أحد واستصدار حكم يقدره المجلس توفيقا للقانون العسكرى وتنفيذه وسيكون فى معيته ابن أخيه بصفته ياور حربى بمرتب سنوى قدره ٥٠٠ جنيها وطبيب انجليزى بمرتب ٤٠٠ جنيها سنويا كما أنه سيرفق به ثلاثة من ضباط الجيش المصرى بصفة ياوران حربيين . ونظرا لوجود بيكر بك من ضمن موظفى الحكومة فكل الأراضى التى يضع يده عليها ويحتلها وكذلك

وكذلك الأراضى التى يصل إليها الجيش الذى تحت قيادته ستكون من الأراضى المملوكة للحكومة والمتصرف فيها ولذلك نأمركم بإعداد اللوازمات والمعدات السفرية وإكمالها وإرسال المذكور إلى جهات النيل الأبيض .

[عابدين . المعية . دفتر ٥٧٣ (تركى) مكاتبة رقم ٥٦ صفحة ٢١٧]

١١

تعليمات إلى السير صمويل بيكر

فبراير ١٨٧٢

عزيزى السير صمويل

لقد تلقيت التقرير الذى أرسلتموه إلى بتاريخ ٨ أكتوبر الخاص بحالة الاسماعيلية : تلك المدينة التى وصلتم إليها بعد رحلة شاقة استغرقت ما يزيد على خمسة أشهر . وقبل أن أجيبكم على ما وجهتموه إلى من أسئلة ، وقبل أن أحيطكم علما بآرائى عن الحالة الراهنة ، أرفع إليكم تهانئى لنجاح رحلتكم وللجهود التى بذلتموها للتغلب على العوائق التى اعترضت سبيلكم ووضعتها الطبيعة نفسها فى طريقكم .

ثم اننى لأبدى لكم رضاى عن شجاعة الجند الذين هم تحت إمرتك وعن صبرهم على المشاق : أولئك الجند الذين كان عليهم أن يفسحوا طريقا لأنفسهم وسط المستنقعات فى الوقت الذى يجرون به مركبا بخاريا وزوارق محملة بالأثقال .

ولما كان واجب الضابط الأول هو إطاعة رئيسه ، فاننى سأستدعى رؤوف بك الذى تبدون التذمر والشكوى منه . ومع ذلك فاننى لن أنسى عند الحكم على سلوك هذا الضابط أن أنوه بالمشاق التى تحملها ، والحرمان الذى قاساه ولن أنسى أيضا أنه ساعد جنده على أن يتحملوا كل شىء حتى قلة الغذاء ،

إذ أنكم بناء على ما تقولون ، كنتم تفتقرون إلى الذرة واضطررتم أن تبعثوا بمن يجلب لكم كميات منها من الخرطوم . وسأرسل ضابطا آخر ليحل محله .

لقد اقترب الميعاد الذى كنت قد حددته للعقاد (النخاس الشهير) للانسحاب من السودان والكف عن التجارة التى يمارسها فى تلك البلاد . وإنكم ترون من الخير أن تضموا رجاله إلى قواتكم بل أن تستبدلوا بكل قواتكم رجالا من عصابات العقاد باعتبارهم أجلد على المشاق وأطوع لإقليم البلاد ، ولكن رأيى يختلف عن رأيكم فى هذا الشأن . فإن مهمتكم هى نشر السلام فى البلاد وتهيئة السبل لتقدمها ورائدكم التوفيق بين أهاليها والبيض ممن كان غرضهم الأول عند دخولها قتل الأهلين وسلب أموالهم واستعبادهم . وانى لم أدفع المبالغ الجسيمة إلى العقاد ولمن كانوا يمارسون هذه التجارة ، أو بالاحرى أعمال اللصوصية ، لكى تظهر حكومتى فى مظهر اللصوص عند القبائل الوطنية ! . فإذا ما رأى الأهالى رجال العقاد تحت إمرتكم تصوروا بالضرورة أن الحالة لم تتغير ، وأنكم بدلا من أن تنشروا الأمن والطمأنينة وتقيموا السكينة والنظام بينهم ، تكونون قد جئتم مثل النخاسين ، وأنتم أشد منهم بأسا ومراسا ، لتسلبوا الأذرة والمواشى ، وتسترقوا الاهالى أنفسهم فعليكم بالضد ، أن تبذلوا الجهد فى أن تظهروا لرؤساء القبائل الفرق بينكم وبين النخاسين . فذلك أمر جوهرى ، يجب ألا يغرب عن بالكم ، واستخلص من تقريركم - مع الاسف - إذا أحسنت فهمه ، أن ما ينقصكم من مؤونة الذرة ، قد ألجأكم الى اصطناع القوة للحصول على حاجتكم منها إذ رفض الأهالى بالطبع أن يزودوكم بها ، لأنهم خلطوا بين الرجال الذين تقودونهم وبين أولئك الذين ما فتئوا ينهبونهم ، مهما شق هذا النقص على رجال ، يركبون الصعاب . فمن المؤسف أن يكون أول أثر لهذا النقص أن تصطدموا مع الأهالى وتظهروا مهمتكم بمظهر يختلف كل الاختلاف عن مظهرها الحق .

إننى أعلق أهمية كبرى على الأثر الذى عليكم أن تتركوه لأول مرة فى نفوس هؤلاء الأقوام المتوحشين الذين نعمل جاهدين لكى نستميلهم إلينا. وهكذا أجد نفسى منساقاً لإبداء آرائى الشخصية التى أرجوك أن تسير وفقها: وهى كالآتى :

لقد هبطتم بلاداً جميلة خطيبة ، وتحيط بكم قبائل تأخذها الريبة وتناصبكم العداء ، بما كان من أعمال النخاسة السابقة ، وهى الأعمال التى تهدف مهمتكم إلى القضاء عليها . وإن مواصلاتكم مع الخرطوم طويلة شاقة ؛ فنى هذه الحال أرى أنه لن يكون من الحيطة أن تتوغلوا فى البلاد ، تاركين وراءكم قبائل لم تسكنوا ثائرتهم ولم تستعيدوا اطمئنانهم . قفوا فى غندكورو ؛ وتحصنوا وابدءوا مهمتكم ، متخذين كافة الوسائل ، لتطلعوا رؤساء القبائل عليها واحتكروا التجارة كما تقترحون وأنا أوصيكم بذلك لا لأنى أميل إلى الاحتكار ، ولكن لأن الاحتكار له ما يبرره فى هذه الحالة ؛ فهو ضرورى لإقصاء التجار الذين يستخدمون العبيد كوسيلة من وسائل المقايضة ، على أنى أريدكم أن تحتكروها احتكاراً ينطوى على السماحة ، وسرعان ما تصلون إلى إقامة مصلحة شرعية محل مصلحة غير شرعية بين أولئك الأهالى . وأود أن تطلعونى على مواد التبادل التى تهم الأهالى فى المقام الأول .

إن لديكم انجلبتوم Inglebathom ، وأظن أن مهندساً واحداً لا يكفى فسأوفد آخر ، ليخدم تحت إمرتكم ، فاستخدموهما فى اتخاذ الوسائل المؤدية إلى تسهيل المواصلات مع الخرطوم .

أنتم ذوو حول عند قبائل البارى ؛ فكونوا كذلك عادلين معهم ، فيطمئنوا إليكم ولا يلبثوا أن يتعلموا ما جئتم لتلقنوهم إياه . إن هذا العمل الخلق والمادى سيستغرق زمناً طويلا لا أعلم مداه ، ولكنكم إذا قطعتم فيه مرحلة معينة ، فانكم تكونون بلا شك قد فتحتم طريقاً سهلا إلى البحيرات وهى على

بعد مائة ميل منكم أو أكثر ، دون أن تنتقلوا من غندكورو . إنى أرسل لكم بوضوح الخطة التى أريدكم أن تسيروا عليها ، وأترك إليكم ولذكائكم استنباط وسيلة تحقيق هذا الهدف . وعلى الجملة لا تتقدموا بل علّموا واستقروا ، واستجلبوا الأهالى إليكم ، فاذا تم لكم ذلك فتقدموا .

مهما تبسطت فى هذا الشأن فلن أكون مغالياً ، لأنكم ترون بنفسكم الحالة المعنوية السائدة على القوة التى تقودونها ؛ فقد تحملت المتاعب والجوع ، والحرمان تحملا يثير الإعجاب . لقد تبعتكم ولكنكم اليوم آخذون فى فقد سيطرتكم عليها ، فإذا تمثل رجال نال منهم الضعف فكرة التحمل لمتاعب جديدة ، فقد يدفعهم ذلك إلى اليأس ، وإذا تصوروا أنهم سيقيمون زمناً ما فى بلد خصب ، ردت إليهم عزيمتهم .

من المحال الاستعاضة عن رجال هذه القوة برجال العقاد المغامرين وذلك للاسباب التى بينتها ، وإن تغيير الكولونيل سيعيد الطاعة والنظام إلى صفوفهم لأنه سيبرهن لهم عن مبلغ تأييدى لكم فى مهمتكم .

أما استدعاؤهم لإرسال قوة جديدة بدلا منهم ، فإنه سيثبط عزائم القوة الجديدة قبل وصولها إلى بلاد البارى . فاستبقوا رجالكم ، ودعوهم لينالوا قسطهم من الراحة ، تجدونهم يخضون لمعاونتكم إذ آن أوان التقدم ؛ لذلك يجب عليكم من جميع النواحى ، أن تقفوا تقدمكم ، ليمكنكم فيما بعد أن تدركوا الهدف على وجه أسهل وأوكد .

إنكم تودون أن تجددوا مدة خدمتكم سنة أخرى ، وبكل سرور تجدنى موافقاً على ذلك . وسأصدر أوامرى بما يفيد ذلك . ولقد اقترحتم على أن يكون حفيدكم خلفاً لكم ومما لاشك فيه أن التجربة التى اكتسبها تحت إمرتكم لهى أكبر تزكية له فى نظرى . وإن فكرة فتح أبواب إفريقيــة للعلم ،

والتجارة والعمران لهى فكرة عظيمة حقا بل إن تأثرى بها كان كبيرا حتى إنى أرى من الضرورى أن آخذ جانب الحيطة والتبصر عند اختيارى أولئك الذين سيحققونها . وبناء على ذلك فانى لا أستطيع فى الوقت الحاضر أن أجيبكم بصدد هذه المسألة . ولكننى سأضعها قيد البحث .

وتفضلوا بقبول أطيب عواطفى .

(Abdin. Corresp. franc. Doss 72/1 f. 20918 Le Caire—février 1872)

١٢

تعيين اسماعيل أيوب باشا مديرا عاما لأقاليم قبلى السودان

فى ٣ جمادى الآخرة ١٢٨٩ (٨ أغسطس ١٨٧٢)

بناء على صداقتكم ولياقتكم المعلومة والمسلمة قد وجهنا إليكم رتبة اللواء الرفيعة وعيناكم مديرا عاما لأقاليم قبلى السودان ، وحيث أن تلك المديريات المحالة إليكم صالحة ومستعدة للتمدن والعمران من كل الوجوه فبناء عليه يجب أن تبادروا بتعليم وتلقين أهاليها أصول الزراعة والفلاحة وتأهيلهم بالتدريج للتمدن والعمران ، وحيث أن رؤية وتسوية أمور ومصالح العباد فى دائرة الحق والعدالة ورفاهيتهم وحضارتهم وراحتهم من مقتضى إرادتنا فبناء عليه يجب أن تبذلوا أقصى الجهد فى هذه المهمة لتحققوا آمالنا المعهودة فيكم ومزيد توجهاتنا نحوكم ولذلك أصدرنا لكم أمرنا هذا .

[أمين سامى . تقويم النيل وعصر اسماعيل باشا .
المجلد الثانى من الجزء الثالث . صفحة ١٠١٠] .

١٣

تعليمات الخديو إلى الكولونيل غردون مأمور خط الاستواء

من إسماعيل إلى غردون .

فى ١٦ فبراير سنة ١٨٧٤

أود ، وأنتم على أهبة الرحيل إلى الأقاليم التى وليتكم عليها أن ألفت نظركم بصفة خاصة إلى المسائل التى حدثتكم عنها من قبل .

إن الأقاليم التى ستتولون تنظيمها وإدارتها هى مناطق مجهولة . وكان يستغلها إلى العهد الأخير بعض مغامرين يتجرون بالعاج إلى جانب اتجارهم بالرقيق ، متوسلين — كما تعلمون — بإنشاء مراكز تجارية (أو زرائب) ، يستخدمون فيها رجالا مسلحين ، ويمارسون أعمال المبادلة بالوسائل القهرية مع القبائل المجاورة . ومن عدة سنوات — أيام لم تكن هذه الأقاليم قد ألحقت بحكمدارية السودان — رأت حكومتى لزاماً عليها الاستيلاء على (زرائب) هؤلاء التجار ، لقاء تعويض عنها للقضاء على هذه التجارة الوحشية وغير المشروعة .

وقد غادر بعض هؤلاء الرؤساء البلاد ، بينما رخصت حكومتى للبعض الآخر — بناء على طلبهم — بالمضى فى ممارسة التجارة ، بشروط معينة وتحت إشراف حكومة الخرطوم ، وذلك بعد أن تعهدوا بالإقلاع عن الاتجار بالرقيق ، غير أن إشراف حكومة الخرطوم كان بالضرورة ضعيفاً فى هذه الأقطار النائية ، ذات المواصلات الصعبة ، ولا سيما أنه فرض على جماعات لم تكن تعترف فى ذلك العهد لسلطان أى قانون . وقد حملتنى هذه الحال طبعاً على فصل هذه الأقاليم عن الخرطوم من الناحية الإدارية مع اعطائها إدارة ذاتية ، وتقرير إحتكار التجارة فيها ، ولعمرى كان ذلك الإجراء الوسيلة

المجدية الوحيدة للقضاء على عادات يرجع عهدها إلى مئات السنين وإلغاء تجارة عمادها السلاح شأنها شأن اللصوصية تماماً .

لذلك كان أول واجب عليكم ، العناية التامة بنهج هذا السبيل ، وإنى أعود فأقول : إن هذه الوسيلة هى الوسيلة الوحيدة فى بادىء الأمر للقضاء على تجارة وحشية كهذه ، فمتى زالت عادة النهب وقطع الطريق ، أمكن ممارسة التجارة الحرة بلا خطر .

وعلاوة على تنفيذ الإحتكار التجارى ، سيكون عليكم الاهتمام بأمر العصابات الباقية فى البلاد . إن قسما من رجالها قد اختنق ، ولكن هناك قسما آخر لايزال باقيا . ويلزمكم فيما أرى ، أن تقبلوا خدمات رجاله والانتفاع بهم وفقاً لطبائعهم فى الأعمال التى يصلحون لها إذا رضوا بنبذ مهنتهم والخضوع لكم . وعليكم تطبيق القوانين العسكرية فى كامل شدتها على من تسول له نفسه المضى فى تجارته ، والمداومة على أعمال النهب بطريقة سافرة أو خفية ، فهؤلاء يجب ألا يلقوا عندكم رحمة أو شفقة ، فقد آن الأوان أن يعلم الجميع هناك أن فرق اللون لا يحول البشر إلى سلعة ، وأن الحياة والحرية مقدستان وأرجو منكم أن تتجنبوا الوقوع فى الخطأ الذى سبق أن وقع فيه غيركم فكان له عواقب وخيمة ، تحاولون اليوم علاجها ، أعنى نقص المؤن ، فقد اعتمدوا على القبائل المجاورة ، غير حافلين بطول المسافات وبصعوبة المواصلات مع الخرطوم ، وأهملوا الزراعة فاضطروا أخيراً إلى الإستيلاء على محصولات الذرة من قبائل كان عليهم أن يشيعوا بين ظهرانيها الثقة والطمأنينة ويكونوا لها مثلا يحتذى ، لذلك زالت الثقة فلابد من إعادتها .

إن التزود بالمؤن من الخرطوم أمر صعب المنال . ولكن لكم الخيار فى أن تحلوا فى أى مكان يبدو لكم صالحاً لهذا الغرض . ويتضح لى أن موقع غندكورو — وهو سهل وسط بلاد قاحلة — ليس موقعاً حسناً . فإذا نقلتم

محل إقامتكم الرئيسية إلى الجنوب فنى استطاعتكم هناك أن تكفوا أنفسكم بسولة دون أن تحتاجوا لمعونة أحد . فعليكم إذاً أن تقيموا فى مكان تصلح فيه الأرض للزراعة وتنتج .

وستهيء لكم هذه الأعمال الزراعية ، فرصة لإستخدام الوطنيين الذين لايزالون فى الزرائب ، ممن ضبطوا عند تجار الرقيق . أما الذين ينتمون إلى القبائل المجاورة ويريدون الرجوع إليها ويمكنهم الوصول إلى بلادهم بدون خطر ، فيجب الترخيص لهم بالعودة ، ولا أفتأ أوصى بأنه إذا كان السفر يعرضهم للخطر لصعوبة المواصلات وتهديد القبائل المعادية ، فان هؤلاء يجب استخدامهم فى الأعمال الزراعية وفى إنشاء المواصلات التى أرجو أن يكون لها المقام الأول من عنايتكم ، إذ آمل أن تضعوا مشروعاً كاملا للمواصلات لتيسير التعامل بين هذه الأقاليم والخرطوم . إن طريق النيل هو الطريق الطبيعى ، ولكنكم ستتبينون أن الملاحة متعذرة فى جزء طوله نحو سبعين ميلا ، بسبب التيارات السريعة الناشئة من الجنادل ، فعليكم أن تبحثوا أمر هذه التيارات ، وأن تبلغونى الحل الذى ترونه أقرب منالا لإنشاء المواصلات

والمسألة الأخيرة التى يبقى على تناولها ، تختص بعلاقتنا مع رؤساء القبائل الضاربة على شواطىء البحيرات . ووصيتى الوحيدة فى هذا الشأن ، أن تتجنبوا كل عمل يخيفهم وينفرهم فيجب أن تعملوا ما استطعتم على كسب ثقتهم ، وطلباً لهذه الغاية ، يلزمكم أن تحترموا بلادهم ، وتستميلوا الرؤساء بالهدايا ، وتبذلوا الجهد فى المحافظة على الأمن بين القبائل ، بما تكسبونه ولا شك من بالغ النفوذ . وعليكم أن تحاولوا منع الحروب التى يشنها الرؤساء بعضهم على بعض لصيد الرقيق ، ولكنى أوصيك فى هذا الشأن بأشد الحذر ، ففى البدء قد يكون من المحال منع الحروب بين القبائل منعاً باتاً . على أنه يجب الإحتراز من نزوع الظافرين إلى الفتك بأسراهم ماداموا لايستطيعون الاتجار بهم ،

هذا خطر أوجه نظركم إليه . ويقتضى على الأخص أن تصطنعوا كل ماأوتيتم من لباقة وذكاء ، وهـذا هو السبب الذى يدعوكم بوجه خاص ، إلى السهر بنفسكم على استتباب الأمن بين هذه القبائل . وأوصيكم أن تتجنبوا الحلول محل رؤساء القبائل ومبـاشرة السلطة بدلا منهم ، بل يجب بالضد أن تباشروا السلطة بواسطتهم ، مما يسهل عليكم استمالة الرؤساء إليكم مع إلقـاء الهيبة فى نفوسهم .

ولا أظننى بحاجة إلى إضافة شىء إلى الآراء التى أبديتها ، وإنى لمعتمد كل الاعتماد على خلقكم وحنكتكم فى تنفيذها واستكمالها .

(Abdin. Corresp. fran. Doss 71/ 3f8047.)

١٤

تعيين غردون مأموراً على خط الاستواء .

أمر كريم إلى عزتلو قولونيل غردون مأمور جهة خط الاستواء

فى ٢ محرم ١٢٩١ (١٩ فبراير ١٨٧٤)

أمر كريم منطوقه أنه بحسب الشهود فيكم من اللياقة والأهلية قد عيناكم مأموراً على جهة خط الاستواء التابعة للحـكومة وصار فرز هذه الجهة من تبعية حكمدارية السودان وصارت قائمة بنفسها غير تابعة الحـكمدارية انما كافة لوازماتها التى يقتضى الحال لتداركها من طرف الحـكمدارية هذى يجرى تداركها بمعرفة الحـكمدار وصرف ثمنها من طرفه مقابلة محاسبة المالية بذلك كما أمرنا الحكمدار المومى إليه بأمرنا الصادر له فى تاريخه ومرسول لكم طى هذا لتوصيله إليه عن يدكم وبما أن أمور التجارة فى ذاك الطرف هى يد واحدة يقتضى أن الذى تتحصلوا عليه من تلك الجهات من أنواع التجارة بعد صرف كفاية مرتبات العساكر والتعيينات ترسلوه إلى حكمدار السودان لقبوله من أصل

مايصرفه من أثمان اللوازمات التى تطلبوها وعند وصولكم الآن لتلك الجهات واختباركم أحوالها تجروا ترتيبها بحسبما يترآى لكم وتستحسنوه سواكان بأجعال مديريتين أو أجعال أقسام أو نحو ذلك مما يتوصل به انتظام الجهات المذكورة واستعدادها مع معاملة أهاليها بالرفق ولين الجانب والتأليف والمراعاة لما فيه عماريتهم وترغيبهم وتشويقهم على العمارية ودخولهم فى سلك الإنسانية شيئا فشيئا وهكذا ممايلزم إجراه على حسب التعليمات التى أعطيت لكم بالفرنساوى وهاهو موجودهناك رؤوف بك قومندان العساكر الموجودة بذاك الطرف وتحرر له أمر من طرفنا ومرسول طيه لتوصيله له بمعرفتكم وأمرناه به أن يكون هو والعساكر تحت أمركم فيما يجب إجراه فى صالح المصلحة ولو أن المومى إليه ومامعه من العساكر صار لهم مدة زايدة فى تلك الجهات ولذلك منظور فى إرسال خلافهم من هذا الطرف لتغييرهم لكنه فى مسافة إرسال البدل يكون المومى إليه والعساكر منقادين لأوامركم حسب أصول وقوانين الجهادية وعلى هذا وماهو منظور لنا منكم من حسن الغيرة والأهلية مؤملين الاستحصال على مافيه عمارية جهات خط الاستوى المحكى عنها وراحة أهاليها وحسن توطينهم وتأليفهم على الدخول فى مسلك الإنسانية شىء فشىء كما هو مطلوبنا .

[عابدين . المعية . دفتر ١٩٤٨ (أوامر عربى) مكاتبة رقم ٩١ صفحة ٤٧]

١٥

أسباب تعيين غردون مأمورا لمديرية خط الاستواء

أمر كريم إلى حكمدارية السودان (إلى اسماعيل أيوب باشا)

فى ٢ محرم ١٢٩١ (١٩ فبراير ١٨٧٤)

أمر كريم منطوقه حيث أنه من مقتضى إرادتنا اجرى الوسايط والاسباب

الموصلة للحصول على ما فيه إدخال جهات خط الاستوى التابعة للحكومة فى
تلك العمارية وانتظام أحوالها وتقدم وتأليف أهاليها وسكانها شيئا فشيئاً
ولذلك سبق تشكيل مديرية مخصوصة إليها كما حررتم لمعيتنا عن ذلك غير أنه
بالنظر لكون تلك الجهات فى نقط مستبعدة ونلاحظ أنه يشق عليكم نوعا
ملاحظتها وقتياً فلهذا قد صار انتخاب وتعيين القولنيل غردون بوظيفة مأمور
خط استوى لما هو معلوم فيه من حسن الإدارة الموصلة بالنتايج المرغوب
فى عمارته تلك الجهات وحسن توطيد أهاليها بحيث أن هذه المأمورية تكون
قائمة بنفسها خارجة عن إدارة الحكمدارية وحساباتها وأوراقها تتعلق بالمالية
بدون واسطة الحكمدارية وفقط يلزم عليكم مراعاة تنجيز وتدارك
لوازماتها وطلباتها أول بأول وكلما يقتضى الحال لمشترى وتدارك مأكولات
أو مهمات وغيره من المعتاد إرساله إلى ذاك الطرف فبمعرفة الحكمدارية
يجرى تداركه وصرف ثمنه مقابلة قيده فى العهد وما يرد من تلك الجهات
من الأصناف المعتاد توريدها على ذمة الميرى مثل سن الفيل أو ريش النعام
أو غيره يجرى قبوله بالحكمدارية بالخصم من المفيد بالعهد وفى آخر السنة
ينظر لمقدار ما صرف على تلك المأمورية وبعد استيفاء وخصم ما يكون
ورد منها من تلك الأصناف فاذا ظهر باقى للحكمدارية يحسب من الإيرادات
المقررة على السودان . وإذا ظهر فايض يجرى ضمه وعلاوته على ايراد
السودان ويتقدم بذلك حساب واضح البيان للمالية لمراجعته بها حسب
الأصول هذا مع بقاء العساكر وقومنداتهم الموجودين هناك والحالة هذه
تحت إدارة القولونيل غوردون المأمور المومى إليه حتى ينظر فيما بعد فى
تغييرهم بخلافهم كما أمرنا رؤوف بك قومندان العساكر المذكورة بما ذكر
وأصدرنا أمرنا هذا لكم للاجرى بمقتضاه .

(عابدين . المعية . دفتر ١٩٤٨ - أوامر عربى - مكاتبة رقم ١١ صفحة ٤٤)

١٦

تعليمات إلى غردون باشا بخصوص معاهـدة الصومال

أمر كريم إلى غوردون باشا حكمدار الأقاليم السودانية .

فى ١٦ صفر ١٢٩٤ (أول مارس ١٨٧٧)

أمر كريم منطوقه بما أن جهات بربرة وزيلع وتجره وحكمدارية هرر هم من ضمن سواحل البحر الأحمر التابعين حكومتنا وهناك مناسبات وارتباط كلى لانضمامهم على حكمداريتكم لحسن تمشية إدارة السواحل المذكورة على الوجه المطلوب فقد اقتضت إرادتنا إحالة تتبع الجهات المذكورة تحت إدارتكم وتكون من إجراءاتهم وإراداتهم ومصروفاتهم وتقديم حساباتهم لعموم الحكمدارية كباقى جهات الإدارة وحيث أنه موجود بمديرية هرر رؤوف باشا من ضابطان العسكرية العظام حكمداراً عليها وفى زيلع أبو بكر باشا محافظا عليها وفى بربرة رضوان باشا من ضابطان البحرية ماموراً عليها ومحول إليها أيضا إدارة محافظة زيلع وجهة تجره فينبغى أن يكونوا هؤلاء المأمورون تحت إدارتكم كما صدرت لهم أوامرنا بذلك وإنه بحسب صالح المصلحة يخابروا جنابكم فى الأشغال التى تتعلق بالجهات المذكورة بما يؤدى لتسوية أمور إدارتها وعماريتها وتسهيل أحوال التجارة مع كمال الأمور التحفظية كما أنه جارى عقد اتفاق مجددا مع الحكومة الإنجليزية على امتداد وتوسيع حدود الحكومة الخديوية لحد رأس حافون وقريبا يتم وترسل صورته لطرفكم لاجرى ما يقتضيه الحال نحو ترتيب إدارة الحدود المذكورة مع ما يلزم لها من الأمور التحفظية بحسب موقعها فبهذه الواسطة مأمولنا القوى أنه بإحالة وتتبع هذه

الجهات تحت حكمداريتكم يكمل انتظامها وحسن سيرها وتقدمها على الوجه المطلوب ولزم إحاطتكم بذلك للمعلومية والاجرى بموجبه كما هو مطلوبنا .

حاشية : وبما أن الاتفاق المنوه عنه بحينه فإنه للآن لم يتم أمره وجارى فى المكالمة . (فمن) المقتضى عدم إشاعة ذلك من طرفكم لحين ما ينتهى الحال فيه ويرسل لجنابكم الاشعار عنه وبهكذا لزم التحشية .

(عابدين المعية . دفتر ١٨ (أوامر عربى) مكاتبة رقم ٣ صفحة ٨)

مجموعة ب

السياسة الوطنية أو « سودنة الوظائف »

١٧

خطاب الشيخ اسماعيل بن عبد الله إلى محمد على باشا

من اسماعيل بن عبدالله إلى حضرة صاحب الدولة العلية العثمانية (الخديو الأعظم)

فى ٤ ذى الحجة ١٢٥٤ [١٨ فبراير ١٨٣٩]

حضرة صاحب الدولة العلية العثمانية والمملكة البهية الخاقانية

من بسط على رعيته بساط الحمد والأمان وأفاض عليهم نهال العدل والإحسان وحمى حوزة الملة الحنيفية بأساء المعارك وأردى أعداء الدين فى مهاوى المهالك صاحب النصر والتمكن والعز والسعد المكين وهو الأمير الأعظم والنيسوب الأكرم مبيد الصفات والمشركين قامع شوكة الفجرة المتمردين ناصب صراط العدل المستقيم شمس فلك السعادة المشرقة على كل بارد خصيم سيد الوزرا مقصد الأمرا ملجأ الفقراء غياث الورى افندينا المؤيد المنصور ولى النعم افندينا الحاج محمد على باشا أيده الله تعالى آمين .

بعد مزيد السلام وأجل التحية والاكرام اللائق لجنابكم المعظم أما بعد : بلغنا خبر قدومكم بأرض جزيرة سنار وحمدنا الله بقدومكم وصحة سلامتكم وتأييد دولتكم ومرادنا القدوم إلى مواجهتكم السعيدة وطلعتكم البهية وحصل لنا عذر وجعلنا مكتوبنا نايبا عنا وإن سألت عن حالى فإنى رجل صاحب طريقة ودرس منقطع على باب الله فالحمد لله منذ قدموا أولادك أرض السودان حصلت لنا الراحة والاكرام التام وكل ذلك بسبب إقبالك واكرامك لأهل الدين وحفظ حرمهم ويرجون الله سبحانه وتعالى ثواب ذلك كله راجع لك ومنذ ملكك على بلاد السودان لم تخرج على خاطرنا متوجهين لك بالدعاء فى سائر الأوقات فى الصباح والمساء وإن شاء الله ببركة الدعاء يبلغك مقصودك وشرف علمكم كفاية السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

[عابدين. المعية . محفظة ٢٦٥ عابدين ملف متفرقات ١٢٥٤ الوثيقة العربية ١٥٤]

١٨

السودنة واستمالة الأهلين فى زيلع وتجره وبربره
من سعادة الحكمدار إلى محافظة سواحل البحر الأحمر
فى ٢٥ ربيع ثانى ١٢٨٧ (٢٥ يوليه ١٨٧٠)

خطاب من سعادته يوم تاريخه وردت لطرفنا إفادة سعادتكم الرقيمة فى ١٤ ربيع ثانى سنه ٨٧ نمرة ٤ عموم تستفهموا بها عن كيفية عدم التحاق بندر زيلع بجملة النواحى التى خارج باب المندب والحال فسنوضح لسعادتكم كيفية هذا البندر وما هو عليه من قديم الزمن لكمال المعلومية بطرف سعادتكم وهو أنه بمدة جنكمان (جنتمكان) أفندينا الكبير كان بندر زيلع بالتبعية إلى إمام اليمن من أعمال صنعاء وبمناسبة إحالة جهات الحجاز واليمن على الحكومة المصرية بذاك الوقت كان أحيل من ضمنهم على الحكومة أيضاً جهة سواكن ومصوع وأما بندر زيلع صار أخذه بذاك الوقت من إمام اليمن وبالأخير لما صار ترك جهة الحجاز واليمن إلى ولاية جده وانتزعوا من الحكومة المصرية فمن الجملة سواكن ومصوع وزيلع تركوا الى الولاية المذكورة وصاروا من ملحقات جهات الحجاز واليمن كما تعلموا سعادتكم أنه فى هذا العهد صار إعادة مصوع وسواكن إلى الحكومة الخديوية وبندر زيلع لم ذكر فى حقه شىء ولم كان صار طلبه مع سواكن ومصوع وفضل لغاية الآن ملتحق بقائمقامية اليمن التى مركزها الحديدة وصار إعطاء هذا البندر بالالتزام إلى عمدته الآن الشيخ أبو بكر (شحيمة) وموضوع به عساكر أهلية من طرف قائمقامية اليمن وبهذه المناسبة لم صار التعرض لالحاق هذا البندر إلى الحكومة الخديوية ضمن النواحى الخارجة عن باب المندب وهذا البندر كان ما بين ناحية تجرة وما بين مركز بربرة لكنه بسبب وقوعه بين تلك الناحيتين وجدنا أبو بكر شحيمة هو صاحب إدارة ونفوذ بتلك الجهة حولنا عليه

ملاحظة جهة بربرة (وتجره) ومساعدة وتأليف أهاليهم وإصلاح أحوالهم ومنع النفسانيات الحاصلة بينهم وبين عربان الجبال بتلك الجهات الذى من جملتهم عربان (زيلع) فإن كل بلد من تلك البلدان لها متانية وروابط مع قبائل العربان وأن أبو بكر المذكور حاصل منه غاية الاجتهاد فى حسن معاملة أهالى تجره وبربره وتأليفهم وتحبيبهم للحكومة الخديوية وأنه لم يزل باطنا ينتظر التحاق تلك أيضا ضمن تلك النواحى ودخوله تحت ظل الحكومة الخديوية وكان قد سبق الأعراض من طرفنا إلى الأعتاب الخديوية شفاهى ونحن بالمحروسة فى هذا الشأن وأيضا لما كان سبق منا الأعراض بفرز سواكن ومصوع ومديرية التاكا وتوابعهم مع تلك البلاد المستجدة لغاية حدود بربرة وجعلهم محافظة مستقلة كنا أعرضنا بالمكاتبة غير رسمى إلى الأعتاب الخديوية لأعمال الطريقة المستوجبة لأخذ بندر زيلع والتحاقه ضمن تلك النواحى إلى الحكومة الخديوية . ولم ندرى ماذا يستصوبه جناب الخديوى الأعظم فهذا هى واضحة الكيفية فى حق بندر زيلع فإذا يلزم مراعاة خاطر أبو بكر شحيمة وتلطيفه ببعض هدايا تشرى مثل أكم شمال كشمير وأكم طاقية مقصب وأكم دراع جوخ أحمر عال وأكم سجادة صايبة تقوم فى مقام ثلاثة كساوى وأربعة أو خمسة لتفريقهم على من يريد من أولاده وقاضى البلدة ومأمور العساكر المعينة معه من طرف اليمن وتجعلوه دائما أشبه بملاحظ من طرفكم على أهالى تجره وبربره المار ذكرهم لأن المذكور كان له عليهم التسلط والألفة وكانوا يميلون إليه بالكلية قبل التحاقهم بالحكومة الخديوية ولغاية الآن متشكرين منه وكل مايحصل بينهم بعض مشاكل يوسطوه فى حلها بالصلح والموافقة بينهم على هذا الوجه يصير مراعاته لحين مايظهر علامات من طرف المعية السنية فى التحاق هذا البندر ضمن تلك النواحى أو عدمه فلذلك لزم إيضاح هذه الكيفية لسعادتكم خاصة افندم ؟

[عابدين . المعين . دفتر ٣٩٢٤ وارد محافظة
سواحل البحر الأحمر رقم ٧٠ صفحة ٣٨]

١٩

تاريخ المجالس السودانية

من المعية السنية إلى المجلس الخصوصى

فى ٢٢ ذى القعدة ١٢٨٨ (٢ فبراير ١٨٧٢)

جواب للمستشار صورته ورد للمعية إفادة من مجلس الأحكام رقم ٢٧ الماضى نمرة ١٢ بأن جهة السودان كان موجود بها مجلس واحد وكانت قضاياه تتقدم للأحكام والآن وردت مكاتبة من حضرة الباشا مدير عموم قبلى أنفهم منها لغو ذلك المجلس وأن حضرة مدير التاكا غير معلوم إن كان صدر أمر بلغو مجلس السودان المحكى عنه أو تسميته باسم آخر كما أنه مهما علم من تشكيل مجالس لمديرية التاكا وبربر ومحافظات سواكن ومصوع ما فهم إن كان مديريات كردفان وعموم قبلى السودان ترتب لهما مجالس محلية أم لا. وإن كان ترتب للجميع مجلس استئناف أم كيف لآخر ما ذكر والحال أنه وإن كان لم يصدر أوامر خصوصية بلغو المجلس السالف ذكره غير أن وجوده كان قبل تبديل هيئة الأقاليم السودانية كما هو معلوم بالمجلس الخصوصى ولما صارت التشكيلات الجديدة وأجعالها جهات قايمة بنفسها ولغو الحكمدارية قد أشير بالأوامر فى وقتها أن كل جهة تعمل ترتيبها وتقدمه وفى غضون ذلك كان محافظ مصوع عمل ترتيب نمرة ٢ ثم أن مدير التاكا عمل أيضا ترتيب وقدمه للمعية وأرسل إلى المجلس الخصوصى بإفادة رقم ١٦ شوال سنة ٨٨ نمرة ٢٢ للنظر فيه كما أن مدير عموم قبلى السودان عمل ترتيبه وقدمه إلى المجلس المشار إليه وأرسل صورته للمعية مع إفادة رقم ٤ الماضى نمرة ١١ وإفادة أخرى فى ذلك التاريخ نمرة ١٢ بأنه لمناسبة لغو الحكدارية واستقلال المجلس البلدى قد أجرى رفت الذوات الذين كانوا بمجلس السودان ورتب

مجلس للخرطوم مركب من ريس وفق وكتاب وفراش موظفين وأن الأعضاء يكونوا من عمد ووجوه البندر يحضروا بأوقات اللزوم فبهذه المناسبة وما تورى من مجلس الأحكام عن وجود مجالس ببعض الجهات دون البعض وعن مجلس الاستئناف الذى قبل عنه صار هذا مما ينظر فيه بالمجلس الخصوصى وإن تحسن وجود مجلس بكل جهة واستئناف بالخرطوم على مجالس الجهات القريبة منه مثل جهات قبلى السودان وكردفان ودنقله وبربر عدا التاكا وسواكن ومصوع لمناسبة بعدهم عن الجهة المذكورة وقربهم لمصر يكونوا تابعين استئناف مصر أو غير ذلك فما يرى ويستصوب بأفكار المجلس الخصوصى فى هذا الشأن يصدر عنه القرار اللازم ويتقدم لعرضه على الأعتاب السنية بناء عليه اقتضى تحريره بما ذكر وهـــذا النطق السامى أفندم ؟

(عابدين . المعية . دفتر ١٨٥٢ معية عربى رقم ٢٩ صفحة ٧٣)

٢٠

تاريخ المجالس السودانية

صـــورة

قرار المجلس الخصوصى الصادر بتاريخ ٢٧ ذى الحجة ٨٨ (مارس ١٨٧٢)

قد ورد للمجلس إفادة من المعية السنية رقم ٢٢ القعدة سنة ٨٨ نمرة ٢٩ وكما علم من تلاوتها به أن من بعد أن كان موجود بجهة السودان مجلس واحد وكانت قضاياه تتقدم لمجلس الأحكام ظهر من مكاتبة وردت للأحكام من حضرة الباشا مدير عموم قبلى السودان أن ذلك المجلس صار لغوه كما أن حضرة مدير التاكة استفهم من الداخلية عن الجهة التى يتقدم إليها قضايا

المديرية ولهذا فالأحكام استعلم من المعية السنية عما إذا كان صدر أمر بلغو مجلس السودان المتقدم ذكره أو حصل تسميته باسم آخر وهكذا بالنظر لما علم له من تشكيل مجالس لمديريتى التاكة وبربر ومحافظتى سواكن ومصوع رغب الاستوضاح بأن كان ترتب مجالس محلية لمديريات كوردوفان وعموم قبلى السودان وترتب للجميع مجلس استئناف أم لا وقد توضح بإفادة المعية بأنه وإن كان لم يصدر أوامر خصوصية بلغو مجلس السودان إلا أن وجوده كان قبل تبديل هيئة الأقاليم السودانية وأن تشكيلها على الهيئة الجديدة وإجعالها جهات قائمة بنفسها ولغو الحكمدارية فالأوامر التى صدرت بوقتها عن هذه الخصوصيات أشير فيها بأن كل جهة تجرى أعمال وتقديم الترتيب اللازم وفى خلال ذلك كان عمل ترتيب محافظة مصوع وتقدم للداخلية كما أنه عمل ترتيب التاكة وبعد تقديمه للمعية تحول النظر فيه بالخصوصى وتقدم إليه أيضا ترتيب مديرية عموم قبلى السودان وأنه من الإفادة التى وردت للمعية من حضرة الباشا المومى إليه تبين أنه لمناسبة لغو الحكمدارية واستقلال المجلس البلدى قد أجرى رفت الذوات الذين كانوا بمجلس السودان ورتب مجلس للخرطوم مركب من رئيس ومفتى وكتاب وفراش وموظفين وأما الأعضاء يكونوا من عمد وجوه البندر يحضروا بأوقات اللزوم ولهذا ماتورى من مجلس الأحكام عن وجود مجالس ببعض الجهات دون البعض وعن مجلس الاستئناف الذى ذكر عنه قد صدر النطق السامى بإحالة النظر فى ذلك بالمجلس الخصوصى والذى يتراءى به سواء إن كان باستحسان وجود مجالس بكل جهة واستئناف بالخرطوم على مجلس الجهات القريبة منه مثل جهات قبلى السودان وكردفان ودنقلة وبربر عدا التاكة وسواكن ومصوع بمناسبة بعدهم عن تلك الجهة وقربهم لمصر يكونوا تابعين لاستئناف مصر أو غير ذلك فالذى يتراءى يصدر به القرار اللازم وكذا ورد للمجلس الخصوصى إفادة من الداخلية رقم ١٥ القعدة

سنه ٨٨ نمرة ١٠٠ ومعها مكاتبة واردة لها من مديرية كردفان رقم ٨ شوال سنة ٨٨ نمرة ٦ بأن قضايا المديرية المذكورة كان جارى تقديم ما ينتهى منها للحكمدارية ومن الحكمدارية يتحولوا على مجلس السودان ولمناسبة لغوهما وكون تلك المديرية صارت قائمة بذاتها قد رغب الاستوضاح عن الجهة التى تقدم اليها مايصير نهوه من قضاياها من الآن فصاعد . هذا وقد علم بالمجلس أيضاً من البوصلة الواردة من الداخلية بتاريخ ٢٠ القعدة سنة ٨٨ صدور الأوامر العلية بتخصيص مجلس لمديرية بربر من عمد أهاليها كباقى المديريات بالنسبة لفرزها من حكمدارية السودان وتشكيل ثلاثة مجالس محلية بمديرية التاكه ومحافظتى سواكن ومصوع مركبين من وجوه وعمد التجار الأهلية للنظر فى الدعاوى سواء إن كانت حقوقية أو جنائية أو مواد تجارية ومنهم مجلس التاكه وسواكن تعين لرياسة مجلس كل جهة منهما سر تجارها وتعين لرياسة مجلس مصوع أحد عمد التجار ولدى المذاكرة عن ذلك بالمجلس رؤى أنه من حيث مديريتى التاكه وبربر ترتب لكل منهما مجلس والمعلوم أن مديرية كردفان هى بماثلة مديرية التاكه ودنقله مثل بربر فمن الموافق أن ترتب بمديرية كردفان مجلس مثل مجلس مديرية التاكه ويترتب لدنقله مثل مجلس بربر وهكذا مديريتى الخرطوم وسنار وفيزوغلى يتعين بكل منهما مجلس مثل هؤلاء بحسب مايتراءى لحضرات المديرين والمحافظين بالنسبة لخفة أو كثرة الأشغال والقضايا يترتب للمجلس الذى توضح عنهم سواء ان كانوا الذين ترتبوا أو الذى قيل عن ترتيبهم كل مجلس كاتب أو اثنين بالماهيات التى ينظر موافقة ترتيبها وأما المجلس الذى ترتب بالخرطوم فحيث علم من الترتيب الذى ورد للمجلس الخصوصى من حضرة مدير قبلى سودان أن مقدار المرتب له يبلغ شهرى ٦١٢٥ قرشا ماهو الرئيس بـ ٢٥٠٠ قرشا ومفتى بـ ٢٥٠ قرشا وكتاب بـ ٣٣٠٠ قرشا وفراش بـ ٧٥ قرشا وأعضاء من عمد ووجوه البندر فقد استصوب إجعاله

مجلس استئناف ويكون مركزه بالخرطوم والسنار وهكذا على مجلس التاكه نظرا لقرب الخرطوم للتاكه عن مصر وأما محافظتى سواكن ومصوع فلمناسبة قربهما لمصر عن الخرطوم فيكونوا تابعين إلى مجلس استئناف مصر هذا الذى روى وبعرضه على المسامع الزكية إذا وافقه وصدر الأمر العالى باجراه فحين ذاك يرسل من مجلس الأحكام إلى المجالس المذكورة صور القوانين واللوائح والقرارات والأوامر الأساسية المتبع الإجرى بمقتضاها فى المجلس للعمل بموجبهم وهذا كما استقر عليه الرأى .

[عابدين . المعية دفتر ٧٨ وثيقة رقم ٦١ صفحة ٦٠]

٢١

تاريخ المجالس السودانية

من مديرية دنقله وبربر إلى المعية السنية

فى ٢٢ ربيع الأول ١٢٩٠ (٢٠ مايو ١٨٧٣)

جواب يذكر أنه لما كان ورد نسخة قرار الخصوصى الرقيم غرة صفر سنة ٨٩ نمرة ١٠٤ شرح الأحكام نمرة ٩ باستصواب استجداد مجالس بدنقلة والخرطوم وسنار وكردفان خلاف مجلسى بربر والخرطوم المرتبين من سابق بحيث يكون عليهم استئناف مجلس الخرطوم ومركزه بالجهة المذكورة فبالنظر لسابقة ترتيب مجلس بربر عموم على دنقله وبربر بمقتضى الترتيب الذى تقدم بمديرية دنقلة وبربر تطبيقا لما نص بالأمر العالى وسهولة إمكان نهو القضايا وعرضه بواسطة مجلس بربر لعدم تكليف الميرى بزيادة ماهيات نظير استجواز مجلس بدنقلة وما تلاحظ لما يتأتى من خدما الإستئناف المنوه عنه فى المستقبل وتأخير القضايا بالتباسهم بالأغراض النفسيةالمنهى عنها سيما

وأن ريسه المرتب به لا يعى شىء عن معنى استرضا وموافقة الأحكام وأيضا الأعضاء من التجار الغير معول على إئتمانهم واستقامتهم وإدراكهم فى الأحكام ومع ذلك فإجراءاتهم فى أيدى كتباه بما شاءوه . لأنهم من خدما تلك الجهات من العهد السابق ومتطبعين على المداخلات والأغراض فلهذا كان أعرض للأعتاب السنية فى ١٩ ربيع الثانى سنة ٨٩ نمرة ٢٠ وللأحكام نمرة ١٧ بالاستئذان عما إذاكان يكتفى الحال بمجلس بربر على عموم دنقله وبربر وعرض قضاياه للأحكام أو تقديمها لأحد مجالس الاستئناف البحرية وفى أثناء انتظار مايصدر به الأمر ورد إفادة الأحكام بالتصميم على استجداد مجلس بدنقله وتقديم قضاياه مع قضايا مجلس بربر لاستئناف الخرطوم وعلى مقتضاها جرى العمل إلا أنه ترامى له استمرار ذاك المجلس بالتجارى بما لا يقتضى مما يرى منه تأخيرات الأمور الباعثة لضرر الميرى والأهالى حيث فيه بعض أشخاص من خدما بربر سابقا كانوا من رؤس أشرارها فى سلب أموال الأهالى والميرى وتحيلاتهم اعتمادا على المداخلة بالرشاوى الذى استترها لأمثالهم وهم مصطفى سالم باشكاتب بربر وحمدان وهى ناظر قسم بربر ونعمان أغا حاكم ضبط وادى قمر المثبوت عليهم مبالغ كلية للميرى من الأهالى ومع تحصيل مبلغ ٣٠٠ كيسه وكسور فلا زال متأخر طرفهم مبالغ نقود أصناف مقتضى سدادها ولما وردت بعض قضاياهم لذاك المجلس ردها بمناقضات ومدافعات والظاهر أن ذلك لايمكن إلا من مداخلة الجانبين لضياع حقوق الميرى والأهالى حتى بهذه الكيفية صاروا يراسلوا الاستئناف باختراع التضررات لتنسيق ماسبق حتى وأنه قبل الاستوفى أصدر مكاتبة بالإفراج بالضمانات عن هؤلاء وشخص آخر له أسوة بهم يدعى الزين افندى ناظر قسم المتمه ببربر وابنهما ومصطفى سالم السالف ذكره مثبوت تداخلهم مع كاتب شون شندى سابقا فى تحرير رجعة على الشونه بورود غلال حاصل

فارغ مقابلة خصمه فى أثمان أبقار مديرية البحر الأبيض الذى تعاطوه من الأهالى ومن هذا القبيل ومايماثله ظاهر بالشونة المذكورة عجز واختلاس فاحش نحو عن ٣٩٦٣٠٨ قرشا وكسور وتحصل منه ١٣٦٥٧٦ قرشا وكسور والباقى جارى تحصيله وبطلب الضمان من المذكورين عجزوا عن حضورها وجارى المقتضى فى سداد المطلوب من كل منهم وأفاد الاستئناف بكيفيتهم ولكون الذى تلاحظ من الاستئناف فى أمر رجوع تلك القضايا مع وجهما ذكر والمكاتبة بالإفراج عن الجانبين ماهو إلا لقصد ضياع حقوق الميرى والأهالى وهو لايمكن السكوت فيرام صدور الأمر إما بتشكيل مجلس لعموم السودان يكون مركب من ريس وأعضا من أرباب الرتب والفطنة والدراية وتنظيم كتاب (جناين) بخلاف خدما الاستئناف ولو بتخصيص مايزيد من مربوط الاستئناف على ابعاديات المديريات كون لايخلو من وجود وفورات بها ويكون مركزه اما بشندى كون موجود بتلك الجهة اماكن برية متسعة ومستعدة أو بسواكن حيث يكون فى ذلك راحة لجميع السودان أو يصير قفل مجلس دنقلة وبربر واستئناف الخرطوم وعرض قضاياهم أما للأحكام أو لأحد استئنافات الوجه البحرى .

(عابدين . المعية ، دفتر ١٨٦٤ معية عربى رقم ١٦ صفحة ٧٣)

٢٢

تاريخ المجالس السودانية

صـــورة

قرار المجلس الخصوصى الصادر بتاريخ ٩ جمادى الثانية سنة ١٢٩٠ (٤ أغسطس ١٨٧٣)

قرار صورته أنه بعد أن صدر قرار من المجلس فى ١٠ صفر سنة ١٢٨٩ نمرة ١٠٤ بشأن ترتيب مجالس السودان وتدون فيه بأنه حيث محافظتى سواكن

ومصوع صوروا إدارة واحدة وحيث موجود بكل جهة منها مجلس مركب من وجوه وعمد التجار الأهلية فللسهولة على أرباب القضايا استنسب أن القضية التي تكون نظرت بأحدهما أول درجة ويستلزم استئنافها درجة ثانية بنوع الأبللو فتنظر فى المجلس الثانى إنما فى حالة رؤيتها يضم على أعضاء مجلس الجهة التي تستأنف بها اثنين من الأعضاء المنتخبين للدور الثانى بل دور الأعضاء الموجودين قد كانت وردت للمجلس إفادة من الأحكام فى ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٢٨٩ بنا على ما ورد إليه من جناب منزنجر بك بما يعلم منه أن مجلس مصوع ما حصل تشكيله كما أعرض للمعية السنية ومجلس سواكن صار الغاه وهذا لداعى عدم مفهومية الأعضاء بالأحكام وأنه ربما يحصل تعرض لأحد عند نظر قضيته لكونهم من أهالى البلدة وأنه غير موجود قضايا بكلتا الجهتين تستلزم تشكيل مجالس بهما وانه إذا حدثت قضية تجارية فهو ينظرها بنفسه بحضور عمد التجار وان أمكن فصلها يعطى الحكم فيها وإذا أمكن فيقدم جرنا لها لمحل الأعضاء وكذا باقى الدعاوى ينظرها بنفسه مراعاة لعدم تكليف الميرى بفتح مجالس هذا وللوقوف على ما انتهت عليه الحال فيما أعرضه حضرته منه للمعية حصل الاستفهام منها عما ذكر ووردت إفادتها فى ١٦ رجب سنة ٨٩ بأن مكاتبة جنابه تقضى عدم وجود دعاوى ولا مشاكل تجارية على الدوام تستلزم ترتيب مجلس مصوع وإن ترتيبه يستلزم تكليف الميرى بماهية كانت له وانه عند حدوث قضية أو مشكل تجارى يستوجب عقد مجلس يجرى عقده بحضور من كان يتخصص لرياسة المجلس المذكور وأعضائه وأنه صدر النطق العالى بموافقة ذلك وكتب لحضرته بالاجراء فتحرر لها ثانيا من المجلس فى شعبان سنة ١٢٨٩ بأن الذى أعرضه حضرته قاصر على عدم الاقتضاء لترتيب مجلس فى مصوع فقط وأورى ما يجريه فيما إذا حدثت قضية أو مشكل تجارى ولم يصرح عما يحصل فى نظر

المواد الجنائية الذى لا يخلو الحال من وقوعها ولا ما يحصل فيما إذا اقتضى الحال لرفع ابللو درجة ثانية على أى قضية مع أن أصل المقصود من تشكيل مجلس بكل من هاتين الجهتين ما هو إذا تحول رؤية قضاياهم على جهات مستبعدة واستسهال استئناف ما يقتضى استئنافه وأن مراعاة حضرته عدم تكليف الميرى بماهية الكاتب فهذا لا يوازى المشقة التى يكابدوها الدعاوى فيما إذا لم يحصل ترتيب المجلسين المحكى عنهما وكذا ما تلاحظ إليه بأن عدم ترتيبهما هو بناء على مراعاة التعرض لأحدما عند نظر قضيته فهذا يعارضه ما أوضحه منه أنه عند حدوث مشكل أو دعاوى تجارية بمصوع فمازال سيكون النظر فيها بمعرفة حضرته وعند حضور من كان تعين رئيسا لمجلس الجهة المذكورة وأعضائه وهؤلاء لم يخرجوا عن كونهم من الأهلين الذين توهم فيهم حضرته وقوع التعرض وأنه يعرض تفصيلات الكيفية واستحصال الأمر بما يتبع أوردت منها الافادة رقم ٢٨ ربيع ثان سنة ٨٩ بأنه بمقتضى الارادة السنية كانت تبعث مكاتبة المجلس لحينما يحضر البك المومى إليه وأنه بحضوره واطلاعه عليها قدم مذكرة بتوضيح الملحوظات المنظورة إليه وصدر النطق العالى بموافقة ما أبداه وإرسال ترجمة المذكرة للمجلس وقد وردت وتليت ووجد مذكور بها أن إلغا مجلس سواكن كأن بنا على أنه هو وبندر مصوع صارا مأموريةواحدة وأن توقيفه وترتيب مجلس بمصوع ما كان إلا بنا على قلة الدعاوى وعدم وجود أعضا خالين من الأغراض وأنه عند حدوث أى دعوى من الدعاوى من التجار بأن يجمع وجوه أهالى البندر ويعقد مجلس تحت رياسته للمداولة ويحكم فيها وأنه ليس مخالفا لترتيب مجالس دائما تكون مركبة من أشخاص أهل دراية وخالين من الأغراض وأنه إذ نظر لاتساع جهات المحافظة الآن يكون من المستصعب الاقتصار على مجلس واحد وأنه إذا كان المراد ترتيب مجالس فى بنادر الأقسام مثل مصوع وسواكن وكسله فيكون

هذا بكيفية ألا يخل فى ذلك دنكالى وبوغوص وكوفيت وتوكار لأن هذه الجهات تستدعى إجراء أحكام وقتية وترخيص للحكام فى اجراه وانه متى استصوب ترتيب مجلس أو مجالس بوقتها عند وصوله لجهة مصوع يرسل بيان ترتيب ذلك فتحرر من المجلس لجنابه فى ١٢ محرم سنة ٩٠ نمرة ٢ بأن الذى استنسب هو ترتيب مجلس فى كل من مصوع وسواكن وكسله لحصول السهولة على أرباب الدعاوى وأن يعمل ترتيب بحسبما يراه فى تشكيلهم وفى استئناف ما يقتضى استئنافه من الدعاوى درجة ثانية والآن وردت منه الإفادة فى ربيع أول سنة ٩٠ تشتمل على إجراء ترتيب مجلس فى كل من جهتى مصوع وسواكن ومديرية التاكة بالكيفية المشروحة أدناه وجارى نظر الدعاوى التى تتقدم لكل منهم وأن ما ينظر من الدعاوى بمديرية التاكه يجرى استئنافه بمجلس سواكن وما ينظر بمجلس سواكن يجرى استئنافه بمجلس مصوع وما ينظر بمجلس مصوع يجرى استئنافه بمجلس التاكه وأن المجالس المذكورة لا يكون لها مكاتبات مع الجهات بل كل منهم تكون مخاطبته بواسطة الجهة التى هو تابعا لها ولدى المذاكرة عن ذلك روى أنه وإن كان القرار السابق صدوره من المجلس فى ١٠ صفر سنة ٨٩ يقضى أن ما يلزم استئنافه بمجلس استئناف الخرطوم والقضايا التى يقتضى استئنافها من قضايا مجلس سواكن ومصوع فكل منهم يستأنف قضايا الآخر إنما بوقت الاستئناف عن أى قضية يضم على أعضاء مجلسها اثنين من الأعضاء الذى يكونوا منتخبين للدور الذى يلى دور الأعضاء الموجودين به وهذا إنما هو ينتظر لما كان معلوم حينذاك من أن أعضائهم الأهلين ويجرى انتخابهم بالمناوبة لكن حيث حضرة منزنجر بك استنسب أخيراً ترتيب الثلاثة مجالس المذكورة على حسب الهيئة والكيفية التى أوضحها وضرورة أن هذا ماهو إلا بحسب ما تراءى له موافقة أجراه بحسبما يناسب تشكيلهم باعتبار مواقع وأحوال تلك الجهات وقد

أوضح المومى إليه أن ما يقتضى استئنافه من القضايا التى تنظر بأحد الثلاثة مجالس المذكورة يكون استئنافها بمجلس آخر منهم فقد تراءى بالمجلس موافقة الإجرا على حسبما تراءى للمومى إليه كما ذكر كما أنه وإن كان لم يظهر منه إفادة حضرته أنه اجرا ترتيب كتاب لعمل الكتابة بالمجالس المذكورة مع أن لزوما فيه ترتيبهم لعملية الكتابة ولكون أن قرار الخصوصى السالف ذكره قد تدون فيه عن ترتيب كاتب أو اثنين لكل مجلس منهم بالماهيات التى يتراءى ترتيبهم بها فعلى هذا صار من المقتضى أنه بمعرفة حضرة البك المومى إليه نظير مايلزم ترتيبه الآن على وجه ماذكر بالقرار وبعمل الجدول اللازم بهم وبما يقتضى ترتيبه من الخدمة ويتقدم للمجلس الخصوصى للنظر فيه وبما أنه لم يظهر مما أفاد حضرته ان كان من حصل انتخابهم أعضا للمجالس المذكورة من الغير موظفين سيكونوا بالدور أوعلى فإذا كانوا بالدور فيتراعى أن الأجرا فى حالة استئناف أى قضية بأحدهم يضم على أعضاء مجلسها اثنين من الأعضاء الذى يكونوا منتخبين للدور الذى يلى دور الأعضا الذى يكونوا موجودين به على حسب مانص بالقرار المشار عنه هذا الذى روى وبعرضه وصدور الأمر بتنفيذه يجرى العمل بمقتضاه كما استقر عليه الرأى .

(عابدين . المعية . دفتر ٨٢ رقم ٢٥٩ صفحة ٣٢)

٢٣

تاريخ المجالس السودانية (مصوع وسواكن)

من المجلس الخصوصى إلى المعية السنية

فى ٤ ذى الحجة ١٢٩٠ (٢٣ يناير ١٨٧٤)

جواب لقد تحول على المجلس من المعية السنية مكاتبة فرنساوى مقدمة لها من حضرة منسنجر بك مدير عموم شرقى السودان ومحافظ سواكن وسواحل

البحر الأحمر ومعها ترجمتها عربى وهى تشتمل الأوجه التى تراءت إليه فى إجراءات الثلاثة مجالس السابق ترتيبهم لسواكن ومصوع والتاكا مع تشكيل مجلس استئناف بحيث يكون فى مركز حكومة الجهة ومركب من حاكم الجهة ووكيله ومساعد له وواحد من أعلى رتبة من ضابطان الجهادية الموجودين بتلك الجهة وشخص من مشايخ القبايل وواحد مفتى وقد تليت تلك الترجمة وبعد معلومية مااشتملت عليه وحصول المذاكرة فيه بالمجلس فبالنظر لما تعين من أنه النوعين الأول والثانى من مقتضاهما إبقاء الثلاثة مجالس السالف ذكرهم وعدم تجاوز تسلط كل منهم من دايرة حدوده فلم يتراءى مايمنع الإجراء على حسبما ذكر إذ هذا لم يخرج عن أصل المقصود فى ترتيبهم كما أن مانص بالوجه الثالث والوجه الرابع من أن يكون لهم الحكم فى القضايا المدنية والأولى أن يبتدىء فى تسوية القضايا شفاها بصفة قضاة مصالحه وإذا وقف أو امتنع أحد الأخصام عن تسوية القضية بطريق المصالحة فيعتبروا بصفة محاكم وتجرى التحقيق مكاتبة وتصدر أحكامها فى القضية وإذا تظلم المحكوم عليه يكون له الحق فى نظر قضيته بمجلس الاستئناف السالف ذكره فهذا لابأس من التجويز أيضاً باجراه مع تشكيل ذلك الاستئناف بالنظر يترتب على هذا وهذا من تشهيل ونهو مايستدرك نهوه من القضايا بنوع المصالحة وهذا ماقيل بالوجه الخامس من أن الثلاثة مجالس تحكم فى المواد الجنائية بشرط التصديق على أحكامها من الإستئناف مع ماذكر بالنوع السادس عن تقديم ملخصات إليه بجميع مايصدر منها من الأحكام لوضاحة الأسباب المبنية عليها تلك الأحكام فالاجراء على حسبما ذكر فى هذين النوعين لم يتراءى مايمنع حصوله وهكذا ماأوضحه حضرته من أن الدواير الغير موجود بها محاكم يكون لمأمور الجهة أن يحكم فى المواد المدنية شفاها باتحاده مع عمد وأعيان جهته وسيكون للمحكوم عليه الحق فى التظلم للاستئناف وأن يكون لذلك المأمور الحكم فيما

يتعلق بأمور الضبط والربط والجنايات الخفيفة لحد واحد وثلاثين يوم وتحقيق ما يتعلق بالجنايات الجسيمة وتقديم التقرير اللازم عنها للاستئناف وأن يقدم بواسطة حاكم الجهة بيان جميع ما يصدر منه من الأحكام أول بأول فالمتراءى أنه بالنظر لعدم وجود مجالس بتلك الدواير لا بأس من الاجراء بهم على هذا الوجه للحصول بذلك على الضبط والربط ونهو القضايا باوقاتها وهكذا ما نص بالبند السابع من أن ذاك الاستئناف يعتبر بصفة استئناف الا فى المواد المدنية لجميع الدواير الكافية بتلك الجهات وأن لا يعتبر فى المواد الجنائية بصفة استئناف للثلاثه مجالس السالف توضيحها وأنه فى الدواير الغير موجود بها مجالس يعتبر فيها بصفة مجلس ابتدائى فى المواد الجنائية وله تحقيق الجنايات الخفيفة شفاها ويحكم بالسجن لغاية سنة وفى مواد الجنايات الجسيمة يجرى التحقيق بالمكاتبة وله أن يميز بين الحالتين ليجرى التحقيق إما مشافهة وإما مكاتبة مع ماقيل بالوجه الثامن من أن يكون له الحكم فى جميع المواد حكما باتا قطعيا بلا استئناف وإنما عليه أن يخبر الحكومة بمحروسة مصر عن جميع اجراءاته بتقارير محتوية على ملخص جميع ما أجراه وعلى أن الأحكام التى تصدر منه بالقتل لا يمكن تنفيذها إلا بامر مخصوص يصدر من الحكومة بمصر فلو أن هذا لا يمكن بمناسبة ما هو جارى بالمجالس المحلية والاستئنافات ولا بالمطابقة لما كان صدر به قرار الخصوصى أخيرا فى ٩ جمادى الثانى سنة ٩٠ بتشكيل الثلاثة مجالس المذكورة وما يجرى فى استئناف ما يكن نظر باحدهم درجة أولى ويلزم الحال لإستئنافه درجة ثانية ولا لما كانت صدرت به افادة المجلس الخصوصى للاحكام فى ٢ شعبان سنة تاريخه بما يقتضى لزوم الاجراء بهم على مقتضى القواعد المتبعة فى إجراءات باقى المجالس إلا أنه بالنظر لاستجداد تشكيل المجالس بهذه الجهات وعدم سبق تعود أهاليهم على سير وإجراءات المجالس ومراعاة

للسهولة فى نهو القضايا بأوقاتها لا بأس من حصول الاجراء الآن بهم وبالاستئناف على حسبما أوراه البك المومى إليه مع الأخذ فى أسباب الإجراء على حسب الجارى باقى المجالس شيئا فشيء حتى يتمرنوا أولئك الأهالى عليها وينتظم سير وإجراءات المجالس المذكورة على الوجه الأتم وبناء عليه لزم تحرير هذا لسعادتكم للعرض عن ذلك للأعتاب الكريمة ومتى وافق ذلك الإرادة الخديوية وصـــدر الأمر بإجراء تبع الإجراء بمقتضاه والمكاتبة الفرنساوى وترجمتها من طيه وهذا ما روى .

(عابدين . دفتر ٣٠ جزء أول صادر الدواوين . المجلس الخصوصى . رقم ٣٤ صفحة ١٩٢)

٢٤

تاريخ المجالس السودانية (مصوع وسواكن والتاكا)

من المعية إلى مدير شرقى السودان ومحافظ سواحل البحر الأحمر

فى ١٨ ذى الحجة ١٢٩٠ (٦ فبراير ١٨٧٤)

أمر كريم منطوقه فيما تقدم أعرضتم لطرفنا تعريفة فرنساوى العبارة تشتمل على أوجه تراءت إليكم فى إجراءات الثلاثة مجالس السابق ترتيبهم لسواكن ومصوع والتاكا مما نظر لكم من لزوم تشكيل مجلس استئناف يكون فى مركز حكومة الجهة ومركب من حاكم الجهة أو وكيله ومساعد له وواحد من أعلا رتبة من ضابطان الجهادية الموجودين بتلك الجهة وشخص من مشايخ القبايل وواحد مفتى وبمقتضى ماتعلقت به إرادتنا كان تحول النظر فى ذلك المجلس الخصوصى والآن تقدم لدينا إنهى من مستشار المجلس رقم ٤ ذو الحجة سنة ٩٠ نمرة ٣٤ علمنا من أنه لدى المذاكرة بالمجلس فيما أوضحتو بالنظر لما تبين من أنه النوعين الأول والثانى من مقتضاها أبقى الثلاثة مجالس

السالف ذكرهم وعدم تجاوز تسلط كل منهم عن دايرة حدوده فلم يتراءى مايمنع الاجرا هكذا حيث ذلك لم يخرج من أصل المقصود فى ترتيبهم كما أن مانص بالوجه الثالث والوجه الرابع من أن يكون للمجالس المذكورة الحكم فى تسوية القضايا المدنية والأولى أن يبدوا فى نهاية القضايا شفاها بصفة قضاة مصالحة واذا توقف أو امتنع أحد الأخصام عن تسوية القضية بطريق المصالحة فيعتبروا بصفة محاكم ويجرى التحقيق مكاتبة وتصدر أحكامها القطعية وإذا تظلم المحكوم عليه يكون له الحق فى نظر قضيته بمجلس الاستئناف نظرا لما يترتب على هذا وهذا من تسهيل ونهو مايستدرك نهوه من القضايا بنوع المصالحة مع الاجرا أيضا حسبما قيل بالوجه الخامس والوجه السادس من أن الثلاثة مجالس تحكم فى المواد الجنائية بشرط التصديق على أحكامها من الاستئناف وأن يتقدم للاستئناف ملخصات من المجلس بجميع مايصدر منها من الأحكام بوضاحة الأسباب المبينة عليها تلك الأحكام كذا ماأوضحتوه من أن الدواير الغير موجود بها محاكم يكون لمأمور الجهة أن يحكم فى المواد المبينة المدنيـة شفاها باتحاده مع عمد وأعيان جهته ويكون للمحكوم عليه الحق فى التظلم للاستئناف وأن يكون لذلك المأمور الحق فيما يتعلق بأمور الضبط والربط والجنايات الخفيفة لحد واحد وثلاثين يوم مع تحقيق مايتعلق بالجنايات الجسيمة وتقديم التقرير اللازم عنها للاستئناف وأنه يقدم بواسطة حاكم الجهة بيان جميع مايصدر منه من الأحكام أول بأول وعن هذا تراءى أنه بالنظر لعدم وجود مجلس بتلك الدواير استنسب الاجرابهم كما توضح للحصول بذلك على الضبط والربط ونهو القضايا بأوقاتها وكذلك مانص بالبند السابع من أن مجلس الاستئناف يعتبر بصـفة استئناف فى المواد المدنيـة لجميع الدواير الـكائنة بتلك الجهات وأنه لايعتبر فى المواد الجنائية بصفة استئناف إلا للثلاثة مجالس السـالف توضيحها وأما الدواير الغير موجود بها المجلس يعتبر فيها

بصفة مجلس ابتدائى وله تحقيق الجنايات الخفيفة شفاها ويحكم بالسجن لغاية سنة وفى مواد الجنايات الجسيمة يجرى التحقيق بالمكاتبة وله أن يميز بين الحالتين ليجرى التحقيق إما مشافهة أو بالمكاتبة عما قيل بالوجه الثامن من أن يكون له الحكم فى جميع المواد حكما باتا قطعيا بلا استئناف وانما عليه أن يخبر الحكومة بمحروسة مصر عن اجراءاته بتقارير محتوية على ملخص ما أجراه وعلى أن الأحكام التى تصدر منه بالقتل لا يمكن تنفيذها إلا بأمر مخصوص يصدر من الحكومة بمصر وقد ترآى بالمجلس أنه ولو أنّ هذا لا يمكن بمناسبة ماهو جارى بالمجالس المحلية والاستئنافات ولا بالمطابقة لما كان صدر به قرار الخصوصى أخيراً ٩ جمادى الثانية سنة ٩٠ بتشكيل الثلاثة مجالس المار ذكرها وما يجرى فى استئناف ما يكن نظر بأحدهم درجة ويلزم الحال لاستئنافه درجة ثانية ولا لما كانت صدرت به إفادة المجلس الخصوصى للأحكام فى ٢ شعبان سنة ٩٠ بما يقتضى لزوم الاجراء بهم على مقتضى القواعد المتبعة فى اجرآت باقى المجالس إلا أنه بالنظر لاستجداد وتشكيل المجالس بهذه الجهات وعدم سبق تعود أهاليهم على سير واجرآت المجالس ومراعاة للسهولة فى نهو القضايا بأوقاتها لا بأس من حصول الاجرا الآن بهم وبالاستئناف على حسبما أوريتموه مع الأخذ فى أسباب الاجرا فيهم على حسب الجارى بباقى المجالس شيئا فشيء حتى يتمرنوا أولئك الأهالى عليها وينتظم سير واجرآت المجالس المذكورة على الوجه الأتم وحيث أن الذى رآه المجلس الخصوصى فى ذلك على وجه سلف توضيحه صادف لدينا موقع الاستحسان ووافق ارادتنا الاجرى على روحه فأصدرنا أمرنا لكم بذلك لتعلموه وتجروا نشره من طرفكم إلى مجالس مصوع وسواكن والتاكا ومن يلزم من مأمورين الجهات التى تحت إدارتكم للاجرى على مقتضاه وبمعرفتكم يجرى ما يلزم نحو تشكيل مجلس الاستئناف واتباع العمل فيه على وجهما سلف توضيحه كما أن التقارير

الذى ذكر عن تقديمها من هذا المجلس عن جميع اجرا آته بما فى ذلك القضايا التى تتعلق بالقتل وهذا يكون تقديمه إلى مجلس الأحكام وبتاريخه صار اشعار الداخلية ومجلس الأحكام من معيتنا بذلك وهذا كما اقتضته إرادتنا .

(عابدين . المعية دفتر ١٩٤٨ (أوامر عربى) رقم ١٢ صفحة ٤٩)

٢٥

عن إلياس افندى محمد بكردفان

من الحكمدار إلى المعية السنية فى ١٣ ذى الحجة ١٢٩١ (٢١ يناير ١٨٧٥) .

جواب يذكر أن سر تجار وريس مجلس كردفان المدعو إلياس افندى محمد أم برير من الناس المعتبرين بكردفان ونافذ الكلمة بين أهاليها ومن نفسه جهز ٣٠٠ نفر مسلحين من جماعته ورحلهم من طرفه بكافة لوازمهم وحضروا لمساعدة الحكومة كما أنه لما طلب أقمشة لملبوس العساكر وصرف استحقاقهم فبدون أن يعلم له ما يتم عليه الحال بينه وبين أهالى دارفور وسلطانهم بادر بتجهيز القدر التى طلب منه وأحضر وجارى مبيعها إليه مقابلة أحتساب أثمانها من ضمن ما له من ثمن الكساوى والاستحقاقات مع عدم وجود الراغب لأخذها وما زال موجود هو بنفسه فى دارفور مواظب مع جماعته فى خدمة الحكومة مع تقدمه فى السن بدون مقابل من أصحاب الثروة ونافذ الكلمة ان وافق يحسن عليه بعنوان الرتبة الثالثة ونيشان افتخارى مجيدى من الدرجة الثالثة نظير سبوق خدامته أولا وأخيرا وذلك بدون ماهية .

صدر له أمر عالى بتاريخ ٧ صفر نمرة ١١ (سنة ٩٢) وحفظ

[عابدين . المعية . دفتر ٥ معية عربى وارد الافادات رقم ١١ مرور صفحة ٦٠]

٢٦

عن محمد أحمد دفع الله بكردفان

من حكمدار السودان إلى المعية فى ١٣ ذى الحجة سنة ١٢٩١ (٢١ يناير سنة ١٨٧٥)

جواب يذكر أن واحد تاجر اسمه الشيخ أحمد محمد دفع الله من معتبرين أهالى كردفان مع كونه ليس صاحب ثروة جسيمة فإنه لحبه فى الوطن قد جهز ٣٥٠ نفر من جماعته وأعطاهم كامل لوازمهم ما عدا صنف البارود وشىء قليل من الأسلحة وأرسلهم فى هذه الدفعة لدارفور ولمساعدة العساكر وما زالوا موجودين بالفرقة التى مع الزبير باشا فى تعقب العصاة بدون ماهية ولا مقابل بل فقط لحصوله على الشرف ولذلك حصلت الممنونية والتشكر إليه وصار وعده بالمكانية لأنه لا بد من مكافأته فيروم الإحسان عليه بعنوان الرتبة الرابعة والنيشان المجيدى من الدرجة الخامسة بدون ماهية بل شرف فقط .

صدر له أمر عالى بتاريخ ٧ صفر نمرة ١١ وحفظ

[عابدين . المعية دفتر ٥ معية عربى
وارد الإفادات رقم ١٢ مرور]

٢٧

عن الخبير محمد إمام سر تجار دارفور

من حكمدارية السودان إلى المعية فى ١٣ ذى الحجة ١٢٩١ (٢١ يناير ١٨٧٥)

جواب يذكر أن الخبير محمد إمام سر تجار دارفور أصله من مديرية دنقله وفى العهد القديم كان جده حضر وأقام بدارفور حتى تناسل فصار من القريبين لأمير دارفور فرقته وذريته بالمثل حتى أن الخبير المذكور صار صاحب ثروة وتزوج بشقيقة أمير دارفور المتوفى المسمى السلطان ابراهيم ونافذ

الكلمة وله معرفة بكافة جهات دارفور ومتوظف بهذه الوظيفة من سابق وحمزة ومحمود الذين كان أرسلهم أمير دارفور هما إخوته ومع تقربه للامير المذكور فان قلبه مايل للحكومة الخديوية وأول من قابله بالفاشر بالامتثال والطاعة هو واجتهد فى استحضار الغلال وغيرها للعساكر ولما كان الزبير باشا بجهة جبل مرة فمع تعرض العصاة بالطريق كان جارى توصيل البوسطة من وإلى الزبير باشا بمعرفته ولما تجمعوا العصاة وأرادوا الهجوم على بلد تسمى كوبية التى هى مركز تجار دارفور مع أسيوط وأغلب أهاليها هم من مولودين أهالى أسيوط حضر المذكور ليلا وأخبر بالحاصل وبناء على أخباره صار قيام حسن حلمى بك ليلا بالعساكر وفى ثانى يوم هجموا عليهم العصاة زيادة عن ستة آلاف نفر وهزمتهم العساكر وقتل منهم نحو الستمائة نفر وفى اثناء المحاربة كان الخبير المذكور وأغلب جماعته متسلحين ومساعدين العساكر فى قتل وطرد العصاة وبعد اتمام ذلك ضيف العساكر بطرفه وصار تقديمه لهم المأكول والمشروب من منزله ومنازل جماعته وأكرمهم غاية ونهاية ولكون اجراءاته هذه تستلزم ممنونية منه فقد أخبره بما حصل لاخوته من اكرامهم ونزولهم بالمسافر خانه وعدم تعرض الحكومة لأمواله الذى وجدت معهم فازداد فرحا وسرورا كما أنه لكونه صاحب ثروة ونافذ الكلمة وتحققت صداقته وله معرفة بالقراءة والكتابة وله تعرف تام على أحوال أهالى دارفور استنسب أن يكون ريس مجالس دارفور المزمع تشكيله وسر تجارها ويحسن إليه بالرتبة الثانية والنشان المجيدى من الدرجة الثالثة وهذا عنوان شرف فقط بدون ماهية لزيادة اجتهاده وصداقته وراسل إفادة من حسن حلمى بك وإفادتين من الخبير المذكور لأجل النظر والعرض عما ذكر للاعتاب وإن وافق هذا الاستنساب يفاد .

صدر له أمر عالى بتاريخ ٧ صفر سنة ١٢٩٢ وحفظ

(عابدين . المعية . دفتره معيه عربى وارد الافادات مكاتبة رقم ١٠ مرور صفحة ٥٠)

مجموعة ج

مظاهر النشاط العمرانى فى السودان

١ ـ الأمن

٢٨

الأمن والسلام فى ربوع السودان

إرادة سنية إلى حكمدار السودان (جعفر باشا)

فى ٦ ربيع الثانى ١٢٨٣ (٢١ أغسطس ١٨٦٦)

لقد اطلعنا على خطابكم المؤرخ فى ٤ صفر سنة ٨٣ رقم ٣٤ الذى ذكرتم فيه: أن أحمد أبو شيبة أحد أشقياء جهات البحر الأبيض ، قد انقض على أهالى الدنكة والشلوك بنحو ٣٠٠ نفرا من أعوانه الأشقياء المسلحين ونهب مواشيهم وأسر عيالهم وأنه لما اقتفى أهالى الدنكة أثرهم ألفوهم قدباتوا فى مكان خطر فانقضوا عليهم بدورهم مع عربان النويرة وقتلوا أبو شيبه ونحو ٥٠ نفرا من أقاربه وجماعته . ثم لحقت بهم العساكر التى سيرت عليهم من المديرية . ففر الخيالة من الاشقياء واضطر المشاة منهم إلى التسليم، فسيقوا الى المديرية حيث سلموا إليها مع الرقيق والمواشى والأسلحة التى ضبطت مع الأشقياء .

ونوهتم بموقف المدير فى هذا الحادث وقلتم أنه عندما علم بقيام الأشقياء لغزو الشلوك لم يعمل على قطع الطريق عليهم ، كما انه عندما تلقى خبر سيرهم على الدنكة اكتفى بإرسال عدد قليل من العساكر وأن محمد عيسى ابن الفقى عيسى قد غزا الدنكاويين فى غرة محرم ، مع بعض اعوانه إلا أنه لم يقو على مقاومة العساكر الذين عينوا لحراسة الدنكاويين حيث هرب الخيالة من جماعته وسلم المشاة منهم ، وأن مدير البحر الأبيض جمع الرقيق الذى ضبط مع الشقى أبو شيبة والرقيق الذى ضبط مع محمد عيسى واتى بالمواشى والأشياء الأخرى التى صودرت مع فريق الأشقياء ، ووزع القليل منها على العساكر الذين ضبطوها بدون مقابل وباع الرقيق إلى الموظفين والعساكر الموجودين هناك الأمر الذى

أوجب عزله وتعيين وكيل المديرية مكانه .

إن أهم مانفكر فيه ، ونسعى إلى تحقيقه هو إدخال السودان بمافيه جهات البحر الأبيض فى دائرة المدنية والعمران ، كما هى الحالة فى اقاليم الحكومة الأخرى . ومع أن السودان لاإيراد له فى الوقت الحاضر ، فإننا لمجرد إدخاله فى هذه الطريق ورغبة فى إسعاد أهاليه قد أنشأنا مديرية البحر الأبيض التى كلفنا إنشاؤها الكثير من النفقات .

وبينما نحن نعمل على إنشاء مديريات اخرى ، فى الجهات العليا ونسعى لعمران تلك الأرجاء آملين انضواء الأهالى تحت لواء الحكومة إذا بالحوادث تقع عكس ما نرغب ونأمل . وهذا مايدعو الى الأسف الشديد الذى لا يمكننا أن نعبر عن مداه .

إن مدير البحر الأبيض لم ينظر إلى أن أهم واجباته هو حفظ الأمن فى تلك الجهة وقطع دابر الأشقياء والأشرار والسعى الدائم لعمران مديريته وإسعادها جاعلا ذلك نصب عينيه عاملا على تحقيقه .لم ينظر إلى أن واجب العمل يقضى على أمثاله الموظفين بأن يسعوا بكل الطرق الممكنة لاجتذاب قلوب الأهالى نحو الحكومة وجعلهم مطمئنين إليها .

إنه لم يعبأ بزحف الأشقياء على أهالى الشلوك وظل هذا شأنه عندما وصل إليه خبر تقدمهم من الدنكة ، حيث اكتفى بتسيير القليل من الجند ومعنى ذلك هو إلقاء هؤلاء الجنود بالتهلكة وايقاع الأهالى فى مخالب الاشقياء ولم يكتف بذلك أيضا .

فبينما الحكومة قد ألغت بيع الرقيق منذ مدة طويلة ، حتى أن الرقيق الذى يضبط مع الاوربيين تعتقه الحكومة وتعيده إلى الجهات التى تقرب من أوطانه الاصلية على نحو ماجاء بمكاتبتكم ، إذا بالمدير يخالف ذلك كل المخالفة ويقدم على بيع الرقيق الذى استرد من الاشقياء وفى ذلك مافيه من الاستهتار

بأوامر الحكومة ومن أجل ذلك يجب الا يكتفى بعزله وإنما يجب ان يرسل إلى فيزوغلى ليعتقل هناك ويستخدم بالاشغال الخسيسة ليكون عبرة للآخرين

اما الرقيق الذى باعه فيجب استرداده وإعادته إلى اوطانه بالراحة وإسكانه فيها واطلب ان تعملوا على عدم وقوع مثل هذه الحوادث المؤلمة مرة اخرى وان تحولوا دون تعدى الاشقياء والاشرار على الجهات التابعه لهذه المديرية هذا مع التوسل بالاسباب المؤدية إلى تمدين البلاد وعمرانها .

أما محمد عيسى الذى أغار على اهالى الشلوك فى الوقعة الثانية فأرسلوه إلى البحر الأبيض واستخدموه بالاشغال الشاقة مكبلا بالسلاسل . وتحروا عن الاشقياء الذين هربوا من أتباع الشقيين محمد عيسى وأبو شيبة والقوا القبض عليهم فى أقرب وقت وقوموا باجراء مايجب نحو الاشقياء الذين ألقى القبض عليهم والذين سيقبض عليهم .

ولبيان ماسبق ذكره وإخطاركم بالموافقة على تعيين وكيل المديرية الآنفة الذكر مكان المدير المعزول قد أصدرنا إليكم أمرنا هذا .

(عابدين . المعية . دفتر ٥٥٨ معية تركى رقم ٣٣ صفحة ٦٣)

٢٩

تأمين الحدود

أمر كريم إلى زبير بك مدير بحر الغزال فى ١١ محرم ١٢٩١ (٢٨ فبراير سنة ١٨٧٤) .

أمر كريم منطوقه أنه بناء على ماشوهد فيكم من حسن الغيرة والاجتهاد فى ضبط وربط أمور الحكومة التى تحت إدارتكم مع ماهو حاصل معكم من الدقة فى منع تداول واستعمال التجارة فى صنف الرقيق بالتطبيق لأوامرنا

العمومية التى صدرت فى هذا الخصوص ثم واجتهادكم أنتم ومن معكم من عساكر الحكومة التى تحت إدارتكم فى مقابلة العساكر التى حضرت من جهة دارفور بالمدافع والأسلحة للهجوم على حدود الحكومة ومحاربتكم وقد قاومتوهم حتى انهزم وتخلف منهم بعد الحرب واستوليتم على ما أخذتوه من الأسلحة والمدافع ونحوه كما علمنا تفصيلات هذه الواقعة مما ورد لمعيتنا من الباشا حكمدار السودان رقم ٢٢ ذو الحجة سنة ٩٠ كل هذا وقع عندنا موقع الاستحسان واستوجبتم على ذلك كسب الافتخار والممنونية من جهتنا إليكم وإلى الضابطان والعساكر الموجودين تحت إدارتكم واستحققتم بذلك ترفيع قدركم وعلو شأنكم ولهذا قد وجهنا لكم الرتبة الثانية وأرسلنا لكم فرمانها على يد الباشا حكمدار السودان لافتخاركم بها وتمييزكم بين الأقران والأمثال فينبغى بوصول أمرنا هذا إليكم ، تجمعوا العساكر والضابطان الموجودين بطرفكم وتتلوا عليهم أمرنا هذا حرفيا بعدأن تبلغوهم السلام مناجميعا وتفهموهم بأن مساعيهم الحسنة التى سارعوا فيها وأجروها فى هذه المحاربة أوجبت تشكرنا منهم وحسن الالتفات إليهم وأنهم فيما بذلوه واجتهدوا فيه من الحزم والسداد وحفظ شرف الحكومة وصيانة أطرافها ومقاومة وكسر اعدائها يكون هذا باعثا لكسب ممنونيتنا أضعاف ذلك وعليكم أيضا الملاحظة لهذا الأمر والقيام بمراعاة مايجب من الضبط والربط وحفظ وصيانة شرف الحكومة وأمنية الطرق واجرى مستوجبات عمارية الأهالى وانتظام أحوالهم ودخولهم فى سلك الانسانية لتنالوا بذلك زيادة الاعتبار وكمال الافتخار .

[عابدين . المعية . دفتر ١٩٤٨ (أوامر عربى) رقم ٩٧ صفحة ٥٣]

٣٠

تأمين الأهالى والعربان فى هرر

من المعية السنية إلى حكمدارية هرر وملحقاتها

فى ٩ ربيع الأول ١٢٩٣ (٤ ابريل ١٨٧٦)

منطوقه أنه من محرراتكم المؤرخة ٥ ذى الحجة سنة ٩٢ فهم أن قبايل عربان الجالا كانوا فى مدة أمير هرر معتادين على الانتفاع من المدينة بواسطة حضور جانب منهم فى كل شهر وإقامتهم فى المدينة بطرف الأهالى وإعطائهم مأكل ومشرب ونقود للمصروف وكل واحد ثمانية أذرع قماش والآن وقد امتنع ذلك وحيث أن الظاهر مما أوضحتوه أن الحاصل من العربان المذكورين هو بسبب انقطاع كسبهم وانتفاعهم المعتادين عليه من مدة الأمير ولهذا تلاحظ لدينا أنه لو صار استمالة قلوبهم وتأليفهم بكيفية توريتهم البشاشة والمعاملة بالرفق ولين الجانب وقبول مقداركم ألف منهم بقدر ما تستنسبوه وإجعالهم بصفة عساكر بحيث لا تعطى لهم أسلحة نارية من الحكومة بل يكونوا بآلاتهم المعتادين عليها مثل الحرب والنبال ونحو ذلك وترتب لهم إما ماهية أو قماش كما هم معتادين عليه وصرف مؤونة لهم وترتيب ماهية لمشايخهم أيضا فبالطبيعة أنهم متى علموا أن الحكومة مقصودها منفعتهم بواسطة إدخالهم فى خدامتها يحصل تأليفهم وإصلاح حالهم وتهذب أخلاقهم ويميلون إلى جانب الحكومة فقد أريناكم ملحوظاتنا بحسبما لاح بفكرنا بهذا الخصوص فيلزم أنكم تتدبروا فى ذلك أيضا والذى تستنسبوه سواء كان الأجرا بهذه الصورة أو بطريقة أخرى تعرضوا الطرفنا عنه ونهاية أفكارنا إنما هى تأسيس عمارية هذه الحكمداريه ووجود الأمن الكافى فيها وفى أطرافها وملحقاتها واستمالة أهاليها وكما أن الذى حصل منكم من الغيرة والحمية حسبما يليق بشرف العسكرية والاجتهاد فى الأمور المأمورين بها

وقع لدينا موقع الاستحسان والممنونية لتسكين أحوال العربان ودخولهم فى سلك الطاعة والإنقياد للحكومة وعمارية الجهات وتأمينها كما هو مطلوبنا .

حاشية : وحيث معلومكم أن جهات طرفكم مستجدة وأهاليها غير معتادين على الحركات والمناورات العسكرية بالنظر لعدم سبق مشاهدتهم إياها وربما أنكم أحيانا تطلعوا خارجا عن هرر بالعساكر لإجراء بعض تعليمات عسكرية وأولئك متى نظروا هذه الحالة يخطر ببالهم أنكم قاصدين ضرب بعض القبايل ومحاربتهم ويترتب على ذلك نفورهم فملاحظة لمنع الاشكالات التى تحدث من هذا القبيل يلزم اجتناب الخروج بالعساكر من هرر إلى مسافة بعيدة عنها بالكلية هذا ومن جهة ما جريتموه للجهادية بشأن العساكر الذى أرسلت لطرفكم مؤخرا مع التورية بأنهم متقدمين فى السن فاعلموا أنه يتعذر إرسال عساكر خلافهم من هدا الطرف بالكليه لجملة أسباب تمنع ذلك ومن الضرورى أنكم تتحصلوا بمعرفتكم على العساكر التى تلزم سواء كان بواسطة إلحاق من يوافق من الأهالى الذين وقعوا فى يدكم أسرى من المصادمات التى حصلت مع قبايل العربان أو من الرقيق الذى يجرى ضبطه عند وجوده عرضة للبيع بحيث إذا ماكان لكم أمنية فى ابقى العساكر الذى تستجلبوها بهذه الصوره لا بأس من إرسال كلما يمكنكم إرساله منهم لهنا بعد تعليمهم التعليمات الابتدائية ليرسل لكم بدلهم وعلى هذا فالكساوى التى تلزم لإلباس هؤلاء العساكر فيدوا عنها لترسل طرفكم ومرسول بوصله طى أمرنا هذا فتجروا العمل بمقتضاها .

(عابدين . المعية . دفتر ١٠ أوامر عربى . أمر كريم رقم ٥ صفحة ٣٣)

٢ — التعلـــــــــيم

٣١

انشاء مدرسة الخرطوم
من المعية السنية إلى حكمدار السودان
وإلى رفاعه بك
فى ١٧ رجب ١٢٦٦ (٢٩ مايو ١٨٥٠)

قد اطلعت على هذا القرار الصادر من المجلس الخصوصى فى ١٥ من رجب سنة ١٢٦٦ فنالى موافقتى على تنفيذ مقتضاه فنشعركم بوجوب المبادرة والاعتناء بالعمل بمقتضى القرار .

قرار المجلس الخصوصى

لما كانت الأقاليم السودانية من البلاد الجسيمة ولما يكن قد انشئت فى تلك الديار المتسعة مدرسة يربى فيها أولاد مشايخها وغيرهم من أهلها والأولاد الأتراك الذين ذهبوا إلى تلك الديار وتوطنوا بها منذ أعوام خلت وكذلك أحفادهم ليتعلموا فيها الفنون والقراءة والكتابة فيزدادوا ثقافة وفطانة ولما كان المجلس الخصوصى قد تشاور فى جلسته التى عقدها أخيراً فقرر أمر إنشاء مدرسة بتلك البلاد بغيــة إنقاذ أولادها من ظلمات الجهل وتنويرهم بأنوار المعارف بمقتضى مراحم الذات الخديوية والمكارم الآصفية التى شملت جميع الرعايا والبرايا قد قر الرأى على أن تفتح هذه المدرسة فى عاصمة الخرطوم وأن يكون نظامها موافقا لأصول المدارس المصرية وعلى نمط ترتيب مدرستى المبتديان والتجهيزية وأن يقبل ويسجل فيهـا نحو مائتين وخمسين غلاما من أولاد المشايخ والأهلين القاطنين بمديريات دنقله والخرطوم وسنار والتاكه وملحقاتها وكذلك من أولاد الأتراك الذين توطنوا بتلك الديار وأحفادهم وعلى أن يولى عليها ناظر ملم بأصول المدارس ليتمكن من ترتيبها كما ينبغى

وتنظيمها على أحسن وجه فاستحسن المجلس اختيار أمير الاى رفاعه بك الذى بديوان المدارس ناظرا للمدرسة المذكورة وإرساله الى تلك الديار وانتخاب المعلمين الذين تحتاج اليهم تلك المدرسة برأى البك المشار إليه وكتب إلى حضرة صاحب العزة الباشا مدير المدارس فى ٦ من رجب سنة ١٢٦٦ ورقم ١٦٦ بأن يبلغ رفاعه بك المشار إليه مهمته ويطلب إليه أن يشعر المجلس بالمعلمين الذين يصطفيهم وينتدبهم وأن يضع مشروعا يبين فيه مقدار المأكولات والملابس وسائر اللوازم التى تصرف لهذه المدرسة شهريا وسنويا على نحو الترتيبات المتبعة فى المدارس المصرية وأن يرسل هذا المشروع موضوعا على نهج مدرستى المبتديان والتجهيزية كما أسلفنا وقد أنبأنا حضرة المدير المشار إليه فى كتابه رقم ٧٢ المحرر فى ١٣ من رجب سنة ١٢٦٦ أن المعلمين اللازمين لتلك المدرسة قد انتخبوا من بين أكفاء الرجال وأنه قد وضع مشروع (ترتيب) بين فيه الموظفون الآخرون ومقادير الفرش والملابس والجرايات والمرتبات فرفع إلى الأعتاب فنال موافقة إرادة ولى النعم وإن الأشياء اللازمة للطلبة المذكورين التى جاء بيانها فى المشروع قد قدرت أثمانها على حسب أسعار القاهرة وإن على المعلمين الذين ذكرت أسماؤهم فى المشروع أن يقوموا بتدريس الطلبة وبمهمة الضبط والربط والوزان ووكيل الخرج والغسال والسقاء والطباخ وغيرهم من الخدم ينبغى انتدابهم من تلك الديار وان التلاميذ إذ يكونون مبتدئين عند دخولهم المدرسة فيستطيعون الدخول فى عداد تلاميذ التجهيزية فى ظرف ثلاث سنوات أو أربع فقد اعتبروا مبتدئين والحالة هذه وخصص لكل منهم مرتب شهرى قدره ستة قروش وقد أرسل الينا المشروع المذكور فاطلعنا عليه وتبين لنا أن مجموع نفقات المدرسة المذكورة السنويه تبلغ ثلاثمائة وثمانية وثلاثين ألفا وثلاثة وثلاثين قرشا وتسعا وثلاثين بارة ($\frac{٣٩}{٤٠}$ ٣٣٨٠٣٣) قرشا فوافق المجلس على تنفيذ مقتضى الترتيب المذكور وقرر استصدار أمر الى رفاعه بك المشار إليه بأن يستصحب حين يبلغه القرار الأحد عشر معلما والطبيب الذين انتدبوا

من هنا وذكرت أسماؤهم فى المشروع السالف ذكره فيسرع بهم إلى صوب مهمته ويبادر فى تأسيس المدرسة المذكورة وينظمها وفق المطلوب السامى عند وصوله إلى الخرطوم بعد أن يخابر حضرة الباشا حكمدار السودان وأن لا يألوا جهداً فى التأكيد على المعلمين وفى البحث والتحرى وأن لا تعد عيناه عن التلاميذ وأن يرغبهم فى العمل ويبذل همته فى سبيل تقدمهم فى اكتساب العلوم والمعارف وأمر إلى حضرة صاحب العزة الباشا مدير المدارس فى سباق نحو قيد البك المشار إليه وقيود المعلمين والطبيب الذين سبق ذكرهم من سجلات جهات استخدامهم ويرسل كشوف مرتباتهم وجراياتهم إلى حضرة صاحب السعادة حكمدار السودان ليقيدوا فى محال استخدامهم بتلك الديار جريا على الأصول وأمر إلى حضرة صاحب السعادة حكمدار السودان بأن يخصص محلا مناسباً للمدرسة المذكورة حين يصل البك المشار إليه إلى الخرطوم فيقيد البك المشار إليه والمعلمين والطبيب السالف ذكرهم بموجب الكشف الذى سيرسل من ديوان المدارس وأن يختار الخدم والموظفين الآخرين الوارد ذكرهم فى الترتيب من أهل تلك الديار وأن يقيد للمدرسة المذكورة بتشاور مع الناظر المشار إليه طلبة من أولاد مشايخ الجهات السابق ذكرها وأهليها من أولاد الأتراك المتوطنين بتلك الديار منذ قديم الزمان وأحفادهم على الوجه الذى أسلفنا كلما جاءوا حتى يبلغ عددهم مائتين وخمسين طالبا وأن يقيد طعامهم ولباسهم ومرتباتهم ولوازمهم الأخرى على الوجه الذى بين فى كتاب الترتيب ابتداء من تاريخ قدومهم ويحضرها ويصرفها لهم فى آونتها كما قرر (المجلس) إرسال صور من المشروع (الترتيب) المذكور إلى المشار إليهم طى هـذا القرار .

[عابدين . المعية . دفتر ١٩٥٨ قرارات المجلس الخصوصى . (تركى) رقم ٤ صفحة ١١٩ فصل المدارس] .

٣٢

صرف الرواتب والأرزاق للزوايا

من المعية إلى حكمدار السودان (موسى حمدى باشا)

في ٢٧ رمضان ١٢٨٠ (٧ مارس ١٨٦٤)

قد اطلعنا على المكاتبة العربية الواردة منكم رقم ٧ بتاريخ ١٨ رجب سنه ٨٠ التى تطلبون فيها ترتيب مرتب ٧٥ قرشاً وأردباً من الذرة شهرياً إلى الزاوية التى بناها الشيخ مصطفى ابراهيم الأصوانى أحد الفقراء المتوطنين فى بربر بناء على التماسه ترتيب مبلغ بصفة إعانة حيث أن تلك الزاوية محضرة لتعليم القرآن والعلوم الدينية وينتسب لها ٢٢ نفر لتلقى العلوم الشريفة والتى تذكرون فيها أن المساجد الشريفة الكبيرة الموجودة بالسودان مرتب لها مرتبات لغاية ٢٥٠ قرشاً وأربعة أرادب بصفة إحسان من الحكومة إعانة لها لمعيشة الفقراء وبما أن أملنا الوحيد هو قيام الشعب بتحصيل العلوم وتعلمها وصلاح حالهم ودخولهم إلى سبيل المدنية بتعلم القراءة والكتابة وحيث ان انشاء مثل هذه الزوايا والأعمال الخيرية مما يستوجب سرورنا نأمر بتوسيع زاوية الشيخ مصطفى ابراهيم وتجديد بنائها لتكون مثال الزوايا الأخرى التى بالسودان على نفقة الحكومة واحتساب المصاريف وخصمها من الإحسانات على جانب الديوان ، ونأمر ايضاً بصرف ٢٥٠ قرشاً شهرياً إلى ما شاء الله وكذلك صرف أربعة أرادب شهريا بصفة إحسان للزاوية المذكورة لفقراء الأهالى الذين سيقصدونها لتعلم القرآن والعلوم الشريفة أسوة بالمساجد الكبيرة فنأمركم بتنفيذ ذلك كما اننا نطلب منكم أن تبلغوا الشيخ مصطفى المذكور سرورنا وممنونيتنا منه وتطلبوا منه أن يعنى عناية كبيرة بتعليم القرآن وتدريس العلوم للاهالى فى مقابل هذا الالتفات السامى .

(عابدين . المعية دفتر ٥٢٩ معية تركى رقم ٢ صفحة ١١٧)

٣٣

نشر وتعليم أصول أحكام الشريعة والديانة فى الأقطار السودانية — من المعية إلى حكمدار السودان (جعفر مظهر باشا) .

فى ٥ شعبان ١٢٨٤ (٢ ديسمبر ١٨٦٧)

قد عرضنا على أعتاب ولى النعم إفادتكم المفصلة الواردة هذه المرة بتاريخ ٢٧ رجب سنة ٨٤ الوارد فيها : أنه بناء على أمر الجناب العالى الخاص بلزوم تشويق وترغيب الأشخاص المسلمين بعلوم الفقه والنحو من أهالى السودان فى الحضور إلى الجامع الأزهر وملازمتهم الإقامة فيه مدة سنتين أو ثلاث سنوات لتكميل علومهم وهذا لأجل نشر وتعليم أصول أحكام الشريعة والديانة فى الأقطار السودانية حيث أنه يندر وجود العلماء والفقهاء فيها . بناء على ذلك الأمر قد أحضرتم معكم هذه المرة نجلى المرحوم الشيخ عمر قاضى عموم مديرية (تاكة) السابق وذهبتم بهما إلى جامع الأزهر وحيث إعاشتهما برغيف واحد فقط الذى هو المرتب الوحيد لطلاب الجامع المذكور سيؤدى إلى نفورهما كما أنه سيوجب كسر رغبة أمثالهما فى المجىء إلى مصر لذلك رأيتم من اللائق تخصيص مرتب يومى بمبلغ قرشين لكل منهما ليكون مداداً لمعيشتهما . وحيث أن الجناب العالى وإن كان وافق على تخصيص مرتب يومى بمبلغ قرشين لكل من الشخصين المذكورين حسب التماسكم إلا أنه أصدر نطقه الكريم بلزوم صرف هذه اليوميات من إيرادات الأقاليم السودانية . بناء عليه قد حررنا هذه الإفادة وأرسلناها إلى طرفكم لتبادروا إلى مخابرة نظارة الداخلية بخصوص إجراء اللازم فى هذا الباب .

[عابدين . المعية . دفتر ٥٧٦ معية تركى رقم ٤ صفحة ١٥]

٣٤

تلاميذ المدارس الأميرية وانتشار المعارف بالسودان

من : الجناب العالى

إلى : حكمدار السودان (جعفر مظهر باشا)

فى ١٨ ربيع الآخر ١٢٨٧ [١٨ يوليه ١٨٧٠]

أمر منطوقه لقد علم لدينا من إفادة سعادتكم المؤرخة ١٤ ربيع الأول سنة ٧٨ نمرة ١ أن تلاميذ المدارس الأميرية التى بمراكز مديريات السودان تقدموا فى الكتابة والقراءة حتى أن بعضهم ألحق بعملية التلغراف والبعض استحصل على الكتابة الديوانية والبعض جارى تعليمه فن الهندسة ولمناسبة أن الماهيات المرتبة لكل من الخوجات — مايتين وخمسين قرش مكفى والنظار فيهم لغاية خمسماية قرش وتكرر منهم التماس مكافآتهم على خدماتهم فلهذا وكونهم الجميع يستحقوا الزيادة فقد أوعدتم بها واستحسنتم أن تكون العلاوة للخوجات من ثلاثماية قرش لغاية خمسماية قرش بحسب استعداد ووظايف كل منهم ومائة قرش على ماهيات النظار وأردب واحد ذرة لكل من الخوجات والنظار لبذل مجهودهم والتفاتهم لأداء وظايفهم لآخر ما فى الإفادة وقد حصل لنا غاية الممنونية من أولئك التلامذة لما يستلزم على هذا من انتشار المعارف بالجهات السودانية وانتظام أهاليها فى سلك التمدن كما هو أقصى آمال الحضرة الخديوية . وعلمنا أن هذا ناشىء عن حسن مساعيكم الخيرية . وبذل مجهود الخوجات فى حركة التعليم وقيام النظار بأداء واجبات الضبط والربط وحيث أنهم بهذا صاروا يستحقوا المكافأة على حسن صنيعهم فقد وافق لدينا ما استحسنتموه من علاوة المائة قرش شهرى على ماهية كل من النظار واجعال ماهية الخوجات من ثلاثماية قرش إلى خمسماية قرش بحسبما تروه فى استعداد كل منهم ووظيفته مع ترتيب وصرف الأردب أذرة

فى كل شهر لكل من النظار والخوجات المذكورين ومع هذا يصير تفهيمهم بأننا مسرورين من قبلهم وانهم إذا استداموا على ما هم عليه من حالة الاجتهاد وصرف الأفكار فى التعليمات ما زال تحصل لهم المكافأة وحسن الالتفات ولهذا لزم اصداره لسعادتكم للمعلومية والاجرى .

من اسكندرية

[عابدين . المعية دفتر ١٩٢٣ (أوامر عربى) رقم ٢ صفحة ٦]

٣ - القضاء على الرق والنخاسة

٣٥

مكافحة الرق والنخاسة

من الجناب العالى إلى مدير عموم قبلى السودان (اسماعيل أيوب باشا)

فى ٢٠ ربيع أول ١٢٩٠ (١٨ مايو ١٨٧٣)

أمر كريم منطوقه أنه على ما صدرت به أوامر وتنبيهات الحكومة مكرراً بالتأكيد والتشديد فى منع وإبطال التجارة فى صنف الرقيق وحصول الملاحظة والدقة فى ذلك من ساير مأمورى الحكومة قد تبالغ لنا أنه وإن كان حاصل المراعية لهذا الأمر وصار استغلال استعمال التجارة فيه غير أنه بالنظر لاتساع جهات الأقاليم السودانية وكثرة الطرق بالمسالك المعتاد المرور منها لم يزل حاصل فى بعض الجهات استعمال التجارة فى الصنف المذكور وحيث كما تعلموا أن إبطال التجارة فى هذا الصنف هى من المسائل المهمة اللازم الاعتنا الزايد وصرف الغيرة من كل طرف للحصول على نتيجة منع وإبطال التجارة فى هذا الصنف بالكلية فيقتضى زيادة الدقة منكم ومن ساير المأمورين والحكام الذى تحت إمارتكم بالملاحظة لذلك وقتياً بحيث إذا كان يتصادف دخول رقيق فى حدود الجهات التى تحت إدارتكم يجب عليكم بالحال اخراج وإطلاق ذلك الرقيق وإعطاه أوراق الحرية المعلومة من الحكومة وإذا كان أحداً منهم يرغب فى توصيله وعودته إلى بلاده فتجروا سفريته وتوصيله بمعرفتكم إلى آخر حدود الحكومة فقط بحيث أن هذا يكون مع التحقيق لكم عن إمكان دخوله الى أهله بدون أن يتمكن أحدا من اعادته بصفه رقيق تارة أخرى وأما الذين لا يمكنهم العودة الى بلادهم أو أنهم لا يريدون العودة إليها فتجروا استعمالهم فى أشغال الزراعة والحراثة ومن يكون منهم صغير السن ذكوراً كان أو إناث تجروا الحاقهم بالمكاتب للتعليم والبنات

القابلة للزواج يجرى زواجهم لمن يرغب ويريد واذا كان يتظاهر لكم أن بعض مامورين وحكام المديريات المجاورين لكم وغير تابعين ادارتكم ليس حاصل منهم همة ولا ملاحظة فى منع بيع الرقيق المحكى عنه فتعرضوا لطرفنا عن ذلك بوقته لاجرى اللازم فى شأنه كما أنه إذا كان يوجد رقيق يعرض للبيع فى مراكب تعلق الأهالى فتجروا ضبط المراكب المذكورة وتطلقوا الرقيق منها وتعطوه الحرية اللازمة وتجروا فيه كما ذكر آنفاً وهكذا إذا كان يوجد رقيق فى مراكب أجنبية فتجروا اطلاقه من تلك المراكب على وجهما توضح وتعطوا الخبر اللازم بوقته رسمياً إلى القونصلاتو التابع لها تلك المراكب وتعملوا جرنال مستوفى الشروط بالكيفية وتعرضوه لهذا الطرف وبالمثل إذا كان يرى لكم نزول رقيق فى جهات مستبعدة عن المراكز التى تحت إدارتكم وتعلموا بهفتجروا اللازم لمنعه بالكيفية السالف توضيحها وغاية آمالنا ومقاصدنا صرف الاجتهاد الكلى مهما أمكن فى إبطال التجارة فى الرقيق بأى وجه كان بما أن ذلك من أهم الأمور عندنا وأصدرنا أمرنا هذا لكم للمعلومية به والاجرى على مقتضاه كما صدرت أوامرنا بهذه الصورة فى تاريخه إلى مأمورى الأقاليم السودانية وهذا كما اقتضته إرادتنا .

حاشية الذكور الكبار من الرقيق الذى يجرى ضبطه والافراج عنه يجرى الحاقة بحسب لياقته ورغبته فى العسكرية ولذلك لزم التحشية «من الاسكندرية»

(عابدين . المعية . دفتر ١٩٤٦ عربى رقم ١٦ صفحة ٦٥)

٣٦

اعلان احتكار تجارة العاج فى مديرية خط الاستواء

(١٨٧٤) .

من غردون إلى خيرى باشا

الخرطوم فى ١٤ مارس ١٨٧٤

لى الشرف أن أنقل إليك نبأ وصولى إلى الخرطوم فى ١٣ مارس والتعبير

عن درجة تقديرى العظيم لطيبة معالى الحكمدار اسماعيل باشا (أيوب) الذى استقبلنى استقبالا حسنا وعمل كل مافى وسعه ليكون نافعا لى .

إننى أهنىء سمو الخديو عن حالة جيوشه الحسنة ، وإن العناية والرعاية التى يخص بها الحكمدار الجيش لتستحق أعظم ثناء . فترتيبه للثكنات وتنظيمه للستشفى حسن جدا ، ولقد أعجبت أيما إعجاب بروح الرضا المنتشرة بين الجنود وبما يستمتعون به من رخاء .

زرنا المدرسة التى هى موضع الاهتمام البالغ عند الحكمدار ، ويبدو لى أن معاليه يعنى جد العناية بالتلاميذ الذين يبلغون المائتين ؛ وإن المعلمين ليجدون لذة كبيرة فى عملهم . ولقد أجزت لنفس أن أرسل لسمو الخديو نموذجا من كتاباتهم .

لقد تلقى سموه من معالى الحكمدار خبر افتتاح السد فى طريق غندكورو وهو خبر سعيد ، أدخل السرور إلى قلبى لأننى أعرف مايعلق سموه من أهمية على هذا الأمر الذى هو فى الواقع المسيطر على الموقف ،

انى آمل أن اسافر قريباً إلى غندكورو إذ أن كل شىء قد أعد للسفر بفضل مايبذله الحكمدار من عناية فائقة . أما فى الوقت الحاضر ، فإنى لا أستطيع إبداء أى رأى عن أجزاء المركب البخارى إذ أنه يجب مشاهدة البحيرة قبل الكلام عن ذلك . سآخذ معى أناساً لبناء المراكب الشراعية فى فاتيكو . ونرجو على ما يبدو أن نستطيع اجتياز الجنادل إذا شمرنا عن ساعد الجد .

انى أرجو من معاليك أن تحصل من سمو الخديو على إذن حتى يستطيع الحكمدار الذهاب إلى البحيرة حالما تصبح المراكب معدة لذلك . أما أنا فيجب على أن أبقى فى غندكورو وفاتيكو إذ ليس فى استطاعتى الذهاب إليها .

بذل معالى الحكمدار جهداً كبيراً لفتح الجنوب التعس ، وسوف يسرنى كثيراً لو أنه كان ممكنا أن يسمح لمعاليه بالذهاب إلى هذه الأماكن حتى يكون

أول من يفعل ذلك . وآمل أن تصبح المراكب معدة فى بحر خمسة أو ستة أشهر وبناء على التعليمات الصادرة إلى أرى من واجبى تدبير المؤن أولا، وهذه المشكلة سوف تكون أصعب ماواجه من مشاكل، ويتطلب حلها وجودى فى الأقليم .

حاشية — لاأخال من الضرورى أن أذكر فى رسائلى لمعاليك ماوصلت إليه من ملاحظات عن الطرق الذاهبة من هنا إلى القاهرة، إذ أننى أقوم بصنع خريطة لها سوف أسلمها إلى الكولونيل لونج الذى يرسلها بدوره إلى نظارة الخارجية ؛ ولى الشرف أن أرسل لمعاليك نسخة من القرار الذى رأيت من واجبى إذاعته فى غضون الأيام القليلة الآتية .

وإليك نص القرار الذى اعتزم إذاعته .

بما لى من سلطة خولنى إياها سمو الخديو بوصفى حاكما لمقاطعات البحيرات الاستوائية وبالنظر إلى تلك الفوضى التى ظلت سائدة فى هذا الاقليم حتى الوقت الحاضر، قد قررنا أنه منذ الآن :

١ — تحتكر الحكومة تجارة العاج .

٢ — لايستطيع انسان أن يدخل هذه المقاطعات دون ان يحصل على تذكرة من حكمدار السودان ، ولا تصبح هذه التذكرة ذات قيمة الا بعد ان يؤشر عليها من قبل السلطات المختصة فى غندكورو وفى غيرها من الجهات .

٣ — لايستطيع انسان ان يحشد أو ينظم جماعات مسلحة فى المديرية .

٤ — من المحظور استيراد أسلحة نارية أو بارود .

٥ — كل من يعصى هذه القرارات توقع عليه أقصى عقوبات القوانين العسكرية . (١٤ مارس ١٨٧٤ .)

[Abdin . Corresp. fran Doss. 71/3.]

٣٧

غردون واحتكار العاج

من المعية السنية إلى حكمدارية السودان

فى ٩ ربيع الأول ١٢٩١ (٢٦ ابريل ١٨٧٤)

جواب بختم سعادة مهردار خديوى صورته قد علم من إفادة سعادتكم الرقيمة ٢٦ محرم سنة ٩١ نمرة ١٣ والورقة مرفوقها إلى جناب القولونيل غردون مأمور جهات خط الإستوى أرسل بطرفكم مكاتبة فرنساوى تحتوى أربعة أوجه تراءى له إجراءها وهى احتكار السن فيله للحكومة ، وضبط كافة موجودات من يتخذها بعد ذلك تجارة له ، ومعاقبته حسب قوانين الجهادية ثم وعدم دخول أحد فى المديريات التى تحت إدارته بدون تذكرة من سعادتكم بحيث أنها لا تعتمد إلا بعد نظرها بكوندكروا بطرف نايب الحكومة هناك مع عدم التجوز لأحد ما بأن يؤجر جماعات متسلحة فى تلك المديريات ومن يخالف ذلك يعاقب بأشد قوانين الجهادية وهكذا ممنوعية دخول الأسلحة النارية والبارود وعلى هذا تحرر من طرفكم لمديريتى الخرطوم والبحر الأبيض باجرى مقتضاهم كما أنه صار إعلان تجار الخرطوم بذلك وحيث أن لدى إحاطة العلم السامى بما اشتملت عليه تلك الإفادة والأوجه المحكى عنها قد وافق الحضرة الخديوية ما حصل به الأجرى على وجه ما ذكر لزم ترقيمه لسعادتكم للمعلومية حسب الأمر أفندم .

(عابدين . المعية . دفتر ١٨٧١ معية عربى رقم ٦ صفحة ٤١)

٣٨

احتكار العاج ومنع تجارة الرقيق

من المعية السنية إلى المجلس المخصوص

فى ٢٦ رجب ١٢٩١ (٨ سبتمبر ١٨٧٤)

جواب صورته أنه لمناسبة ماحصل من فتح جهات خط الاستواء بمعرفة الحكومة الخديوية وكون جل المقصود منع وإبطال التجارة فى الرقيق منها كلياً سبق صـــدور الأوامر العلية والتنبيهات العمومية تكرارا بما يجرى والوسايط والتدابير المؤدية لمنع وإبطال التجارة فى الرقيق بساير جهات الحكومة السنية ثم وحصر تجارة السن وريش النعام وغيره للميرى وعدم الأحقية لأحد فى تعاطيها وبعدها علم من إفادة حكمدار السودان التلغرافية أن المشارع الموجودة بجهات البحر الأبيض وجهة بحر الغزال لا يخلو الحال من وجود رقيق بهم للتجارة وهذا مخالف للأوامر المشار عنها وبما أن تلك الجهات هى من حقوق الميرى ولا ينبغى لأحد أن يكون له مشرع أو زريبة أو تجديد شىء من هذا القبيل بها فبناء عليها اقتضته الإرادة السنية كان تحرر للمومى إليه بالنظر فى الموجود من هؤلاء المشارع والزرايب والاجرى فيها بكيفية ان الذى يكون به رقيق للتجارة يصير ضبطه بما فيه للميرى والرقيق يجرى فى شأنه بمقتضى الأوامر والتنبيهات السابق صدورها عن هذا الخصوص وهكذا باقى ما يوجد من الأشيا يضم لجانب الميرى مجانا نظير استمرار التجارة فى الرقيق بعد ممنوعية هذا الأمر وتكرار التأكيدات الواقعة بخصوصه وأما المشارع والزرايب التى لم يوجد بها رقيق فمع ضبطها للميرى أيضا حيث أن أساس احداثها كان بقصد التجارة فى الرقيق لايحصل تعرض لضبط ما يوجد فيها من الأشياء السايرة برسم التجارة وعلى هذا لا يبقى أحد مشرع ولا زريبة بتلك الجهات ولا يترخص قطعيا بإحداث وتجديد شىء

فيها بعد ذلك فالآن علم من إفادتين أرسلهم الحكمدار المومى إليه احداهما رقم ٢٩ ربيع الآخر سنة ٩١ ومعها إفادة من مدير بحر الغزال بإبطال المشارع وضبط سن الفيل إلا أنه ورد له منه إفادة بأنه نظرا لمشغوليته بما هو حاصل من مشاغلة أهالى دارفور له غير ممكن التفرغ لهذه الاجراءات والحالة هذه وقد حرر له من طرفه بما اقتضى عن ذلك وفوض له الأجرا على حسب مساعدة الوقت إنما مادة منع تجارة الرقيق وتداوله سواء كان بالمشارع المذكورة أو بجهات مديريته هذه أكد وشدد عليه بمنعها ولكون الدخول فى مديرية بحر الغزال وشكا لا يكون إلا عن طريق فشوده وكردفان فقد أكد على المديريتين المذكورتين لضبط كلما خرج من هناك سواء كان رقيق أو سن فيل كما أنه أكد عليهما وعلى مديرية الخرطوم بعدم الرخصة لأحد ما بإدخال جبه خانه أو سلاح بتلك الجهات وضرورة عدم استحصال أرباب المشارع على سن فيل أو رقيق من الجهات المذكورة وعدم إمكانهم أيضا إرسال مايلزم من الجبه خانه والأسلحة إلى مستخدميهم بالمشارع طبعا تتعطل حركتهم ويتركونها من أنفسهم والثانية تاريخها ١٠ جمادى الثانية سنة ٩١ نمر ٤ مرور بأنه بحضوره فى هذه الدفعة لمديرية كردفان وجد أنها ضبطت ٢٨ قنطار وكسور سن فيل تعلق ببعض أشخاص تجار من أهالى سوا كن حال كونهم بمركز المديرية ولكون المقدار المحكى عنه وجد شىء جزئى وأصحابه مشترينه من ذات بندر كردفان عمن يلتقطونه من الجهات القريبة التى هى حول المديرية وجهات دارفور ويحضرونه بمركز المديرية لمبيعه على المسببين بالقطع وليس هو من جهات البحر الأبيض وأربابه اعرضوا له بالتضرر من ضبطه منهم مع عدم معلوميتهم بالأوامر والتنبيهات التى صدرت باحتكار السن فيل وقد تلاحظ له بأن أخذ مثل هذا المقدار القليل من أولئك الأشخاص فضلا عن الكساد الذى يحصل فى أمور التجارة وبما أن أرباب السن الذى يجمعونه من الجهات القريبة لتلك

المديرية بواسطة صيد الأفيال للمساعدة على معاشهم وسداد الأموال المطلوبة منهم للميرى بدل ما أنهم يحضرون إلى كردفان يسلكون به طرق غير معروفة ويوزعونه لجهات بعيدة كما أن السن الذى كان يرد من جهات دارفور ينقطع وروده فنا. عليما تقدم ذكره صدر إلى مديرية كردفان باعطا الثمانية وعشرين قنطار وكسور لأربابها وتنبه عليها بضبط السن الذى يحضر من جهات بحر الغزال والبحر الأبيض على جهاتها بطريق البحر لآخر ما أوضحه المومى إليه فى هذا الشأن قد عرضت تفصيلا للمسامع الزكية وبما أن أفكار ولى النعم إنما هى إبطال تجارة الرقيق ومن المعلوم أن التجارة التى بالمشارع ليست منحصرة فى الرقيق خاصة بل فيها السن فيل وغيره وكان القصد من الاحتكار إنما هو منع الرقيق لكن احتكار السن وغيره من التجارات المباحة يترتب عليه تضرر التجار وحصول الكساد والسكتة فى التجارة على أنه ما دام الميرى يستحصل على حقوقه من السن وغيره فلا يكون هناك اقتضى لإبطال الأخذ والعطا فيه فلهذا قد تعلقت الإرادة السنية بأن ينظر فى ذلك بالمجلس المخصوص وتعطى الروابط المقتضية بما يستتب اجراه ويعرض عنها للأعتاب بنا عليه لزم توضيحه لدولتكم للاجرى حسب الأمر افندم.

(عابدين . المعية . دفتر ١٨٧٠ معية عربى رقم ٧٣ صفحة ١١٥)

٣٩

ابطال الرق فى دارفور

من . . . . إلى القبو كتخدا

فى غاية شوال ١٢٩١ [٩ ديسمبر ١٨٧٤]

لقد أرسل أيضا فى هذه المرة صاحب السعادة اسماعيل إأيوب باشا حكمدار السودان رسالة تتضمن أخبار دارفور مع هجان من بلدة الفاشر

مقر أمير دارفور إلى الخرطوم وأرسلت برقية من الخرطوم إلى هنا وقد قدمنا إليكم من طيه نسخة حرفية لتحيطوا علما بما جاء فيها .

صورة البرقية التي سلفت الاشارة إليها

لقد قمنا بالفرقة الثانية التي تحت أمرتنا من البلدة المسماة فوجه وأخذنا طريقنا إلى الفاشر عاصمة دارفور على نحو ما عرضناه قبلا وقد طمئنا [أعطينا الأمان] لأهالى النواحى التى مررنا بها فى طريقنا وفى اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان وصلنا الفاشر حيث تلاقينا هناك معزبير بك أيضا ووجدنا الفرقتين ونحن نقيم الآن بالفاشر وقد بدأ الأهالى فى مختلف النواحى فى الالتجاء إلى الحكومة المصرية والدخالة عليها طالبين منحهم الأمان وأخذوا يردون أفواجا أفواجا لهذه الغاية وأخذنا من ناحيتنا بمنحهم الأمان وقد قدم علينا بين من قدم من هؤلاء الناس بعض أهالى القرى التى كانت ترزح تحت أسر خاص فرضه عليهم السلطان ابراهيم المتوفى حيث كان يبيعهم ويبيع أولادهم أو يهبهم إلى الغير ويتصرف بهم كما يشاء فما أن علموا بدخولنا إلى الفاشر حتى هرعوا للالتجاء إلى عدالة الحكومة وطلب الأمان منها فأمناهم وأعطيناهم وثائق تثبت عتقهم وبعد أن أفهمناهم أنهم قد أصبحوا فى نجوى من ربقة الرق وعدوا أحراراً كجميع رعايا الحكومة عادوا إلى قراهم مسرورين وقد أبدى جميع أهالى دارفور الطاعة والانقياد على أن الذين تبقوا من أقارب السلطان ابراهيم أبوا قبول الطاعة ولذا كانوا قد أقاموا عم المتوفى المومأ إليه المدعو حسب الله سلطانا عليهم وتوغلوا مع أتباعهم ومناصريهم فى الجهة الغربية من دارفور فإننا سنسوق عليهم فرقة عسكرية تقتفى أثرهم وتعمل على إدخالهم فى الطاعة بمنح الأمان لمن يرغب فيه حتى إذاما أبوا الدخول فى الطاعة اتخذت الفرقة ضدهم الإجراءات اللازمة .

[عابدين . المعية دفتر ٢٦ وثيقة بدون رقم صفحة ٥١]

٤٠

عن معاهدة إلغاء الرق فى أغسطس ١٨٧٧

أمر كريم إلى حكمدارية عموم الأقاليم السودانية

فى ١٤ شعبان ١٢٩٤ (٢٤ أغسطس ١٨٧٧)

أمر كريم منطوقه لا يخفاكم اتجاه أفكارنا على الدوام والاستمرار لمنع وابطال تجارة الرقيق التى هى عبارة عن استرقاق النوع الإنسانى بأى صورة كانت وكان من أقصى آمالنا بحسب مجاورة الموقع التعاون مع الدولة الفخيمة الانكليزية على إنجاز هذا الغرض بواسطة وضع هذا المنع تحت رابطة مستقيمه مؤسسة على أحكام قويمة بحيث تكون كافلة لحسم ما عسى أن يحدث من اشكالات من هذا القبيل فى المستقبل فبعناية الله تعالى حصلت الرفقية لربط معاهدة شاملة بيان الاجراءات والوسايط المقتضى اتخاذها فى هذا الباب وإيضاح المعاملة التى تلزم فى حق من يتجارى على المخالفة فى هذا الشأن بأى نوع كان وبعد إمضاها من دولتلو ناظر الخارجية وجناب مسيو فيفان القنصل العام للدولة المشار إليها بتاريخ ٤ أغسطس سنة ٧٧ قد صدر الدكريتو اللازم من لدنا متمما لذلك وحيث أن من الملتزم لدينا نشر وإعلان المعاهدة المشار عنها عموما لاتخاذها دستورا للعمل واعتبارها مرعية الأجرا فلزم إصدار هذا لجنابكم ومرسول طيه المعاهدة وذيلها باللغة الانجليزية ونسخة ذلك أيضا مع نسخة الدكريتو بالفرنساوى والعربى لأجرى النشر والإعلان إلى الجهات المختصة التى تحت حكمداريتكم عموما وهذا كما اقتضته إرادتنا .

(عابدين . المعية . دفتر ١٨ (أوامر عربى) رقم ٢٨ صفحة ٤٣)

— ٤١ —

الدكريتو الخديوى الصادر فى ٤ أغسطس ١٨٧٧

نحن اسماعيل خديو مصر

صدر منظورنا البند الخامس من المعاهدة المنعقدة بين حكومتى بريطانيا العظمى وبين الخديوية المصرية بتاريخ ٤ اغسطس سنة ١٨٧٧ بشأن منع تجارة الرقيق . فلهذا أمرنا ونأمر بما يأتى :

(البند الأول) بيع العبيد السودانيين أو الحبشيين من عائلة إلى عائلة يكون ويبقى ممنوعا منعا مطلقا بجميع القطر المصرى من اسكندرية لحد أسوان وإتمام وتنفيذ هذا المنع تنفيذا كليا يكون فى مدة سبعة سنوات من تاريخ المعاهدة المذكورة التى يعتبر أمرنا جزء منها متمما لها ، والمنع المذكور يكون ساريا أيضا فى جهات السودان وباقى ملحقات الحكومة المصرية . وإنما يكون إجراؤه وتنفيذه بصيغة قطعية ، فى مدة اثنى عشر عاما من تاريخ تلك المعاهدة.

(البند الثانى) كل من خالف ممن يجرى عليه الأحكام المصرية منطوق أمرنا هذا واتجر فى الرقيق يجازى بالأشغال الشاقة المؤقته لمدة أقلها خمسة شهور وأكثرها خمس سنوات حسبما يحكم به من المجلس المختص بالحكم فى مثل ذلك .

(البند الثالث) تجارة المماليك أو الجوارى البيض يكون ويبقى ممنوعا فى جميع القطر المصرى وملحقاته وإتمام هذا المنع وتنفيذ مفعوله يكون فى مدة سبعة سنوات . وكل من خالف واتجر يعاقب بالجزاء المقرر بالبند الثانى .

(البند الرابع) ناظر الحقانية هو المنوط بإجراء مفعول أمرنا هذا فى الوقت اللازم .

تحريرا بالأسكندرية فى ٤ اغسطس سنة ١٨٧٧

[الوقائع المصرية عدد ٧٣١ فى ٤ شوال ١٢٩٤ و ١١ اكتوبر ١٨٧٧]

٤ — تعمير السودان

٤٢

التنظيم المالى الأول : تقدير الضرائب وتوزيعها وطرق جبايتها (١٨٢٦)

« ترجمة صورة مجلس المشورة الذى انعقد فى يوم السبت الثامن من محرم ١٢٤٢ (١٢ أغسطس ١٨٢٦) ، بحضور صاحب الدولة البك الدفتردار وحسن أغا ناظر المواشى ، وحسين بك ، ورستم افندى ناظر القماش ، ومحمود افندى ناظر القسم الثانى للمعامل (الفاوريقات) ، وراتب افندى وكيل ناظر الكيلارية وأمين افندى وكيل الأصناف وأمين افندى ناظر المبانى الأميرية وعبد الرازق أغا مأمور التقارير والمعلم حنا الطويل ،

وذلك للبحث فى التقرير الذى قدمه حكمدار السودان الجديد على خورشيد بمجرد وصوله إلى السودان .

وهذا خلاصة التقرير الذى حرره خورشيد أغا المأمور بتنظيم أمور سنار عند وصوله اليها بعد أن اجتمع مع مأمورى المصالح وعقد معهم مجلسا وتداولوا فى المصالح أو الشؤن المجدية وغير المجدية لذات المصلحة وقدمه إلى الذات الرحيمة الخديوية . وقد لخص مضمون كل بند منه

البند الأول

[أن خورشيد أغا مأمور سنار قد أتى معه بثمانين من من كبار مشايخ الأقاليم البحرية ومائة من صغارهم ومائة خولى ، وقد وجه الكلام إلى الحاضرين بمجلسه قائلا : نحن سنبذل ما فى وسعنا ومقدورنا فى عمران هذا الأقليم ، ولكننا نرى هذا الأقليم فى غاية من الخراب والتشتت والوقت لا يسمح لنا أن نتجول فى أنحاء البلاد كى نطلع على الدرك الذى انحطت إليه من الخراب اطلاعا مصيبا لحلول موسم الأمطار ، فكل واحد منكم قد

قضى فى هذه الديار سنة أو اثنين أو ثلاث سنين فانبئونا بما عندكم من العلم بما يختص بعمرانها أو خرابها كماً وكيفاً — فقال الحاضرون بالمجلس جميعاً أن عموم هـذه البلاد خرب والحالة هـذه ثم سكتوا ، فاستأنف الموما اليه الكلام فقال أجل قد علمنا أن الخراب قداستولى على البلاد فما هى أسباب الوصول إلى تموين الجنود المعسكرين هنا والصناع الكثيرى العدد ؟ فأجابوه أن أئذن لنا بالرجوع حتى نستشير فيما بيننا ثم ناتيك بتفصيل ما يتم . ثم انطلقوا فعقدوا مجلساً بمنزل القائمقام ابراهيم افندى ثم رجعوا إليه وأتوه بالجواب)

فقال المعلم ميخائيل : أما مسالة عمران الجزيرة وتحصيل الأموال الأميرية فلم يقبض شيء من مال سنة إحدى وأربعين (١٢٤١) حتى الآن ، ولن يمكن تحصيل شيء منه بعد ذلك ما دامت البلاد خربة وأما مال سنة اثنين واربعين (١٢٤٢) فاذا نزلت الأمطار كالمعتاد ، قديماً ورجع الفارون (أو الهاربون) وعمرت الجزيرة ومنع عن الناس ظلم العساكر ومنعت سخرتهم ، وصار درأ الاهانة عنهم ، اهانة العربان واذاهم ولم يطلب منهم المال بموجب الترتيب والتوزيع القديمين ، بل وزع بمعرفة خورشيد أغا على السواقى والجرف والجزر وعلى قرى (حسن) على حسب قدرة كل شخص وبمقتضى القانون توزيعا لائقا ، وحسبت الذرة والسمن والقماش المأخوذ منهم لحاجة الجنود من المطلوبات الأميرية ، فإنه يمكن قبض سدس المطلوبات الأميرية من الجزيرة وحلفا والبحر الأبيض ، بموجب الدفتر الذى نظمة حنا الطويل ، وأماسنة ثلاث وأربعين ١٢٤٣ فإذا روعيت فيها المساعدة والأعفاء أيضا وأنشئت سواقى بالأقاليم وزرع القطن والنيلة وصار شراؤهما من الرعايا بأثمان مناسبة فى مقابل المطلوبات الأميرية ، فإنه يمكن قبض ثلث الأموال الأميرية بموجب الدفتر القديم وعلى هذا يمكن قبض نصف المال الأميرى فى سنة أربعة وأربعين (١٢٤٤ هـ) .

«وقال موسى الكاشف : لا يصح تحصيل مال سنة إحدى وأربعين (١٢٤١) ولا يمكن قبضه مع استمرار الأقاليم فى حالة الخراب ، وأما سنة اثنين واربعين (١٢٤٢) فإن الرعايا لا يقدرون على سداد الأموال الأميرية حيث لم يبق عندهم شىء من الذهب والفرانسه (الريالات الفرنسية) وما يشا كلهما فإذا نزلت الأمطار بغزارة ورجع الهاربون وصار تحصيل المال على النسق المذكور آنفا فيمكن قبض سدسه بموجب الدفتر القديم ويمكن قبض ربعه فى سنة ثلاث وأربعين (١٢٤٣) ، وأما إذا أصلحت السواقى فى سنة أربع وأربعين (١٢٤٤) وعمل فيها بالجد والاجتهاد فيمكن إذن قبض نصف المال الأميرى ، فوافق على تقريره المعلم إلا فى قوله يمكن قبض ربع المال فى سنة ثلاث وأربعين (١٢٤٣) فقد خالفه هنا .

« وقال عثمان أغا ناظر المهمات : لا يمكن قبض مال سنة أحدى وأربعين (١٢٤١) . وأما سنة اثنين وأربعين (١٢٤٢) فيمكن فيها قبض سدس المال الأميرى كما قرر المعلم ، ويمكن قبض ثلثه فى سنة ثلاث وأربعين (١٢٤٣) ، وكذلك يمكن تحصيل ثلثه فى سنة أربع وأربعين (١٢٤٤) ، والسبب فى ذلك أنه إذا رجع الهاربون من مختلف الأنحاء إلى بلادهم وأقاموا بها وطولبوا بسدس المال الأميرى فى سنتى (١٢٤٢) ، (١٢٤٣) ولم يطالبوا بسدسه فى سنة (١٢٤٤) ، بل طولبوا بالنصف فانهم يزعمون أن الأموال الأميرية يضاف إليها شىء كل سنة فيعتريهم خوف ويلجأون إلى الفرار مرة ثانية ولا يمكن حينئذ عمل عمارة البلاد .

« وقال صالح أغا : ليس لدينا أمل فى تحصيل مال سنة (١٢٤١) وأما سنة (١٢٤٢) فإنه إذا وثق الفارون بأوراق العفو (أو الأمان) التى كتبت إليهم ورجعوا وانهمرت الأمطار بغزارة فقد أمكن تحصيل شىء من الذرة منهم لأجل الأكل والطعام وفى سنة (١٢٤٣) عندما يسمع بقية الهاربين

أن أحدا لم يطالب إلا بكمية من الذرة ، ويعودون إلى بلادهم ويعمرونها ، يمكن أن يقبض منهم ثلث المطلوب ، فإذا كانت سنة (١٢٤٣) ورجع كل الفارين وانشئت السواقى وصار الاجتهاد فى عمارة الأقاليم اجتهادا عظيما ، فيمكن حينئذ قبض نصف المال الأميرى — فوافقه القائمقام ابراهيم افندى على كلامه هذا .

« سأل البك الدفتردار حنا الطويل :

« فى أى تاريخ فتحتم الفرده التى وزعت بعد فتح سنار مباشرة وكم هو عدد الفرده التى قبضت ؟ »

« فأجابه حنا الطويل قائلا » :

« إن الفرده قد فرضت ابتداءمن ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين(١٢٣٧) بأن فتح خراج سنة ست وثلاثين ١٢٣٦ .

« فقال البك الدفتردار : وأنا أيضا نزلت إلى سنار فى شوال ١٢٣٨ ففتحت خراج سنة ١٢٣٧ فى ربيع الأول سنة ١٢٣٩ ، وقد افتتح أيضاعثمان بك خراج سنه ١٢٣٨ فى ربيع الأول سنة ١٢٤٠ وقد قال مباشر سنار فى تقريره . انما يمكن تحصيل الفى كيس من مال خراج سنة ١٢٤٢ وأما مال سنة ١٢٤٣ فانما يمكن تحصيل أربعة آلاف كيس سنه بعد مساعدة البلاد وإعانتها . فعلى تقرير المذكور يمكن تحصيل ستة آلاف كيسة من مال خراج سنة ١٢٤٤ بعد بذل الاعانة وصرف الجهد على الوجه المشروع .

« ثم وجه البك الدفتردار سؤالا إلى موسى الكاشف فقال :

« لو اقتضى الأمر فتح المال الأميرى لسنة ١٢٤١ من أى تاريخ كنت بادئاً فتحه ؟ فأجابه الكاشف المذكور يمكننا أن نعرض عن هذه السنة ونفتحه فى آخر زراعة السنة المقبلة .

« فقال محمود افندى : إنى موجه الى موسى الكاشف سؤالا وهو : أن

موسى الكاشف يقول أن الفردة لم تفتح بعد عهد المرحوم عثمان بك — وقد أخذ محو بك شيئاً ضئيلا ولكنه أخذ من الجزيرة خمسين ريالا أو ستين وقد كتب فى تقريره أنه لو كان عشرة كتاب أو اثنى عشر كاتباً ودونت الحسابات لحصل على شيء كثير . ولو شدد على موسى الكاشف فأنه يقرر ذلك واحداً واحداً ، فهو من هذه الوجهة يبطل الفردة ويجيب جوابا حاسما إنها ليست متحققة ، ثم يبحث فى الحساب من ناحية أخرى فإنهم إذا ضبطوها كما ينبغى ولم يأخذوها كما يأخذ سائر الناس وجعلوا لها قاعدة فأظن أنه يمكن كف الظلم عن الفقراء بفضل تلك القاعدة المستحسنة كما يمكن تحصيل شيء على حسب الظروف والأحوال . انما يجب على موسى الكاشف أن يجيب على أسئلتى واحدة بعد واحدة .

ثم حضر مصطفى افندى المورلى لجيء بالطعام ورفعت الجلسة .

قال موسى الكاشف مجيبا عن تلك الأسئلة :

« يجب الفحص والسؤال عن تلك الديار منذ عهد عثمان بك حتى الآن إذا وافق المجلس على ذلك . فتستريح البلاد بعد السؤال كما يستريح الجنود — أما الحكام الذين كانوا هناك منذ مدة عثمان بك لغاية الآن فلم يبحثوا عن شيء ما ولم يقوموا بأى عمل ، فلم تعمر البلاد وظلت آخذة فى الخراب ، أعنى بذلك أنه عند انفصال أى حاكم وتعيين آخر بدلا منه لم تكن تجرى محاسبة بينهما ، ولا كان الحاكم المنفصل يسلم البلاد إلى خلفه — فإذا كان المأمور الذى يأتى يسأل ويفحص أولا طبق أصول الديوان ثم يدخل الأمور تحت ضابط ويربطها بقاعدة ، فيرجى للبلاد أن تعمر ، ولذلك قد طلب استخدام كتاب فاذا تم هذا التفتيش كما يريده مولانا فإن الكتاب المرسلين إلى تلك الديار سيوزعون على الأعمال التى تحتاج إليهم لاحتياج البلاد إلى أمثالهم لأن الإقليم ملك فسيح وقد كان علم الكتابة مهملا فى العهد القديم — وقد طلبنا

الآن كتاباً للحاجة الماسة بهم ولضبط أمور الديوان .

« فرد محمد أفندى قائلا : إن الفحص والسؤال مفوضان إلى رأى خورشيد أغا وله أن يفحص ويسأل كما يريد ، ولكن موسى الكاشف قال فيما قال أن المأمورين لم يفحصوا أحوال البلاد لأنهم كانوا أكالين ، فمن هم الأكالون ؟ أو من هم اكثر الأكالين ؛ هذا موضوع سؤالنا .

« فقال موسى الكاشف أن فى مقدمة الأكالين هناك هو السر عسكر ثم الكشاف ويأتى القائمقامون فى الصف الثانى والمشايخ فى الصف الثالث ، وكل من يليهم أكالون !

« قال محمود افندى ، فعلى هذا قد علمنا ورأينا أسباب خراب البلاد ؛ وقد رخص لخورشيد أغا رخصة كاملة ، فعليه أن يفحص ويفتش فاذا علم لديه وثبت أن شيئاً قد أخذ من الفقراء ظلما فعليه ان يرده على اصحابه ، فإن لم يوجد اصحابه فيجب حفظه فى الخزينة تحت المطلوبات التى باسم صاحبه ويجب الاعتناء والاهتمام بأجراء هذا العدل . فاذا جرت الأمور على هذا المنوال تيسر حال الفقراء وامكن اخذ شىء منهم يناسب احوالهم ، لأنه لو ترك المشايخ كبارهم وصغارهم على نحو هذا الأهمال ، فيحتمل ان تضيع اشياء كثيرة بقدر المال (الذى ضاع) فإنى اظن عند إبادة هذا الحال ، لو روعيت القاعدة الحسنة التى سبق بيانها واخذ منهم شىء على حسب الوقت والمال ، فان ذلك لايضر بالعمران . ثم وجه السؤال إلى موسى الكاشف فقال نعم ، انه (الضايع) يكون بقدر المال .

« وقال حسن اغا ان المفهوم من مضمون التقرير الوارد من حورشيداغا والذى علم من تقرير موسى الكاشف أن لمأمورى تلك الديار وضباطها وكشافها وشيخ البلد مطلوبا من خزينة ولى النعم من جهة العلوفة (المرتب) ، فاذا ثبت عليهم شىء بعد فحص ذلك فيجب ان يقيد على حساب علوفتهم ويحتسب

منها فلعلهم أن يرجعوا بعد ذلك عن مثل هذا النهب ويثابروا على خدمتهم ويعمروا بلادهم — وأما إذا بقى المنهوب عند ناهبه فيكون الطريق الذى سلكوه طريق الخراب حيث لايمكن الإهتداء به وإنى لأظن انه لو اذن لخورشيد باشا فردعهم عن الظلم فلا ريب فى ان البلاد تأخذ فى العمران .

« وقد انصرف رستم افندى وراتب افندى وامين افندى وكيل الاصناف وعبد الرازق اغا قبل انتهاء الجلسة وبدون استئذان فأوفد المجلس جاويشا وبعثه فى طلبهم ليحضرهم ، فحضر امين افندى ورستم افندى وراتب افندى .

« قال أمين افندى ناظر المبانى الأميرية : بما أن خورشيد أغا قد نشأ بتربية مولانا صاحب الرحمة فقد أختير وكلف بحفظ الفقراء وحراستهم فالأولى أن يحقق المومأ إليه (أى خورشيد أغا) فى الذين يسلكون هذا السلوك السيء وفيمن سلك قبلهم ، فاذا ظهر فى ذمتهم شىء فليحصل ما يمكن تحصيله ، وأما ما لا يمكن تحصيله فالأمر مفوض إليه فى انهائه وإدخاله تحت قاعده .

« وقال مصطفى افندى ، ان سنار على مسافة بعيدة تبلغ خمسمائة ساعة ، وإن حنا الطويل ليحيط بأحوالها علما ، فيكون عبثا أن تكلمنا قبل أن ندعوه إلى الكلام ، فبعد أن قرر موسى أغا الأحوال التى طرأت على سنار مفصله يجب عليه أن يُفهمها المعلم المذكور ، ويجب على المعلم أن يستمع إليه فيضبطها فى مضبطته الخاصة ، فيعرضها على مسامع أهل المجلس حتى يبدى أهل المجلس أراءهم على حسب ما سمعوه ويجب أن يكون المأمور لبلد على مسافة بعيدة كهذا مطلقا (مرخصا له) فى تصرفاته فيثبت مايثبت ويمحو مايمحو أى أن يكون حرا فى تنفيذ آرائه وتدابيره خيرها وشرها لأنه هو المسئول عنها فيجب أن تصدر رخصة كاملة للمأمور المرخص له ولاينبغى أن يستشير السدة السنية فى شىء من الأمور الملكية —

« فقال عبد الرزاق أغا إن ما قاله أمين افندى كلام فى محله فأوافق عليه كما أوافق على بيانات مصطفى افندى .

« ثم إن إلبك الدفتردار وأهل المجلس سألوا المعلم حنا الطويل قائلين : ماذا تقول فيما جاء فى التقرير والكتاب اللذين كتبهما خورشيد أغا ؟ وهل يمكن قبض المال هذه السنة من جزيرة سنار وما حولها من القرى أم لا يمكن قبضه ؟

« فقال المعلم حنا الطويل : إذا كانت الحال على ما كتبوه . . . . . . وقد كتبوا أنه يوجد فى كل قرية رجل أو رجلان أو ثلاثة ، فما الفائدة التى تحصل منهم حتى يؤخذ منهم مال ؟ فان الذى يحيط بهذه المسالة ويعلم إمكان تحصيل المال من عدم امكانه هو المامور .

« فاجاب موسى الكاشف قائلا : حيث إن المعلم حنا الطويل أجاب بمثل هذا الجواب ، فانى سائله عن أمر واحد وهو أن القرى لو عمرت كما تركها هو بموجب دفتره المختوم فهل يمكن التحصيل بموجب ما جاء فى دفتره الذى أورد فيه خمسمائة ريال وألف ريال تخمينيا ؟ .

« فقال المعلم حنا الطويل ردا عليه : نعم نحن وإن كنا وزعناه (أى المال) قبل على تلك القرى بهذه الصورة فلم نكن عبثنا حينذاك لأننا وزعناه على حسب قدرة كل واحد منهم وعلى حسب الموجود ، فاذا كان الموجود على ما كان وكما كان فيمكننا القيام بالاجراءات بموجب ما عملناه ، وأما اذا كانت القرى قد خربت فهذا شأن آخر .

« وقال موسى الكاشف : إن الموجودات التى رآها هى عبارة عن أرقاء ومواشى ، ففرض على تلك القرية فرده قدرها الف ريال ، والأرقاء والمواشى التى رآها هو لا توجد الآن فى تلك القرية : فاذا سألتهم عن ايرادها الآن فلا تجدون فيها سوى قليل من الزراعة التى تقتصر على شىء من الذرة والقطن ، فكيف يحصل منها الألف ريال هذه ؟

، قال المعلم : إذا كانت الأرقاء والمواشى التى رأيتها ليست موجودة الان وانحصر الأمر فى زراعة الذرة والقطن كان الأمر منوطا برأى المامور .

ثم قال البك : يستدل من التقرير الذى أرسله مأمور سنار أن أحوال تلك البلاد مختلفة فلذلك قرروا أن مال خراج سنة احدى وأربعين لا يمكن تحصيله فيحسن على ظنى ، أن نفوض اليه أمور البلاد كالنظر فى عمرانها وخرابها ومثل تحصيل الأموال والسعى والاجتهاد فى أمر إصلاح البلاد .

، فقال محمود افندى : هذا الذى يوافق رأينا فانا وافقت عليه ، ثم وافق عليه راتب افندى وكيل ناظر الكيلارية وأمين افندى وكيل الأصناف . ورستم افندى ناظر القماش والمعلم طوبيه وقرره المجلس . وقال حسن أغا إنى أوافقكم فى تفويض الأمور إلى رأيه (أى رأى المأمور) على هذا المنوال .

البند الثانى

ولما طولب المعلم بعلم عن دفتر الأيراد وعن المقدار الذى يبلغه الأيراد السنوى أحضر المعلم دفتر الأيراد وقرر المعلم ميخائيل بموجب ترتيب المعلم حنا الطويل أن إيراد نفس جزيرة سنار يبلغ (١١١٠٠) كيسه . وأن ايراد البلد الذى يقال له حلفا يبلغ (٢٩٤) كيسه . وأن الإيراد الوارد من العربان الذين بجهة البحر الأبيض يبلغ (٣١٤) كيسه وأن المجموع يبلغ (١١٧٠٨) كيسه .

، فقال محمود افندى : ان هذا الإيراد قد قدر بمعرفة المعلم حنا الطويل فى دفاتر سنار فى عهد فتحها ، فلا يتفق مع هذا الوقت نظرا لمضمون التقرير ، وحيث أن خورشيد أغا مأمور مرخص وهو عبد مخلص (للجناب العالى) فأظن أنه يحسن تفويض الأمر اليه والترخيص له فى عمارة البلاد مهما أمكنه

ومهما وسعه . وقال (المعلم طوبيه) : أن هذا لحسن جداً ووافق عليه امين افندى ناظر المبانى الأميرية ، وقال رستم أفندى أيضا ؛ وأنا اوافق عليه ، ووافق على ذلك حسن أغا وامين افندى وسائر اعضاء المجلس وقرروه .

البند الثالث

« ولما بحث فى النفقات للمرة الثانية ، قيل إن نفقات العساكر الجهادية المنصورين ورئيس الأدلاء عيسى أغا واسماعيل أغا رئيس الهواريه والكاشفين والمشايخ والخولية والصناع وسائر الموظفين والمعلمين الذين ذهبوا مع خورشيد أغا تبلغ ثمانية آلاف وستمائة كيس وكسورا ، عدا سنوية خورشيد أغا وعدا طعام الآدمين وعليق الدواب وعدا أثمان الريش والصمغ المراد شراؤهما ، وعدا نفقات الشيخ خليفه الذى بجهة أبوحمد

« ولما طلب دفتر الإيراد الذى جاء من العربان غير العربان الذين بجهة البحر الأبيض قيل إنه لم يؤخذ من العربان شيء سوى عربان البحر الأبيض وأن أخذ ذلك منهم يتوقف على وجود الحكومة ، فإذا ضبطت الأمور ونسقت على أحسن وجه أمكن التحصيل وإلا فيفرون ويطرأ على المطلوب نقص .

« فقال محمود افندى ان ماجاء فى هذا التقرير قد أحيل على تقرير موسى الكاشف الشفوى أيضا فإذن نسأله : أكان مقصوده من الحضور هنا هو طلب نقود لأجل نفقاتهم أم هم قادرين على تموين (إعاشة) انفسهم ؟

« قال موسى الكاشف ؛ إنى لم أحضر هنا سائلا نقوداً ولكنى حضرت لأنبئكم عن المصالح ، فإن خورشيد أغاقد ولى مأموراً ، ولما لم تعرض أحوال الجزيرة مفصلة على مسامع مولانا حتى الآن فلما دخل خورشيد أغا الجزيرة شاهد أحوالها رأى العين وعلمها على التفصيل فاختارنا وأوفدنا اليكم وقال لى « أنبىء أهل المجلس كما رأيت وسمعت وفهمت . فعند ماتعرضون نتيجة مداولتكم على

أعتاب ولى النعم وجب العمل بالأمر الذى سيصدر فى هذا الشأن ، — وبما أنه لا يمكن تحصيل شىء مدة سنة أو سنتين لكون الجزيرة خربة ، فلو ذهبوا إلى بلاد (قضارف) و (عطيش) و (حسن) ومكثوا هناك نحو ستة أشهر وحصلوا من المال جانباً لأجل نفقات العساكر وأنفق عليهم منه وأعينت الجزيرة حينئذ من قبل الديوان فآمل إن شاء الله تعالى أن تعمر الجزيرة ، وقد سمع أهل المجلس إفادتنا فإذا استحسنوها يكون الرأى لهم .

«وسأل البك الدفتردار الكاشف المذكور فقال : « أنت تقول أنكم تستطيعون تموين (إدارة) الجنود فبأية وسيلة يمكن تموينهم ؟ فقال الكاشف المذكور يمكن تحصيل ثلاثة آلاف كيسه من قرى (قضارف) و (عطيش) و (حسن) فيمكن إدارة (أى تموين) الجنود بها .

قال البك الدفتردار : ذكر فى هذا التقرير أنه عند ما سأل خورشيد أغا عن هذه المسألة قيل له أنه يمكن أن يؤخذ من ذلك المحل مقدار ما يؤخذ من الجزيرة فى سنة واحدة فعند ما يبلغ إيراد الجزيرة أحد عشر ألفا كان يعطى الباقى منه — أما ما تسمونه قطارف فقد كان أقام بها كبير قواسى صاحب المرحمة ولى النعم خمسة أشهر فى مائة وعشرين جنديا وأخذ ثمانين كيسة إذا كانت القرية عامرة وهو يقول : (فلما مضت سنة مكثت هنالك بضعة أيام لأخذ ذخائر لأجل مطاردة عربان الشكريه ولما أيقنت أنه لا يمكن الحصول على شىء من البلد لم أطالبهم سنة بشىء سوى الذخيرة) وأما إقليم حسن فقد ذهب إليه ذكريا أغا واحد قواد ولى النعم بمعية قبودان بولاق فمكثا به شهرين وحصلا إحدى وثلاثين كيسه ثم رجعا — وعند ما وصلنا إلى سنار علمنا ان اغا حسن كان حاكما فهرب بعد ان استخلف حسن — وكان يذهب مع احمد أغا ويخدم فى جهة (شرق) من جبال فازوغلى حينما كان احمد أغا سائرا فى الأعالى (اى فى الجهات الجنوبية) ولكن لم يستطيعا أخذ شىء

من النقود وإنما عادا بمائة وخمسين رقيقا — واما عطيش فهو إقليم واقع على ماء دندر على بعد خمس مراحل من سنار وكان اهله تابعين للحبشة قبل وصول العثمانيين إليهم — فلما لوحظ انهم من اتباع الحبشة كف عن السفر إليهم وبقوا على ماكانوا عليه وليست واردات تلك البلاد بالشيء الكثير على ما سمعنا بل يمكن تحصيل مائتين وخمسين كيسه إلى ثلاثمائة اى انى اظن ان هؤلاء العساكر لو قاموا وسافروا إلى تلك الجهات لأمكنهم ان يتمعوا بالذخائر دون حصول فائدة لهم من جهة النقود .

« فقال حسن أغا : حيث أن البك ذهب من قبل إلى تلك الديار وشاهد أحوالهافلا بد من أن يكون أكثر اطلاعا من غيره على جميع الأمور — بقى أن بقعة عطيش لها علاقة بالحبشة كما هو ظاهر من تقرير البك فأظن أنه يجب التفكير التام فى سوق جنود اليها ثم العمل بما يقتضيه ذلك التفكير .

ثم قال البك الدفتردار : اما بقعتى حسن وقطارف فهما داخلتان فى حوزة حكمه (أى خورشيد أغا) فهو مختار فى العمل فيهما لما يرى لكونه مأموراً واما بقعة عطيش فان الزحف أو عدم الزحف عليها أمر متوقف على الارادة السنية الخديوية لكونها قطعة أخرى تابعة للحبشة ولكن فى عدم الزحف عليها محذورا (أى خطرا) حيث تكون مأوى وملجأ للهاربين ووافق رستم افندى وسائر أهل المجلس على ذلك فقرروه .

« البند الرابع »

بما أن العشرين صانع الأفيون الذين هناك يبلغ مرتبهم الشهرى اثنتى عشرة كيسة وبما أن الأفيون لم ينتج نتاجا حسنا لحرارة الهواء وشدة لحافته فقد تقرر ارسال عشرة منهم إلى مصر ولكن عدل عن ذلك القرار واستحسن ابقاء أربعة منهم وتوزيع الستة عشر الباقين بين الرؤساء (القواد) بحساب التذكرة ووافق عبد الرازق أغا وأمين افندى وعلى افندى على ذلك —

فقال البك الدفتردار : لاندرى لبعد المسافة ، هل كانوا سقوه (أى الأفيون) وقاموا بتنقيته وخدمته كما ينبغى ! — ولقد زرعوه فى موضع يبعد عن مقام خورشيد أغا بثمانى مراحل فلا بد من أن المأمور لايحيط به علما ولا يمكنه الإعتناء به — ولقد سئم صناع الأفيون حتى اجابوا بجواب قاطع أنه لاينتج — وحيث أن صناع الأفيون مقيمون الآن هناك فالأحسن أن ينتدب خورشيد أغا رجلا ليشرف عليهم — فلننظر بعد التجربة امكن انتاجه أم متعسر ، فيعلم أمره حينئذ — فوافق علية مصطفى افندى ورستم افندى وحسن أغا وموسى الكاشف —

« البند الخامس »

قرأ البند من أصل التقرير — وفيه اعادة العمال ، كنشارى البلاط والعاملين فى الجبس والجير إلى مصر لعدم فائدتهم حيث لم ينجحوا فى انهاء شىء — وقد وافق البك الدفتردار وسائر أهل المجلس على ارسالهم إلى مصر لعدم وجود مناجم لهذه الأشياء .

« البند السادس »

« قرىء ملخص هذا البند من التقرير (أى تقرير خورشيد أغا) وفيه عدم صلاح نتاج البن فى السودان وقيل أن عدم نتاجه يحتمل أن يكون ناشئا من كون تقاويه عتيقه (باليه) ولكن اسطى البن اجاب بعدم إمكان نتاجه إجابة قاطعة حتى تقرر اعادة ذلك الأسطى إلى مصر — وبعد قراءة هذا البند : —

قال أحدهم : حيث أن الأسطى قال أنه لاينتج وقرر خورشيد اغا أنه لايحصل فلا بد من أنهما علما بذلك — فالمناسب على ماأظن ، رجوعه إلى مصر بدلا من أن يمكث هناك بدون فائدة وصرف نفقات زائدة بدون فائدة

« البند السابع »

[ساقط فى الأصل]

« البند الثامن »

« ولما قرىء ماجاء فى التقرير من أن الدباغين المرسلين من مصر لم يوفقوا للقيام بشيء من العمل حتى الآن وأن لزوم الجهاديه من الجلود مازال دباغوا السودان يعطونه وان صنعة اسطوات مصر يتوقف رواجها على جلب بعض آلات من مصر وأنها لو جلبت فإن فائدتها لاتكاد تفى بنفقاتها وان معدل هذه المسألة قدسبق أن أرسل إلى مصر وأنه قدأرسل كشف مبينة فيه الأشياء والآلات الخاصة بالدباغة ومما جاء فى التقرير طلب ارسال الأدوية والأجزاء اللازمة لو مست الحاجة ببقاء الاسطوات بهذا الطرف وأن يرسل اليه رد إذا لم يكن بهم حاجة —

قال عبد الرازق أغا : حيث أن الجلود الخاصة بالجنود الجهادية تعطى من قبل اسطوات الأهالى ويمكن قضاء حاجتهم بذلك وأن اسطوات مصر لايقدرون على شيء من العمل فى السودان فانى أظن الاحسن رجوعهم إلى مصر حتى تعمر البلاد بدلا من مكثهم بها بدون فائدة — ثم وافق عليه البك ومصطفى افندى وغيرهما وقال حسن أغا وأنا أيضاً أوافق على عودتهم اتقاء الوقوع فى نفقات كهذه لافائدة فى تحملها .

« البند التاسع »

وقرىء ماجاء فى هذا البند من التقرير : وهو سؤال عما إذا كان يستحسن ارسال مائة وخمسين نفسا من أهل السودان إلى مصر كيما ينشأوا ويتعلموا الصنعة ثم يرجعوا فيستخدموا

قال امين افندى ناظر المبانى الأميرية : حيث انه عدد الباقين فى السودان هو ستمائة وثلاثة اشخاص فاذا جاء منهم مائة وخمسون الى مصر فكم انسانا يبقى هناك وكيف يكفى هذا العدد ؟ فصدق البك وقال إذا ذهب منهم المائة

والخمسون فكيف يكفى الباقون لزراعتهم ؟ فوافق على ذلك مصطفى افندى وعبد الرازق اغا ورستم افندى وغيرهم وقرروه .

وقال محمود افندى : نعم ان من المناسب ان توفد رجال ليتعلموا الصنعة ولكن اذا بعث مائة وخمسون نفسا فكم يبقى من الستمائة ومن الذين يقيمون بالقرى وكيف يكون حال الزراعة وكيف تكون ادارة البلاد ؟ فأنا ايضا اصادقكم على هذا الرأى .

وقال حسن أغا : إنى سائل موسى الكاشف عن شىء : وهو انكم كنتم هناك قبل ذهاب خورشيد أغا فلم تفيدونا حينئذ عن خراب تلك البلاد واحتياجها إلى العمار وانتم تتشدقون الآن بذلك ؟ فأجاب الكاشف قائلا : قد سبق ان عرضنا هذا الامر مرات عديدة واتت الاجابات إلى محو بك ولكن محو بك لم يطلعنا عليها ولم يقم هو أيضا بعمل ما فبقى الأمر على حاله .

(البند العاشر)

وفيه الأسئلة والأجوبة الخاصة بالمناجم الموجودة بجبال سنار من أن بجبال هذه الديار انواع المناجم ولكنها لم تظهر فبقيت على حالها لعدم وجود خبراء وان معدننا خبيراً يدعى الخواجه (بروكى) قد قدم بأمر إلى سنار مع درويش اغا المشرف (أى الناظر) على تلك الجهات (أى الجبال التى بها المناجم) وأنه قدم بعد وفاة المرحوم عثمان بك فأهملت المسألة فى عهد محو بك وان منجم الذهب يقع على مسافة ثمانى عشرة مرحلة من سنار فلا يمكن الوصول اليه بقليل من العسكر بل يحتاج إلى اصطحاب خمسمائة جندى وانه اذا صدر الأمر الخديوى بالذهاب اليه فإن خورشيد أغا سيقوم بنفسه أو يوفد عيسى أغا قبل حلول موسم الأمطار وانه أرسل كشفا عن نفقات المعدن المذكور والناظر درويش أغا .

فوجه حسن أغا سؤالا إلى البك عما إذا كان يستحسن ارسال خمسمائة

نفس مع هذا المعدن أم إذا كان الأولى وقفه (أى وقف المعدن) فأجابه البك قائلا : لا أدرى ، حيث انى لم يسبق لى سفر إلى تلك الجهات — وقال رستم افندى أن أهم المسائل عمران البلد فاظن أن الأحسن الاهتمام بعمار البلد أولا ثم التوجه إلى ذلك المعدن — وقال محمود افندى : أن خورشيد اغا رجل نشيط معروف بالبحث فى هذا القبيل من الأمور وجدير بالوصول إلى عورها ، فإذا فوض هذا الأمر إليه فهو ادرى بتحققه وعدم تحققه فيبادر إلى العمل بما يرشده إليه عقله — وقال مصطفى افندى : فلو انهم بدلا من أن يذهوا إلى المنجم مع خمسمائة جندى زرعوا الأراضى للحصول على طعامهم وشرابهم وعمروا البلاد لكان خيرا لهم ولكان ذلك احسن منجم — فاذا أحضر المعدنون بعد أن تعمر البلاد فليس بعزيز على فضل الله تعالى ان يحصل على هذه الفائدة أيضا ان شاء الله تعالى — فصدق عبد الرازق اغا ثم جاء سليمان اغا فصدق أيضا — ولما سأل حسن أغا حنا إذا كان ترجى فائدة من المنجم أم لا فأجاب انها لا ترجى وصدق حسين بك .

« البند الحادى عشر »

وملخصه : أنه جرى البحث فى حبوب سنار المأخوذ من سنار وضواحيها على حساب المطلوبات الأميرية ووضع سؤال عن سعر وقيته بحساب الفرانسه (أى الريال) فقال المعلم ميخائيل أن الوقية منه كانت تباع وتشترى بعشرين فرانسه منذ فتح السودان حتى عهد المرحوم عثمان بك فخفض المرحوم عثمان بك من سعرها أربع فرانسات وقرره ست عشرة فرانسه فهو (أى المحبوب) يؤخذ بسعر ست عشرة فرانسه حتى الآن — وسئل عما إذا كان للديوان فائدة من هذا السعر : فاجاب أن ليس للديوان من ذلك فائدة إذ أنه يعطيه بالسعر الذى يشتريه بل يصيب الرعايا من ذلك خسارة قدرها خمس فرانسات وأما التجار الجلابون أى (أى الجلابة) فيشترونه بسعر سبع عشرة

فرانسة فينقلونه إلى جهات الحبشة والمكادى والسواكن ويبيعونه بسعر خمس وعشرين فرانسه فقال خورشيد أغا حيث أن الخسارة تلحق بالرعايا والربح يعود على التجار فاذا تقرر سعره عشرين فرانسه كما كان من قبل فان الرعايا لا يعطون التجار الفرانسات التى اشتروها بزيادة فرق فى السعر قدره أربع فرانسات بل يؤدونه إلى الديوان فتحصل المطلوبات الأميرية كاملة — وقد صدقه الجميع وتقرر سعر وقية المحبوب عشرين فرانسه وكتبت أوامر إلى الحكام كافة وأعلن لهم الأمر — فلما انتهوا من قراءة ما تقدم وافق أمين افندى ومصطفى افندى ورستم افندى وسليمان أغا وغيرهم من أهل المجلس وقرروه .

« قال البك الدفتردار — أن وقية المحبوب تزيد عشرة دراهم كما أنها تسعة بالدبزات بحساب اليالديز فاذا حسبنا اليالديز سعره ثلاثة وعشرين قرشا فتكون قيمتها مائتى قرش وأن العشرين فرانسه تساوى ثلاثمائة قرش على حساب خمسة عشر قرشاً كل واحدة منها — وقد أصابوا إذا سعروا وقية المحبوب عشرين فرانسه كما كان فى عهدنا وفيما قبل — وقد وافق محمود افندى وعبد الرازق أغا ورستم افندى ومصطفى افندى وامين افندى وغيرهم على رأى البك فى تثمين الفرانسه خمسة عشر قرشاً وتسعير وقية ذهب المحبوب عشرين فرانسه ثم قرروا ذلك .

« البند الثانى عشر »

وملخصه أنه لما بحث فى مقدار استحقاق الجنود الموجودين اجاب أهل المجلس (مجلس خورشيد أغا) أن للجنود الجهادية مطلوبا لسبعة أشهر لغاية هذا التاريخ سوى ماأخذوه على الحساب وان لعيسى أغا مطلوبا لعشرين شهر وأن لكل من أصحاب التذاكر (الضباط) استحقاقا لاثنى عشر شهرا وأن الصناع لهم استحقاق لستة عشر شهرا تخمينا — ثم قيل : هل يمكن أن تحصل

هذه المرتبات من بقايا السنة السابقة وندفعها لأصحابها ؟ فأجابوا بقولهم — فمن نستطيع أن نحصلها مادامت البلاد يبابا ؟ إلا أنه إذا أراد الله تعالى أغاثنا بالأمطار فى العام المقبل وعاد الهاربون وعمرت البلاد وزرعت الأراضى واجتهد فى ذلك فإن الإيراد إنما يكفى المرتبات المستحقة بعد ذلك فتتحسن الحالة حينذاك —

فلما قرأ هذا قال مصطفى افندى : ان هذه المسألة لايصح الاستعجال فى الإجابة عنها بل هى تحتاج إلى تفكير عميق وقال البك الدفتردار : حيث أنهم تعهدوا كما ذكر آنفا وقالوا لو أننا حملنا على بلاد حسن وقطارف وعطيش يمكن أن ندبر مايكفى تموينا هذه السنة وحيث أنهم يريدون السير إلى تلك الديار ويرون امكان الحصول على المال فى الجزيرة فلهم أن يسافروا اليها كى يدبروا مايكفى مؤونتهم .

وقال محمود افندى أن موسى الكاشف ملم بأحوال تلك البلاد الماما تاما فنسأله عما إذا كانوا سيحتاجون إلى نقود من هذا الطرف (اى من مصر) أم يمكنهم الاكتفاء بما يجدونه عندهم — فقال الكاشف : ان مولانا قد سلم الينا جزيرة كسنار فكيف يكون لنا أن نسأل مصر نقوداً ؟ فعلينا أن نجتهد ما استطعنا فى كفاية انفسنا بفضل ولى النعم .

« البند الثالث عشر »

جاء فى هذا البند أن المشايخ الكبار والصغار والخوليةالذين ذهبوا مع مأمور سنار قد أنزلوا هم وحسين أغا حاكم الخط فى اخطاط بلاد سنار وجالوا فيها وكتبوا دفتراً عن الفلاحين الموجودين فى كل خط وقرية وعن القسم الذى أصبح يبابا فى ظرف هاتين السنتين مبينة فيه الأسماء والأوصاف فأرسل الدفتر إلى الأعتاب العلية مع موسى كاشف وإن فى شرق هذا الإقليم على

ساحل النيل ثلاثة أخطاط تشمل مائة وأربعين قرية يعرف الأول منها بخط (أبو هراز) والثانى بخط (ولد عباس) والثالث بخط (الهلالية) وأنه قد فرت جميع أهل تلك القرى فى عهد الحاج أمين أغا رئيس الأدلاء وأنه لا يوجد فرد واحد من المشايخ ولا من الرعايا فى أى تلك القرى وأن من الهاربين من يقيم الآن بالموضع الذى يقال له عطيش وأن منهم من قطن بين العربان وأنه إذا جلب هؤلاء الناس بفضل الله تعالى وبرعاية ولى النعم وعمرت تلك الأخطاط فانه سيطلب من مصر مشايخ وخولية بقدر كفاية ثلاثة أخطاط.

فلما فرغ من قراءة ما تقدم قال محمود افندى: « قد تعين علينا واجب آخر وهو أننا إذا أرسلنا رئيسا أو ناظراً إلى محل ينبغى أن ننظر أهو من أصحاب الخصال العالية أم هو رجل مرتكب (أى مرتشى) فنختاره من أصحاب حسن السير والسلوك الذين يوافق أفعالهم أقوالهم — وقال البك الدفتردار: « فليمض هؤلاء فى عمار البلاد فإذا احتاجوا إلى مشايخ وخولية فعليهم أن يعرضوا أمرهم على الأعتاب فإن مولانا صاحب المراحم يرسل إليهم مشايخ وخولية — فصدق محمود افندى ورستم افندى وأمين أفندى ناظر المبانى وعبد الرزاق أغا —

« البند الرابع عشر »

فيه: ان خورشيد اغا قال لأهل المجلس وهو يحاورهم: سمعت أن هناك موضعا بمسافة خمس مراحل من سنار يقال له عطيش وأنه كان فى حكم جزيرة سنار أصلا وأن فتحه لم يتيسر حينما فتحت سنار لعدم مساعدة الوقت فبقى على حاله وأن (المكاديين) (وهم سكان إقليم يسمى المكادى على حدود الحبشة) تسلطوا على أهله فاطاعوهم وعاهدوهم على أن يعطوهم شيئاً ضئيلا من الخراج وأن الهاربين من هذا الطرف (أى من سنار) يلجاون إليه

(أى إلى ذلك الموضع) فيقيمون به زاعمين انه دار امان وراحة فهل هذا صحيح ؟ فقال الشيخ بشير والشيخ خليفة : نعم هذا حق فهو (أى بلد عطيش) معمور جدا فاذا استولينا عليه فلا يستطيع أحد أن يفر اليه كما نتمكن من اعادة الهاربين فتعمر سنار ولو فرض أنه يوجد من يفر اليهم (أى إلى أهل عطيش) ولـكنهم (أى أهل عطيش) يأبون ايواء اللاجئين بينهم فتحصل منافع من عدة وجوه — قيل فهل تحصل فائدة من جهة المؤونه ؟ فأجابوا بأنه يؤخذ من تلك الديار ما يؤخذ من الجزيرة (أى جزيرة سنار) فى سنة — وصادق الجميع على ذلك — فيعرض (خورشيد أغا) بناء على ماتقدم أنهم قرروا اجماعاً تسخير تلك الديار باصطحاب ألفى جندى : منهم ستمائة خيال من الفرسان الموجودين وأربعمائة من خيالة (أهل شايقية) والف من الجنود الجهادية الموعودين بالظفر .

وبعد الفراغ من تلاوة ما تقدم قال حسن اغا : لقد سبق ذكر هـذا الموضوع فى التقرير واتخذ القرار اللازم فى شأنه وحيث أنه (أى خورشيد اغا) متفق مع المشايخ والعربان وأهل الوقوف فليس من المعقول أن يتعهد هذه المسالة ويكتبها فى تقريره قبل أن يشاور الذين سبق لهم الأقامة فى تلك الديار بق ، أنهم اعترفوا بامكان تحصيل مال من عطيش بمقدار المال الذى يحصل من الجزيرة (أى جزيرة سنار) فى سنة — فعلى هـذا فان المصلحة بعيدة بالنسبة الينا قريبة بالنسبة إليهم ، فنحن نستحسن ما يستحسنونه ان يأخذوا معهم الفى رجل وما يكفيهم من النقود والذخائر —

فقال محمود أفندى : أما انا فأمتنع الآن عن الموافقة على ذلك لأن مسألة عطيش تحتاج إلى شىء من التفكير .

ثم قال محمود افندى — الظاهر أن تقريره هذا كتابى كما يعلم من آخر كلامه — : أن جزيرة سنار لم يبق لها سكان بالنسبة إلى سعتها ، حيث أنه قد

ذكر فى كشوفها أنه بقى فى مائة وخمس واربعين (١٤٥) من قراها خمسمائة وتسعة وتسعون نفسا فلا نرى من هذه الجهة وسيلة توصل إلى عمار ماخرب منها ولم ندرى ما اذا كان الذين يسمونهم بالهاربين يبلغ عددهم كم الف نفس ؟ وقد قال موسى الكاشف فى تقريره أنه هلك كثير من الناس جوعا وبسبب الجدرى — وقد أخذتنى الحيرة من أجل ذلك — فلو كان أهل الجزيرة خمسين الف نفس فإن ذلك ليس كما نؤمل ولا يوافق أصولنا — ولم أرى فائدة فى اختيارنا هذه المقادير من النفقات وهذا العدد من التكلفات — ولو فرضنا أن هناك كثرة عظيمة فى الانسان والمواشى فلاريب أن فى تربية الآدميين وتنشئة المواشى نفعا وقد بذل الجهد والمساعى فى عمار تلك الديار ولكن الموظفين الموجودين هنالك قد اهمهم أمر رجوعهم إلى مصر قائلين فى أنفسهم (متى نرجع اليها) وأما الأهالى فهم يفكرون أيضا فى عودة الموظفين فيقولون : (لابد أن يرجعوا) فوقع التقصير من قبل الطرفين فى الاهتمام بالأمور فيجب أن يسأل موسى الكاشف عن قلة الأنسان والحيوان حقيقة فإذا كان الأمر كذلك فيجب التفكير فيه وإعمال الذهن فى اتخاذ طريقة اخرى بجميع نواحيها ولكنى أيقنت بما يوحى الى عقلى القاصر ان هذا الدفتر كذب — فلو أنه أجترأ على القول بأن الباقين هم واحد فى المائة على الأقل فإن ذلك يحتاج إليه التفكير أيضا إذ كان معناه أن عدد سكان الجزيرة (أى سنار) ستين الفا — هذا ما دعانى فكرى القاصر إلى الإجتراء على تحرير ما تقدم فالأمر إلى أهل المجلس —

وقال البك الدفتردار : انه قيل أنهم هلكوا بسبب المجاعة والجدرى فيجب أن يقع مثله بكردفان ولكن لم يظهر مثل هذه الشكاوى من جانب كردفان وحيث أن الفردة لم تدفع سنتين فم نشأت هذه الضرورة وهذا الضنك ؟ فقد حيرنى عدم اهتدائى إلى علم اسباب ذلك . وقد وصلت الساعة إلى

النصف بعد الغروب أى واصل المجلس مداولته على التوالى من الساعة الثانية صباحا (غروبية) إلى ذلك الوقت وقد فض المجلس ـ

الامضاءات : البك الدفتردار ، حسن أغا (ناظر المواشى) ، حسين بك محمود افندى (ناظر الفابريقات) ، راتب افندى (وكيل ناظر السكيلارية) رستم افندى (ناظر القماش) ، أمين افندى (ناظر المبانى الأميرية) ، أمين افندى (وكيل الأصناف) ، عبد الرازق أغا (مأمور التقارير) ، على افندى (ناظر الحرير) ، سليمان أغا (وكيل ناظر الغلال) .

[عابدين . المعية . محفظة ١٩ بحر برا ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢٢]

٤٣

مرسومات الخرطوم الأربعة التي أصدرها محمد سعيد باشا

المرسوم الأول

موجه إلى المديرين الجدد لمديريات السوذان الخمس ، سنار وكردفان ، تاكة ، بربر ودنقله .

الخرطوم فى ٢٦ يناير ١٨٥٧ .

ليس منكم من يجهل ما ألاقيه من التعب فى سبيل إحياء ما اندرس من معالم المدنية والعمران ، وإيراد كافة صنوف الرعية موارد العز والرفاهية وقطع شأفة الظلم والاستعباد .

ومع ذلك فإنى لما قدمت إلى هذه الأصقاع شاهدت بعينى رأسى ما يلاقيه أهلها من الضنك والفاقة وسمعت بأذنى صوت أنينهم من أحمال الضرائب التى أثقلت كاهل الغنى منهم فضلا عن الفقير ، وفداحة الخراج المضروب على سقاياتهم وأطيانهم وتسخيرهم فى كثير من الأعمال التى لاقدرة لهم على القيام بها والاتجار فى أولادهم وبناتهم كالسلعة فى الأسواق . فكان ذلك مما أحزن قلبى وبلبل فكرى لاسيما وقد علمت بأنهم أخذوا يهاجرون من أوطانهم إلى أقاصى البلاد هربا من هذه الكوارث والمحن المتراكمة بعضها فوق بعض ، فقد عقدت النية على جعل الخراج قدرا يناسب حالة البلاد وأهلها وعلى أن أبذل جهد المجتهد فى إصلاح أحوالهم وترتيب أمورهم على ما فيه الصالح لهم ولذريتهم من بعدهم .

فلما نزلت على بربر جمعت المشايخ وجميع من جاء للقائى من أهل البلاد على اختلاف مراتبهم وسألتهم أن يؤمروا عليهم أميرا يختارونه من بينهم ممن يستبشرون بإمارته . ويتوسمون فيه الخير للبلاد وتحصل على يده السكينة والخلود إلى الطاعة ، وأن يقدروا مبلغ الخراج الذى يسهل عليهم القيام به

بلا كلفه ولا مشقة ، ففرحوا بذلك وطلبوا أن يربط على كل ساقية خراجا قدره مائتا وخمسون قرشا فى كل سنة ، [ولكن حبى لشعبى يحملنى على منحه أكبر قدر ممكن من الرخاء وعلى الاهتمام بشأنه حتى أضمن عطفه ، وحتى يستطيع هو الآخر أن يهتم برعاية شئونه وتحقيق رفاهيته ، ولما كنت أريد بالاضافة إلى ذلك أن أعيد الطمأنينة إلى قلوب أولئك الذين هاجروا حتى يعودوا إلى أوطانهم وهم لايخشون ظلما ولا عدوانا ولا ضرائب باهظة ، فقد أمرت بالا تزيد ضريبة كل ساقية على مائتى قرش فقط] وخراج كل فدان من أرض الجزائر خمسة وعشرون قرشاً ، أما أراضى العلو فعشرون قرشاً لاغير . فكان لهذا العمل أحسن وقع فى قلوب سائر الرعية وفرحوا فرحا لايوصف وأخلدوا إلى السكون والطاعة وهنأ بعضهم بعضا وأرسلوا يستقدمون من هاجر منهم وترك الأوطان .

ولما وصلت إلى الخرطوم جاءنى المشايخ والأعيان [وإذا كان هؤلاء الأخيرون قد خفوا لمقابلتى فذلك لأنهم شعروا نتيجة لوجودى بينهم بدلائل كرم لم يشعروا بمثله قبل الآن قط . ولكنى لما كنت قد عينتكم مديرين لهذه الأقاليم] ، فإن عليكم أن تقتدوا بى ، وإنى لم أقلدكم المناصب إلا لتكونوا عونى على استتباب الأمن وإصلاح أمور الرعية . فإياكم والعنف والجور ، ولاتجبوا الخراج إلى فى الأوقات المناسبة ، واعقدوا لتقرير قاعدة ذلك جمعية فى الثلاثة شهور التى لا زرع ولا قلع فيها ، وقسموا الخراج على أقساط متساوية يسهل عليكم جبايتها فى آخر كل سنة [بصورة تجعل من الممكن تحصيل الخراج فى بحر السنة دون أن يتعرض الأهالى لارهاق ماودون ترك متاخرات لديهم

[ويجب أن تتألف هذه الجمعية من ١٢ إلى ٢٤ عضوا من أعيان المديرية حسبما ترونه مناسبا للمصلحة العامة . وبوصفكم رؤساء لهذا المجلس ، فأنتم الذين تقومون بتقسيم الخراج والنظر فى الوسائل الأكثر صلاحية لزيادة الرخاء

والهدوء بصورة تؤدى إلى استتباب الأحوال فى المدن وفى القرى استتباباً تاماً ويجب أن ترفع إلى القرارات التى تتخذونها بهذا الشأن واحداً إثر واحد] ثم أحصوا جميع الكشاف والجند الموكلين بجباية الخراج واخلعوهم وقلدوا مكانهم مشايخ البلاد فهم أولى بذلك .

[وعلى الجمعية أن تعنى ضمن ماتعنى به بالأمور التالية : عليكم أن تسرحوا الكشاف الذين هم اليوم حكام تلك الجهات ، وكذلك الجند الموجودين معهم ثم عليكم ألا ترسلوا بعد الآن ، كما كان الحال سابقاً جنداً لتحصيل الخراج ، فإن القرى وحدها هى التى ترسل شهريا خراجها حسب التقسيم بواسطة مشايخها ولا تستخدموا قوة القانون إلا بكل عدل لإجبار المتأخرين على الدفع . ولتشجيع المشايخ على القيام بوظائفهم بأمانة وإخلاص ، وجدت من الحكمة أن يكافأ المشايخ على خدماتهم وذلك بأن تعافوهم] فى مقابلة هذه الخدمة برفع خراج سقاية فى كل خمس وعشرين سقاية [ومعنى ذلك ألا تحصلوا خراجا إلا عن ٢٤ ساقية من خمس وعشرين ، بينما تبقى الساقية الخامسة والعشرين من سواقى المشايخ دون خراج ، وبالمثل فيما يتعلق بالأراضى ، فتعفون من الخراج أربعة أفدنة من كل مائة فدان تخص المشايخ] .

هذا وحيث أن لأولئك المشايخ والأعيان بيوتاً ينزل عليها كل طارق وقاصد ، فأرفعوا عن كل منهم خراج أربعة أفدنة فى كل مائة فدان [فإنه لما كان المشـــايخ - وهم أصحاب هذه المنازل يقدمون المأوى والمأكل للسياح والمسافرين ، ولما كانوا مشهورين بضيافتهم ، فقد وجدت من العدل أن يعم كرمى بحيث يشمل نفقات هذه الضيافة ؛ وعلى ذلك فقد تركت لتقديركم بحث وتعيين مايمكن أن يمنح لهؤلاء المشايخ ، وما ترونه أنتم مناسبا وعادلا وذلك حسب مركز كل قرية] .

[وعليكم أن تقوموا بقياس الأراضى ، وإحصاء السواقى بواسطة المشايخ الذين

يجب عليهم أن يقدموا بيان ذلك إلى المديرية ، وأما إذا أرسلتم رجالا من طرفكم لهذا الغرض ، وحدثت أخطاء فسيكونون المسؤلين وحدهم عن هذه الأخطاء ، والخراج الذى سوف يجرى تحديده على الأراضى بعد قياسها وعلى السواقى يجب أن يدفعه زارع الأرض وحاصد غلاتها ، وذلك حتى لا يستطيع أحد أن يقول أن الملزم بدفع الخراج قد تمكن من الهرب ، والخراج الذى يجرى تحديده وتعيينه على النحو الآنف الذكر ، يبدأ العمل به منذ هذه السنة الهجرية سنة ١٢٧٣ ، ويحتسب الخراج الذى حصل من ابتداء هذا العام من خراج هذه السنة ، وتمشياً مع هذه القاعدة يؤخذ هذا الخراج عن الأراضى التى تروى بماء الفيضان أو ماء الأمطار أو السواقى . ولكن إذا — لاقدر الله — انخفض النيل أو احتبس المطر ، فالخراج لا يستحق ولا يجبى .]

[وكل ما تحتاج إليه الحكومة من مأكولات وأشياء أخرى . أو جمال أو رجال للخدمة فعليها أن تدفع ثمن وأجر ورواتب ذلك كله بزيادة ٢٪ عما يدفعه السكان فيما بينهم وحتى إذا ارتفعت أثمان الأشياء فعلى الحكومة أن تدفع دائما زيادة ٢٪ على الرغم من زيادة الأسعار . وخوفا من ألا يعلن المشايخ عن الأثمان الحقيقية للأشياء وعن القيمة الحقيقية لليد العاملة إظهارا منهم لاهتمامهم بصالح الحكومة ، عليكم تفادى هذا المحظور بألا تأخذوا شيئا إلا بموافقة أصحابه موافقة حرة . وذلك حتى يمكن بفضل هذه الوسيلة أن يزداد رخاء البلاد وحتى أنه عندما يرى أولئك الذين هم فى الخارج الأثمان التى تدفعها الحكومة ، يدفعون هم الآخرون أثمانا طيبة مما من شأنه أن يزيد ثراء البلاد . ويجب أن لا تسخروا الرجال أو الجمال فى الأعمال . ويجب أن تشجعوا السكان على زراعة القمح والنيلج والقطن والسمسم وغيره وأن تبذلوا كل جهد حتى يمكن كبس الأقطان ، وصناعة النيلج ، حتى يسهل تصديرها ، وتفيد البلاد من أثمانها وقيمتها . ومن واجبكم أيضا أن

تشجعوا الأهالى على استخراج الزيت من السمسم لأن فى ذلك مصلحة لهم .]

وحيث يوجد فى هـذه البلاد الأخشاب الصالحة للعمائر ومد السـفن والحريق (الوقود) وغيره شيئا كثيرا فاشتروا منه من الأهالى كل ما تيسر وسيروا به إلى القاهرة ثم انقدوهم الثمن معجلا .

[وسوف يكون من السهل إنزال هذه الأخشاب إلى مصر على شكل أرماث وقت فيضان النيل . وعليكم أن تفهموا الأهالى ذلك وأن تشجعوهم على هذا العمل ، لأن أكثرهم لا يجدون عملا كافيا ، وسيكون هذا العمل مصدر ربح جديد .

[ومما يوطد الرخاء فى بلد ما ، بناء المنازل فى المدن . ولـكن عليكم أن تنتبهوا حتى لا تبنى المنازل فى الطرق من غير نظام ، بارزة أو مختفية كما هو الحال اليوم بل من الواجب أن تكون البنايات الجـديدة فى صف واحد وهذا من غير أن تضطروا لهدم المنازل الموجودة . فالبنايات الجديدة فقط هى التى يجب أن تشيد وفقا لهذه القاعدة الجديدة ويجب أن يكون لكل منزل حديقة ذات اتساع كاف لاستخدام مياه ساقية أو شادوف أو ما هو أقل من ذلك إذا لزم الأمر ، حتى تكون الأمور بهذه الواسطة منظمة تنظيما حسنا ، والهواء أنقى وأحسن . ويجب ألا تحصلوا ضريبة عن الأراضى التى تعطونها لهذا الغرض .

[وشجعوا الأهالى كذلك على زراعة الأشجار فى الطرق وعلى طول شاطئ النيل . إذ أن هذه المزروعات تفيدهم أولا بإنتاجها ، وثانياً بالأثر الطيب الذى تحدثه بامتدادها على طول الطرق والشواطىء .]

ثم علموهم الصنايع والفنون وإنشاء المبانى المنظمة والمساكن المشيدة وغرس الأشجار بالشوارع والطرقات وإذا أعطيتم أحداً ارضاً للفلاحة من الأطيان المتروكة فأخبروا بذلك المديرية التى انتم فى دائرة اختصاصها وإذا

عاد من هاجر إلى بلد وطلب رد اطيانه وكانت ثابتة إليه وجب ردها إذا لم يمض على انسحابه خمس عشرة سنة . وارفعوا عن الأهالى جميع المتأخرات لغاية سنة إحدى وسبعين ومايتين والف هجرية والمقاس أن مساحة كل فدان أربعمائة قصبة وأن كل قصبة ثلاثة أمتار فقط وإياكم والمخالفة فيكون جزاؤكم شر الجزاء .

[أما المنازعات والقضايا فيكون بحثها والبت فيها أمام المشايخ . ولكن فى الحالة التى يتعذر فيها الوصول إلى حل بهذه الطريقة فإن هذه القضايا يفصل فيها « المكوك » الذين يقبلهم الطرفان المتنازعان . وإذا كانت من نوع لا يحل بهذه الطريقة فإنها ترسل إلى المديرية . ومالم يمكن الفصل والحكم فيه فإنه يعرض على المجلس أثناء الشهور الثلاثة التى ذكرت أعلاه . فعلى المجلس أن ينظر فى هذه الأمور ويصدر حكمه فيها .

[أما فيما يخص المسائل المتعلقة بالقانون ، فهذه يحكم فيها القضاة ، ويقوم بتنفيذ هذه الأحكام المشايخ والمديرية . أما قضايا القتل فيجب أن ينظر فيها مدنياً بمساعدة المديرية ، وتبحثها المحكمة فى المديرية ، وفى المجلس الذى سبق التحدث عنه وذلك بحضور القاضى والذين يخصهم الأمر حتى ترفع إلىّ بعد ذلك بواسطة المديرية . أما قضايا البدو فهذه من اختصاصات شيخ قبيلتهم ، أو الشيخ الأعلى .

[وفى الحالة التى تتحسن فيها ثروة أحد الأفراد ويطلب إعطاء بعض الأراضى فى قريته (من بين الأراضى غير المزروعة) زيادة على ما يملكه يجب إعطاؤه هذه الأراضى إذا كانت من غير صاحب ، وتخبر المديرية بذلك حتى يكون لديها إلمام بالأمر ويطبق نفس الشىء فى الحالة التى يعود فيها أحد الأهالى إلى بلده بعد أن تغرب منها ، فيجب إعطاؤه أرضا غير مزروعة . ولكن إذا لم توجد مثل هذه الأرض فالواجب أن تسهل له وسائل العيش

فى قريته ، وأن يعطى بتدخل المشايخ والأعيان قدراً من الأراضى كافية لعيشه وذلك حسب مركز كل فرد . أما إذا كان هذا الفرد الذى ترك قريته يملك أرضا ، وحدث بسبب تغيبه أن استولى غيره عليها منذ مدة تزيد على الخمسة عشر عاما تماما فانه يجب رد أرضه إليه ويعطى لمن أخذت منه الأرض أرضاً أخرى . وتخبر المديرية بذلك . وفى الحالة التى لا توجد فيها أرض حرة بتاتاً فى القرية ، يكون التصرف معه كما هو مبين فى حالة من عاد إلى قريته بعد أن هجرها وكان لا يملك فيها أرضاً ، وإذا رغب أولئك العائدون الذين لم يكونوا يملكون أرضاً فى قراهم أو أولئك الذين لا توجد أرض حرة لإعطائهم إياها ، أن يحصلوا فى نظير دفع الضريبة على إرض متروكة لا صحاب لها ، ولا تجاور أية قرية ، وان يبنوا فيها قرية جديدة للاقامة بها والعيش فيها فمن الميسور إعطاؤهم هذه الأرض من غير أية صعوبة .

[ولما كانت الضريبة المفروضة على البدو قد حددت فانه سوف تصدر إليكم — حسب إرادتى — الأوامر اللازمة لتوزيعها على القبائل وتحديد ما يعطى للمشايخ منها نظير قيامهم بأعباء وظائفهم ونظير نفقات ضيافتهم ومع ذلك لما كانت ضريبة القبيلة موزعة بين الأفراد بمعرفة شيوخهم ، وهذا التوزيع غير معروف لدى المديرية ، فإنه نتيجة لذلك ، إذا لم يجد أحد هولاء البدو الراحة التى ينشدها فى قبيلته ، وأراد الذهاب إلى قبيلة أخرى للعيش فيها ولما كان حراً فى التصرف بشخصه ، وكان إرغامه على المكوث فى قبيلته سيزيد من ألمه — الأمر الذى لا يتفق مع رغباتى — بات من الواجب عليكم ألا تمنعوا هذا الشخص من العيش فى القبيلة التى يختارها . ولكن يجب أن تنتقص الضريبة التى كان يدفعها فى قبيلته مما يجب أن تدفعه هذه القبيلة وتضاف إلى ضريبة القبيلة التى اتخذها مقراً له .

[وإذا زرع أحد البدو أرضاً فى قرية ، وسرت عليه الضريبة المقررة فمن

الواجب ألا يكلف هـــذا الفرد بدفع ضريبتين ، إحداهما يدفعها فى قبيلته والأخرى عن أرضه . إذ أن هذا مخالف للعدالة . وقد قررت أنه فى كافة الحالات التى يزرع فيها بدوى أرضاً فى قرية ما ، يجب إعفاء هذا البدوى من ضريبة القبيلة التى يعينها مشايخ القبائل . فلا يدفع غير ضريبة واحدة هى ضريبة الأرض التى يزرعها . وقد أمرت بهذا حتى أشجع البدو على الإقبال على الزراعة وممارستها ، وعلى السكنى فى المدن .

[وفى الأمر الذى سأصدره إليكم فى موضوع ضرائب البدو ، سوف أعطيكم أيضاً الأوامر اللازمة لإرشادكم فى مسألة بعض الأهالى من الرعاة الرحل .

[أما فيما يختص بالجبال التى تفرض عليها الضريبة (أقول أنه) لما كان سكانها يعيشون فى حالة همجية وكان من الضرورى قيادتهم فى طريق الإنسانية حتى ينعدم ميلهم إلى العزلة فى الجبال ، وإلى القيام بالثورات ، فقد قررت أن أعفيهم من ثلثى الضريبة فلا أدعهم يدفعون إلا الثلث الواحد فقط . ويجب أن تفهموهم أنهم ليسوا بعبيد بل هم أحرار طلقاء .

[ولقد اعتاد هؤلاء أن يزرعوا بعض الأراضى على منحدرات الجبال فمن واجبكم أن تشجعوهم وأن تدخلوا فى أذهانهم فوائد الحياة فى المدن وأن تحضوهم على الإكثار من زراعاتهم وأن تبذلوا جهدكم فى إقناعهم لتجلبوهم إليكم . أوضحوا لهم جيداً أنهم إذا أقبلوا بملء قلوبهم على الزراعة ، فإننى سوف أعفيهم من الضريبة التى أنقصتها اليوم ، فلا يدفعون عندئذ سوى ضريبة على الأراضى التى يزرعونها ، وهذه أيضا سوف تكون أقل من تلك التى يؤدونها عن جبالهم ، وإنكم إنما تعاملونهم على هذه الصورة لتوفير راحتهم وامنهم . واجتذابهم إلى طريق الحضارة والمـــدنية . وحتى إذا حدث فى إجتماعاتكم التى تعقدونها لشرح ما تقدم لهم ولاستمالتهم ، ان طلبوا منكم

إلغاء هذه الضريبة — على شريطة ان يعدوا انهم سيقبلون على الزراعة . وان يدفعوا فقط ضريبة الأراضى (التى يزرعونها) . فعليكم ان تقبلوا ذلك ، وان ترفعوا إلىّ هذه المسالة حتى اعاملهم وفق رغباتهم لغرض واحد هو ان اثير حب الحياة فى المدن فى نفوسهم ، وان اصونهم بذلك من التقلبات التى يتعرضون لها .

[هذه هى الطريقة التى تتبعونها مع سكان الجبال الذين يعيشون فى حالة همجية وكالحيوانات المتوحشة . واما فيما يتعلق باهالى الجبال امثال اهالى الفونج المتحضرين قليلا فسوف اصدر إليكم الأوامر فيما يخص الجبال التى حضر مشايخها إلىّ . واما اولئك المشايخ الذين لم يحضروا ، فعليكم ان تتفاهموا معهم ، وبعد التداول مع مشايخهم عليكم ان تخبرونى بما يمكن ان يدفعوه بسهولة ومن دون مشقة ، كما عليكم ان تقدموا إلى تقريراً مفصلاً عن الضريبة الحالية ، والضريبة التى يريدون دفعها حتى اصدر اوامرى إليكم بهذا الصدد .

وعليكم أيضاً أن تجمعوا المشايخ والأعيان وتقرأو عليهم أمرى (هذا) وتفهموهم ما قررت القيام به لمصلحتهم ، مدفوعا إلى ذلك بحبى لشعبى .

[وعندما وصلت إلى بربر وإلى شندى عينت المشايخ والمكوك حسب رغبات الأهلين ووفق اختيارهم . ولم يحضر مشايخ بعض القرى ، وعليكم أن ترتبوا الأمور بهذا الشكل فى مديرية دنقلة ، وتتموها أيضاً فيما يتعلق بأقاليم بربر والجاعلين وهى التى لم تجر فيها هذه الترتيبات ، وعليكم أن تعينوا المشايخ والمكوك من أولئك الذين اختارهم الأهالى والأعيان ، ثم تزودونهم بنصائحكم وإرشاداتكم الحكيمة حتى يمكنهم أن يسلكوا مسلكا حسنا ، وحتى يتجنبوا بعناية كافة ما من شأنه إبعاد الأهالى عنهم .

[ابحثوا المسائل ، واعدلوا بين الناس دون ما تحيز فاذا استحق إنسان السجن لذنب من الذنوب فمن واجبكم الاهتمام بانها. هذه المسألة حتى لا يبقى

المجرم وقتاً طويلا فى السجن ، لأنه ومع كون السجن ضرورياً لعقاب أحد الأشخاص على عمل سيء أتاه ومن المنتظر أن ينتج خيراً اذ أن هذا من شأنه أن يمنع المجرم من اقتراف آثام أخرى فى المستقبل، وفى نفس الوقت تكون هذه العقوبة مثلا يردع الآخرين عن الإتيان بأعمال تستحق هذا العقاب ، فإنه لما كان السجناء هم من رعاياى وشعبى فإن عدلى ورحمتى لا يسمحان بأن يبقوا فى السجن أكثر من الوقت المقرر ، ورغبتى أن أكون شفيقا فى معاملتهم

[وفى الحالات التى تحدث فيها منازعات بين السكان والبدو ، أو بين بعضهم بعضاً ، فعليكم أن تعاقبوا المذنب منهم فورا ومن غير إمهال .

[وإذا دعوتم شيخاً أو عيناً من الأعيان ورفض الحضور ، ولما كان رفضه هذا غير لائق تجاه السلطة ، وأنه بعمله هذا سيرغم السلطة على إحضاره بالقوة ، فعليكم أن تعدوا حالة كهذه حالة عصيان ، وان تحضروه بالقوة .

[وبالنظر لكافة ما أحدثته الآن لصالح أهالى هذه البلاد ، سواء بتخفيض الضرائب أو بالغاء السخرة ، أو بمنع الأعمال التعسفية والظلم ، فمن الواضح إذاً أنه لا ضرورة لبقاء جنود فى هذه البلاد إذ أن الأهالى سوف يكونون مرغمين بحكم الضرورة — للمحافظة على أملاكهم — إلى تولى الدفاع عن أنفسهم ضد اى معتد عليهم يريد مهاجمتهم ، وذلك حتى لا يروا الدمار يحل بهم ، ومع ذلك فقد أقمت عدداً كافيا من الآلايات فى مختلف الجهات فخذوا حذركم إذن حتى تدفعوا كل من تحدثه نفسه بالهجوم عليكم . وإذا كان من الضرورى أن تتعاون المديريات فيما بينها ، فافعلوا ذلك حتى لا ينزل السوء بأحدى الجماعات الموجودة تحت إشرافكم .

[ولما كانت المدافع الموجودة فى السودان من المدافع الكبيرة التى لا يمكن جرها على الجبال أو الرمال ، ولما كانت لهذا السبب غير ذات فائدة بتاتاً لأن المدافع لا تفيد إلا إذا إستطاع الإنسان نقلها من مكان لآخر ، ولما كانت

المدافع الموجودة فى السودان لاتتوفر فيها هذه الشروط أمرت ان يحطم البعض وان يجمع الباقى .

[وقد تركت فى الجزيرة (سنار) ماهو ضرورى من المدافع وهى مدافع خفيفه . والباقى يوجد فى كورسكو . وقد امرت ان تنقل هذه الأخيرة إلى الخرطوم . وعندما يتم جمع كافة هذه المدافع ، فإنه سيرسل إلى كل جزء من اجزاء البلاد ما هو ضرورى لها .

[وكذلك فإنه فى المرتبة الأولى من الأهمية وهذه هى رغبتى الشديدة ، أن تصلنى فى كل وقت أخبار منكم عن أحوال البلاد وعما يحدث فيها . ولذلك فمن الواجب إذاً أن تنظموا خدمة البريد للجزيرة (سنار) ، وكردفان وتاكه على أن يخرج البريد من (الجزيرة) إلى «أبى حمد» وعلى بعد كل عشرة ساعات تقريباً تقطع على ظهر الهجن ، يجب أن تؤسسوا محطات يوجد بها هجانه تنقل الرسائل ، وأن تعدوا فيها أماكن لإقامة هؤلاء باستمرار ، وأن تعنوا بالوسائل التى تكفل لهم ولهجنهم الغذاء . فتقيمون ثلاث محطات بين أبو حمد وكورسكو : الأولى عند أبى حمد ، والثانية عندمرات ، والثالثة عند كورسكو . وذلك لتسهيل وصول الرسائل ، وترتبون عشرة من الهجانة لكل مديرية .

[وأما إذا اعتدى عليكم أحد وهاجمكم ، وكانت قوات أعدائكم كبيرة ، وأصبحتم فى حاجة إلى نجدات من القاهرة ، فعليكم أن تخبرونى بذلك سريعاً وفى الوقت ذاته أرسل إليكم ما يثير الفزع فى قلوبهم ، ويقضى عليهم ويفرقهم وسوف أحضر بنفسى حتى أقتص من أولئك الذين يجرؤون على إثارة الإضطراب وفعل الشر .

[ولتعلموا جيداً أن الاستعدادات الضرورية تتم دائماً فى القاهرة ، وكذلك تلك فى الحالات الضرورية التى تستلزم وجودى مع جندى الذين سأقودهم إلى السودان . وسوف اقتص اقتصاصاً شديداً من أولئك المعتدين . ويجب

أن تتأكدوا أيضاً أنه إذا علمت أن الأهالى قد أصابهم سوء من جانبكم أو من جانب المشايخ فسوف لا ينجو أحد منكم من عقابى فلتعلموا ذلك جيداً واسترشدوا بذلك فى تصرفاتكم حيث ان هذه هى أوامرى وهى التى تعبر عن رغباتى وإرادتى .]

ميخائيل شاروبيم حـ ٤ : صفحات ١٢٤ ، ١٢٥ ثم

Abbate. 29 — 41: Lesseps (Souvenirs d'Un Voyage) 512-515

المرسوم الثانى

فى الأمر الذى أصدرته لكم لترتيب الخراج (الضريبة) والمتعلق بوضع الترتيبات الأخرى موضع التنفيذ ، ذكر أن الضريبة قد حددت على هذا الأساس منذ سنة ١٢٧٢ (ذى الحجة سنة ١٢٧٣) وأن مادفعه الأهالى من بداية العام حتى الوقت الحاضر يجب أن يحسب من ضريبة هذه السنة ، وأنه نتيجة لما أشعر به نحو شعبى من حب فإنه لا ينبغى لكم أن تطالبوا الأهالى بالمتأخرات المستحقة عليهم حتى هذه السنة (سنة ١٢٧١) .

ولكن لما كان كل هذا غير مفسر بشكل واضح فى المرسوم السالف ، ولما كان أهالى هذه البلاد أميين ، فإننى أخشى أن يعتقدو أن هذه المتأخرات لازالت باقية عليهم وانهم مدينون بها للحكومة ولذلك فإننى أردت من هذا المرسوم الجديد أن أطمئنهم فى هذا الصدد تماماً حتى يكتمل سرورهم وتتم سعادتهم وأبين لهم بوضوح إرادتى ورغباتى .

يجرى طرح المبالغ التى دخلت الخزانة من بداية سنة ١٢٧٢ حتى هذا اليوم بعد عمل الخصم وفق ماذكر فى أمرى السابق — من خراج العام الحاضر وذلك بعد التحقق من صحة حسابات الصيارف بكل دقة .

وفيما يتعلق باولئك الذين يظلون دائنين للحكومة حتى نهاية سنة ١٢٧١

بفضل تقديمهم دفعات من المال تزيد عما هو مستحق عليهم ، ثم أن العدل يقضى بأن تحل هذه الزيادات مكان المتأخرات فاننى لما كنت فى عدالتى لا أريد أن يفقد أحد رعاياى شيئاً من المستحق له ، أطلب منكم أن تقوموا بتعويض كافة أولئك الذين ثبت تماماً أنهم دائنون (للحكومة) على النحو المتقدم بعد فحص دقيق عن هذه الزيادات وذلك بحسابها من خراج العام الحاضر المستحق عليهم .

ولقد جاء فى المرسوم السابق أنه إذا غير أحد البدو قبيلته ، فان الضريبة التى كان يدفعها فى قبيلته تنقل إلى حساب القبيلة الجديدة التى يختارها ، وإذا زرع أحد البدو أرضاً خارج حدود قبيلته فلا ينبغى أن يدفع سوى ضريبة هذه الأرض فقط ، ويجب أن تخصم الضريبة التى كان يدفعها فى قبيلته من حساب هذه القبيلة . فاذا وجدت مثل هذه الحالات ، ولزم نقل الضريبة التى كان يدفعها البدوى فى قبيلته الأولى إلى حساب القبيلة الثانية التى انتمى إليها فان ذلك سيثير مناقشات ومنازعات حول موضوع قدر الضريبة التى كان البدوى يدفعها لقبيلته الأولى ، وهذا يتطلب تحقيقات وضياع وقت كبير .

لذلك وحتى يمكن التخلص من هذه الصعوبات يجب عليكم أن تعدوا فى الوقت الذى يتم فيه تحديد الضريبة المفروضة على كل قبيلة بواسطة رئيسها قائمة بقدر الضريبة الموزعة على كل فرد من أفراد هذه القبائل ، على أن تحتفظوا بهذه القوائم فى المديرية للرجوع إليها عند الحاجة .

وكذلك من الضرورى معرفة حدود كل قرية من القرى مع إجبار المشايخ والأعيان على احترام هذه الحدود وكذلك من الواجب إقامة الحراس اللازمين حتى يكونوا مسئولين عن كل جريمة قتل أو سرقة تقع فى حدود قريتهم ، ويكونوا مجبرين على تقديم السارق أو القاتل وفى حالة تعذر ذلك يصبحون هم المسؤولين شخصياً . وقد صدر الأمر بهذا لغرض المحافظة على الأمن فى الطرق ، وحتى يمتنع الأفراد من إلقاء المسئولية أحدهم على الآخر عما

يجعل النظر فى هذه الأمور يتطلب وقتاً طويلا جداً ، ويجعل من المتعذر الكشف عن الحقيقة .

وعلى ذلك فواجبكم أن تقوموا بما يلزم لتعيين حدود كل قرية ، وأن تفهموا المشايخ قدر المسئولية الملقاة على عواتقهم .

وحتى هذا اليوم كان يودع السارقون والقتلة الذين حكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة فى سجون السودان ؛ فإذا نقلوا بدلا من ذلك إلى السجون الواقعة بعيداً عن عائلاتهم وعن قراهم فإنه من المحتمل أن تمنعهم معرفتهم لهذه العقوبة من ارتكاب الآثام ، وبناء على ذلك فقد قررت أن ينقل أولئك الذين تصدر ضدهم أحكام بالسجن المؤبد إلى السجون الموجودة فى مصر حيث تنفذ فيهم العقوبة ، بينما يرسل من مصر المجرمون المحكوم عليهم بنفس العقوبة إلى السودان لتنفيذ هذه العقوبة فيهم .

كانت الحسابات فى الماضى ترسل إلى حكمدار السودان ، ولكن لما كانت كل مديرية مستقلة اليوم ، فإنه يجب إرسال كشوف حساباتكم كل ثلاثة أشهر إلى القاهرة .

وعليكم أن تعلموا كافة المشايخ والأعيان بمحتويات هذا المرسوم ، وأن تفهموهم مضمونه حتى يعملوا بموجبه .

وهذه هى إرادتى .

(Abbate. 42-44; Lesseps (Souvenirs) 551-516)

المرسوم الثالث

إنه بحسب الترتيب الذى صار إجراؤه بالسودان رحمة منا على أهاليها جعل على كل فدان طين من الكائن بالجزر خمسة وعشرون عرش والذى بالجروف بعشرين غرش . وحيث من الاقتضى تحديد قدر الفدان قاعدة وربع أى طول وعرض على مقدار معين فو إن كان بمصر والجهات البحرية الفدان جملة قياسه ثلثمائة ثلاثة وثلاثين قصبة وثلث قصبة مسطح مكسر فى بعضه كناية عن ثمانية عشر قصبة و $\frac{٥٧}{١٠٠٠}$ من القصبة فى مثلها تقريبا ، فاقتضت مكارمنا أيضا أن بالسودان يكون مقاس الفدان الواحد اربعمائة قصبة أى طوله عشرون قصبة فى عرض عشرين قصبة ، وما ينقص ويزيد فى المقاس يستخرج قدره فى الحساب ، وطول القصبة الواحدة ثلاثة أمتار وقد صار إعمال لكم قصبة بهذا المقاس وصار يختم على كل واحدة من الطرفين وما يلزم من الأقصاب للمساح تعمل على قدرها بغير زيادة ولا نقص ويجرى الختم عليهم من طرفكم للاعتماد . ويكون المقاس والحساب على وجه ماتوضح كما اقتضت إرادتنا .

[أمين سامى . تقويم النيل المجلد الأول من الجزء الثالث صفحة ٢١٢ (أمر عالى لمديرية التاكة فى غاية جمادى الأولى سنة ١٢٧٣ ، والترجمة الفرنسية فى كتاب أباته (Abbate) صفحة ٤٥] .

المرسوم الرابع

بناء على رغباتى المتعلقة بفرز العساكر وترتيب ما يمكن إرساله منهم إلى كل جزء من أجزاء السودان عليكم أن تتفقوا مع قومندان جند الخرطوم لفرز العساكر الذين يجب أن يبقى منهم آلاى فى سنار وآخر فى تاكة وتسمونهما الآلاى الأول والآلاى الثانى .

وليس هذان الآلايان بحاجة إلى ضباط من رتبة اميرالاى ، إذ يتولى البكباشيون قيادة الجند والإشراف على الأعمال الضرورية . ومعنى ذلك أن كل أورطة تصبح تحت مسئولية قائدها .

وعند الفرز عليكم أن تشكلوا من أولئك الذين يتضح أنهم غير صالحين للخدمة فى الآلايات ، وهذا عدا الضعفاء أو المسنين جدا ، أربعة بلوكات على أن يكون لها أربعة أونباشية ، وذلك للخدمة فى المديريات الأربع ، فيكون لكل من هذه المديريات بلوك واحد يقوم بحراسة الخزانة وغير ذلك من الأعمال .

وقد أرسلت أوامرى بهذا الشأن إلى مدير الخرطوم ، وأرسل اليكم هذا الأمر الآن حتى تعملوا بموجبه ، فبمجرد انتهاء الفرز تقومون بإرسال هذه البلوكات إلى المديريات حتى يتم قيدها هناك تبعا للأوامر التى أصدرتها .

[كتاب أباته (Abbate) صفحة ٤٦]

٤٤
إقامة السواقى وإنشاء الحدائق

من الجناب العالى إلى حكمدار السودان (موسى حمدى باشا)
فى ٦ رجب ١٢٨١ (٥ ديسمبر ١٨٦٤)

أن أحمد أغا من بلوكات المحافظين (بدنقله) سابقا قد قدم إلى ديوان معاونتى عريظة مطوية بهذه المكاتبة مفادها أنه فى سنة ٧٢ قد أنشأ ساقية بالغابة والتلول الواقعة خارج زمام مديرية (دنقلة) وأصلح فعلا قسما من تلك التلول وغرس فيها نخيلا وأشجاراً من الليمون والصنط وأنه يريد إنشاء حديقة وسبيل بها وبما أنه قد فرض مال أميرى على تلك الساقية كما فرض مبلغ ثمان وثمانون قرشا ونصف القرش سنويا على النخيل قبل طرحها الثمار وذلك فى الإحصاء الذى عمل فى سنة ٧٨ وبما أنه لم يسبق فرض أموال أميرية على بعض الحدائق الموجودة فى المديرية قديما وأن السواقى التى فرض عليها الأموال الميرية واقعة على البحر فإنه يلتمس رفع المال عن الساقية والنخيل المذكورة فعليكم بإعفائه من الأموال المفروضة على الأشجار التى غرسها والسواقى التى حفرها المذكور هناك وأنه من البديهى فى حالة إعفاء الحدائق الموجودة بالأراضى السودانية من الأموال سيرغب حينئذ كل شخص فى غرس تلك الأشجار وسيكون ذلك سببا فى ازدياد الحدائق يوما فيوما فى انتظام وعمران الأقاليم السودانية والإكثار من اصلاحها ومدنيتها وهذه زبدة أفكارى فى ذلك ، وإنى بموجب أمرى هذا أطلب منك عدم فرض أموال أميرية على الأراضى المنزرعة بها أشجارا ولا على الأشجار المنغرسة أو التى ستغرس من الآن فصاعدا مثل أشجار الليمون والبرتقال والتين وأشجار الفاكهة الأخرى فى السودان .

حاشية : بموجب أمرى هـــذا يجب أن لاتفرض أموالا أميرية على الأشجار المنزرعة بجهة السودان والتى ستغرس من بعد الآن من الأشجار

المثمرة ولا على الأراضى التى تزرع فيها تلك الأشجار وأن تقيس الأراضى المزروعة فيها تلك الأشجار وتحددها وأن تحرر حجج تمليك باسم أصحابها يتصرفون فيها كيفما شاءوا .

[عابدين . المعية . دفتر ٥٢٩ رقم ٤ صفحة ١٩٧]

٤٥

عمران مصوع وسواكن

إدارة سنية إلى حكمدار السودان (جعفر مظهر باشا)

فى ٢٨ صفر ١٢٨٣ [١٢ يولية ١٨٦٦]

لقد وصلت الينا أخيراً مذكرتكم المخصوصة المؤرخة فى ٢٣ ذى الحجة سنة ٨٢ التى ضمنتموها آراءكم ووجهات نظركم فيما يختص بالحاق ثغرى مصوع وسواكن بحكومتنا نهائيا فتلوناها حرفيا . والحق إننا قررنا رأيكم ونظرياتكم حق قدرها واستحسناها وسررنا منها أيما سرور . إن أمر ضم هذين الثغرين إلى حكومتنا نهائيا قد سبق بيانه فى أمرنا الصادر إليكم فيما يتعلق بحق وراثة الحكم فى مصر فى ذريتنا بتاريخ صفر سنة ٨٣ فلم يبق مايدعو للمزيد من البيان وبما أن سواكن هى ميناء عمومية الأقاليم السودانية والمنفذ التجارى لها فإن أهم مانفكر فيه ونسعى إليه الزراعة والتجارة فى تلك الجهة . ونرى فيما نراه من الوسائل المؤدية لذلك أنه لو أنشئت فى السودان السكك الحديدية التى أصبحت الأساس الأعظم للتقدم والعمران لأفادت البلاد الفوائد الجمة فى قليل من الوقت والله يعلم أن هذه الفكرة لم تبرح مخيلتنا لحظة واحدة ولو كان فى الإمكان لأمرنا بمباشرة العمل فى هذا المشروع منذ الآن . ولكن ما الحيلة وإنشاء السكك الحديدية فى تلك الجهة يصطدم بصعوبات كثيرة ويحتاج إلى نفقات طائلة سيما والحالة تقضى بإرجاء تحقيق مثل هذه المشروعات العظيمة

التى تتطلب هذه النفقات إلى ما بعد مدة ريثما تتخلص المالية من بعض الضيق الذى تعانيه فى الوقت الحاضر كما أن هنالك مع الأسف الشديد موانع أخرى تحول دون ذلك كالمال المخصص سنوياً من المالية لنفقات السودان وما إليه من الموانع ولكن مالا يدرك كله لا يترك جله فاذا كان الظرف المالى لا يسمح لنا بإنشاء السكك الحديدية الآن فإننا نعلم أكيداً أنه لا يرضيكم أن نحجم عن ذلك نهائياً من غير أن نعمل على تحقيق بعض المشاريع السهلة المنال القليلة النفقات التى من شأنها أن تسهل سبل التجارة والمخابرات والمواصلات . فإذا ما أصلحنا الطريق الموصول من بربر إلى سواكن ومن سواكن إلى التاكة فى الوقت الحاضر ومهدناه على قدر الإمكان وسيرنا فيه عربات لنقل البضائع كعربات (العريق) عربات جميع أجزاءها من الخشب وعربات الثيران كالتى يستعملها أهالى الأناضول وأنشأنا بعض المبانى اللازمة كالخانات وما إليها فى المحطات الكائنة على الطريق وحفرنا الآبار الضرورية فى الأماكن التى يجب أن يتوفر الماء فيها للمسافرين كان لذلك أثره فى توسيع دائرة التجارة . وحيث أن تحقيق هذه المشاريع هناك ليس من الصعوبة بمكان سيما وبندر سواكن بطبيعة موقعه صالح للعمران وحيث أن الحدادين والنجارين والبنائين وما إليهم موجودون بكثرة بين العساكر فإنه من الممكن استخدامهم فى بناء الأكواخ الكافية على أن تكون على الأقل أساساتها ومقدار متر من جدرانها من الحجارة وبقيتها من الطوب النيء ليأوى إليها الأهالى بدلا من العشش المغطاة بالحصر التى سمعنا أنهم يقيمون فيها . ويشاد إلى جانب ذلك بأيدى هؤلاء العمال مسجد صغير ومدرسة صغيرة ومستشفى (مدنى) بسيط وحينئذ تتحسن حالة البندر ويزداد عمرانه فأطلب أن تبذلوا الجهد لتحقيق هذه الفكرة . ولما كان توصيل الماء الذى يبعد مسافة ساعة عن سواكن هو من الأهمية بمكان فسنجلب من أوربا خصيصاً آلة ميكانيكية لصنع المواسير الفخارية والطوب اللازم لهذه

العملية وسنرسلها إليكم متى وصلت لتسهل عليكم تنفيذ هذا المشروع فاعنوا بتحقيقه وإتمامه فى أقرب وقت .

[عابدين . المعية . دفتر ٥٥٨ تركى رقم ٢٧ صفحة ٥٩]

٤٦

توجيهات لتنظيم مصوع وزيادة العمار بها

الجناب العالى إلى محافظ مصوع .

فى ٢٣ شوال ١٢٨٣ (٢٨ فبراير ١٨٦٧)

إن انتخابنا لكم لما نعهده فيكم من الجدارة واللياقة واستخدامكم فى هذه المأمورية الهامة النائية إنما كان على أمل أن يوفقكم الله فى مسعاكم لتحقيق مقاصدنا الخيرية فيما يتعلق بالإصلاحات والتنظيمات الجديدة التى تتفق وكرامة الحكومة المصرية فى هذا الموقع الهام الكائن فى طريق سفن بعض الدول العظمى وركابها والذى دخل فى حوزة حكومتنا حديثا . فتعملون على تجميل هذا الموقع وتسهلون سبل التجارة وتوطدون الأمن وتخدمون الأهالى .

إن الموظفين الذين يكتفون بإدارة الشئون على ما هى عليه ولا يكلفون أنفسهم القيام بالإصلاحات وإحداث المرافق الخيرية التى تعود على أبناء جنسهم بالنفع ويقضون المهمة على هذا النحو يجهل الناس أسماءهم ويظلون فى حكم الذين لم يأتوا إلى هذه الدنيا كما هو مسلم به لدى أولى الألباب .

وبالعكس فإن الذين يتولون تصريف الأمور العادية بما يتفق والعدل ويعملون فى نفس الوقت للإصلاحات والتنظيمات التى تعود على التجارة والثروة والعمران بفوائد جمة ويوفقون إلى ترك الأثر النافع خلفهم يخلدون أسماءهم فى صحيفة هذا العالم .

ولما كانت مقاصدنا الخيرية لا تخرج عن حد ما ذكر فإننا كثيرا مانحثكم ونستنهض همتكم فى أوامرنا التى نصدرها إليكم بعد حين وآخر لاتباع هذا المبدأ وإننا وإن كنا كبيرى الأمل فى أنكم لن تتساهلوا مقدار ذرة فى تحقيق مقاصدنا فإننا رأينا وجوب إخطاركم باتباع ما يلى :

١ — أن الموقع الذى أنتم فيه هو ميناء تجارى هام وستزداد أهميته على مر الأيام فيزداد بالطبع عدد الأهالى وتكثر فيه المبانى وبما أن أهم واجبات الحكومة أن تعمل على عـــدم مضايقة الأهلين فى أمورهم المعيشية فأول مايجب الشروع فيه هو توفير الماء العذب الذى هو العنصر الرئيسى فى حياة الإنسان وإيجاد الطريقة المؤدية لصرفه وتوزيعه بسهولة . ثم تمهيد السبيل لورود المواد الغذائية كالقمح والحبوب الأخرى والسمن واللحم وما إليه وتسهيل بيعها وشرائها . ولما كان وجود هذه المواد الضرورية فى داخل البلدة وأطرافها أدعى للفائدة يجب تشويق الأهالى وترغيبهم فى الزراعة وغرس الأشجار وتربية المواشى وبدلا من بقاء عساكر الأورطة الموجودة عندكم بلا عمل طيلة يومهم دعوهم يعملون فى غرس الأشجار وزرع الخضر وما إليها فى أطراف الجهة التى يقيمون فيها أو مكان آخر قريب ، تصلح تربته للزراعة فتكون مزرعتهم هذه أنموذجا يعمل الأهالى على منواله .

وقد أرسلنا لكم فى هذه المرة تقاوى بعض الخضر وفى المرة التالية سنبعث لكم بفسائل بعض الأشجار فاعتنوا بزرعها وغرسها كل الاعتناء .

٢ — كلما اتسعت تجارة البلدة كثرت فيها المبانى فإذا ماجعل لهذه المبانى وضع حسن وأنشئت فى البلدة دار جميلة للمحافظة وأخرى للجمرك وبنى على شاطىء البحر بجوار الكمرك رصيف لشحن السفن وتفريغها تسهيلا للتجارة وأنشىء فيها أيضا مدرسة ومستشفى كان لذلك أثره البالغ فى الصحة العمومية والتربية وتسهيل التجارة وفى أنظار الناس فانتخبوا المواقع التى ستقام

فيها المبانى أما المستشفى فيجب أن يشاد فى مكان مناسب يبعد عن البلدة قليلا .

ولما كان من الممكن أن تجدوا عندكم مايلزمكم من المواد والمهمات لهذه المبانى كما أن بين عساكر الأورطة الموجودة بمصوع الكثير من الصناع والعمال فضعوا تصميم المبانى المذكورة وارسلوه إلينا وباشروا فى تدبير المواد والمهمات اللازمة وإذا كان ثمة حاجة لإرسال بعض المواد من هنا اعرضوا علينا حاجتكم منها حتى نوافيكم بها .

ومتى تم بناء الباخرة (مصر) التى خصصت لركوبنا سنسافر عليها إلى تلك الجهة عن طريق رأس الرجا الصالح حيث نرى بنفسنا ما وصلت إليه الحالة فإذا رأيناكم قد وفقتم إلى تحقيق هذه المشروعات الخيرية سررنا منكم أيما سرور واستحققتم جميع أنواع المكافأة .

فأوصلوا العمل بالنهار واسعوا بكل ما أوتيتم من جهد لتحقيق ذلك وحيث أننا نرغب فى إنشاء قصر صغير نخصصه لإقامتنا هناك فانتخبوا أيضا الموضع الذى سيشاد القصر عليه وابعثوا إلينا بتصميمه وإذا كنتم فى حاجة لمهندس يضع تصميم هذه المبانى انبئونا حتى نرسل إليكم أحد المهندسين .

[عابدين . المعية . دفتر ٥٥٨ (تركى) رقم ٣ صفحة ٣ قسم ثانى]

٤٧

زراعة القطن فى بربر

أمر كريم إلى مدير بربر

فى غرة محرم ١٢٨٨ (٢٣ مارس ١٨٧١)

أمر كريم منطوقه صار منظورنا عريضتكم الواردة لطرفنا رقم ٢٦ ذى

القعدة سنة ٨٧ نمرة ١٥ جوابا لأمرنا الصادر لكم باجرى الطرق والوسايط المؤدية لعمارية جهة طرفكم وثروة أهاليها بواسطة تأليفهم وتشويقهم على زراعة صنف القطن بالأراضى الموجودة هناك والاستحصال بذلك على الثمرات التى تعود بالفوايد المستحسنة كما لايخفى وقد علمنا مما ذكرتموه أنكم باذلين غيرتكم ومجتهدين بكل مايمكنكم فى أجرى هذه الأسباب حتى أنه بالنظر لكون اطيان المديرية لاتروى سنوى إلا إن كان النيل بالغ النهاية فى الزيادة لمناسبة عدم وجود ترع مثل جهة بحرى قد شرعتم فى حفر سيالات صغيرة من البحر بالمحلات المنخفضة التى يتيسر امتدادها بدون كلفة كبيرة ولا مشقة وبها يصير الاستحصال على رى أراضى المديرية على وجه العموم سوا كان النيل بالغ النهاية فى الزيادة أو متوسط وأجرى زراعة تلك الأراضى من صنف القطن لآخر ماأوضحتوه قد وقع عندنا موقع الأستحسان والقبول ولا بأس من بذل الجهد والاجتهاد فى تتميم هذه العملية الخيرية والحصول على الثمرات التى تعود منها وقد حضر ولدكم لطرفنا وقابلناه وأمرناه شفاها بتفهيمكم عن اجرى بعض أشياء يخبركم عنها فعلى حسب تعريفه إليكم بادروا باجراها كما أن المأية أردب بذرة قطن التى طلبتوها فإنها مرسولة إليكم لتجروا توزيعها وتشويق وترغيب الأهالى على زراعتها ومن جهة أثمانها ومصاريفها الذى ذكرتم عن توزيعها على الأهالى فإننا لانريد الزام الأهالى بشىء من الأثمان والمصاريف المحكى عنها بل إننا سامحناهم من ذلك ترغيبا لهم وتسهيلا إليهم وعلى مقتضى ذلك يلزم توزيع هذه التقاوى عليهم مجانا بدون ثمن ولامصاريف وبالمثل الأربعة أشخاص الذى طلبتوا إرسالهم من جهة بحرى لأجل تعليم أهالى طرفكم زراعة القطن فإنهم مرسولين أيضا كما أن قاضى بربر الذى كتبتوا فى حقه لمعيتنا فى ٢٨ ذى القعدة سنة ١٢٨٧ نمرة ١٦ بعدم لياقته وعدم أمنيته صدر لكم أمرنا فى تاريخه برفعه وتعيين السيد محمد الظاهر الذى استنسبتوا

تعيينه بدله وبهذه الكيفية وما أنتم شارعين فيه من أعمال الوسايط الممكن بها سهولة رى أطيان المديرية مع تأليف الأهالى عل الزراعة وتحسينها إليهم مأمول — بعون الله تعالى الحصول على ماهو مرغوب لدينا من عمارية جهتكم ومن تقدم وتمدن أهاليها كما هو متلزم إرادتنا؟

[عابدين . المعية . دفتر ١٩٣٨ : (أوامر عربى) رقم ٨ صفحة ٢٤]

٤٨

بيان الأراضى الخصبة الصالحة للزراعة الكائنة بالسودان والجهات التابعة لسواحل البحر الأحمر

في ربيع الثانى ١٢٨٨ (يونيه — يوليه ١٨٧١)

١ ـ مصوع : تمتد محافظة مصوع من حيث الطول إلى مسافه بعيدة على أن طولها اعتباراً من المكان المسمى (زله) إلى مواطن قبيلة الحباب التى تحدها من الجهة الشمالية يبلغ ٢١٠ ميلا وعرضها فى اتجاه الغرب يمتدفى بعض الأماكن إلى ما يقرب من نصف درجة وفى مواطن قبيلة الحباب يمتد إلى درجة واحدة ومساحة ذلك يبلغ ٨٧٠٠ ميل مربع وبحساب الأفدنة تبلغ (١٧٦٢ . ٨١) فداناً وإذا ما طرح سبعة أجزاء هذه المساحة المكونة من الجبال والرمال والأراضى التى لا تصلح للزراعة على حد رواية المحافظ منسنجر بك وغيره يبقى هنالك ١٠.١٢٧٤٩ فداناً ونظراً لأن العربان التابعين للمحافظة المذكورة لم يرغبوا فى الزراعة فانهم يزرعون كميات قليلة من الذرة العويجة إلا أن المزروع منها لا يكفى لقوتهم فيبتاعون الذرة من التاكة والجهات الأخرى فاذا ما رغبوا فى الإكثار من زراعة الذرة والقطن فسوف لا يبتاعون الذرة من الخارج كما أنهم يمكنهم أن يبيعوا أقطانهم فى نفس

مصوع ولما كان تجار الحبشة يبتاعون الأقطان الواردة بالسفن إلى ميناء مصوع ويشترونها لغاية ١٥ ريالا فمن البداهة أن العربان الذين بجوارهم يرغبون فى شراء القطن إذا وجدوه هذا من جهة ومن جهة أخرى فان السفن تحمل القطن من بلاد بعيدة كالهند واستراليا عن طريق البحر الأحمر إلى أوربا فالقطن الذى يزيد عن حاجة التجار الأحباش بميناء مصوع يمكن شحنه إلى أوربا عن طريق السويس حيث يباع هناك .

٣ ـ سواكن : هنالك جهات صالحة لزراعة القطن تقع فى الاتجاه الغربى والشمالى من عقيق وتوكر ونفس سواكن وتمتد لغاية راوية والمساحة الصحيحة لتوكر . مائتى ألف فدان وعدا عن ذلك هنالك فى السواحل المذكورة ما يزيد على ٢٠ ألف فدان من الأراضى التى يمكن ريها بواسطة السيول . وهنالك سيول كثيرة غربى سلسلة الجبال القائمة غربى سواكن ، ولما قمت فى هذه المرة لمهمتى فى سواكن أخذت أرغب عربان تلك الجهة فى الزراعة فقوى لدى الأمل بالنظر لما شاهدته فيهم من الميل والرغبة ولا تساع الأراضى فى زرع ما يتجاوز الـ٢٠ ألف فدان قطنا غربى الجبال المذكورة فقط . وقد تحمس العربان وازدادوا رغبة عندما نما القطن الذى زرع فى بعض جهات الأراضى المذكورة سيما بعد أن جنوه وحملوه إلى سواكن حيث باعوه حالا . إن الأراضى المذكورة الواقعة غربى سنكات أى غربى سلسله الجبال الآنفة الذكر تمتد طولا وعرضا حتى أتبره مسافة اثنى عشر يوما . وفيها مساحات واسعة تروى فى أيام الصيف بالأمطار والسيول وهنالك أراض واسعة شرقى وغربى السيل المسمى : خور العرب الذى هو الحد الغربى لعربان سواكن . وقبل بضع سنين وضع خريطة هذه الجهات اعتباراً من أتبره إلى شندى اسماعيل بك ناظر الرصدخانة والمهندسخانة ومن معه من المهندسين فاذا تفضلتم بالرجوع إلى هذه الخريطة أمكنكم

الوقوف على حالة أراضى تلك الجهة حيث أنهم دونوا ورسموا فيها الأماكن التى صادفوها فى طريقهم . إن فى هذه الجهة أراضى واسعة منبتة وإذا كان عربان حمران وقرهباب وشيوديتاب وغيرهم من العربان المقيمين فيها يكتفون حتى الآن بزراعة الذرة فانهم بناء على التشويق والترغيب الواقع سيزرعون نحو ٢٠ ألف فدان قطنا والذين بالقرب من سواكن سيرسلون أقطانهم إلى سواكن والقريبون من أتبره سيرسلونها إلى قوز رجب .

٣— **مديرية التاكة** : لقد اكتشف داخل حدودها المعلومة سبعة ملايين وكسور من الأراضى (الخالية) منها مليونان وكسور فى وادى قاش فقط وهذا الوادى يروى من نهر قاش الذى يجرى من شمال الحبشة ويدوم جريانه مدة ثلاثة أشهر بدون انقطاع — وعرض هذا النهر يتراوح بين ١٠٠ ، ١٥٠ لغاية ٢٠٠ متر وعمقه متران وهذا عدا عن موسم الأمطار الذى هو عبارة عن فيض ربانى وقد أبان منسنجر بك أن عدد نفوس المديرية المذكورة على أصح تقدير يتجاوز المليون والقطن الذى سيزرع بالجهات الشمالية من المديرية المذكورة سيرسل محصوله إلى توقر : (توكر) أو إلى سواكن ومحصول المزروع منه فى الجهة القبلية يرسل إلى قوزرجب حيث يشحن من هناك على السفن التى تقوم — إبان فيضان النيل — مجتازة شلال حلفا فى طريقها إلى المحروسة وفى الإمكان تنظيم كشف مفصل لكل قبيلة يشعر بأنه من المستطاع زرع ماية ألف فدان من القطن بالتاكه فى السنة القادمة ومتى أدرك العربان ثمرة الزراعة أى أنهم متى جنوا المحصولات وباعوها ازدادت مع الأيام رغبتهم فى الزراعة .

٤— **مامورية القضارف** : أنه بالنظر لبعد مواطن عربان الشكرية وحمران والضباينة والقبائل الأخرى القاطنة شرقى مديريتى سنار والخرطوم عن مركز هاتين المديريتين فان ادارة أمور هذه الجهة (مامورية القضارف) محولة على

جيش السرسوارى على كاشف وألماس أغا وهذه المأمورية منضم إليها أراضى واسعة طولها وعرضها مسافة ٦٠ ساعة وهى مأهولة بقبائل العربان المنتشرة فيها . ولما كانت الجبال والرمال قليلة فى هذه الجهة فان جميع أراضيها منبتة وصالحة للزراعة وأراضيها تتشقق قبل موسم هطول الأمطار فاذا امطرت السماء انساب الماء فى الشقوق فتشبعت الأرض بالماء. ورويت على أحسن وجه وبما أن أراضيها مسطحة فان السير فيها يتعطل لمدة شهر واحد أوشهرين من جراء تشبعها بالماء وفى هذا الدليل الكافى على صلاحيتها للزراعة وعربان هذه المنطقة ألفوا زراعة بعض المواد ولكنهم نظراً لقلة تصريفها يعمدون إلى زرع ما يمكنهم بيعه منها فقط فاذا ما أنشئت (ترسانة) بالمكان المسمى صوفية القريب من القضارف لكى يصرفوا محصولاتهم وقاموا بها من عطبرة إبان الفيضان بطريق النيل وتوجد المراكب اللازمة أمكنهم فى هذة الحالة أن يزرعوا مائتى ألف فدان من القطن وحيث أن القطن الذى سيزرع هنا يروى تماماً لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر فانه لن يقل جودة عن أحسن أنواع القطن المصرى ومتى كفل أمر تصريف المحصولات على نحو ما تقدم بيانه ترقت الزراعة مع الأيام .

٥ — مديرية سنار : إن مساحات الناحية المسماه ولد عباس من أعمال هذه المديرية اعتباراً من حدودها الشمالية حتى جبال فونجه القائمة فى جنوب قسم فيزاوغلى تمتد إلى مسافات تزيد على مائة ساعة إلا أنه من فيزاوغلى فما فوق لاتسير المراكب : فأما الجهات التى تعمل فيها المراكب فإن شرقها وغربها ليس فيهما أثر للجبال والرمال وأراضيها واسعة خصبة وهى تروى بالأمطار مثل أراضى القضارف ويباع هنا رحل السمسم أى أردبان إلا ربع بثلاث ريالات . ولما كان القطن فى هذه الجهة من المرتبة الأولى كقطن القضارف وشرق هذه المساحة وغربها مأهول بالعدد العظيم من النفوس فقد فهم من

أقوال الخبراء ومن اتساع هذه المنطقة المرسوم على الخرائط أن من الممكن أن تتجاوز المساحات المزروعة قطنا فى هذه المديرية فى خلال سنتين الثلاثمائه ألف فدان .

٦ — مديرية الخرطوم : تمتد مديرية الخرطوم إلى مسافة ٦٠ ساعة على طول النيل . وإذا كان حول الخرطوم أراض فيها القليل من الرمل فإن الاتجاه الشرقى والغربى منها متسع ومأهول بقبائل متعددة ومواطن بعض هؤلاء القبائل على النيل الأزرق كما يقطن البعض الآخر على امتداد النيل الأبيض وبحر عطبره وجميع أراضيهم تروى بماء المطر وهنالك أيضا أكثر من ألف ساقية ولما أن مواطنهم تجاور الأنهار المذكورة فإن وسائط النقل متوفرة لديهم أكثر من أية مديرية أخرى ولذلك يمكن إبلاغ المساحات المزروعة قطنا فى هذه المديرية إلى مائتى ألف فدان فى خلال سنتين .

٧ — مديرية البحر الأبيض أى فاشوده : ان أراضى هذه المديرية تمتد إلى مسافة طويلة وأراضيها هذه منبتة . إلا أنه نظرا لحداثة تشكيلها فإن الحالة تستدعى الوقوف على أحوال أهاليها فليس من المناسب والحالة هذه تقدير المساحات التى يمكن زرعها الآن .

٧ — مديرية كردفان : إن امتداد أراضى هذه المديرية على طول النيل الأبيض حتى جبال تكلى يزيد على امتداد مديريتى الخرطوم واسنا إلا أن أراضيها فى الاتجاه الشمالى رملية وهم يزرعونها تبغا . أما الجهة الجنوبية منها وهى واقعة على طول النيل الأبيض فواسعة خصبة ويمكن زرع مائة الف فى هذه المديرية قطنا كما يمكن أن تزاد المساحات المزروعة مع توالى الأيام . أما طريقة تصريف المحصول فتكون بشحن المحصول من الأماكن المتعددة القائمة على طول البحر الأبيض والنيل ونقله بالمراكب عند فيضان النيل

أسوة بمحصولات الجهات الأخرى . وإذا كانت بعض أراضى هذه المديرية رملية فان أراضيها الصالحة للزراعة كثيرة جدا وأن وجود الأبقار بكثرة فى هذه المديرية دليل على خصبة أراضيها .

٨ — مديرية بربر : إن المساحة الممتدة من المكان المسمى حجر العسل إلى آخر قسم رباطاب الذى يحد حجر العسل من الناحية الشمالية تبلغ مساحتها ٧٠ ساعة تقريبا فيها أكثر من ثلاثة آلاف ساقية هذا غير الجزر الواسعة المنبتة وفى الجهة الشرقية منها سيما فى الجهة التى يتلاقى فيها نهر عطبره بالنيل وفى الزاوية المنفرجة التى أوجدها تلاقيهما هناك بضعة مئات ألوف من الأفدنة الصالحة للزراعة وهى تروى بالأمطار وإذا لزم الأمر يمكن حفر ترعة فى هذه الجهة وحيث أنه يوجد اراض واسعة فى المسافة بين فم عطبره وآخر القسم الجنوبى فمن الممكن أن يزرع فى هذه المديرية أيضا مائة ألف فدان من القطن

٩ — مديرية دنقلة : بعد عملية تطهير ترعة ولته يمكن أن يزرع فى الجزر الممتدة على طول النيل بواسطة السواقى الموجودة بهذه المديرية نحو ٦٠ الف فدان وعلى قدر العناية بأمور الرى تتسع الزراعة .

وهاقد بين — على قدر المستطاع الجهات الخصبة فى السودان وسواحل البحر الأحمر والمساحات التى يمكن زرعها فى الوقت الحاضر وطرق نقل المحصولات فى كل جهة منها . إن شاء الله متى استفاد الأهالى من الزراعة — فى ظل الجناب العالى ـ فلا شبهة فى اتساع وازدياد الزراعة سنة فسنة ؟

[عابدين . المعيه . محفظة ١٥٣ ترجمة الوثيقة التركية]

٤٩

تخفيض الضرائب وتشجيع الزراعة

أمر كريم إلى مديرية دنقلة وبربر

فى ٢٨ شعبان ١٢٨٩ (٣١ اكتوبر ١٨٧٢)

امر كريم منطوقه قد عرض لطرفنا انهاكم المرقم ١٩ رجب سنة ٨٩ نمرة ٤ وعلمنا منه انه فى هذا العام بواسطة علو النيل والامطار التى نزلت والسيالات التى صار فتحها بجهات المديرية حصل رى جملة من أطيان العتامير والاطيان المهجورة وحاصل الاهتمام فى زراعتها انما لكون هذه الاطيان لاتزرع سنوى بل فى بعض السنين بحسب علو النيل ونزول الأمطار وافكار الأهالى انه متى اجروا زراعتها هذا العام تربط عليهم بالزمام وتطلب منهم أموالها فى السنين القابلة فلرفع مشغوليتهم من هذا القبيل وترغيبهم فى الزراعة صرحتم بأن تمويل تلك الأطيان يكون على واقع مايحصل ريه وزراعته سنوى كما انه لمناسبة ان اطيان العتامير مالية الفدان منها سنوى ثلاثين غرش ومنظور لكم ان محصول الفدان لايبلغ هذا المقدار والأمر السابق صدوره من المرحوم سعيد باشا مصرحا فيه بان مالية الفدان منها عشرين غرش والعلاوات التى تأتت ومدها كانت بأذونات الحكمداريون وبسببها تكاسلوا الأهالى عن الزراعة فلزيادة تشويقهم وعدم ترك شىء من الأراضى التى تروى بالامطار قد جعلتم ضريبة الفدان من ابتداء سنة ٨٩ خمسة وعشرين غرش وترومواا استحصال امرنا بما يعتمد اجراه الى آخر ماذكرتموه والذى اقتضته ارادتنا هو انه من حيث المقصود اجرى مافيه مساعدة الاهالى على تكثير الزراعة وترغيبهم وتشويقهم علما بما يترتب عليه عماريتهم وجلب المنفعة اليهم وثروتهم فالذى اجريتوه فى التصريح على ان تمويل الاطيان المذكورة آنفا يكون على حسب الرى

والزراعة سنوى هذا فى محله واما الاموال قولوا انكم استنسبتم تنزيلها إلى خمسة وعشرين غرش الفدان للمناسبات المار ايضاحها لكن من حيث علم انه سابق صدور امر المرحوم سعيد باشا بربط مال الفدان عشرين غرش فقط وضرورة ان هذا كان بحسبما تراءى وقتها فيه من الصلاحية بالنسبة لحال الاهالى وعماريتهم فمن الاقتضى اعتبار مالية الفدان عشرين غرش فقط تطبيقا لأمر المرحوم وصرف النظر عن الزيادات التى تعلت بعدها باذونات الحكمداريون حتى بذلك يحصل زيادة الرغبة والاقدام من الاهالى على زراعة مايروى من تلك الاطيان وانتفاعهم بمحصولاتها انما مع هذا يلزم زيادة الاعتناء والالتفات منكم ومن الحكام التى تحت ادارتكم للتحرى سنوى عن الاطيان التى يصير ريها من هذه الانواع وحث الاهالى على زراعتها أول بأول وعدم ترك شىء باير منها بدون زراعة مع حصر مقاديرها وربط ماليتها سنوى بحسبما يتحقق من ريها وزراعتها فاصدرنا امرنا هذا لكم للمعلومية به واجرى العمل على مقتضاه ؟

[عابدين . المعية دفتر ١٩٤٦ (أوامر عربى) ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢ صفحة ١٥]

٥٠

تثبيت ملكية الأراضى بالأقاليم السودانية

من بندر مديرية عموم السودان إلى المجلس الخصوصى

فى ٩ ربيع الثانى ١٢٩٠ (٦ يونية ١٨٧٣)

جواب رد المحرر له فى ٨ صفر سنة ٩٠ نمرة ١١ بطلب الإفادة عن القاعدة الجارية بمديريات عموم قبلى السودان فى الأطيان وكيفية تمليكها لواضعين اليد عليها والقواعد الأساسية فى ذلك وإن كان بمقتضى حجج أو بمجرد وضع اليد

وإنكان بحجج فما مضمونهم وما هو المقرر على أربابها فى نظير الزراعة وهل هو بكيفية عشور أو مال وعلى الفدان أو بأى كيفية والجارى فى توارث أطيان من يتوفى عن ورثة والجارى أيضاً فى أطيان من ليس له وارث يذكر أنه من الاستدلالات التى صارت فى ذلك خصوصاً من مديرية الخرطوم قد أفيد منها الآن بتاريخ ٦ ربيع الثانى سنة ٩٠ نمرة ١١٢٣ الواردة لف هذا بأن تمليك الأطيان بالسودان أصلها بالحوز ووضع اليد وتنتقل من وارث إلى وارث وأغلبها لايكون لها حجج ولا وثائق وكان بالمدد السابقة بمدة ملوك السودان قبل فتوحها إذا ظهرت جزيرة مستجدة أو جرف يعطوه لمن يختاره بطريقة الانعام سواء كان من أهل العلم أو خلافه بموجب وثيقة تتحرر إليه بختم ملك ذاك الوقت وتتفضل بيد من استحوذ عليها إلى أن يتوفى تنتقل إلى ورثاه وتلك الوثائق والأوراق لايعلم صحتها من عدمه وأيضاً بعض الأشخاص يرغبوا إصلاح أراضى تكون غير صالحة للزراعة ويقدموا عليها إعراضات إلى الحكومة ويصدر عليها الأوامر بالتسليم لهم فيها ويجرى فى تصليحها وقطع الأشجار وإزالة الأعواد التى بها ومن وقتها يستحوذوا عليها بوضع اليد وإذا أراد أحدا مما توضح مبيع شيئاً من تلك الأطيان يجرى مبيعها بموجب وثيقة تتحرر من أحد الفقهاء الموجودين بالجهة التى تكون موجودة بها الأطيان ونادر الذى يكون بيده حجة شرعية لأن أهالى هذه الجهة لم كانوا يلتفتوا لذلك قبل الآن ولم يحدث تحرير الحجج بتمليك الأطيان إلا فى مدة قريبة وكيفية الإيجار ونحوه فالذى يكون ليس مقتدر على زراعة أطيانه أو يكون أطيانه جسيمة المقدار ولا يمكنه زراعتها بأكملها فأطيان الضهارى التى تزرع بواسطة رى الأمطار هذا يعطى بالعشور لمن يرغب الزراعة أى صاحب الأطيان يأخذ عشر المحصول وما بقى لمن يزرع وأما اطيان السواقى والجروف هذه تحت توافق المؤجر وصاحب الأطيان

بعضها يبقى مناصفة والبعض صاحب الطين يأخذ الثلث ويترك الثلثاى للمزارع والبعض يأخذ الربع وهلما على حسب توافقهم بين بعض بالنظر للأراضى الجيدة والغير خصبة والأطيان الذى لا يكون لها مالك ولا وارث فهى العقارات الغير صالحة للزراعات هذا ما كان من أمر تمليك الأطيان وأساسية تمليكها أما المقرر على أرباب الأطيان فى نظير الزراعة فإن الذى كان جارى قديماً فى حق ربط الأموال هو على حسب مقدرة كل شخص وأرزاقه أشبه بويركو ولما كان المرحوم سعيد باشا حضر للسودان أبطل ما كان جارى فى ربط الأموال من عهد فتوح بلاد السودان على الأشخاص وأمر بتقرير المالية بواقع زراعة الأطيان أعنى على الفدان بحسبما يظهر من المساحة وجرى ذلك لكن لكثرة الأراضى بالسودان وكون أغلب ريها بالأمطار فصارت الأهالى تترك الأراضى الذى صار قياسها بالمحلات القريبة من العمار وتنتشر بالبرارى الذى تعمها الأمطار ويجرى زراعة مايكفى معاشهم والميرى صار لا يتحصل على شىء من مالية زراعة تلك الأراضى الذى صار مقاسها عليهم وصارت أشبه بمتروكة حتى تخلف من ذلك مبلغ نحو الثلاثة والثلاثون ألف كيسة وستماية وكسور ولما نظر موسى باشا حكمدار السودان سابقاً فأبطل مساحة الأطيان وأعاد كل شىء على حاله الأول وأجرى ربط المالية على الأشخاص بواقع مقدار نفوس كل حلة أى كل قرية بواسطة أهاليها وبحسب مقدرة كل واحد فى الزراعة وخلافه ومن وقتها صار كل نفر من الأهالى يزرع محل ما يريد بقدر طاقته إن كان على السواقى أو فى الضهارى أى البرارى والميرى يتحصل على ماليته نظرا لربطها على ذات شخصه واعرض عن ذلك للأعتاب الكريمة وصدر الأمر العالى بموافقة ما أجراه وأما من يتوفى ولم يكن له وارث ويترك له أطيانه فانه يضع يده عليها ويزرعها عوضة ويدفع ما كان مربوط علية سنوى من المالية للميرى وبما أن أطيان الجهات هى بكثرة ولسبوق فتح السودان بقوة الحكومة

الخديوية فإن كافة أراضيها ملكا للحكومة ليس للأهالى والنادر فقط هو الذى بحجج ولا يمكن حصر هذا ولا هذا لكثرة الأطيان خصوصاً عدم إمكان حصرها بالفدان لأنه ليس جارى استعمال مقاس الأراضى بهذه الجهات لداعى أن المالية هى مربوطة على نفس الأنفار لا على الأطيان وكان تحدد ميعاد سنة كى من يتأخر عن تركيب السواقى بالأطيان الموجودة تحت يده تنزع منه وتعطى لمن يؤمل فيه زراعتها وعمارتها ونصب ساقية عليها وترائى بالجمعية التى صار عقدها بديوان العموم عدم إمكان ربط المالية على الفدان للمناسبات التى توضحت بالبنود وبإفادة مديرية الخرطوم وبعرض البنود المذكورة للمعية السنية صدر أمر المجلس الخصوصى والأمر الكريم باعتمادها للاستحصال على سداد الأموال الميرية بأوقاتها وعدم تأخير شىء من ذلك ولذا يرام النظر فى ذلك وصدور الأمر بما يوافق وطيه إفادة الخرطوم المحكى عنها ؟

[عابدين . المعية . دفتر ٢٨٣ وارد المجلس الخصوصى رقم ٣ صفحة ١٣٦]

٥١

الضرائب وتشجيع زراعة القطن وإرسال وابورات الخليج
من تحريرات المجلس الخصوصى إلى المعية السنية

فى ٩ شعبان ١٢٩٠ (٢ أكتوبر ١٨٧٣)

جواب بناء على الصادر له فى ١٣ محرم سنة ٩٠ نمرة ٣١ بخصوص ما ترائى لمدير عموم قبلى السودان من نصب سواقى على الأطيان وتعميمها بالزراعة وحث الأهالى على زراعة القطن ونحو ذلك بالنسبة لما ظهر له من عدم نجاح زراعة ذاك الصنف بأغلب جهات الخرطوم وسنار عدا الذى زرع على السواقى وبالجروف التى على شاطىء الجسور يذكر أنه لما تحرر للمدير

المومى إليه بالاستوضاح عن القاعدة الجارية فى تلك الأطيان وما يماثلها وغير ذلك وردت منه الإفادة وعلم مما أوضحه أن أصل تمليك الأطيان بالسودان إنما هو بالحيازة ووضع اليد وتنتقل من وارث لوارث وأغلبها مما له حجج ولا وثائق ولم يحدث تحرير الحجج إلا فى مدة قريبة وما هو جارى من التأجير ونحوه فى أطيان الغير مقتدرين على زراعة أطيانهم أو من تكون أطيانه جسيمة المقدار وأنه بعد ما كان الجارى قديما أن ربط الأموال هو على حسب مقدرة كل شخص أشبه بويركو فلما توجه المرحوم سعيد باشا إلى السودان أبطل هذه القاعدة وأمر بتقرير الأموال بواقع زراعة الأطيان على الفدان وبعد أن جرى ذلك فلكثرة أراضى تلك الجهات وكون أغلب ريها بالأمطار صارت الأهالى تترك الأراضى التى حصل مقاسها عليهم بالمحلات القريبة من العمار وتنتشر بالبرارى التى تعمها الأمطار ويجروا زراعة ما يكفى معاشهم . والميرى لم يستحصل على شىء من مال الأطيان التى حصل مقاسها عليهم وصارت أشبه بمتروك حتى تخلف من ذلك مبلغ كلى فلما تعين المرحوم موسى باشا حكمدارا بالسودان وظهر له هكذا قد أعاد ربط الأموال على الأشخاص بواقع مقدار النفوس واقتدار الشخص وصار كل منهم يزرع محل ما يريد بحسب طاقته وأعرض للأعتاب الكريمة وصدر الأمر العالى بموافقته ما أجراه وأنه غير ممكن حصر مقادير أفدنة الأطيان هناك لكثرتها وعدم جريان استعمال مقاسها كما أنه بالجمعية التى عقدها مدير قبلى السودان المومى إليه تراءى عدم إمكان ربط المال على الفدان كما وأنه أخيرا بانضمام شاهين باشا وجعفر مظهر باشا وممتاز باشا والمراوية بينهم فيما يناسب إجراه بالنظر لسبق توجه حضراتهم هناك فأعطوا تقرير أبدوا فيه ملحوظات ما استنسبوا إجراه فى كل نوع والكيفيات التى يترتب على إجراها الحصول على كثرة زراعة صنف القطن بجهات السودان وكيفية ما يجرى فى حليجه وكبسه وحضوره للمحروسة والمراكز

التى يلزم أن يوجد بها وابورات حليج ومكابس مع حث المقتدرين من الأهالى على تكثير السواقى واصلاح أراضيها وزراعتها وعدم استحسانهم ربط أموال عليها الآن واستمرار ربط الأموال على الأهالى بالمديريتين المذكورتين أيضا كالجارى الآن مؤقتا لحين إصلاح الأراضى ونمو الزراعة وتكاثر المحصولات وإذ ذاك ينظر كما أن باقى مديريات السودان ومحافظات سواحل البحر الأحمر يستمر الأجرى فى الربط بهم الآن مؤقتا حسب الجارى بكل منهم وأن ما أوراه المدير المومى إليه من حيثية تحرير حجج تمليك بالأطيان التى يرغبوا أربابها تحرير حجج بها قد أوضحوا حضراتهم بأن يكون الأجرى فى ذلك حسب لائحة الأطيان والمنشورات المتعلقة بذلك حيث أنه سبق إرسالهم إلى جهات السودان للأجرى بموجبهم وبإبعاث ذلك التقرير لختمه من ممتاز باشا فأعاده بمعنى أنه غير مستوفى بعض أوجه وهى أن مديرية كردفان ومحافظة مصوع للآن لم يحصل بهما زراعة قطن مع إمكان زراعته بهما ولم يعلم لذلك أسباب وأنه من المقتضى إعطاء التعليمات اللازمة عن ذلك للأجرى بموجبها وأنه موجود بالسودان جملة مشاريع منسية بين فشوده وقوندوكروا أراضيها خصبة وأمطارها بكثرة ولو عملت الطريقة المؤدية لإجعال مديريات لها وزراعة هذا الصنف وخلافه بأراضيها تتمدن أهاليها وينتج للمدير والأهالى فوائد عظيمة من إيراداتها وأن وابور الحليج الذى قيل عن لزومهم فى مراكز المديريات من قوة ٤ خيول لغاية ٨ ملاحظة لسهولة نقلهم وتوصيلهم . فحيث أن كل وابور يلزم له مهندساً فيكون الأولى أن يكون من قوة عشرين حصان ويرسلوا بدون تركيب بل بحالة التجزىء حيث مستدرك توصيلهم بهذه الحالة بالمراكب وأنهم إذا صار الالتفات لجهات السودان تبلغ مستخرجاتها عموماً نحو عشرين مليون ليرة قبل عمل سكة الحديد وإذا عملت فيكون أزيد من ذلك لآخر ما أوضحه وشاهين باشا

أوضح بأنه لم يتراءى له مقتضى للإجابة عن الملحوظات التى أبداها ممتاز باشا المومى إليه حيث أصل الإجتماع كان بقصد الإجابة عما أبداه مدير قبلى السودان وقد حصل ولكون بتلاوة التقرير المثنى ذكره بالمجلس تراءى موافقة الأجرى بمقتضاه وأنه يرسل للمعية مع نسخة ما اشتملت عليه المكاتبات التى حررها مدير العموم وإفادة ممتاز باشا والتقرير الذى كان قدمه قبل اجتماع حضراتهم مع التقرير الذى كان تقدم أيضاً ابتداء من جعفر باشا للإحاطة بهم والعرض عن ذلك للأعتاب السنية حتى أن كلما صدر به الأمر العالى يتبع إجراه ولهذا أرسل التقارير والتحشية والأوراق عدد ١٢ محافظة .

ملحوظة : عرضت للأعتاب السنية وأشير بتوقيفها وبحضور منسنجر باشا حصلت المكالمة معه بطرف الأعتاب السنية فى هذا الخصوص وقيل عن توقيف ذلك ومع التذكار عنها مراراً أخيراً قيل من سعادة المهردار بحفظها حيث صار تعيين غوردون باشا للحكمدارية وجارى النظر فى شؤونها بمعرفته ولم يرد منه شىء عن هذا الخصوص .

وحفظت فيما ٥ شوال سنة ٩٥ .

[عابدين ، المعية . دفتر ١٨٧٤ معية عربى رقم ٩ صفحة ١٨]

٥٢

تشجيع زراعة القطن وتخفيف الضرائب
من حكمدار السودان إلى المعية السنية

فى ٥ ذى القعدة ١٢٩٠ (٢٥ ديسمبر ١٨٧٣)

جواب يذكر أنه لما صدر الأمر العالى بتاريخ ١٤ محرم سنة ٩٠ نمرة ١١ بعلاوة عشرة قروش على أثمان الأقطان كتب إلى مديريات الخرطوم وسنار وفيزوغلى والبحر الأبيض بعلاوة العشرة قروش المحكى عنها على أثمان الأقطان

التى وردوها الأهالى لأجل سهولة سداد الأموال المطلوبة منهم وتشويقهم لتكثير زراعة الصنف المرقوم وقد بلغ ثمن القنطار الذى يورد الخرطوم سبعين قرش والذى يورد أبو حراز والكوه والمدنى خمسة وستين قرش وفشوده وفيزوغلى خمسة وخمسين قرش وسنار ستين قرش وتأكد على المديريات المحكى عنها تحث الأهالى على تعميم الأراضى بزراعته لأجل ثروتهم ومأمول أنه فى هذا العام يجتهدوا الأهالى فى زراعته والذى نتج وورد للميرى فى العام الماضى صار مبيعه سعر القنطار بزره من ستين قرش لغاية سبعين قرش والتجار الذين اشتروه أرسلوه المحروسة وكسبوا فيه كذا مديريتى دنقله وبربر موجود بهم جملة سواقى زياده عن باقى المديريات وزراعة القطن بالسواقى أنجح وأصلح عن الجارى زراعته بالأمطار فاذا ربط لهم ثمن القنطار سبعين قرش أسوة الخرطوم يسهل عليهم سداد الأموال وتزداد عمارية السواقى وترجع الأهالى المتشتتة لمحلاتها لان أخذه بهذا الثمن للميرى لم فيه خسارة ولو فرض وجرى حليجه وكبسه على ذمة الميرى ومبيعه بالمحروسة أو بالخرطوم ولو بثلثمائة قرش صاغ ولم حصل أرباح للميرى فى ذلك فلا يحصل خسارة بل الميرى يستحصل على حقه بالتمام وتعتاد الاهالى على زراعته .

(عابدين . المعية . دفتر ١٨٧٥ معية عربى . رقم ١ صفحة ٤٨)

٥٣

زيادة العمار فى الخرطوم

من حكمدارية السودان إلى المعية السنية

فى ١٠ ربيع الأول ١٢٩٣ (٥ أبريل ١٨٧٦)

جواب يذكر أنه بالنظر لضرورة لزوم تنظيم مبانى بندر الخرطوم واتساع العمارية جارى ترغيب الأهالى والسكان فى بناء منازل لهم بالطوب الأحمر على حسب أصول التنظيم وحاصل منهم مشترى الأراضى الفضاء من الميرى

وبناها حسب التنظيمات وحاصل تنافس الأهالى فى المشترى والبنا إلا أنه بمناسبة ضيق بعض المنازل ولزوم بناها واتساعها من الاراضى الفضا المجاورة للبندر وغير لازمة للميرى وعدم الترخيص بمبيع شيء منها إلا باستئذان المالية وكونهم رأوا بأن فى ذلك طوله وعدم إسعاف لهم فى إتمام مبانيهم وإتلاف لادواتهم من نزول الامطار صاروا الآن يتأخروا عن مشترى الاراضى الفضا من الميرى وفضلت تلك الاراضى بوره والميرى لم ينتفع بشيء من أثمانها مع أن جهات السودان لا تقاس بالجهات البحرية بل إذا ترخص للحكمدارية بالمبيع يبقى فى ذلك سهولة لتكاثر المبانى وإقدام الاهالى على المشترى وبوجود سعادة الحكمدار أو من ينوب عنه حال غيابه تجرى التحريات والتدقيقات المقتضية ما يكون فيه المنفعة للميرى وكذلك باقى مديريات السودان التابعين الحكمدارية بوجود مدير كل منهم إذا عرض له منه أى شخص كان بالمديرية إدارته عنه أخذ شيء من الاراضى الفضا لبنا منزل فبعد الكشف عليها بمعرفة المهندس ومعلوميته موافقة مبيعها وبناها حسب التنظيم ومقدار ما تساويه من الثمن بعد إشهار المزاد وبالانتهى يتحرر منه للحكمدارية ومتى رأت الموافقة يتصرح له بتحصيل الثمن ويتسلمها لمن يريد بناها وبهذه الحالة لا يبقى هناك عذر للاهالى فى تأخيرهم عن المشترى والبنا فان وافق ذلك يفاد .

(عابدين . المعية . دفتر ١٧ معية عربى قيد وارد الافادات من جهات الاقاليم والمحافظات والسائرة رقم ٧ عموم صفحة ٦٤)

٥٤

تشجيع زراعة البن فى هرر وتأمين الطرق

أمر كريم إلى حكمدارية هرر (محمد رؤوف باشا)

فى ١٨ جمادى الثانية ١٢٩٣ (١١ يوليه ١٨٧٦)

أمر منطوقه صار منظورنا عريضتكم المؤرخة ٢ ربيع الثانى سنة ٩٣ نمرة ٦ وعلمنا ما أجريتموه من تشويق الأهالى على زراعة البن وتوزيع الأطيان عليهم بالكيفية التى أوضحتوها حتى انهم ابتدءوا فى الزراعة فعلا هذا وما ترغبوه فى اجعال محطتين لتأمين الطريق إحداهما فى جلديسه والأخرى فى دارمى وإقامة خمسماية عسكرى بكل محطة منها وتروموا إرسال العساكر المذكورة من هنا مع ما يلزم لصرف ماهياتهم لآخر ما انهيتوه وقد وافق إرادتنا ما حصل من توزيع الأطيان على الأهالى على حسب عوايدهم وتشويقهم على زراعة البن والمقصود استمراركم على تشويق وترغيب الأهالى فى حب الزراعة وتفهمهم بمحسناتها وما ينتج منها من ثمرات العمارية والتقدم هذا مع أعمال الطرق والوسايط اللازمة لترغيب واستمالة قلوب أهالى قبيلة الألا لدخولهم تحت الطاعة وتشبثهم فى الزراعة أيضا كما صار مع باقى القبائل وأما من جهة المحطتين المرغوب استعدادهما لتأمين الطريق فهذا وإن كان ضرورى كما ذكرتم غير أن إرسال عساكر جهادية منتظمة من هذا الطرف غير ممكن ومن الضرورى اعمال الطرق والوسايط اللازمة بحسن تدبيراتكم لما فيه حفظ وتأمين الطرق المذكورة بغير انتظار حضور عساكر جهادية من هنا وبما أن المفهوم من توضيحاتكم السابقة واللاحقة أن أهالى جهات طرفكم لها رغبة تامة فى أصناف الأقمشة فلا بأس من أنكم تنظروا مقدار ما يلزم لكم من الأقمشة المحكى عنها أو من غيرها من الأصناف التى يرغبوها أهل تلك الجهات ويرسل كشف ببيانها صنف صنف ومقدار اللازم

منها ولا بأس أيضا من إرسال عينات من كل صنف لتدارك اللازم وابعائه لطرفكم لتصريفه على الأهالى بطريقة المبادلة وأخذ البدل من أصناف البن وغيره من أنواع محصولاتهم وترسل بتلك الأصناف إلى المحروسة لتصريفها وما يتحصل منها من الأثمان يخصم من ثمن المشتروات التى ترسل لكم وما يظهر من الأرباح يكون تحت صرفه فى لوازم مأمور يتكم بحسبما تطلبوه كما أنه بوقتها يمكن بواسطة ما ينتج من الأرباح المبادلة تدارك عساكر باشبزوق وسجان وترسل لطرفكم لاستعمالها فى الخدمات اللازمة ومأمولنا أنه مع صرف أفكاركم واتجاه عزائمكم فى هذه الخصوصيات يصير الحصول على المقصود وبهكذا لزم إصداره لكم لتعلموه وتجروا العمل بمقتضاه كما هو المطلوب ؟

[عابدين . المعية . دفتر ١٠ (أوامر عربى) رقم ٨ صفحة ٧٦]

٥٥

عمار الخرطوم

أمر كريم إلى حكمدار السودان (اسماعيل ايوب باشا)

فى ١٨ جمادى الثانية ١٢٩٣ [١١ يوليو ١٨٧٦]

أمر كريم منطوقه عرض لطرفنا انهى خالد باشا مذ كان قايمقام حكمدارية السودان رقم ١٠ ربيع الأول سنة ٩٣ نمرة ٧ وعلمنا منه أنه بناء على تشويق وترغيب أهالى وسكان بندر الخرطوم فى تقوية المبانى وبناها بالطوب الأحمر واتساع العمارية كانوا تجاروا على مشترى الأراضى الفضا تعلق الميرى وبناها حسب التنظيمات وحصل الانتفاع بأثمان ما أبيع من الأراضى فضلا عن زيادة العمارية وهذا لما تراءى لهم عدم الترخيص بمبيع شىء من الأراضى إلا بعد

الاستئذان من المالية وكون هذا فيه طوله وعدم إسعاف لهم فى تتميم مبانيهم وإتلاف أدواتها من الأمطار صاروا يتأخروا عن مشترى الأراضى ولكون جهات السودان لاتقاس بالجهات البحرية بالنسبة لإتساع الأراضى وبعد المسافات يرام الترخيص للحكمدار بمبيع الأراضى الغير لازمة لأجل السهولة وازدياد العمارية سوى كان المبيع بمعرفة الحكمدار أو من ينوب عنه حال غيابه بعد حصول التدقيقات المقتضية لما فيه الصلاحية والمنفعة لجهة الميرى كما ان ما يلزم مبيعه من باقى مديريات السودان التابعين للحكمدارية ومتى ترأى موافقتها يتصرح بالمبيع لآخر ما توضح فى معنى ما ذكر وحيث الحالة هكذا فلأجل منع الصعوبات الناشئة من الطولة فى إجرى الاستئذان من المالية اقتضت إرادتنا استثنى جهات حكمدارية السودان من القاعدة المتبعة فى حق الأراضى التى تباع من متعلقات الميرى لعـــدم لزومها ورخصنا وصرحنا لكم فى أجرى المبيع بمعرفتكم أو معرفة من توكلوه حالة غيابكم من مركز الحكمدارية بكيفية إن الأراضى التى يظهر لهـا راغب وتتحقق عدم لزومها للحكومة فى الحال والاستقبال سوى كان بجهة الخرطوم أو بجهات السودان التابعة الحكمدارية يعمل عنها المزاد اللازم وبإتمامه وقطع الأمل من وجود راغب للزيادة ومعاينتها بمعرفة مهندس الجهة التابعة إليها تلك الأراضى ومن يلزم وبتحقيق موافقة الثمن الذى انتهى عليه المزاد وإنه حد القيمة وما هناك مانع ولا محظورات فى البيع يجرى توقيع صيغة المبايعة الشرعية بمعرفتكم أو بمعرفة من توكلوه عنكم بعد استولى الثمن حسب الأصول وبناء عليه أصدرنا أمرنا هذا لكم لاعتماد الاجرى بمقتضاه كما إشعار نظارة المالية من معيتنا عن ذلك فيتاريخه هذا كما اقتضته إرادتنا ؟

[عابدين . دفتر ١٠ (أوامر عربى) رقم ١٠ صفحة ٩٨]

٥٦

العمار فى بربره

من محافظة بربره إلى المعية السنية

فى ١٧ جمادى الثانية ١٢٩٤ (٢٩ يونية ١٨٧٧)

خطاب صورته أنه فى ظل المكارم العلية صار إنشاء المبانى الخيرية فى بندر بربره وقد تم بناهم على خير نفوس الحضرة الخديوية ويتزين أمامهم بالمزروعات النباتية ومن داخل الاسبتالية الصحية أيضاً ويراد انتظامهم بوجود فوانيس القيادة المضيئة بالغاز الذى صار وصفهم بمعرفة داعيكم بأن كان كل محل من المحلات المبنية أسوة الفوانيس الموجودة بمصر وشوارع الأزبكية حتى صارت هذه الجهة فى أعلا درجة عن باقى الجهات السودانية بوجود الفينار والأسكلة الحديد الرئيسية والمياه العذبة والطواحين الميرى الجارى طحين الغلال فيهم والفرن الجارى تشغيل الجراية والبقسماط فيه لزوم مأكول عساكر المأمورية خصوصاً برونق الجامع وهيئته بما عليه من النورانية وكافة الضابطان والعساكر وباقى الخدمة الملكية فى أرغد عيش من تلك المآثر الخيرية وفى غاية السرور والتشكر والممنونية وعلى الدوام باسطين الأكف بالدعوات الصالحات للحضرة الخديوية وسعادة الأنجال الكرام ومع انتظام المبانى المذكورة بالصفة التى توضحت فان وصفها هو فى المحل المسمى الشعب مع أن السومال والأهالى جميعاً لا يستحسنوا هذا الاسم لسابق وقوع القتل والنهب فيه من قبل تتبع هذه الجهة للحكومة السنية والحقيقة أن الاسم المذكور فى حد ذاته غير لايق لدرجتها وحسن انتظامها الحالة الراهنة ولا يوافق لها وقد تراءى لنا موافقة إهمال اسم الشعب بالكلية فاذا كان يتحسن ويرى أن الاسم المحكى عنه موافق يكرم علينا بورود الأمر لاعتماده والنداية وإلا كلما بطرف الأعتاب الخديوية وطرف سعادتكم تسمية هذه النقطة به من الألقاب اللايقة لدرجة هذه الجهة يكرم بورود الإفادة عنه لاتباع الاجرى بموجبها ومع ذلك فالأمر مفوض أفندم .

(عابدين . دفتر ٣٧١٢ (عربى) رقم ٦٧ صفحة ١٨٠)

٥ – مالية السودان

٥٧

الضائقة المالية بالسودان (١٨٦٥)

إرادة سنية إلى صاحب السعادة جعفر باشا حكمدار عموم السودان

في ٢٨ محرم ١٣٨٢ (٢٣ يونية ١٨٦٥)

سبق أن سلفكم المرحوم موسى باشا التمس إرسال ثلاثة آلاف كيس نقداً أو أربعة آلاف إلى مديرية التاكه عن طريق سواكن . لما علم من المكاتبة الواردة إليه من تلك المديرية أن هناك ضائقة مالية بسبب القحط الحادث في حاصلاتها هذه السنة، وأنه من أجل ذلك لم يصرف للعساكر والمستخدمين رواتبهم لبضعة أشهر ، وقد التمس أيضا أن ترسل إلى الحكمدارية كمية من النقود لتساعده في نفقاتها الضرورية ، فنبلغكم أن تلك النقود على وشك الإرسال وقد حررنا يوم تاريخه إلى ديوان المالية ليخابروكم ويتخذوا التدابير اللازمة في تسوية تلك المسألة . فإذا وصلتم إلى مقر الحكمدارية فابحثوا إيرادها ومصروفها بحثا دقيقا ، ونظموا ميزانيتها نظاما موافقا وبعد أن تفحصوا عما إذا كانت السودان تحتاج إلى نقود بطريق المساعدة علاوة على إيراها السنوى لتصرف في الإصلاحات الضرورية والتنسيقات المهمة فحرروا بيانا مفصلا بذلك واعرضوه علينا .

[عابدين . المعية . دفتر ٥٣٧ (تركى) رقم ٢ صفحة ٦٦]

٥٨

الضائقة المالية بالسودان

من الجناب العالى إلى ناظر المالية

فى ٢٨ محرم ١٢٨٢ (٢٣ يونيه ١٨٦٥)

يؤخذ من المكاتبة الواردة فيما تقدم من مديرية التاكه أنها تعانى ضيقاً مالياً بسبب قلة المحصول هناك فى هذا العام حتى أنها توقفت عن صرف مرتبات الجنود والموظفين الآخرين منذ بضعة شهور ، وقد ظهر من المكاتبة أنها فى حاجة إلى مبلغ نحو ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف كيسة ترسل إليها فنأمركم باتخاذ الاجراءات اللازمة لإرسال مبلغ الثلاثة أو الأربعة آلاف كيسة المطلوبة إليها بطريق سواكن وذلك كلما سمحت ظروف خزينة المالية كما أننا نأمركم المخابرة مع سعادة جعفر باشا الحكمدار الجديد عن المبالغ المقرر إرسالها إلى الحكمدارية بناء على طلب موسى باشا الحكمدار السابق والعمل على إعداد ذلك المبلغ مهما أمكن وارساله .

وقد كنتم عرضتم علينا عن وضع نظام يمكن به صرف مرتبات الجند والضباط والموظفين الآخرين الموجودين فى الاقاليم السودانية ، أولا فأولا أى وقت استحقاق الصرف فنأمركم أن تقابلوا جعفر باشا الحكمدار الجديد لاتخاذ ما يلزم فى هذا الموضوع .

(عابدين . المعية . دفتر ٥٣٩ (تركى) رقم ١٦١ صفحة ٨٦ قسم ثانى)

٥٩

معالجة الضائقة المالية بالسودان (١٨٦٥)

إرادة سنية إلى حكمدار السودان (جعفر باشا)

فى ١٩ ربيع الثانى ١٢٨٢ (١١ سبتمبر ١٨٦٥)

لقد فهم مما وصل إلينا أخيرا أن الإدارة والأهالى تعانيان بعض الضيق

والحاجة من جراء الضمائم التى أضافها المرحوم موسى باشا حكمدار السودان على الويركو والأموال الأميرية المقررة من جهة ، ومن جراء نقص المحصولات الناشىء عن قلة نزول الأمطار فى تلك السنة الماضية من جهة اخرى حيث تعذر صرف التعيينات المرتبة للعساكر بتمامها فى أوقاتها. إنه كما لا يخفى عليكم أن جل غايتنا وآمالنا منحصرة فى استكمال أسباب رخاء العيش والسعادة لجميع الأهالى الداخلين فى حوزة الحكومة أو السكان عموما خصوصا تمدين الأقاليم السودانية ، وتوسيع دائرة التجارة والزراعة فيها ، وحيث أن الحالة الآنفة الذكر بالسودان على عكس مقاصدنا الخيرية كلها ، فقد تأسفنا جدا وإننا وإن كنا نعتقد بأنكم متى وصلتم إلى هناك ستعمدون إلى تفقد أحوال الأهالى وتعملون على إزالة أسباب هذه الضائقة وماإليها وتبذلون الجهد للحصول على الأسباب والوسائل المؤدية لراحتهم إلا أنه بالنظر لإشفاقنا وحناننا على جميع الأهالى والسكان ولشدة رغبتنا فى عمران تلك الجهة ، اضطررنا إلى التأكيد عليكم وإلى حين وصول أمرنا هذا ، نأمل أن تكونوا قد وصلتم إلى الخرطوم وباشرتم عملكم ، فبادروا إلى تفقد أحوال الأهالى وإذا كان هناك أية ضائقة ادرسوا أسبابها واعملوا على إزالتها . فإذا ما اتضح لكم أن الضمائم التى أضافها موسى باشا الحكمدار السابق على الويركو والأموال الأميرية المقررة أو سواها من التدابير والإجراءات فيها محاذير وتحقق لديكم عدم ملاءمتها ، ورأيتم أن الحالة تستوجب تنقيحها وتعديلها بادروا إلى إجراء ما يدخل فى اختصاصكم . أما المـــواد الخارجة عن اختصاصكم والتى يجب الاستئذان عنها فاشرحوها تفصيلا واعرضوها علينا سريعا . وإذا كان من المناسب توقيف تحصيل الضمائم ريثما يصدر أمرنا فاوقفوا تحصيلها . وجامع القول أن جل آمالنا ومقاصدنا متجهة إلى إسعاد الأهالى وتوسيع العمران والزراعة والتجارة وتوطيد الأمن . فابذلوا الجهد فى هذا السبيل وأطلب

أيضا أن توجهوا عنايتكم لتنظيم العساكر الجهادية وخيالة العساكر المرتزقة (الباشبزوق) وفقا للقانون وأن تعنوا بمأكولاتهم ومشروباتهم وبأمورهم الصحية وتعليمهم وتدريبهم وأن تكون العساكر فى حالة تنفق والشرف العسكرى مع تعويدهم الطاعة والانقياد اللذين هما الأساس الأعظم للنظام العسكرى .

[عابدين . المعية دفتر ٥٥٨ (تركى) رقم ١ صفحة ٤]

٦٠

الأموال التى أرسلت لإعانة السودان ومتأخرات الضرائب (١٨٦٥)

إرادة إلى حكمدار السودان فى ٢٩ جمادى الآخرة ١٢٨٢

(١٩ نوفمبر ١٨٦٥)

بيان النقود التى أرسلت أخيراً إلى السودان

كيســـه

٥٠٠٠ أرسلت فى ١٥ ربيع الأول سنة ٨٢ مع جعفر باشا وكيل الحكمدارية .

١٥٠٠٠ « آخر ربيع الأول سنة ٨٢ إلى سعادة الباشا حكمدار السودان .

١٠٠٠ « فى ٦ جمادى الأولى سنة ٨٢ إلى سعادة جعفر باشا وكيل الحكمدارية .

٥٠٠٠ « فى ٥ جمادى الآخرة سنة ٨٢ إلى سعادة جعفر باشا وكيل الحكمدارية .

لقد ذكرتم فى خطابكم التركى العبارة المؤرخ فى ٢٢ جمادى الأولى سنة ٢٨٢ المرسل إلينا من أبو حمد أن انتظام الحالة والإدارة فى الأقاليم السودانية يتوقف على القوة العسكرية والمالية .

بيد أننا قديما عرفنا مبلغ أهمية النقود والجنود هناك ومن أجل ذلك أرسلنا إلى السودان حتى اليوم ٢٦٠٠٠ كيسه على نحو ما مر بيانه وعند قيام شاهين باشا نحوكم سنرسل معه عشرة آلاف كيسه أيضا .

أما الجنود فقد خصصنا للسودان مايقرب من ٦٥٠٠ جندى أرسل منهم حتى الآن ثلاث أورط عن طريق أسوان وأورطتان عن طريق سواكن والباقى منهم على وشك السفر كما هو معلوم لديكم وعدا هذه العساكر النظامية يوجد لديكم كثير من خيالة الباشبوزق والشايقية وجيشان من المشاة المتطوعة يقود كل منهما (سر بياده) ثم بطاريتان من المدفعية وهذه القوة كافية للأقاليم السودانية وإذا ما انضمت إليها مقدرتكم وتدابيركم العسكرية نأمل أن تتم الإصلاحات والتنظيمات المنشودة وما دمنا قد أرسلنا من المال ٢٦٠٠٠ كيسة فسنرسل عشرة آلاف كيسه أيضا . وقد اتضح لنا من كشف نظارة المالية أن هناك نحو ١٦٣٠٠٠ كيسة من الأموال المتبقية على السودان ومن البداهة أنكم بهمتكم وتدابيركم ستحصلون على مبالغ منها .

أما المصروفات منها أن الآلايات السودانية قد لغيت وأرسل أكثر جنودها إلى هنا وسيوزع العجزة والمشوهون من الآلايات المذكورة على بعض الجهات وإذا ما صرفتم للجنود المرسلة هنا نصف استحقاقاتهم فسيصرف لهم من مصر النصف الآخر وسنوافيكم بجميع تعيينات وملبوسات ومصروفات الجنود النظامية الموفدة إليكم إلا اللحم والسمن وما إليها من الحاجات التى يمكنكم تدبيرها بسهولة وعليه فالمصروفات قد نقصت عندكم كثيرا وبديهى أن النقود التى أرسلت والتى سترسل والمبالغ التى ستحصلونها من الأموال المتبقية تفى بالحاجة على قدر الإمكان وعلى ذلك فانكم بعد وصولكم إلى مركز الحكمدارية وإطلاعكم على المصروفات والإيرادات إذا بعثتم إلينا بميزانية صحيحة لها فسوف لا نضن عليكم باجابة المطالب التى نرى لزومها .

وكما أننا عند ما نطلع على هذه الميزانية نوافيكم حالا بالمال الذى تدعو الضرورة له فإننا كذلك نؤكد لكم بأننا نرسل ما تدعو الحاجة لإرساله من المال لتغطية بعض المصروفات علاوة على إيرادات السودان فنخطركم بذلك منذ الآن .

[عابدين . المعية . دفتر ٥٥٨ (تركى) رقم ١١ صفحة ٢٨]

٦١

ارسال الغلال لتفريج الضائقة (١٨٦٥)
إرادة سنية إلى ناظر المالية

فى ٧ رجب ١٢٨٢ (٢٦ نوفمبر ١٨٦٥)

لقد فهم من المكاتبة المؤرخة فى ٢ جمادى الآخرة التى بعث بها إلينا صاحب السعادة جعفر باشا حكمدار السودان عقب وصوله إلى مديرية بربر أنه :

بسبب عدم نزول الأمطار فى الأقاليم السودانية فى السنة الماضية قد قلت المحصولات وبلغ سعر الأردب الواحد من القمح ثمانمائة قرش صاغ ولذلك توجد ضائقة شديدة فى تلك الجهة فما دام واجب الحكومة على كل حال أن تمد العون والمساعدة للأهالى والرعايا الذين هم وديعة رب البرايا وحيث أن من المؤكد أن تخليصهم من الضائقة وإعانتهم فيما يتعلق بأقواتهم اليومية أمر واجب فإنى آمر بأن ترسلوا فى الوقت الحاضر بحرا وعن طريق سواكن خمسة آلاف أردب من الغلال إلى سواكن وكسله وبربر والخرطوم فيوضع كل نصف أردب منها فى شوال وتوزع على هذه الجهات بحسب سعة كل جهة منها وبالنسبة لكثرة الأهالى أو قلتهم وتباع لهم بأثمانها الأصلية .

[عابدين المعية دفتر ٥٥٧ (تركى) رقم ٦٩ صفحة ٣٩]

٦٢

تفريج الضائقة ومساعدة الأهلين (١٨٦٥)

إرادة سنية إلى ممتاز بك محافظ سواكن ومصوع

في ٧ رجب ١٢٨٢ (٢٦ نوفمبر ١٨٦٥)

لقد فهم من المكاتبة التي أرسلها لنا سعادة جعفر باشا حكمدار السودان حين وصوله إلى بربر أنه يوجد هناك ضائقة شديدة بسبب قلة المحصولات نظرا لعدم هطول الأمطار في السنة الماضية بالأقاليم السودانية . ولما كان من واجب الحكومة أن تعمل على استكمال أسباب رخاء العيش للأهالي والسكان وأن تساعدهم على قدر المستطاع سيما عند احتياجهم للأقوات اليومية وحيث أن ذلك من مبادئنا منذ الأبد أيضا فقد أمرنا سعادة الباشا ناظر المالية بأن يرسل الآن خمسة آلاف أردب من الغلال إلى سواكن وكسله وبربر والخرطوم بحسب اتساع كل جهة منها وبالنسبة إلى كثرة أو قلة سكانها لتباع هناك بأثمانها الأصلية للأهالي والسكان وموظفي الحكومة فعندما تصل لكم هذه الكمية من الغلال أخرجوها من الباخرة واستبقوا ما يلزم لسواكن منها وارسلوا حصة كسلا على الجمال وابعثوا ما يتبقى إلى بربر والخرطوم لتوزيعه وبيعه هناك . وقد يحاول بعض الموظفين أو سواهم بدافع الطمع أن يأخذوا ما يزيد عن حاجتهم من الغلال للاتجار والتمتع بها فحولوا دون حدوث أي شيء من هذا القبيل واكتبوا إلى مديري بربر والتاكه وعرفوهما إرادتي وتعليماتي.

[عابدين المعية دفتر ٥٥٨ (تركي) رقم ٣ صفحة ٦]

٦٣

عدم المطالبة بمتأخرات الضرائب ومقدار هذه المتأخرات (١٨٧١)

قرار المجلس الخصوصى الصادر فى

٦ محرم ١٢٨٨ (٢٨ مارس ١٨٧١)

قرار صورته المعية السنية بعثت للداخلية إفادة تاريخها ١٧ جمادى الأولى سنة ٨٧ نمرة ٣٦ ومعها أوراق تتضمن أنه لمناسبة كثرة المصاريف بجهات السودان كان سعادة الباشا الحكمدار أجرى علاوة ضميمة على أموال كافة المديريات بالسودان البعض باعتبار ثلثاى المال الأصلى والبعض أقل من ذلك لعدم اتساع أراضيه وقلة زراعته ومواشيه كذا النخيل أجرى علاوة على ماليته بحسب مارآه مناسب وقتها وأنه اعتبر العلاوات جميعها من ابتداء سنة ٨٣ وأنه من جملة المديريات مديريه التاكا بما فيها مالية العربان ضمنهم ناظر عربان الهدندوه قدم اعتذار يلتمس بها معافاة عربانه من الضميمة المذكورة بواسطة قلة محصولاتهم وضنين زراعتهم وأنه لما تأكد عند سعادة الباشا أن أراضى أولئك العربان غير متسعة ومحصولاتها قليلة ولم يقاسوا بالعربان غيرهم، فتحرر من سعادته لمديرية التاكا بتحصيل مالية عربان الهدندوه المذكورين على اعتبار مال ونصف فقط وقد كان إنما لمناسبة سبوق ربط ضميمة الثلثاى عموما بحسابات تلك المديرية فتخلف هناك بقايا على أولئك العربان من سنة ٨٣ لغاية سنة ٨٧ مبلغ ٣٧ بارة و ٩٥٢٧٥٥ قرشا بمتأخرات حاصل المال وما صار تحصيله كما أن مدة قيام العساكر الأشقياء جماعة أربعة جى بيادة على ضباطهم بجهة التاكه بعام سنة ٨٢ كانوا اوقعوا نهب أمتعة البعض من تجار البندر وخربوا سواقيهم ولحصول التضرر من المذكورين لحضرة المدير ولسعادته من طلب مالية السواقى المذكورة منهم فتحرر من سعادته بإيقاف طلب مالية السواقى المذكورة من العام المذكور فقط وتخلف من ذلك مبلغ ٩٩٨٠ قرش ولهذا

يرام صدور الأمر بازالة المبلغين المذكورين من ابتداء سنة ٨٧ والمبلغ الثانى بازالته من متأخرات عن السنة المذكورة وأنه يعرض كيفية ذلك للأعتاب السنية صدر النطق السامى باحالة النظر فى ذلك بالمجلس الخصوصى وبالمداولة والمذاكرة عن ذلك به رؤى أنه بناء على ماأوضحه سعادة الباشا المشار إليه يرى موافقة خصم المبلغين المذكورين البالغ لكونهم مبلغ ٣٧ بارة و ٩٦٢٧٣٥ قرشا على طرف الديوان لأجل إزالتهم من المتأخرات إنما حيث علم أن عدم تسديد سدس المال المحسوب ضمن ضميمة الثلثاى بالسنين المذكورة هو من قلة المحصولات وضيق الزراعة ومديرية التاكا والحالة هذه تحت إدارة سعادة الباشا محافظ السواحل فبمعرفة سعادته يصير تحريض الأهالى على توسيع دائرة زراعتهم وتقدم أموالهم لما فى ذلك من كسب العمارية والثروة هذا الذى روى وبإعراضه على الأعتاب السنية إذا وافق وصدر عليه الأمر العالى بالأجرى يتحرر من ديوان الداخلية لسعادة محافظ السواحل بالأجرى على موجبه وترسل معه الأوراق المختصة به كما استقر عليه الرأى .

[عابدين . المعية ، دفتر ٧٧ رقم ٩٤ صفحة ٩٧]

٦٤

عدم كفاية إيرادات السودان (١٨٧١)

من سعادة مهردار خديوى « المعية السنية »

إلى المجلس الخصوصى

فى ٩ رمضان ١٢٨٨ (٢٢ نوفمبر ١٨٧١)

جواب صورته عرض على المسامع الخديوية إفادة دولتكم رقم ١٩ شعبان سنة ١٢٨٨ نمرة ٥ والأوراق مرفوقها المشتملين على ما حرره حضرة مدير التاكة إلى الداخلية بشأن ما هو متأخر على أهالى تلك المديرية من

الأموال لغاية سنة ٨٧ وقدره ثمانية آلاف ومائة وثلاثة وخمسين كيس وكسور على أن المنظور أنه بغير تكثير زراعة القطن لا يمكن دفع هذه المتأخرات ومع ما هو حاصل من الأهالى المذكورين من الرغبة فى الزراعة وسابقة التصريح بتوقيف الطلبات منهم لعدم مشغوليتهم فإنه إذا صار طلب المبالغ المتأخرة عليهم لايتحصل شىء ويتكاسلوا ويتأخروا فى الزراعة لاخر ماأوضحه عن تضرر المستخدمين من عدم صرف استحقاقهم وبناء على ذلك كتب المجلس الخصوصى لسعادة مدير عموم قبلى السودان بصرف خمسة آلاف كيس نقدية مما يوجد بخزينة الخرطوم إلى مديرية التاكة وكتب لمدير التاكة بصرف هذا المبلغ عند وصوله لأرباب الاستحقاقات كما أنه لأجل المعلومية بكفاية وعدم كفاية إيراد كل مديرية من مديريات السودان لمصروفها وما يلزم للبعض من إيراد خلافها استصوب بالمجلس الخصوصى طلب موازين من كل جهة من جهات السودان وسواكن ومصوع وبورودها ينظر فيها ويعرض للأعتاب السنية لاخر ما بالإفادة والأوراق وقد صدر النطق السامى بموافقة ما تراءى للمجلس فى هذا وذلك وبناء عليه لزم عرضه لدولتكم بتبليغ ما صدر به النطق الكريم والأمر لمن له الأمر .

[عابدين . المعية . دفتر ١٨٥٢ (معية عربى) رقم ٩ صفحة ٣٨]

٦٥

متأخرات الأموال (١٨٧٢)

من مديرية عموم قبلى السودان إلى المعية السنية

فى ٢٩ شعبان ١٢٨٩ (أول نوفمبر ١٨٧٢)

جواب يذكر أن مديرية الخرطوم مالها سنوى ١٤٧٩٨ كيسه وكسور ومتأخر عليها أموال مثبتة بالكامل لغاية سنة ٨٨ ، ٢٧٥٩١ كيسه ١٤٤ قرشا

١١ بارة والخزينة لم يكن بها نقود . والمستخدمين ملكية وجهادية موقوف لهم لغاية السنة المذكورة ١٩٩٩ كيسه ٦٤ قرشا ٧٦ بارة فضلا عن مبلغ ١٠٧٤ كيسه ٢٨٧ قرشا ١٣ بارة كان موجود أمانة بالخزينة وأجرى صرفه ممتاز باشا للعساكر والمستخدمين لعدم وجود النقدية وداعى ذلك عدم حصول الانتظام فى تحصيل الأموال والتفريط للنظار والمشايخ والمأمورين والحكام بجملة وجوه يتداخلوا فيها فى حقوق الميرى والأهالى كما أن تلك التحصيلات لم تكن بسراكى مدموغة ولا دفاتر يوميات وجرايد بالأسماء لمعرفة حساب أصول وخصوم الأموال ومعلومية مالكل عن الأهالى وما يكن عليه للميرى بل فقط كلما ورد كان بيعطى به وصولات برانى لمفردات الأهالى والبعض لايستحصلوا على مثل ذلك ودفاتر الجهات لم تكن منتظمة لصيانة الإيراد لأن الأموال لم تكن مقررة على الأطيان وإنما هى عبارة عن ويركو مربوط على الأشخاص بواقع التعداد والاقتدار لعدم تقدم أولئك الأهالى فى أمور الزراعة لأنه إذا صار ربط الأموال على الأطيان فأغلبهم يمتنعوا عن الزراعة ويتركوا الأطيان بور خشية من التمويل كما حصل فى سنة ٧٣ لما تقرر المال على الأطيان بجزيرة سنار فى عهد المرحوم سعيد باشا لغاية ما أن بعضهم تسحبوا وبعدها فى مدة المرحوم موسى باشا صار لغو تمويل الأطيان وربط الأموال على الأنفار وصار اعتماد ربط الزمام على ذلك فى سنة ٧٩ وصدر الأمر العالى فى تلك السنة نمرة ٢٦ باعتماد ماذكر ومن وقتها ماصار تعديل مع أنه لايخلو الحال من أنه فى ظرف تلك السنة تسحبوا بعض الأهالى وتوفى البعض والبعض عجز ولهذا تراءى له أنه إذا صار تكليف الاهالى بدفع أموال السنتين السالف ذكرهم ومال سنة ٨٩ يتعسر ذلك وربما يحصل تأخير زيادة وإذا جرى ربط الاموال على الأطيان يحصل عجز فى الزمام المربوطة فيه سابقاً وهذا يحتاج له زمن فى المساحة وأعمال دفاتر عنها وغير ذلك . ومع

هذا ربما أن الاهالى فيما بعد يمتنعوا عن الزراعة كما حصل فى الأزمنة السابقة ولذلك جرى عقد جمعية مركبة من ذوات وعمد تجار وأهالى ووجوه الناس والذى استصوب عمل عنه جملة بنود فيما يتعلق براحة الأهالى ورواج مال الميرى مع رفع النظار والحكام السابقين الغير مستقيمين وتنصيب بدلهم من المنتخبين بمعرفة الجمعية لضبط وانتظام حركات التحصيلات وحسن الادارة وصيانة حقوق الميرى والأهالى من غير إعطاهم سراكى مدموغة بيد كل شخص بالأصول والخصوم وأعمال دفاتر يومية وجرايد رسمية مع إبقاء مال الزمام على حاله بدون نقص شىء منه وأجرى التعديل بواقع التحويل بكل حلة وكل قسم وتخصيص أموال السنتين على سبعة سنوات حتى أنه فى السنة الثامنة لا يكون باق على المديرية شىء من البقايا وصار تقدير ثمن القنطار الواحد من صنف القطن لمعرفة الاهالى أثمانه وفوائده العايدة لهم، كل جهة بحسب حالها لأجل تشويقهم وترغيبهم للزراعة كما وأنه لأجل عــــدم التأخير فى التحصيلات مع عدم وجود شىء بالخزينة تحرر للخرطوم بالأجراء على حسب البنود التى تراءى أجراها ونشرها لجهاتها للعلومية وأرسل صورتها لأجل النظر وعرضها للأعتاب السنية وصدور الأمر عنها ومن بعد تسوية أحوال تلك المديرية وانتظامها تصير المبادرة فى تسويه أموال باقى المديريات، وما يتضح من أحوال كل مديرية يعرض عنه أول بأول أما موازنة إيرادات ومصروفات مديرية عموم قبلى السودان فعند انتهى عمل الترتيب العمومى الجارى النظر فيه يعرض .

[عابدين . المعية . دفتر ١٨٦٤ (معية عربى) رقم ٧ صفحة ٤٠]

٦٦

اعانات مالية للسودان (١٨٧٤)

من شرقى السودان وسواحل البحر الأحمر

إلى : المعية

فى ٢٣ ذى القعدة ١٢٩٠ (١٢ يناير ١٨٧٤)

جواب يذكر أنه لما كان فى المحروسة بالعام الماضى أخذ مبلغ ١٠٧٥٠٠٠ قرشا منه مبلغ ٤٨٧٥٠٠ قرشا برسم المصاريف السنوية الجارى صرفها بمعرفته ومبلغ ٥٨٧٥٠٠ من المالية رسم مشترى أقطان وما تحصل من أثمان الأقطان مع المبلغ المستلم نقديه جرى صرفه للجهات الموضحة أدناه ومن قيمته مبلغ ١٢ بارة ١٦٢٥٢٣ قرشا صرف بمأمورية سنهيت ومبلغ ٣٠ بارة ٣٧١٤١ قرشا صرف على بربرة وضبط الرقيق والخواجه فرنسيسكو ولم فهم إن كان يجرى الخصم بالإبعادية لإزالته من العهد أم كيف فيريد الإفادة ؟

منصرف بمأمورية سنهيت

—	ص	
٣٢	٥٠٩٣٨	منصرف المذكورين حسبت على قبول الإحسان وورود الأخبار ووصول الجوابات
٢٠	٩٦٧	أجرة مذكورين فى نحت الأبيار
	١٠٦٦١٧	منصرف بالعمارات
١٢	١٦٢٥٢٣	٤٠٠٠ منصرف الخواجه كونى فى عمارة الكنيسة منصرف الى جهات وسيجرى الخصم على جهاته
٢٩	٢٤٠١٦٣	منصرف لوابور الصاعقه
٥	٢٦٩٠١٧	« « الطور
٩	٦٩١١٤٧	« « لأورطة المأمورية

—	ـــص		
٢	١٣٢٥٣	منصرف للأكسبوزيون	
٥	١٣٠٣٥٨١	«	

هو منصرف لجهات ولم معلوم ماذا يجرى نحو خصم ذلك إن كان بالأبعادية أو على أى جهة

—	ـــص		
—	١٥٧٠٠	منصرف على مأمورية بربره	
١٠	١٥١٨٧	«	للخواجه فرنسيسكو المحضر من ضبطية مصر
٢٠	٦٢٠٤	«	مأمورية ضبط الرق

— ـــص

المبلغ ٧ ١٥٠٣٢٤٦ منصرف فى ثمن الأقطان والنقدية التى استلمها من المحروسة

البالغ قدرها ١٠٧٥٠٠٠ قرش والمنصرف زيادة من محافظة مصوع مبلغ ٤٣٢٢٤٦ قرش ٧٢ بارة بتاريخ الورود ٣ ذى الحجة سنة ٩٠».

[عابدين . المعية . دفتر ١٨٧٥ (عربى) رقم ٣٥ صفحه ٥٠]

٦٧

العجز فى ميزانية السودان (١٨٧٤)

من شرقى السودان وسواحل البحر الأحمر

إلى المعية السنية

فى ٢٧ جمادى الثانية ١٢٩١ (١١ أغسطس ١٨٧٤)

جواب يذكر أنه لما صدر له الأمر العالى بإحالة جهة القلابات عليه وأن يعين من يعتمده لإدارتها فلتقارب أوان الخريف ونزول الأمطار وعدم إمكان المرور لتلك الجهة وإبطال حركة السوق ومشغولية الأهالى فى الزراعه

صار أبق مأمورها وعساكر إدارتها على ما هو عليه لبعد انتهى الخريف وأما من الكشوفات التى طلبها من تلك الجهة علم أن إيرادها ١٩٢٦٨٨ قرشا ما هو ١٠٠٠٠٠ قرشا متحصل الجمارك بالسوق و ٩٢٦٨٨ قرشا أموال مربوطة على التقارير سنوى ومصروفات أجر بيادة سودان والخدمة سنوى ١٨٨٢٥٥٤ قرشا و ٣٧ بارة فصارت الزيادة فى المصروفات عن الايراد ٣٣٧٩ كيسه و ٣٨٦ قرشا و ٣٦ بارة ولمناسبة أن الجهة المحكى عنها كانت تابعة للحكمدارية وعربات الضباينة والحمران والشكرية بالتبعية لها أيضا متسهل ومتيسر تأدية مصروفاتها من أذرة وتغذية من هؤلاء العربان ومع تتبع القلابات والعربان المذكورين هم بالتبعيـــة للحكمدارية وإيرادات القلابات لم تكفى مصروفاتها فلم يتفهم كيف يكون فى تأدية مصروفاتها فضلا عن كونها ليست مستقربة لمديرية التاكا بل انها مستبعدة عنها والمسافة من التاكة مثل المسافة من مصوع للتاكة وبينها وبين التاكة جملة جهات وعربان تابعين لمديريتى الخرطوم وسنار والبعض منهم مستقرب للتاكة عن جهة القلابات فراسل كشف ببيان الإيراد والمصروف عن القلابات لأجل النظر والعرض للأعتاب السنية .

[عابدين . المعية . دفتر ١٨٧٥ (معية عربى) رقم ٦١ صفحة ١١٢]

٦ - الكشوف الجغرافية

(بعض التقارير والخرائط)

تقرير

[illegible]

أرض العيسى

[illegible]

٦٨ — صورة تقرير محمد مختار وعبد الله فوزى
عن الاقاليم بين زيلع وهرر فى أكتوبر ١٨٧٥

ومن وجهة الشرق قبائل تنقسم الى [illegible] والمذكورة على الترتيب فهي

تنقسم قبائل الجبالي الى [illegible] وهم

مجبرة [illegible]

مجبرة سعد [illegible]

مجبرة [illegible]

وكل من المجبرة [illegible] تنقسم الى [illegible] فمجبرة [illegible] تنقسم الى

بيت [illegible]

بيت [illegible]

بيت [illegible]

بيت [illegible] علي

بيت [illegible]

بيت [illegible]

بيت [illegible]

بيت [illegible] علي

وعدد نفوس المجبرة ... ٥٠٠٠ نفس تقريبا

اما مجبرة سعد [illegible] تنقسم الى

بيت [illegible]

بيت [illegible]

بيت [illegible]

بيت [illegible]

بيت [illegible]

بيت [illegible]

بيت [illegible]

وعدد نفوس المجبرة [illegible] ... ١٧٠٠ نفس

اما مجبرة [illegible] تنقسم الى

بيت [illegible] } [illegible]

بيت [illegible]

بيت [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ارض النولي

[illegible]

اولا قبيلة جرجره

ثانيا قبيلة [illegible]

ثالثا قبيلة [illegible]

رابعا قبيلة [illegible]

[illegible]

مدينة هرر

[illegible]

باب حكيم باب الفتوح باب النصر باب الرحمة باب السلام

ثم ان بيوت هذه البلدة كالابنية من الحجارة [illegible] مبيضة من الداخل بالشيد [illegible] ومسقفة بالاخشاب والبوص [illegible]
[illegible] من دور واحد [illegible] وذلك من حيث ان [illegible]
[illegible] وذلك بسبب شدة البرودة [illegible] ٩٥٦٠ [illegible] ٢٩٦
[illegible]
[illegible]
[illegible]
اليه [illegible] التجارة

اما مياه هذه البلدة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

والمياه [illegible]
الجبال [illegible]

الجبال المحيطة [illegible]
[illegible]
[illegible] ٩٠٠٠ [illegible]
[illegible]
[illegible]

اما [illegible] هذه [illegible]
[illegible] المياه

اما [illegible] هذه البلدة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ١٦ [illegible]
[illegible]

اما زراعة هذه البلدة [illegible]
[illegible]
والحلبة والحبة السوداء [illegible] والسمسم [illegible]

[illegible]

[illegible]

أولاً مجموع المكاسب [illegible]

ثانياً [illegible]

ثالثاً [illegible]

[illegible] والرفاهية والتقدم

[illegible]

[عابدين . المعية . محفظة ٣ . شميز ٣ . نمرة الحفظ ٤]

معروض چاكر جناب خديوى سعادتلو افندم حضرتلرى

[illegible]

٦٩ — صورة تقرير محمد رؤوف باشا عن هرر
فى ٢ ربيع الثانى ١٢٩٣ (٢٧ أبريل ١٨٧٦).

[عابدين . المعية . محفظة ٣ . شمريز ٣ نمرة الحفظ ٥]

بعثة براوت

١٨٧٥

HASSANIEH. (Bedouins)

GOWAMEH

MAGANINE.

BAGGARA HABANIAH

BAGGARA

Khor Abou Hable

DUEIM

TOURA EL HADRA

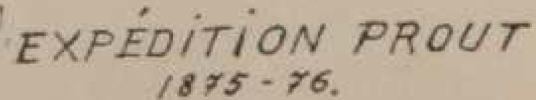
ESHAK

ABOU SHERAÏ

TAGALLA

DAR

Region inexplorée



EXPÉDITION PROUT
1875 - 76.

CARTE DU KORDOFAN
Routes des reconnaissances

(٢)

بعثة پوردى – كشوف



DARFOUR

Reconnaissances faites par les officiers de la mission PURDY.

I. Itinéraire de PURDY et HAMDY.

a. Facher - Tina.

b. Facher - Kobbé - Kebkebia.

c. Facher - Dara. (Deux Routes.)

d. Dara - Kobeoh - Hofrat - el - Nahas. Bir - Sebeish - Dara

II. Itinéraire de SAMY et MAHER.

Facher. Gédid Ras el Fil.

Tawaisha - Facher.

III. Itinéraire de SABRY et HAMDY.

Kobbé - Dor - Gaffela - Kolkol

IV. Itinéraire de PROUT et HAMDY

a. Facher - Mellit - Anka - Kobbé.

b. Fina le tour du Dj. Marrah - Tina.

V. Itinéraire de MASON et FAOUZY.

a. Facher - Mellit - Bir Safi - Dj Médoub, Dj Tagabo - Mellit - Facher.

b. Tina - Tura - Kebkebia, Tirmat - Dar Terga.

c. Kolkol - Berkawia - Dara, Shakka - Tawaisha.

(٣)

چسي وكشف بحيرة ألبرت

١٨٧٦

(٤)

نيل فكتوريا من مرولى إلى نيامينجو (غردون)

Nil Victoria.
de Mrouli à
Niamyongo
d'après Gordon.

Mrouli.

Mt Mahenzi ou
Mt Marusi

Kobanga
Grand Cogoz du

Forêt
épaisse

Mt Kubachir

Mt Kafacher.

Forêt

Papyrus

Beaucoup
de végétation.

Le lac à l'air
d'une grande

Pas de courant
Lau bon.

Papyrus.

Mt Kamjare

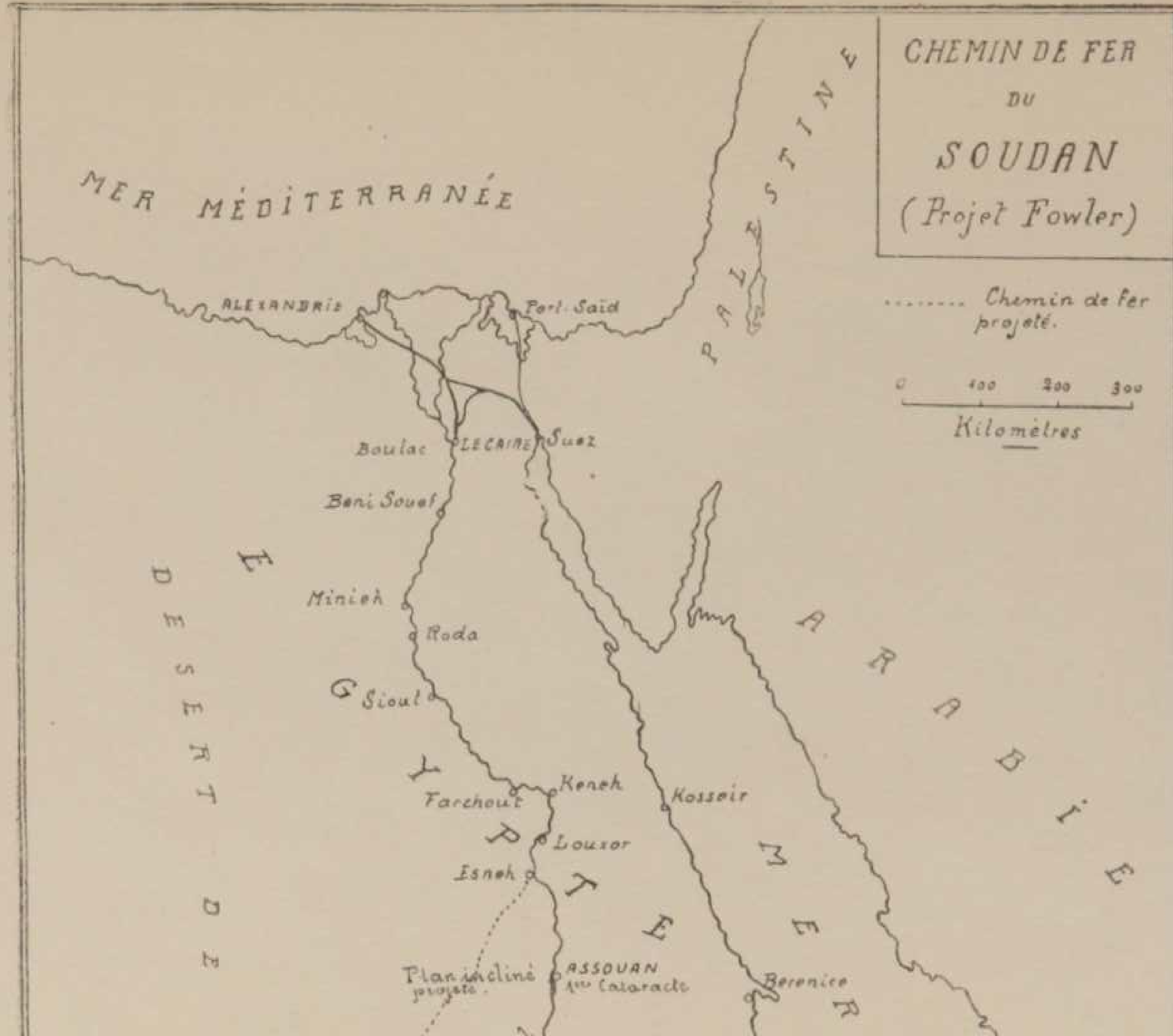
Mt Nabonga.

Niamyongo

Urondogani

(٥)

مشروع فولر — سكة حديد السودان



(٦)

السودان فى عهد الخديو إسماعيل (الكشوف الجغرافية والحدود)

١٨٦٨ - ١٨٧٨

LE SOUDAN
SOUS LE RÈGNE DU KHÉDIVE ISMAIL
Explorations et Découvertes de l'État-Major Egyptien
1868-1878
ÉCHELLE = 1: 16000.000

LÉGENDE:
ITINÉRAIRES: ÉTAT-MAJOR ÉGYPTIEN
GOUVERNEMENT DU SOUDAN
STANLEY, SCHWEINFURTH, JUNKER, BURTON
LIMITES DE L'EMPIRE

١٧

ملخص النتائج الجغرافية والعلمية للبعثات (الحملات) التى قامت بها حكومة خديو مصر فى السنوات الثلاث ١٨٧٤ ، ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ .

وزارة الحربية .

أركان الحرب العامة .

مقر الرئيس

القاهرة فى ١٦ أكتوبر سنة ١٨٧٦

١ — تحقيق دقيق للنيـــل الأبيض من غندكورو حتى بحيرة البرت (غردون ويساعده واطسون . وشيبندال وچسى) .

٢ — تحقيق للنيل الأبيض بين الخرطوم وغندكورو (وبدقة أكبر حتى اليوم) ، مع تحديد للمواقع الخمسة عن طريق الملاحظات الفلكية (واطسون شيبندال تحت إمرة الكولونيل غردون)

٣ — ملاحظة تنقل الزهرة فى ديسمبر سنة ١٨٧٤ . وأجرى ذلك واطسون وشيبندال تحت إمرة الكولونيل غردون فى الرجاف قرب غندكورو

٤ — تحقيق لبحيرة ألبرت سنة ١٨٧٦ وقام به چسى تحت إشراف الجنرال غردون .

٥ — إقامة الملاحة البخارية على بحيرة ألبرت . وقام بذلك الجنرال غردون

٦ — تحقيق لمجرى النيل بين بحيرة فكتوريا ومرولى وكشف بحيرة إبراهيم قام به الليوتنان كولونيل لونج تحت إمرة الكولونيل غردون

٧ — فحص مفصل لمجرى النيل بين شلالات كرومه وبحيرة ألبرت ، وأجراه الليوتنان چسى وبيادچيا تحت إمرة الجنرال غردون .

٨ — الكشف عن الفرع الخارج من النيل قرب بحيرة ألبرت ، والمتجه نحو الشمال الغربى وقام به چسى تحت إشراف الجنرال غردون .

٩ — الكشف عن الفرع الخارج من بحيرة إبراهيم والجارى نحو الشمال وقام به بيادچيا تحت إشراف الجنرال غردون .

١٠ — فحص دقيق للنيل بين فويره ومرولى ، وأجراه الجنرال غردون .

١١ — تحقيق للبلاد الواقعة بين النيل الأبيض قرب غندكورو ، وبين بلاد مكركه نيام نيام . وأجراه الكولونيل لونج (وساعده مارنو) تحت إشراف الجنرال غردون .

١٢ — تحقيق وعمل خريطة للطريق الممتد بين دبه وماطول ، وبين دبه والأبيض قام به الكولونيل كولستون وساعده فى ذلك خمسة ضباط مصريين من أركان الحرب . التقرير عن الجزء الشمالى من مقاطعة كردفان) .

١٣ — تحقيق عام أجرى لمقاطعة كردفان مع صنع خريطة لها حتى خط عرض ١٢ شمالا قام به الماجور پراوت وساعده خمسة ضباط مصريين من أركان الحرب . إن الخطوط التى أجرى التحقيق فيها . يقرب طولها من ٦٠٠٠ كيلومتر وسبعة عشر موضعاً محدداً بصورة فلكية (تقرير عام عن المديرية المذكورة وقام به الماجور پراوت) .

١٤ — تحقيق نباتى (مع مجموعات كبيرة من النباتات) فى مديرية كردفان قام به الدكتور بفوند تحت إمرة الكولونيل كولستون والماجور پراوت

١٥ — تحقيق نباتى (مع مجموعة من النبات) للقسم المركزى من مديرية دارفور وقام به الدكتور بفوند تحت إمرة الكولونيل پوردى

١٦ — استكشاف للطريق الممتد بين دنقلة على النيل والفاشر عاصمة دارفور . أجراه الكولونيل پوردى وساعده الليوتنان كولونيل مازون وخمسة ضباط مصريين من أركان الحرب .

١٧ — تحقيق عام لجميع بلاد دارفور وقسم من دار فرتيت حتى حفرة النحاس وشكا فى الجنوب وحتى جبل ميدوب فى الغرب . صنع خريطة لذلك

وكتب تقريراً عن هذه البلاد الكولونيل يوردى وساعده الليوتنان كولونيل مازون ، والماجور براوت وتسعة ضباط مصريين من أركان الحرب . المسافات التى قطعت أكثر من ٦٥٠٠ كيلومتر والمواقع المحددة فلكياً هى ٢٢ موقعا

١٨ — تحقيق جيولوجى ومعدنى للبلاد الواقعة بين روديسيا وقنا على النيل وبين البحر الأحمر قرب القصير مع مصور جيولوجى ، ومقطع ، وتقرير وقام بذلك مسيو متشل وساعده ضابط من أركان الحرب وإميليانو (مع مجموعات كبيرة محفوظة) .

١٩ — تحقيق طبوغرافى وجيولوجى للبلاد جنوب غرب زيلع وقرب تاجوره . وقام بالأمر مسيو متشيل ، وساعده ضابط من أركان الحرب ، وإميليانو . وعمل مصور لذلك .

٢٠ — تحقيق وخريطة للبلاد الواقعة بين زيلع وهرر . وخريطة لبلدة هرر ، والبلاد الكائنة حول المدينة . وقام بذلك ضابط أركان الحرب مختار وساعده الصاغقول اغاسى فوزى وهما تابعان لحملة رؤوف باشا .

٢١ — تحقيق طبوغرافى للبلاد الواقعة بين شاطىء البحر الأحمر قرب مصوع وبين هضبة الحبشة ووضع خريطة لذلك . أجرى التحقيق الكولونيل لوكيت وزميله فيلد والليوتنان كولونيل دريك والقومندان دوليه والقومندان دنيسون والقومندان درهولتز والكابتن ايجرن وبعض ضباط مصريين من أركان الحرب .

٢٢ — تحقيق جيولوجى للبلاد الواقعة بين مصوع وهضبة الحبشة ، والحصول على مجموعات من العينات وقام بذلك مسيو متشل ، وساعده إميليانو .

٢٣ — تحقيق أجرى للمنطقة الواقعة بين بربره وبين جبل دوبار ،

وقد مسحها ، ورسم مصورا لها عبد الرازق نظمى ، وضباط مصريون آخرون من أركان الحرب .

٢٤ — تحقيق لثغرى قسمايو ودرنفورد على شاطىء المحيط الهندى ، وسبر غورهما ثم عمل خريطة لهما . وقام بالعمل الكولونيل وارد وساعده الضابط صدقى وضباط آخرون من أركان الحرب .

٢٥ — تحقيق للطريق الممتد بين أسيوط — عن طريق الصحراء — وعين آغيه ورسم خريطة له . وقام بالعمل الماجور درهولتز وساعده ضابط مصرى من أركان الحرب .

٢٦ — تحقيق قام به الملازم أركان الحرب محمد عزت بين تاجورة ، وأوسا تحت إمرة منزنجر باشا .

٢١ — أرصاد بارومترية وترمومترية . وقام بذلك الضباط فى مديريات خط الاستواء وكردفان ودارفور وفى أثناء حملات الكشف .

المخلص لك

رئيس أركان الحرب العام

(امضاء) ستون

(Abdin. Corresp. fran. Doss 72/1.)

مصادر البحث

اكتفينا بذكر ما أشارت إليه هوامش البحث من الأوراق الحكومية وكتابات المعاصرين وبحوث المؤرخين ، على نحو ما فعلنا فى كتابنا السابق (مصر والسيادة على السودان — الوضع التاريخى للمسألة) . فأغفلنا عددا كبيرا من المراجع التى تتناول الموضوع من شتى نواحيه ولا يتسع المقام لذكرها . واستعضنا عن ذلك بذكر عدد من (مجموعات المراجع) التى يجد فيها القارىء الكريم بغيته إذا أراد التوسع فى هذه الدراسة . ومما يجب ذكره أنه يوجد بسراى عابدين صورة كاملة من الوثائق الأمريكية مأخوذة من واشنطن ، ولذلك أدخلنا هذه الوثائق ضمن الوثائق الموجودة بالسراى العامرة . وقد ذكرنا عند الاشارة إلى المحفوظات المصرية نمرة الدفتر ورقم الوثيقة ، وفعلنا ذلك عند ذكر الوثائق الأمريكية فأثبتنا نمرة الجلد ورقم الوثيقة ، ثم اتبعنا الطريقة نفسها عند الاشاره إلى الوثائق الانجليزية والفرنسية والنمساوية ونشر رينيه قطاوى بك الوثائق الروسية الموجودة ضمن محفوظات قنصلية روسيا العامة فى مصر ، وقد أثبتنا هذه تحت اسمه ضمن الوثائق الأخرى المطبوعة .

مجموعات المراجـــع

Bibliographies.

1. Bibliotheque Nationale de Paris (avant 1884) L'Ancien Catalogue. (Casier : L'Afrique).
2. Catalogue. Institut d'Egypte 1859-1927, Caire 1927.
3. Hill. R L. A Bibliography of the Anglo Egyptian Sudan from the Earliest Times to 1937, Oxford 1939.
4. Ibrahim Hilmy, Prince. The Literature of Egypt and the Sudan from the earliest times to the year 1885. London.
5. Maunier, René, Bibliographie economique, juridique et sociale de l'Egypte Moderne (1798-1916) Caire 1918.
6. Pratt, Ida A. Modem Egypt. A List of references to material in the New York Public Library, New York. 1929.
7. Work, N. Monroe. A Bibliography of the Negro in Africa and America. New York. 1928.

وثائق غير منشورة

١ — المحفوظات المصرية — سراى عابدين

ا — دفاتر ومحافظ المعية (تركى)

ب — دفاتر ومحافظ المعية (عربى)

حـ — المراسلات الفرنسية — والأرقام هى نمر الدوسيهات كالآتى :

71/1-71/7, Corresp, Gordon Pacha (1873-1878).
72/1 Soudan et Afrique Equatoriale (Dossier Général et Divers).
72/2 Corresp. Comm, Privileggio (de la Corvette Sennar).
72/2 Chemin de Fer du Soudan.
72/3 Commerce.
72/4 Expeditions Etrangéres d'Exploration.
72/6 Traite des Esclaves.
73/2 Corresp Mc Killop Pacha.
73/2 Soudan et Afrique Orientale. Dossier Général.
73/3 Corresp. Arakel.
73/5 Corresp. Munzinger.

د — الوثائق الأمريكية (Abdin-American)

Egyptian Despatches from the Consulate General of the U. S. A. in Egypt to the Department of State. Washington (1849-1879).

٢ — المحفوظات الانجليزية — وزارة الخارجية (لندن)

Public Record Office. (F. O.).
F. O. 84. Slave Trade. Turkey (Egypt) 1862-1885.
F. O. 78. Turkey (Egypt) Consular and Diplomatic Corresp. 1837-1834.
F. O. 78 (3135-3189) Turkey (Egypt) Claims to Sovereignty in Red Sea, Africa and Arabia and Somali Coast (1815-1877).
F. O. 65/932. Russia.
F. O. 244/112. Germany, (1851)
F. O. 78/381. Turkey Report on Egypt and Candia by Dr John Bowring. (Also published in 1840)

٣ — الوثائق الفرنسية — وزارة الخارجية (باريس) — (Aff. Etr.)

Correspondance Politique-Egypte (vols Nos. 1—48 Années 1829-1870.

٤ — الوثائق النمساوية — وزارة الخارجية (فينا) — — (Staat-Archiv)

A. Egypte.
1. General Consult Zu Alexandrien und Cairo (1828-1881).
2. Egypt, Rapports, Dépéches-Varias (1882-1882-1884.)
B. Turquie.
3. Constantinople Rapports, Expeditions. Varia 1865-1866-1871.
4. Rapports politiques de Constantinople. 1820-1879.

وثائق مطبوعة

1. Actes Diplomatiques et Firmans Impérieaux relatifs à l'Egypte (1804-1879) Caire 1880.
2. Blue Books-Parliamentary Sessional Papers (1890)
Egypt No. 1. (1878) Convention between the British and Egyptian Governments for the Suppression of the Slave Trade. London 1878.

Egypt No. 11 (1883) Report on the Sudan by Lieut-Col. Stewart. Dated Khartoum 9.2.1883.

Egypt. Parliamentary Sessional Papers (1863-1901).

3. Cattaui. R. Le Regne de Mohamed Aly d'aprés Les Archives Russes en Egypte t. I (1931); t. II (1933-1934); t. III (1936).
4. Conventions, Decrets, Régléments et Instructions rélatifs à la Suppression de la Traite des Esclaves. Caire 1880.
5. Driault. E. La Formation de l'Empire de Mohamed Aly, de l'Arabie au Soudan (1814-1823). Caire 1927.
6. Douin. G. Mohamed Aly et l'Expedition d'Alger (1829-1830). Caire 1930.
7. Recueil de Firmans Impériaux Ottomans Adressés aux Valis et Khedives d'Egypte Caire 1934. (Nahoum).

المخطـــوطات

ا — فى دار الكتب الملكية المصرية فى القاهرة

١ — تاريخ مدينة سنار تأليف أحد أفاضل علماء القرن الثالث عشر الهجرى (مخطوط بقلم معتاد رقم ١٨ تاريخ م)

٢ — تاريخ ملوك الفونج بالسودان وأقاليمه إلى حكم محمد سعيد باشا بن محمد على باشا (فتوغرافيا ١١٥٦ — ١١٣٠ تاريخ ٣٧٦١) نسخة مأخوذه بالتصوير الشمسى عن نسخة خطية محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس .

ب — فى المكتبة الأهلية النمساوية فى فينا .

٣ — تاريخ ملوك سنار من أسرة الفونج من بداية حكمهم حتى أحدث الأزمان ، كتبه أحد فقهاء الخرطوم وأحضره إلى أوربا رئيس البعثة الكاثوليكية فى وسط أفريقية . الدكتور اجناز كنوبلخر Ignaz Knoblecher

Geschichte der Konige von Sanâr aus der Dynastie der Fundschi (No Mixt 677 a. Catalogue 11. 169-a.)

ج — فى المتحف البريطانى بلندن .

٤ — تاريخ مملكة الفونج والعهد العثمانى حتى عام ١٨٧١ (أهداها غردون باشا الى المتحف البريطانى فى عام ١٨٨١) .

A History of the Fung Kingdom and the Turkish period down to 1871 A. C. etc. (Ms. No Arabic 2345).

5. British Museum. Add. Mss. 40665. Corresp. of Charles George Gordon with Richard Speirs Staunder (1874-1882).
6. (Morrow Bequest). Add Mss. 41340. The Corresp. of Charles George Gordon with Watson Pasha. (1874-1884).
7. Add. Mss. 34.474 to 34. 479 General Gordon's Journal.

د — سراى عابدين

8. Atlas (En 2 volumes) contenant 46 Cartes, en partie manuscrites, de Dongola, Berber, Khartoum, Sennar, Kordofan, Darfour, Equateur et Somali. (G. 31/L 4.).

المراجع الافرنجية

1. Abbate, Le Dr. De L'Afrique Centrale, ou Voyage De S. A. Mohamed Saïd Pacha Dans ses Provinces De Sudan. Paris 1858.
2. Allen, B. Gordon and the Sudan. London 1931.
3. Amici, F. Essai de Statistique générale de l'Egypte. Caire 1879.
4. Anon. The Present Crisis in Egypt. London 1851.
5. Antinori, O. Viaggi di O. Antinori e C. Piaggia nell' Africa Cantrale Roma 1868.
6. Arminjon, P. La Situation Econ. et Financiére de l'Egypte-Le Soudan Egyptien. Paris 1911.
7. Arnaud. M. D. Documents et Observations sur le cours du Bahr-El-Abiad. etc. Paris 1843,
8. Arthur Sir G. Life of Lord Kitchener (2 vols). London 1920.
9. Aumont, le Duc d'. Du Caire à Gondokoro et au Mont Redjaf. (Bull. Soc. Khed. Geog. Ser. II. No 4) Caire 1883.
10. Baker. S. W. The Nile Tributaries of Abyssinia. London 1867.
11. —Ismaïlia. A Narrative of the Expedition to Central Africa for the Suppression of the Slave Trade (2 vols). London 1874.
12. —Voyage à l'Albert n'Yanza. (Tour du Monde 8o. Année Nos. 366,368). Paris 1887.
13. Bellefonds, Linant de. Journal of a Voyage on the Bahr El Abiad. (Jour. of the Royal Geog. Soc.) London 1832.
14. Bellefonds, Ernest Linant de. Itineraire et Notes. Voyage de Service fait entre Fatiko et la Capitale de M'tesa. (Bull. Soc. Khed. Geog. Ser. I. No. 1.) Caire 1876.
15. Berlioux. E. F. La Traite Orientale. Paris 1870.
16. Biovés, A. Un grand Aventurier du XIXe Siécle. Gordon Pacha. Paris 1907.
17. Blunt. W. S. Gordon at Khartoum. London 1911.
18. Bolognesi. M. A. Voyage au Fleuve des Gazelles. (Bahr El Gazal) 1856-1857. (Tour du Monde 3o An. No 119) Paris 1862.
19. Bonola, F. (Bey) Sommaire Historique des Travaux, Geogr. Caire 1889.
20. —Carte de l'Afrique Centrale. (Bull. Soc. Khed. Geog. Ser II. No 7.) Caire 1885.
21. —Les Expeditions Egypt. en Afrique.(Bull. Soc.Khed. Geog. Ser II No 8.) Caire 1885.
22. Boulger, D. C, Life of Gordon. London 1896.
23. —The Congo State. London 1925.

24. Bridier. L. Une Famille Française. Les de Lesseps. Paris 1900.
25. Browne. W. G. Travels in Africa, Egypt and Syria from the year 1792 to 1798. London 1799.
26. Bruce, J. Travels to discover the Source of the Nile in the years 1768, 1769, 1770, 1772, and 1773 (5 vols). Edinburgh 1790.
27 Brun-Rollet. Le Nil Blanc et le Soudan. Paris 1855.
28. Buchta, R. The True Story of the Rebellion in the Sudan. London 1885.
29. Budge, A. E. W. The Egyptian Sudan. Its History and Monuments (2 vols) London 1907.
30. Bujac, E. Les Egyptiens dans l'Afrique Equatoriale. Neuchatel 1878.
31. Burchkardt, J. L. Travels in Nubia. London 1799.
32. Butler, W. F. Charles George Gordon. London 1898.
33. Cadalvene et Breuvery. L'Egypte et la Nubie. (2 vols). Paris 1841.
34 Cailliaud, F. Voyage à Meroe. (4 vols). Paris 1826.
35. Cameron, D. A. Egypt in the Nineteenth Century. London 1898.
36 Carré, Jean-Marie. Voyageurs et Ecrivains français en Egypte. (2 vols). Caire 1932.
37. Casati, G. Ten Years in Equatoria and the Return with Emin Pacha (2 vols) London 1891.
38. Chaillè-Long, Ch.Voyage au Lac Victoria N'Yanza et au Pays Niam-Niam. (Extr. de Bul. Soc. Geog.) Paris 1875.
39. — La découverte des sourcs du Nil (Bul Soc. Khed. Geog. Ser III. No 7.) Caire 1891.
40. —Lettre au sujet du lac Ibrahim (Bul. Inst. Egypt 10 Janvier) Caire 1896.
41. —Central Africa. Naked truths of naked people. London 1876.
42. —Les Trois Prophêtes-Le Mahdi, Gordon, Arabi. Paris 1886.
43. —L'Egypte et Ses Provinces Perdues. Paris 1892.
44. —Notes sur les négres qui habitent du Bahr El Abiad Jusqu'à l'Equateur (Bul. Soc. Khed. Geog. Ser. I No. 2) Caire 1877.
45. Chaine, Le P. S. J L'Egypt et le Soudan. Caire 1903.
46. Chélu, A. Le Nil, Le Soudan, L'Egypte-Paris 1891.
47. Colston, R. E. Extrait d'un Rapport sur le Kordofan. Caire 1876.
48. —Report on Northern and Central Kordofan. Cairo 1878.
49. —La Route entre Debbeh et El Obeyd. (Bul. Soc. Kh. Geog. Ser.II. No 4.) Caire 1884.
50. —Les Exped. Egyp. en Afrique. Documents. Journal d'un voyage du Caire à Keneh, Berenice et Berber. (Bul. Soc. Kh. Geog. Ser II No. 9.) Cairo 1886.
51. —Les Exped. Egyp. en Afrique, Doc. et Rapp. Geologique sur la region située entre Berenice et Berber. (Bul. Soc. Kh. Geog. Ser II. No 11.) Caire 1887.
52. Colvin, A. The making of Modem Egypt. London 1906.
53 Combes. E, Voyage En Egypt, en Nubie. (2 vols). Paris 1846.
54. Crabités, P. Americans in the Egyptian Army. London 1938
55. —Gordon, the Sudan and Slavery. London 1933.

56. Cromer, The Earl of. Modern Egypt (2 vols) New York 1908.
57. Cuny, Ch. Notice sur le Dar-Four et sur les caravanes. Paris 1854.
58. —Observations générales sur le memoire sur le Soudan de M. le comte d'Escayrac de Lauture. Paris 1858.
59. —Journal de Voyage du Docteur Charles Cuny de Siout à El Obied. Paris 1858.
60. Daryl, Ch. Lettres de Gordon à Sa Soeur. Paris 1884.
61. Debono, A. Fragments d'un Voyage au Soubat. (Tour du Monde 1° An No. 48) Paris 1860.
62. Déhérain, H. Le Soudan Egyptien sous Mehemet Ali. Paris 1898.
63. Delebecque, J. Gordon et le Drame de Khartoum. Paris 1935.
64. Douin, G. Histoire du Regne De Khedive Ismail (Tome III). Caire 1936 etc.
65. Engelhardt, Ed. La Turquie et le Tanzimat. (2 vols). Paris 1882.
66. English, G. B. A Narrative of the Expedition to Dongola and Sennar. Boston 1823.
67. Ensor, F. S. Incidents on a Journey through Nubia to Darfoor. London 1881.
68. Felkin, R. W. The Egyptian Sudan. (Scott. Geog. Mag. vol I. No 5.) Edinburgh 1885.
69. Fitzmaurice, E. The Life of Granville. (2 vols). London 1926.
70. Gessi, R. Seven Years in the Sudan. London 1892.
71. Gleichen, Count. Handbook of the Sudan. London 1892.
72. —The Anglo-Egyptian Sudan; A Compendium. London 1905.
73. Gilbert, P. L'Afrique Inconnue. Paris 1862.
74. Gordon, Ch. G. Exped. Egypt. en Afrique Orientale : Gordon Chez le Negus. (Bul. Soc. Khed. Geog. Ser III. No 2.) Caire 1889.
75.— Unpublished letters of Charles George Gordon. (Sudan Notes and Records. vol X) Khartoum. 1927.
76. —Voyage sur le Haut Nil. (Bul. Soc. Geog. de Paris. t X.) Paris 1875.
77. —Lettres sur le cours du Nil dans la region des grands lacs. (Bul. So. Kh. Geog. Ser I. No 3). Caire 1876.
78. —Mem. Sur le gouver. de Soudan et du littoral de la Mer Rouge. (Revue d'Egypte. An I.) Caire 1894.
79. Gouin, E. L'Egypte au XIXe Siécle. Paris 1847.
80. Gozzi D. Note Alla Buona sugli evenementi di Egitto E Sudan Dal 1882 al 1885. Con Atlante. Firenze 1890.
81. Gwynn, S. L, and Tuckwell, G. M. Life of Sir Charles Dilke London 1917.
82. Hake, E. The Journals of Charles George. Gordon. C. B. at Khartoum. London 1885.
83. Halim Pacha. Egypt and the Sudan (The Nineteenth Century. vol 17. No. XC-X) London 1885.
84. Hamont. C. N. L'Egypte sous Mehemet Ali (2 vols). Paris 1845.

85. Heuglin, Th. V. Tinnesche Expedition im Westlichen Nil. Gotha 1865.
86. —Reïse in das Gebiet des Weissen Nil. Leipzig 1869.
87. —Reise nach Abessinien, den Gala-länorden, Ost Sudan und Chartum. Jena 1868.
88. —Le Territoire des Beni Amer et Des Habab. (Bul. Soc. Kh. Geog. Ser I. No. 1.) Caire 1876.
89. Heuglin, Th. V. and Munzinger. W. Itinereire und Winkel messungen Zwischen Massua-und Kassala. Gotha 1864.
90. Heyworth-Dunne. J. An Introduction to the History of Education in Modern Egypt. London 1938.
91. Hill. G. B. Colonel Gordon in Central Africa (1874-1879). London 1899.
92. Hoskins, G. A. A Winter in Upper and Lower Egypt London 1863.
93. Jackson, H. C. Tooth of Fire, Being some account of the Ancient Kingdom of Sennar. Oxford. 1912.
94. —Black Ivory and White, or the Story of El Zubeir Pacha slaver and Sultan as told by himself. Oxford 1913.
95. —Osman Digna-London 1926.
96. Johnston, H. The Nile Quest. London 1903.
97. Jomard. M. Premier Voyage à la Recherche des sources du Bahr El Abiad. (Extrait.) Paris 1842.
98. —Second Voyage à la Recherehe. Paris 1842.
99. —Etudes Geog et Histor. Sur l'Arabie. suivies de la Relation du voyage de Mohamed Aly dans le Fazoqul. Paris 1879.
100. Jonquiére, De la. Histoire de l'Empire Ottoman. Paris 1881.
101. Junker. W. Travels in Africa during the years 1875-1878. London 1890.
102. —Travels in Africa during the years 1879-1883. London 1891.
103. —Sept Ans de Voyages dans l'Afrique Centrale (Bul. Soc Kh. Geog Ser II. No. 12). Caire 1887.
104. —Les Voyages du Dr Junker dans l'Afrique Equatoriale (Bul. Soc. Kh. Geog, Ser I. No 7) Caire 1880.
105. La Palitique d'Ismaïl Pacha et les Intéréts de l'Europe dans la question d'Egypte. Paris 1869.
106. Lauture, d'Escayrac de. Notice sur le Kordfan (Extrait). Paris 1851.
107. —Memoire sur le Soudan. Paris 1855.
108. —Mem. Sur l'état Social de l'Afrique Interieure Paris 1856.
109. —Le Desert et le Soudan. Paris 1853.
110. Legh, Th. Narrative of a Journey in Egypt and the Country beyond the Cataracts. London 1816.
111. Lejean G. Voyage aux Deux Nils. Paris 1865-1870.
112. —L'Afrique Inconnue (1860-1862). Tour de Monde. 30 An. No. 115. Paris 1862.
113. —Voyage dans l'Afrique Orientale 1860 (Tour de Monde. 3o.An. No 116.). Paris 1862.
114. —Gondokoro : Esquise de voyage au Nil Blanc. (Tour de Monde 3o An. No. 119) Paris 1862.
115. —Le Haut Nil et le Soudan (Revue Des Deux Mondes, t XXXVII). Paris 1862.

116. —La Traite Des Esclaves en Egypte et en Turquie (Revue des Deux Mondes. t 88.) Paris 1870.
117. Lepsius, Dr. R Letters from Egypt, Ethiopia... London 1853.
118. Lesseps, F. Souvenirs d'un vayage au Soudan (Nouvelle Revue 6. an t XXVI) Paris 1884.
119. —Memoire à l'Acadimie des Sciences de l'Institut Imperial de France Sur le Nil Blanc et le Soudan. Paris 1857.
120. —Souvenirs de quarante ans (2 vols). Paris 1887.
121. Levi, G. Osman Denka Chez lui. Caire 1884.
122. Lockett, S, H. Carte Generale de l'Afrique Dressée. Caire 1877.
123. Macmichael, H. A. A History of the Arabs in the Sudan and some account of the people. (2 vols). Cambridge 1922.
124. Maddan, R. R. Egypt and Mohammed Ali. London 1841.
125. Mahir, M. Route de Khartoum à Obeiyad, d'après uue reconnaissance du Comm. Prout. Caire 1875,
126. Malté-Brun, V. A. Les Derniéres Explorations du Dr. Alfred Peney. Paris 1863.
127. —Journal de Voyage du Dr. Charles Cuny du Siout á El Obied (1857-1858). Paris 1863.
128. —Notice sur les travaux et voyages de Marquis d'Escayrac de Lauture. Paris 1869.
129. Mariette, E. Mariette Pacha, Letters et Souvenirs Personelles. Paris 1904.
130. Marno, E. Reisen im Gebiete des blauen und Weissen Nil. Wien 1874.
131. —Reise im der Agyptischen Aequatorial Provinz. Wien 1878.
132. Mason Bey. Trad du Rapp. d'une reconnaissance du lac Abbert Nyanza (Bull. Soc. Kh. Geog. Ser I No 5) Caire 1877-1878
133. —Les Chemins de fer du Soudan (Bul. Soc. Kh. Geog. Ser II No. 6) Caire 1885
134. Maxime du Camp. Le Nil, Egypte et Nubie avec une Carte. Paris 1860.
135. Mc. Coan, J. C. Egypt Uuder Ismail: a Romance of History. London 1889.
136. – Egypt as It is. London. 1877
137. —Slavery in Egypt. (Fraser's Magazine. New Serie, Vol XV) London 1877.
138. Melly, G. Khartoum and the Blue and White Niles. (2 vols) London 1851.
139. Mengin, F. Histoire de l'Egypte sous le gouvern. de Mohammed Aly. (2 vols). Paris 1823.
140. Merreau. P. L'Egypte Contemporaine. Paris 1857.
141. Messedaglia, G. Les Exped. Egyp. en. Afrique. Le Dar-For pendant la gestion du feu le General Gordon Pacha. (Bull. Soc. Kh. Geog. Ser. III. No 1) Caire 1888.
142. Miani G. Spedizione verso le Origini Del Nilo Biretta. Caire 1860.
143. Mitchell, L. H, Report. of the Seizure by the Abyssinians of the Geological and mineralogical Reconnaissance Expedition. Cairo 1878.

144. Moktar, M. Notes sur le pays de Harrar; (Bul. Soc. Kh. Geog. Ser I No II) Caire 1876.
145. —Dans le Soudan Oriental (Bul. Soc. Kh. Geog. Ser I No 11) Caire 1876.
146. —Une Reconnaissance au pays des Gadiboursis. (Bull. Soc. Kh. Geog. Ser I No 7.) Caire 1880
147. Morley, J, The Life of William Ewart Gladstone (3 vols). London 1903.
148. Motf. H. J. On the Literature of Expeditions to the Nile. (No date).
149. Mounteney Jephson, A. J. Emin Pacha and the Rebellion at the Equator. London 1896.
150. Mouriez, P.Histoire de Mehemet Ali, vice-roi d'Egypte (4 vols) Paris 1858.
151. —Des Intéréts Européens en Orient . . . Paris 1852.
152. Mustafa Amer. Some Unpublished Egyptian Maps of Harrar (Extrait du Bul. de Soc. Royale de Geog d'Egypte t XIX) Caire 1937.
153. M'Queen, J. The Nile Basin. Part II. Captain Speke's Discovery of the Source of the Nile. London 1864.
154. Munzinger. W. Ostafrikanische Studien . . . Schaffhausen 1864.
155. Murray T. D and White A.S. Sir Samuel Baker. A Memoir. London 1885.
156. Myres, A.B.R. Life with the Harman Arabs . . . London 1876.
157. Ohrwalder, R.P.J. Ten Years' Captivity in the Mahdiis Camp. 1882-1892 . . . London 1892.
158. Pallma, I. Travels in Kordofan . . . London 1844
159. Paton, A.A. A History of the Egyptian Revolution (vol. II). London 1870.
160. Paulitschke, P. Le Harrar sous l'Administration Egyptienne, (Bul. Soc. Geog. Ser II. No. 10) Caire 1887.
161. Peney, A. Lettre de M. Peney à M. Koenig Bey. Gondokoro 20. 2. 1861. (Bul. Institut Egyp. An 1861. No. 5) Alex. 1861.
162. —Lettres de Gondokoro . . . (Bul. Inst. Egy.) Caire 1861.
163. Pensa, H. L'Egypte et le Soudan Egyptien. Paris 1895.
164. Petherick, J. Egypt, the Sudan And Central Africa-London 1861.
165. —Travels in Central Africa . . . (2 vols). London 1869.
166. Pfund. J. Dr. J. Pfund's Reisbriefe aus Kordofan und Darfur (1875-1876) . . . Hamburg 1878.
167. Pfund, J. and Zarbe, J. H, Egyptian War Office Rapport sur les specimens botaniques colligés pendant les exped. Egyp. au Kordofan et au Darfour en 1875 et 1876. Caire 1879.
168. Piaggia, C. Sur le Nil Somerset et le lac Capeke (Long). (Bul. Soc. Kh. Geog. Ser II. No. 4) Caire 1883.
169. Pimblett. W. M. Story of the Soudan War from the Rise of the Revolt of July 1881 to the Fall of Khartoum. London 1885.
170. —Emin Pacha, His Life and Work . . . London 1890.
171. Poncet, J. Le Fleuve Blanc. Notes Geog. et Ethnol . . . avec une carte par M.V.A. Malte-Brun. Paris (S. d.).
172. Poncet, M. A Voyage to Ethiopia made in the years 1698, 1699 and 1700 . . . London 1709.

173. Power, F. Lettres from Khartoum. Written During the Siege. London 1885.

174. Prout, H.G. Rapport general . . . sur le Kordofan. Rapports sur les expeditions geog-militaires de l'état-major général-Caire 1875.

175. —General Report on the Province of Kordofan. Publications of the Egyptian General Staff. Cairo 1877,

176. —Route de Khartoum à Oneiyad . . . 1875. Le Caire 1875.

177. Publications of the Egyptian Staff-Provinces of the Equator. Summary of Letters and Reports of H E. the Governer-General. Cairo 1877.

178. Puckler-Muskau Egypt Under Mehemet Ali (2 vols). London 1845.

179. Purdy, E.S. Le pays entre Dara et Heufrah en Nahass (Bul. Soc. Kh. Geog. Sec I. No 8) Caire 1880.

180. —Une Recon. entre Berenice et Berber, Exped. Purdy-Colston (Bul. Soc. Kh. Geog. Ser II. No 8) Caire 1885.

181. Rivoyre, D. Aux Pays du Soudan, Bogos, Mensah, Souakin. Paris 1885.

182. Robinson, A.E Nimr, the Last King of Shendi(Soudan Notes and Records. vol VIII. No 2) Khartoum 1945.

183. —The Conquest of the Sudan by the Wali of Egypt . . . (Journal of the African Soc. vol 25) London 1925—1926

184. Robinson. C.A. The Rulers ef the Sudan ... (Journal of the African Soc. vol 24). London 1924.

185. Royle, Ch. The Egyptian Campaigns 1882 to 1885. London 1886.

186. Rüppell. E. Reisen in Nubien, Kordofan und dem peträischen Arabien. Frankfort em Main 1838.

187. Russeger. J. Reisen in Europa, Asien und Afrika, 1835 bis 1841 (vol. 2.) Stuttgart. 1841.

188. Russell. H. The Ruin of the Sudan, a Résumé of Events (1883–1891) London 1892.

189. Russell M. Nubia and Abyssinia. Edinburgh 1833.

190. Sabry. M. L'Empire Egyptien Sous Mohamed Ali . . . Paris 1930.

191. —L'empire Egyptien Sous Ismail . . . Paris 1933.

162. Sartorius, E Three months in the Sudan. London 1885.

193. Schweinfurth, G. Au Coeur de l'Afrique. (2 vols). Paris 1875.

194. —Charles Piaggia (Bul. Soc. Kh. Geog. Ser II. No 4) Caire 1883.

195. —In the Heart of Africa . . . London 1888.

196. Schweinfurth (Ratzel, Felkin, and Hartlaub) Emin Pasha in Central Africa. London 1888.

197. Scott-Keltie. J. The Story of Emin's Rescue . . London 1890.

198. Seligman, O. G. and Brenda. Z. Pagan Tribes of the Nilotic Sudan . . London 1932.

199. Shukry, M.F. The Khedive Ismaïl and Slavery in the Sudan. (1863—1879). Cairo 1938.

200. Slatin, R. Fire and Sword in the Soudan. London 1898.

201. Speke, J. H. Journal of the Discovery of the Sources of the Nile. Edinburg. 1863.
202. —Les Sources du Nil . . . (Tour du Monde 8° An. Nos. 226—232 Paris 1862.
203. —Les Sources du Nil. Trad. E. D. Forgues Paris 1864.
204. —The Discovery of the Victoria Nyanza (Blackwood Magazine vol I) London 1858.
205. Stanley, H. M. In Darkest Africa (2 vols). London 1890.
206. —Across Africa, and the Rescue and Retreat of Emin Pacha London 1890.
207. Statistique de l'Egypte. (Année 1873).
208. Stone. Ch. P. Les Expeditions Egyptiennes en Afrique (Bul. Soc. Kh. Geog. Ser II. No 7) Caire 1885.
209. —La Topographie du Pays entre la cote de la mer Rouge . . . (Bul. Soc. Geog. Kh. Ser I. No 9 and 10) Caire 1881.
210. —Le General Purdy. Notice Necrologique. (Bul. Soc. Kh. Geog. Ser II No 2) Caire 1883
211. Thibaut. Expedition à la recherche des sources du Nil (1839—1840) Journal de M. Thibaut publié par . . . d'Escayrac de Lauture Paris 1856.
212. Tinné, J.A. Geographical Notes of an Expedition in Central Africa by the Dutch Ladies. Liverpool 1864.
213. Tousson, (Le Prince Omar). Le Fin des Mamelouks. (Bull. de l'Inst. Egyp. t IX.) Caire 1927.
214. Tounsy. Le Chekh Mohammed Ibn Omar El. Voyage au Ouâday Trad. de l'Arabe par le Dr. Perron. Paris 1851.
215. —Voyage au Darfour . . . Paris 1845.
216. Tremeaux, P.' Voyage en Ethiopie, au Soudan Oriental et dans la Nigirtie. (2 vols). Paris 1862.
217. Yates, W. A. The Modern History and Condition of Egypt. (2 vols). London 1843.
218. Vingtrinier. A. Soliman Pacha (Col. Séve) . . Paris 1886.
219. Vivian de Saint-Martin. Revue Geog. 1864. texte inedite. (Tour du monde. An 5. No. 261) Paris 1864.
220. —La Recherche des Sourees du Nil. (Bul. Soc. Geog 4o Ser. t XVII. No 100) Paris 1859.
221. —Notice sur le Darfour et sur le voyage. de Dr. Cuny . . (Bul. Soc. Geog. 4o Ser. t XVII. No 100) Paris 1859.
222. Vizetelly, E. A. Gordon and the Mahdi . . London 1885.
223. Vossion, L. Les Provinces Egyp. du Soudan et de l'Equateur Le Commerce de l'Ivoire à Khartoum et au Soudan. Egyptien Paris 1892.
224. Waddington G. and Hanbury, B. Journal of a Visit to some parts of Ethiopia. London 1827.
225. Werne, F. Exped. Zur Entdeckung der Quellen des Weissen Nil. Berlin 1848.

226. —Feldzug von Sennar nach Taka, Basa und Beni Amer. Stuttgart 1851.
227. —African Wanderings, or an Exped. from Sennar to Taka . . . London 1852.
228. Why Gordon Perished . . . London 1896.
229. Wilson. C. T. and Felkin, R. W. Uganda and the Egyptian Sudan. London 1882.
230. Wilson, C. T. Uganda et lac Victoria. (Bul. Soc. Kh Geog. Ser II. Nos 9,10. Caire 1880.
231. Wingate. F. R. Chronlogical Index of Events in the Sudan for the Years 1881—1889. Inclusive. London 1890.
232. —Mahdiism and the Egyptien Sudan . . . London 1891.
233. —The Rise and Wane of the Mahdi Religion in the Sudan London 1892.
234. Zaghi. C. Vita Di Romolo Gessi-Milano 1939.

المراجع العربية

١ — ابراهيم فوزى باشا ، كتاب السودان بين غوردون وكتشنر — الجزء الأول . القاهرة ١٣١٩ هـ .

٢ — احمد أفندى حمدى . تقرير بأشغال الاستكشافات التى أجراها من الدابة (دبة) الى بندر الأبيض مركز مديرية الكردفان صاغقولا أغاسى أحمد أفندى ومن معه من ضباط أركان حرب تحت رئاسة الكولونيل كولستن — جريدة أركان حرب الجيش المصرى . السنة الثالثة . الجزءان الأول والثانى القاهرة ١٨٧٨ .

٣ — اسماعيل سرهنك باشا . حقائق الاخبار عن دول البحار (٣ أجزاء) . بولاق مصر ١٣١٢ هـ .

٤ السودان المصرى والانكليز . مجموعة رسائل لأحد أدباء مصر [الشيخ محمود القبانى] مطبعة الاهرام بالاسكندرية ١٨٩٦ .

٥ — أمين سامى باشا تقويم النيل عصر محمد على باشا الجزء الثانى القاهرة ١٩٢٨

٦ — أمين سامى باشا . تقويم النيل وعصرى عباس حلمى باشا الأول ومحمد سعيد باشا المجلد الأول من الجزء الثالث ؛ ثم عصر اسماعيل باشا المجلدان الثانى والثالث من الجزء الثالث . القاهرة ١٩٣٦ .

٧ — براوت — تقرير ورد لديوان الجهادية « يتضمن نتيجة الأعمال الكشفية التى أجراها فيما بين الخرطوم و(الأبيض) بولاية كردفان ؛ وصورته تعريب عمر أفندى رشدى بكباشى أركان حرب » — جريدة أركان حرب الجيش المصرى . السنة الثالثة . الجزء الأول من المجلد الاول . مصر ١٨٧٦ .

٨ — بنولا بك — كتاب مصر والجغرافيا — وهو خلاصة تاريخية عن الاعمال الجغرافية

التى انحزتها العائلة المحمدية العلوية بالديار المصرية . تعريب أحمد زكى . بولاق ١٣١٠ هـ سنة (١٨٩٢) .

٩ — چيسى — [عن سياحة المسيو چيسى فى شهر يولية ١٨٧٦ ودخوله بحيرة ألبرت نيانزا بناء على أمر غردون] حكمدار عموم مديريات خط الاستواء — جريدة أركان حرب الجيش المصرى السنة الثالثة — الجزء الثالث (عدد ٩) من المجلد الثانى . القاهرة ١٨٧٨

١٠ — رفاعة رافع الطهطاوى — كتاب مناهج الالباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية القاهرة ١٣٣٠ هـ

١١ — سليم قبودان (البكباشى) — الرحلة الاولى للبحث عن منابع البحر الابيض (النيل الابيض) الصادر بها أمر ساكن الجنان محمد على والى مصر . نقلها إلى العربية محمد مسعود . القاهرة ١٩٢٢ .

١٢ — عبد الرحمن الجبرتى (الشيخ) — عجائب الآثار فى التراجم والاخبار (الجزء الرابع) القاهرة ١٣٢٢ هـ .

١٣ — عبد الله افندى فوزى — نبذة تتعلق باستكشاف أراضى العيسى وقبائل الجالا وهرر تأليف حضرة عبد الله افندى فوزى صاغقول أغاسى أركان حرب الجيش المصرى — السنة الثالثة . الجزء السادس من المجلد الاول . القاهرة ١٨٧٧ .

١٤ — عمر طوسن (الامير) — الجيش المصرى فى الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم ١٨٥٣ — ١٨٥٥ . الأسكندرية ١٩٣٦ .

١٥ — لونج بك (شاييه لونج) — مختصر تقرير مقدم إلى المسيو الكولونيل جوردون من لونج بك قائمقام حرب العساكر المصرية ، مشتمل على مدة سياحة القائمقام الموما إليه من بلدة كوندكورو إلى أوجاندا ذهابا وإيابا من تاريخ ٢٤ ابريل إلى ١٨ أكتوبر ١٨٧٤ الموافق ٨ رمضان ١٢٩١ ترجمة عمر افندى رشدى يوزباشى أركان حرب — جريدة أركان حرب الجيش المصرى . السنة الثانية . الجزءان الثانى والرابع من المجلد الثانى . القاهرة ١٨٧٥ .

١٦ — محمد بن السيد عمر التونسى — كتاب تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان [رحلة التونسى إلى دارفور] . أنظر قائمة المراجع الاجنبية تحت اسم Tounsy

١٧ — محمد رؤوف باشا — صورة المكتوب الوارد من سعادة رؤوف باشا فيما يتعلق بفتح مدينة هرر — جريدة أركان حرب الجيش المصرى . السنة الثالثة الجزء الاول من المجلد الاول . القاهرة ١٨٧٥ .

١٨ — محمد رؤوف باشا — تقرير يتعلق بمدينة هرر ومحيطها جريدة أركان حرب الجيش المصرى السنة الثالثة . الجزء الاول من المجلد الاول . القاهرة ١٨٧٦ .

١٩ — محمد صبرى (الدكتور) — مصر فى أفريقية الشرقية . هرر وزيلع وبربره . القاهرة ١٩٣٩ .

٢٠ — محمد ضيف الله بن محمد الجعلى الفضلى — كتاب الطبقات فى خصوص الاولياء

والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان . (نشره الشيخ ابراهيم صديق) القاهرة ١٣٤٨ هـ
٢١ — محمد مختار (باشا) — كتاب التوقيعات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية . القاهرة ١٣١١ هـ .
٢٢ — محمد مختار وعبد الله فوزى — نبذة فى وصف مدينة زيلع استخرجها يوزباشى أركان حرب سليمان أفندى طاهر من التقرير المحرر من كل من بيكباشى أركان حرب محمد أفندى مختار وصاغقولا أغاسى أركان حرب عبدالله أفندى فوزى بتاريخ ١٨ سبتمبر ١٨٧٥ من جريدة أركان حرب الجيش المصرى . السنة الثالثة . الجزء الاول من المجلد الاول . القاهرة ١٨٧٦ .
٢٣ — محمد فؤاد شكرى — الامبراطورية الافريقية . صفحة من تاريخ مكافحة الرق والنخاسة فى السودان . (من كتاب اسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته . وزارة المعارف . القاهرة ١٩٤٥ .
٢٤ — محمد فؤاد شكرى — صفحة من تاريخ السودان الحديث . رحلة محمد على الى فازوغلى ١٨٣٨ — ١٨٣٩ (ونشر جريدة الرحلة) . فصلة من مجلة كلية الآداب العدد الثامن ، المجلد الثانى ديسمبر ١٩٤٦ . مطبعة جامعة فؤاد الاول ١٩٤٧ .
٢٥ — محمد فؤاد شكرى — مصر والسيادة على السودان — الوضع التاريخى للمسألة . القاهرة ١٩٤٧ .
٢٦ — محمود أفندى صبرى — تقرير يتعلق بالخريطة الاستكشافية للجهات الشمالية الغربية من دارفور الخديوية مقدم من محمود أفندى صبرى يوزباشى أركان حرب إلى ميرلاى أركان حرب رئيس مأمورية استكشاف دارفور — جريدة أركان حرب الجيش المصرى السنة الثالثة . الجزء الاول من المجلد الاول . القاهرة ١٨٧٦ .
٢٧ — محمود طلعت . غرائب الزمان فى فتح السودان . الكتاب الاول القاهرة ١٣١٤ هـ
٢٨ — محمود فهمى المهندس . البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر . الجزء الاول . القاهرة ١٣١٢ هـ .
٢٩ — ميخائيل شاروبيم بك . الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث . الجزء الرابع . القاهرة ١٨٩٨ .
٣٠ — ميسون بك . (مازون) تقرير فى استكشاف بحيرة البرت نيانزا المقدم من الكولونيل ميسون بك إلى سعادة جوردون باشا حكمدار عموم السودان ... جريدة أركان حرب الجيش المصرى . السنة الثالثة . الجزءان الثانى والثالث من المجلد الثانى . القاهرة ١٨٧٨
٣١ — نشرة الجمعية الجغرافية الخديوية عن أحوال هرر فى أيام الحكومة المصرية .
(Bull.Soc. Kh Geog. Ser.II. No 10) Mars 1887.
٣٢ — نعوم شقير . تاريخ السودان الحديث وجغرافيته فى ثلاثة أجزاء . القاهرة ١٩٠٣
٣٣ — هاجن ماخر — ترجمة رحلة سياحية بجهات زيلع وبربره وتجرا وما يليها من بلاد عادل والسومالى . ترجمها محمد أمين فكرى بك . القاهرة ١٢٩٢ هـ
٣٤ — الوقائع المصرية .